مجمع البيان

في تفسير القرآن

للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي

عفا الله عنهما

دار المعرفة

مجمع البيان

في

تفسير القرآن

لمؤلفه

الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي

عفا الله عنهما

الجزء التاسع

دار المعرفة

للطباعة والنشر

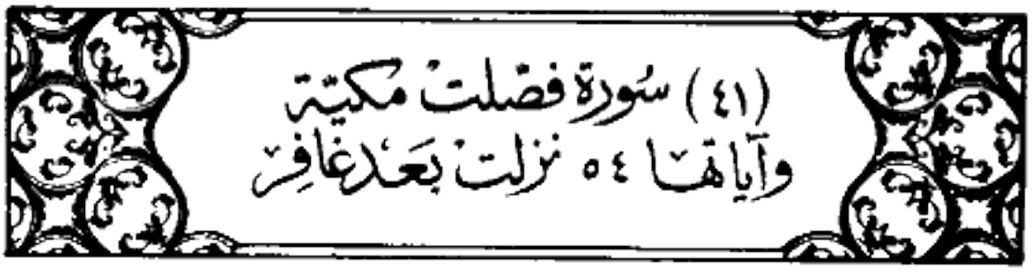
جميع الحقوق محفوظة للناشر
الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م



دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع
Publishing & Distributing
DAR EL-MAREFAH

مستديرة الطيار - تجاه بنك ميكو - شارع البرجاوي ص.ب ٧٨٧٦ تلفون: ٨٣٤٣٠١ - ٨٣٤٣٢٢ - برقياً معرفكار بيروت - لبنان

﴿ الجزء التاسع ﴾



[عدد آيها]

أربع وخمسون آية كوفي ثلاث حجازي آيتان بصري شامي .

[اختلافها] آيتان حم كوفي عاد وثمود حجازي كوفي .

[فضلها] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ حم السجدة أعطي[1] بعدد كلّ حرف منها عشر حسنات وروى ذريح المحاربي عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ حم السجدة كانت له نوراً يوم القيامة مدّ بصره وسروراً وعاش في هذه الدنيا مغبوطاً محموداً .

[تفسيرها] ختم الله سورة المؤمن بذكر المنكرين لآيات الله وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ
آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ
مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ

(١) [من الأجر] .

فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾

[الإعراب] قال الزجّاج تنزيل رفع بالابتداء وخبره كتاب فصّلت هذا مذهب البصريين وقال الفراء يجوز أن يكون تنزيل يرتفع بحم ويجوز أن يرتفع بإضمار هذا والمعنى هذا تنزيل أو هو تنزيل وقوله ﴿ قرآناً عربياً ﴾ نصب قرآناً على الحال بمعنى بيّنت آياته في حال جمعه وبشيراً ونذيراً من صفته .

[المعنى] حمّ قد تقدّم القول فيه وقيل في وجه الاشتراك في افتتاح هذه السور السبع بـ حمّ أنّه للمشاكلة التي بينها بما يختصّ به وليس لغيرها وذلك أنّ كل واحدة منها استفتحت بصفة الكتاب مع تقاربها في الطول ومع شدّة تشاكل الكلام في النظم ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ نزل به جبرائيل على محمد ﷺ ﴿ كتاب فصّلت آياته ﴾ وصف الكتاب بالتفصيل دون الإجمال لأن التفصيل يأتي على وجوه البيان أي الذي بيّنت آياته بياناً تامّاً والتبيين فيه على وجوه منها تبيين الواجب ممّا ليس بواجب وتبيين الأولى في الحكمة مما ليس بأولى وتبيين الجائز مما ليس بجائز وتبيين الحق من الباطل وتبيين الدليل على الحق ممّا ليس بدليل وتبيين ما يرغب فيه ممّا لا يرغب فيه وتبيين ما يحذر منه ممّا لا يحذر منه إلى غير ذلك من الوجوه وقيل فصّلت آياته بالأمر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب والحلال والحرام والمواعظ والأمثال وقيل فصّلت أي نظمت آياته على أحسن نظام وأوضح بيان ﴿ قرآناً عربياً ﴾ وصفه بأنه قرآن لأنه جمع بعضه إلى بعض وبأنه عربيّ لأنه يخالف جميع اللغات التي ليست بعربية وكل ذلك يدل على حدوث القرآن ﴿ لقوم يعلمون ﴾ اللسان العربي ويعجزون عن مثله فيعرفون إعجازه وقيل يعلمون أنّ القرآن من عند الله نزل. عن الضحّاك ﴿ بشيراً ونذيراً ﴾ يبشّر المؤمن بما فيه من الوعد وينذر الكافر بما فيه من الوعيد ﴿ فأعرض أكثرهم ﴾ يعني أهل مكة عدلوا عن الإيمان بالله والتدبّر فيه ﴿ فهم لا يسمعون ﴾ أي لا يسمعونه سمعَ تفكّرٍ وقبول فكأنهم لا يسمعونه حقيقةً ﴿ وقالوا قلوبنا في أكنّة ﴾ أي في أغطية عن مجاهد والسُّدّي ﴿ ممّا تدعونا إليه ﴾ فلا نفقه ما تقول وإنما قالوا ذلك ليؤيسوا النبي ﷺ من قبولهم دينه فكأنّهم شبّهوا قلوبهم بما يكون في غطاء فلا يصل إليه شيء ممّا وراءه ﴿ وفي آذاننا وقر ﴾ أي ثقل عن استماع القرآن وصمَم ﴿ ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ أي بيننا وبينك فرقة في الدين وحاجز في النحلة فلا نوافقك على ما تقول عن الزجاج وقيل إنّه تمثيل بالحجاب ليؤيسوه من الإجابة عن عليّ بن عيسى ﴿ فاعمل اننا عاملون ﴾ قيل أنّ أبا جهل رفع ثوباً بينه وبين النبي ﷺ فقال يا محمد أنت من ذلك الجانب ونحن من هذا

الجانب فاعمل أنت على دينك ومذهبك إننا عاملون على ديننا ومذهبنا عن مقاتل وقيل معناه فاعمل في هلاكنا إنّا عاملون في هلاكك عن الفرّاء وقيل فاعمل به في ابطال أمرنا إنّا عاملون في ابطال أمرك وهذا غاية في العناد .

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ * قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر سواء بالرّفع وقرأ يعقوب سواء بالجرّ والباقون بالنّصب سواء .

[الحجة] من قرأ سواء بالرفع جعله خبر مبتدأ محذوف أي هي سواء ومن قرأ سواء بالجرّ جعله صفة أيّام التقدير في أربعة أيام مستويات تامّات وأما النصب فعلى المصدر على معنى استوت سواءً واستواءً .

[المعنى] ثم قال لنبيّه ﷺ ﴿ قل ﴾ يا محمّد لهؤلاء الكفار ﴿ إنّما أنا بشر مثلكم ﴾ من ولد آدم لحم ودم وإنّما خصّني الله تعالى بنبوّته وميّزني منكم بأن أوحى إليّ ولولا الوحي ما دعوتكم وهو قوله ﴿ يوحىٰ إليّ أنّما إلٰهكم إلٰه واحد ﴾ لا شريك له في العبادة ﴿ فاستقيموا إليه ﴾ أي لا تميلوا عن سبيله وتوجّهوا إليه بالطاعة كما يقال استقم إلى منزلك أي لا تعدل عنه إلى غيره ﴿ واستغفروه ﴾ من الشرك واطلبوا المغفرة لذنوبكم من جهته ثم أوعدهم فقال ﴿ وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ﴾ أي لا يعطون الزكاة المفروضة

وفيه دلالة على أنّ الكفار مخاطبون بالشرائع وهذا هو الظاهر وقيل معناه لا يطهرون أنفسهم من الشرك بقول لا إله إلا الله فإنها زكاة الأنفس عن عطاء عن ابن عباس وهذا كما يقال أعطى فلان من نفسه الطاعة أي ألزمها نفسه وقد وصف سبحانه الكفر بالنجاسة بقوله إنّما المشركون نجس وذكر الزكاة بمعنى التطهير في قوله خيراً منه زكاةً وقيل معناه لا يقرّون بالزكاة ولا يرون إيتاءها ولا يؤمنون بها عن الحسن وقتادة وعن الكلبي عابهم الله بها وقد كانوا يحجّون ويعتمرون وقيل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدّقون عن الضحاك ومقاتل وكان يقول الزكاة قنطرة الإسلام وقال الفراء الزكاة في هذا الموضع أنّ قريشاً كانت تطعم الحاجّ وتسقيهم فحرّموا ذلك على من آمن بمحمد ﷺ ﴿ **وهم بالآخرة هم كافرون** ﴾ وهم مع ذلك يجحدون بما أخبر الله تعالى به من أحوال الآخرة ثم عقّب سبحانه ما ذكره من وعيد الكافرين بذكر الوعد للمؤمنين فقال ﴿ **إنّ الذين آمنوا** ﴾ أي صدّقوا بأمر الآخرة من الثواب والعقاب ﴿ **وعملوا الصالحات** ﴾ أي الطاعات ﴿ **لهم أجر غير ممنون** ﴾ أي لهم جزاء على ذلك غير مقطوع بل هو متّصل دائم ويجوز أن يكون معناه أنه لا أذى فيه من المنّ الذي يكدر الصنيعة ثم وبّخهم سبحانه على كفرهم فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهم على وجه الإنكار عليهم ﴿ **أئنّكم لتكفرون بالذي خلق الأرض** ﴾ وهذا استفهام تعجيب أي كيف تستجيزون أن تكفروا وتجحدوا نعمة من خلق الأرض ﴿ **في يومين** ﴾ أي في مقدار يومين ﴿ **وتجعلون له أنداداً** ﴾ أي أمثالاً وأشباهاً تعبدونهم وفي هذا دلالة على أنّه سبحانه إنّما يستدلّ على إثبات ذاته وصفاته بأفعاله فهي دالّة على إثبات صفاته إمّا بنفسها كما يدلّ صحّة الفعل على كونه قادراً وأحكامه على كونه عالماً وإمّا بواسطةكما يدلّ كونه قادراً عالماً على كونه حيّاً موجوداً سميعاً بصيراً ﴿ **ذلك رب العالمين** ﴾ أي ذلك الذي خلق الأرض في يومين خالق العالمين ومالك التصرف فيهم ﴿ **وجعل فيها** ﴾ أي في الأرض ﴿ **رواسي** ﴾ أي جبالاً راسيات ثابتات ﴿ **من فوقها** ﴾ أي من فوق الأرض ﴿ **وبارك فيها** ﴾ بما خلق فيها من المنافع وقيل بأن أنبت شجرها من غير غرس وأخرج نبتها من غير زرع وبذر وأودعها مما ينتفع به العباد عن السُدّي ﴿ **وقدّر فيها أقواتها** ﴾ أي قدّر في الأرض أرزاق أهلها على حسب الحاجة إليها في قوام أبدان الناس وسائر الحيوان وقيل قدّر في كل بلدة منها ما لم يجعله في أخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد ﴿ **في أربعة أيام** ﴾ أي في تتمّة أربعة أيام من حين ابتداء الخلق فاليومان الأولان داخلان فيها كما تقول خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً أي في تتمّة خمسة عشر يوماً ﴿ **سواء للسائلين** ﴾ أي مستوية كاملة من غير زيادة ولا نقصان للسائلين عن مدّة خلق الأرض وقيل معناه للذين

يسألون الله أرزاقهم ويطلبون أقواتهم فإنّ كلاً يطلب القوت ويسأله عن قتادة والسدّي واختلف في علّة خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام فقيل إنّما خلق ذلك شيئاً بعد شيء في هذه الأيام الأربعة ليعلم الخلق أنّ من الصواب التأنّي في الأمور وترك الاستعجال فيها فإنّه سبحانه كان قادراً على أن يخلق ذلك في لحظة واحدة عن الزجاج وقيل إنما خلق ذلك في هذه المدّة ليعلم بذلك أنها صادرة عن قادر مختار عالم بالمصالح وبوجوه الأحكام إذ لو صدرت عن مطبوع أو موجب لحصلت في حالة واحدة وروى عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنّه قال أنّ الله تعالى خلق الأرض في يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق الشجر والماء والعمران والخراب يوم الأربعاء فتلك أربعة أيام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة وآدم .

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ۖ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾

[الإعراب] طوعاً وكرهاً مصدران وضعا موضع الحال التقدير إئتيا تطيعان إطاعة أو

تكرهان كرهاً وطائعين يدلّ على ذلك وهو منصوب على الحال. سبع سماوات أيضاً منصوب على الحال بعد الفراغ من الفعل.

[المعنى] ثمّ ذكر سبحانه خلق السّماوات فقال ﴿ ثمّ استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ أي ثمّ قصد إلى خلق السماء وكانت السماء دخاناً وقال ابن عباس كانت بخار الأرض وأصل الاستواء الاستقامة والقصد للتدبير المستقيم تسوية له وقيل معناه ثم استوى أمره إلى السماء عن الحسن ﴿ فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ﴾ قال ابن عباس أتت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم وأتت الأرض بما فيها من الأنهار والأشجار والثمار وليس هناك أمر بالقول على الحقيقة ولا جواب لذلك القول بل أخبر الله سبحانه عن اختراعه السماوات والأرض وانشائه لهما من غير تعذّر ولا كلفة ولا مشقة بمنزلة ما يقال للمأمور إفعل فيفعل من غير تلبّث ولا توقّف فعبّر عن ذلك بالأمر والطاعة وهو كقوله إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وإنما قال أتينا طائعين ولم يقل أتينا طائعتين لأنّ المعنى أتينا بمن فينا من العقلاء[1] فغلب حكم العقلاء عن قطرب وقيل أنّه لمّا خوطبن خطاب من يعقل جمعن جمع من يعقل كما قال وكلّ في فلك يسبحون ومثله كثير في كلامهم قال :

فَأَجْهَشْتُ لِلْبَوْبَاةِ[2] حَيْنَ رَأَيْتُهُ وَكَبَّرَ لِلرَّحْمٰنِ حِينَ رَآنِي
فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ الَّذِينَ رَأَيْتَهُمْ بِجَنْبِكَ فِي خَفْضٍ وَطِيبِ زَمَانِ
فَقَالَ مَضَوْا وَاسْتَوْدَعُونِي بِلَادَهُمْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ

وقال آخر :

أَلَا أَنْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّسْمُ وَانْطِقِ وَحَدِّثْ حَدِيثَ الْحَيِّ إِنْ شِئْتَ وَاصْدُقِ

وقد ذكرنا فيما تقدّم من أمثال ذلك ما فيه كفاية وقوله سبحانه ثمّ استوى إلى السماء يفيد أنّه خلق السماء بعد الأرض وخلق الأقوات فيها وقال سبحانه في موضع آخر والأرض بعد ذلك دحاها وعلى هذا فتكون الفائدة فيه أنّ الأرض كانت مخلوقة غير مدحوّة فلمّا خلق الله السماء دحا بعد ذلك الأرض وبسطها وإنّما جعل الله السماء أوّلاً دخاناً ثمّ سموات أطباقاً

(١) « وغير العقلاء ».

(٢) جهش وأجهش إليه : فزع إليه هاما بالبكاء ومتهيئاً له كالطفل يفزع إلى أمه والبوباة : الفلاة؛ والضمير في رأيته راجع إلى المكان.

ثم زيّنها بالمصابيح ليدلّ ذلك على أنّه سبحانه قادر لنفسه لا يعجزه شيء . عالم لذاته لا يخفى عليه شيء . غنيّ لا يحتاج وكلّما سواه محتاج إليه سبحانه وتعالى ﴿فقضاهن﴾ أي صنعهن وأحكمهن وفرغ من خلقهن ﴿ سبع سماوات في يومين ﴾ يوم الخميس والجمعة قال السُّدّي إنّما سمّي جمعة لأنّه جمع فيه خلق السماوات والأرض ﴿ وأوحى في كلّ سماء أمرها ﴾ أي خلق فيها ما أراده من ملك وغيره عن السُّدّي وقتادة وقيل معناه وأمر في كلّ سماء بما أراد عن مقاتل وقيل وأوحى إلى أهل كلّ سماء من الملائكة ما أمرهم به من العبادة عن عليّ بن عيسى ﴿ وزيّنّا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ سمّى الكواكب مصابيح لأنّه يقع الاهتداء بها كقوله ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾ ﴿ وحفظاً ﴾ أي وحفظناها من استماع الشياطين قيل[1] بالكواكب حفظاً ﴿ ذلك ﴾ الذي ذكر ﴿ تقدير العزيز ﴾ في ملكه لا يمتنع عليه شيء ﴿ العليم ﴾ بمصالح خلقه لا يخفى عليه شيء ثم عقّب سبحانه دلائل التوحيد بذكر الوعيد لأهل الشرك والجحود من العبيد فقال ﴿ فإن أعرضوا ﴾ عن الإيمان بك بعد هذا البيان ﴿ فقل ﴾ يا محمد لهم مخوّفاً إيّاهم ﴿ أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ أي استعدّوا للعذاب فقد خوّفتكم عذاباً مثل عذاب عاد وثمود لما أعرضوا عن الإيمان والصاعقة المهلكة من كلّ شيء وهي في العرف اسم للنار التي تنزل من السماء فتحرق ﴿ إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ﴾ إذ متعلّقة بقوله صاعقة والتقدير نزلت بهم حين أتتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم عن ابن عبّاس يعني به الرسل الذين جاؤوا آباءهم والرسل الذين جاؤوهم في أنفسهم لأنّهم كانوا خلف من جاء آباءهم من الرسل فيكون الهاء والميم في من خلفهم للرسل وقيل معناه أنّ منهم من تقدّم زمانهم ومنهم من تأخّر قال البلخي ويجوز أن يكون المراد: أتاهم أخبار الرسل من هاهنا ومن هاهنا ﴿ ألاّ تعبدوا ﴾ أي أرسلناهم بأن لا تعبدوا ﴿ إلا الله ﴾ وحده ولا تشركوا بعبادته غيره ﴿ قالوا ﴾ أي فقال المشركون عند ذلك ﴿ لو شاء ربّنا ﴾ أن نؤمن به ونخلع الأنداد ﴿ لأنزل ملائكة ﴾ تدعونا إلى ذلك ولم يبعث بشراً مثلنا وكأنّهم انفوا من الإنقياد لبشر مثلهم وجهلوا أنّ الله تعالى يبعث الأنبياء على حسب ما يعلمه من مصالح عباده ويعلم من يصلح للقيام بأعباء النبوة ﴿ فإنّا بما أرسلتم به كافرون ﴾ أي أظهروا الكفر بهم والجحود ثم فصّل سبحانه أخبارهم فقال ﴿ فأمّا عاد فاستكبروا ﴾ أي تجبّروا وعتوا ﴿ في الأرض ﴾ وتكبّروا على أهلها ﴿ بغير الحقّ ﴾ أي بغير حقّ جعله الله لهم بل للكفر المحض والظلم الصراح ﴿ وقالوا من أشدّ منّا قوّة ﴾ اغترّوا

---

(١) ليس في بعض النسخ لفظة قيل وهو الصواب .

بقوّتهم لمّا هدّدهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفعه بفضل قوّتنا إذ لا أحد أشدّ منّا قوّة فقال الله سبحانه ردّاً عليهم ﴿ أولم يروا أنّ الله الذي خلقهم هو أشدّ منهم قوّة ﴾ أي أولم يعلموا أنّ الله الذي خلقهم وخلق فيهم هذه القوّة أعظم اقتداراً منهم فلو شاء أهلكهم ﴿ وكانوا بآياتنا ﴾ أي بدلالاتنا ﴿ يجحدون ﴾ ينكرونها ولا يعترفون بها .

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر وابن عامر وأهل الكوفة نحسات بكسر الحاء والباقون نحسات بسكونها وقرأ نافع ويعقوب نحشر بالنون أعداء الله بالنّصب والباقون يحشر بالياء على ما لم يسمّ فاعله أعداء الله بالرفع .

[الحجّة] قال أبو علي النحس كلمة يكون على ضربين (أحدهما) أن يكون اسماً (والآخر) أن يكون وصفاً ممّا جاء فيه اسماً مصدراً قوله في يوم نحس مستمرّ فالإضافة إليه يدلّ على أنّه اسم ليس بوصف[1] لا يضاف إليه الموصوف وقال المفسّرون في نحسات قولين (أحدهما) الشديدة البرد (والآخر) أنها المشؤومة عليهم فتقدير قوله في يوم نحس في يوم مشؤوم وقالوا يومٌ نحسٌ ويوم نحس فمن أضافه كان مثل ما في التنزيل ومن أجراه على الأول احتمل أمرين (أحدهما) أن يكون وصفاً مثل فَسْل[2] ورَذْل (والآخر) أن يكون

(١) [لأنّ الوصف] .

(٢) الفَسْل : الضعيف الرذل .

مصدراً وصف به نحو رجل عدل فمن قرأ في أيّام نحسات فأسكن الحاء أسكنها لأنّه صفة مثل عَبْلات[١] وصعبات ويجوز أن يكون جمع المصدر وتركه على إسكانه في الجمع كما قالوا زورة وعدلة قال أبو الحسن لم أسمع في النحس إلّا الإسكان وقال أبو عبيدة نحسات ذوات نحس فيمكن أن يكون من كسر العين جعله صفة من باب فرِق ونزِق[٢] وجمع على ذلك ومن قرأ نحسر أعداء الله فحجّته أنّه معطوف على قوله ونجّينا ويقوّيه قوله يوم نحشر المتّقين إلى الرحمن وفداً ومن قرأ يحشر فبنى الفعل للمفعول به يقوّيه قوله فهم يوزعون وكلا الأمرين حسن .

[اللغة] اشتقاق الصّرصر من الصّرير ضوعف اللفظ اشعاراً بمضاعفة المعنى يقال صرّ يصرّ صريراً وصرصر يصرصر صرصرة وريح صرصر شديدة الصوت وأصله صرّر ثم قلبت الراء صاداً كما يقال نهنهه ونهههّ وكفكفه وكفّفه قال النابغة :

أُكَفْكِفُ عَبْرَةً غَلَبَتْ عَزائي ... إذا نَهْنَهْتُها عادَتْ ذُباحاً[٣]

الخزي : الهوان الذي يستحيى من مثله خوفاً من الفضيحة والهون : الهوان والوزع : المنع والكفّ ومنه قول الحسن « لا بدّ للناس من وَزَعة » .

[الإعراب] قوله : ويوم يحشر انتصب الظرف بمدلول قوله فهم يوزعون لأنّ يوماً بمنزلة إذا ولا ينتصب بقوله ونجّينا الذين آمنوا لأنّه ماضٍ وقوله ويوم يحشر مستقبل فلا يعمل فيه الماضي .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن إهلاكهم بقوله ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً ﴾ أي عاصفاً شديدة الصوت من الصرّة وهي الصيحة وقيل هي الباردة من الصرّ وهو البرد عن ابن عباس وقتادة وقال الفرّاء هي الباردة تحرق كما تحرق النار ﴿ في أيّام نحسات ﴾ أي نكدات مشؤومات ذوات نحوس عن مجاهد وقتادة والسُدّي والنحس سبب الشر والسعد سبب الخير وبذلك سمّيت سعود النجوم ونحوسها وقيل نحسات ذوات غبار وتراب حتى لا يكاد يبصر بعضهم بعضاً عن الجبّائي وقيل نحسات باردات والعرب تسمّي البرد نحساً عن أبي مسلم

(١) العَبْلة : الضخمة ؛ وامرأة عَبلة أي تامّة الخلق .

(٢) فرق فَرَقاً : فزع فهو فَرِق ونزق نزقاً ونُزُوقاً طاش وخفّ عند القبب ونشط فهو نزق .

(٣) كفكف الدمع : مسحه مرة بعد مرة ليردّه . والعبرة : الدمعة قبل أن تفيض وقيل تردّد البكاء في الصدر . والعزاء : الصبر والذباح بالضم والكسر وجع في الحلق . مقصوده : أمنع عَبرة غلبت صبري عن ظهورها ولكن إذا دفعتها =

﴿لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا﴾ أي فعلنا ذلك بهم لنذيقهم عذاب الهون والذلّ وهو العذاب الذي يجزون في الدنيا فيوقنوا بقوّة معذّبهم وبقدرته عليهم ويظهر ذلك لمن رأى حالهم ﴿ولعذاب الآخرة أخزى﴾ وأفضح من ذلك ﴿ وهم لا ينصرون ﴾ أي لا يدفع عنهم العذاب الذي ينزل بهم ثمّ ذكر قصّة ثمود فقال ﴿ وأمّا ثمود فهديناهم ﴾ أي بيّنّا لهم سبيل الخير والشر عن قتادة وقيل دللناهم وبيّنا لهم الحق عن ابن عباس والسدي وابن زيد ﴿ فاستحبّوا العمى على الهدى ﴾ فاختاروا العمى في الدين على قبول الهدى وبئس الاختيار ذلك عن الحسن. وقيل اختاروا الكفر على الإيمان عن ابن زيد والفرّاء ﴿ فأخذتهم صاعقة العذاب الهون ﴾ أي ذي الهون وهو الذي يهينهم ويخزيهم وقد قيل أنّ كلّ عذاب صاعقة لأنّ كلّ من يسمعها يصعق لها ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ من تكذيبهم صالحاً وعقرهم الناقة ﴿ ونجّينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ الشرك أي ونجّينا صالحاً ومن آمن به من العذاب ثم أخبر سبحانه عن أحوال الكفار يوم القيامة فقال ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ﴾ أي يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ولا يتفرّقوا والمعنى إذا حشروا وقفوا ﴿ حتى إذا ما جاؤها ﴾ أي جاؤوا النار التي حشروا إليها ﴿ شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ أي شهد عليهم سمعهم بما قرعه من الدعاء إلى الحق فأعرضوا عنه ولم يقبلوه وأبصارهم بما رأوا من الآيات الدالّة على وحدانيّة الله فلم يؤمنوا وسائر جلودهم بما باشروه من المعاصي والأفعال القبيحة وقيل في شهادة الجوارح قولان (أحدهما) أنّ الله تعالى يبنيها بُنية الحيّ[1] ويلجؤها إلى الاعتراف والشهادة بما فعله أصحابه (والآخر) أنّ الله يفعل فيها الشهادة وإنما أضاف الشهادة إليها مجازاً وقيل في ذلك أيضاً وجه ثالث وهو أنّه يظهر فيها أمارات دالّة على كون أصحابها مستحقّين للنّار فسمّى ذلك شهادة مجازاً كما يقال عيناك تشهدان بسهرك وقيل أنّ المراد بالجلود هنا الفروج على طريق الكناية عن ابن عباس والمفسّرين .

﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ

= صارت وجعاً وشجى في الحلق .

(١) وفي نسخة ينبّهها تنبيه الحي .

أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ * وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾

[القراءة] في الشّواذّ قراءة الحسن وعمرو بن عبيد وان يستعتبوا بضمّ الياء وفتح التاء فما هم من المعتبين بكسر التاء .

[الحجة] قال ابن جنّي معناه لو استعطفوا لما عطفوا لأنّه لا غناء عندهم ولا خير فيهم فيجيبوا إلى جميل .

[اللغة] الإنطاق جعل القادر على الكلام ينطق إما بالإلجاء الى النطق أو الدعاء إليه والنطق إدارة اللسان في الفم بالكلام ولذلك لا يوصف سبحانه بأنّه ناطق وان وصف بأنّه متكلّم والإرداء الإهلاك يقال أرداه فردي يردى فهو رد قال الأعشى :

أفِي الطُّوفِ خِفْتَ عَلَيَّ الرَّدَى وَكَمْ مِنْ رَدٍ أَهْلُهُ لَمْ يَرِمْ[1]

والاستعتاب طلب العتبى وهي الرضا وهو الاسترضاء والاعتاب الارضاء وأصل الاعتاب عند العرب استصلاح الجلد بإعادته في الدباغ ثمّ استعير فيما يستعطف به البعض بعضاً لإعادته ما كان من الالفة وأصل التقييض التبديل ومنه المقايضة وهي مبادلة مال بمال قال الشماخ :

تَذَكَّرْتُ لَمَّا أَثْقَلَ الدَّيْنُ كَاهِلي وَعَابَ بِزَيْدٍ مَا أَرَدْتُ تَعَذُّرا

(١) رام بالمكان : أقام وثبت يقول : أتخاف عليّ الردى في الطوف وعدم القرار في مكان مع ان كثيراً ممن هلك أهله لم يقم بمكان وسار معه ولم ينفعه المنية ولم تمنعه عن الردى .

رِجـالاً مَـضَـوْا مِنّي فَلَسْتُ مُقـايِـضـاً بِهِم أَبَـداً مِنْ سـائِـرِ النّاسِ مَعْشَـرا[1]

[الإعراب] وذلكم ظنّكم ذلكم مبتدأ وظنّكم خبره وأرداكم خبر بعد خبر وإن اضمرت قد فجعلته حالاً جاز أي ذلكم ظنّكم مردياً أياكم ويجوز أن يكون ذلكم مبتدأ وظنّكم بدلاً منه وأرداكم خبر المبتدأ .

[المعنى] ثمّ حكى سبحانه عنهم بقوله ﴿وقالوا﴾ يعني الكفار ﴿لجلودهم لم شهدتم علينا﴾ أي يعاتبون اعضاءهم فيقولون لها لم شهدتم علينا ﴿قالوا﴾ أي فتقول جلودهم في جوابهم ﴿انطقنا الله الذي أنطق كلّ شيء﴾ أي مما ينطق والمعنى اعطانا الله آلة النطق والقدرة على النطق وتمّ الكلام ثمّ قال سبحانه ﴿وهو خلقكم أوّل مرّة وإليه ترجعون﴾ في الآخرة أي إلى حيث لا يملك أحد الأمر والنهي سواه تعالى وليس هذا من جواب الجلود ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد﴾ أي من أن يشهد ﴿عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ معناه وما كنتم تستخفون أي لم يكن يتهيّأ لكم ان تستروا أعمالكم عن هذه الأعضاء لأنّكم كنتم بها تعملون فجعلها الله شاهدة عليكم في القيامة وقيل معناه وما كنتم تتركون المعاصي حذراً ان تشهد عليكم جوارحكم بها لأنّكم ما كنتم تظنّون ذلك ﴿ولكن ظننتم أنّ الله لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾ لجهلكم بالله تعالى فهان عليكم ارتكاب المعاصي لذلك وروي عن ابن مسعود أنها نزلت في ثلاثة نفر تسارّوا وقالوا أترى الله يسمع سِرارنا. ويجوز أن يكون المعنى أنّكم عملتم عمل من ظنّ أنّ عمله يخفى على الله كما يقال أهلكت نفسي أي عملت عمل من أهلك النفس وقيل: إنّ الكفار كانوا يقولون انّ الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكنّه يعلم ما يظهر عن ابن عباس ﴿وذلكم ظنّكم الذي ظننتم بربّكم أرداكم﴾ ذلكم مبتدأ وظنّكم خبره وأرداكم خبر ثانٍ ويجوز أن يكون ظنّكم بدلاً من ذلكم ويكون المعنى وظنّكم الذي ظننتم بربكم أنّه لا يعلم كثيراً ممّا تعملون أهلككم إذ هوّن عليكم أمرالمعاصي وأدّى بكم إلى الكفر ﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾ أي فظللتم من جملة من خسرت تجارته لأنّكم خسرتم الجنة وحصلتم في النار قال الصادق (ع) ينبغي للمؤمن ان يخاف الله خوفاً كأنّه يشرف على النار ويرجوه رجاء كأنّه من أهل الجنة ان الله تعالى يقول ﴿وذلكم ظنّكم الذي ظننتم بربّكم﴾ الآية ثم قال إنّ الله عند ظنّ عبده به ان خيراً فخير وان شرّاً فشرّ ثم أخبر سبحانه عن حالهم فقال ﴿فإن يصبروا فالنار مثوىً لهم﴾ أي فإن يصبر هؤلاء على النار وآلامها وليس المراد به الصبر المحمود ولكنّه الإمساك عن اظهار الشكوى وعن الاستغاثة

(١) رجالاً مفعول تذكرت ومعشراً مفعول مقايضاً . يتأسف على فوت رجال أجواد كان يرجوهم لرفع ثقل الدين عنه ويقول: لا أبادل بهم معشراً من سائر الناس .

فالنار مسكن لهم ﴿وان يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾ أي وان يطلبوا العتبى وسألوا الله تعالى ان يرضى عنهم فليس لهم طريق إلى الإعتاب فما هم ممّن يقبل عذرهم ويرضى عنهم وتقدير الآية انّهم ان صبروا وسكتوا أو جزعوا فالنار مأواهم كما قال سبحانه: ﴿اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم﴾ والمعتب هو الذي يقبل عتابه ويجاب الى ما سأل وقيل معناه وان يستغيثوا فما هم من المغاثين ﴿وقيّضنا لهم قرناء﴾ أي هيّأنا لهم قرناء من الشياطين عن مقاتل ومعناه بدّلناهم قرناء: سوء من الجنّ والإنس مكان قرناء الصدق الذين أمروا بمقارنتهم فلم يفعلوا بيّن الله سبحانه إنّه إنما فعل ذلك عقوبة لهم على مخالفتهم ونظيره ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين وقيل: معناه خلّينا بينهم وبين قرناء السوء بما استوجبوه من الخذلان عن الحسن فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم أي زيّنوا لهم ما بين أيديهم من أمر الدنيا حتى آثروه وعملوا له وما خلفهم من أمر الآخرة بدعائهم إلى أنّه لا بعث ولا جزاء عن الحسن والسديّ وقيل فزيّنوا لهم ما بين أيديهم من أمر الآخرة فقالوا لا جنّة ولا نار ولا بعث ولا حساب وما خلفهم من أمر الدنيا من جمع الأموال وترك النفقة في وجوه البرّ عن الفراء وقيل: ما بين أيديهم ما قدّموه من أفعالهم السّيئة حتّى ارتكبوها وما خلفهم ما سنّوه لغيرهم ممن يأتي بعدهم ﴿وحقّ عليهم القول﴾ أي وجب عليهم الوعيد والعذاب ﴿في أمم قد خلت من قبلهم من الجنّ والإنس﴾ أي صاروا في أمم أمثالهم كذّبوا لتكذيبهم قد مضوا قبلهم وجب عليهم العذاب بعصيانهم ثمّ قال سبحانه ﴿إنّهم كانوا خاسرين﴾ خسروا الجنّة ونعيمها .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾
فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ
ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا

تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾

[اللغة] اللغو الكلام الذي لا معنى له يستفاد وإلغاء الكلمة اسقاط عملها يقال لَغي يَلْغي ويلغو لغواً ولغى يَلْغي لغاً قال عن اللغاء ورفث التكلم .

[الإعراب] ذلك مبتدأ وجزاء أعداء الله خبره والنار بدل من قوله جزاء اعداء الله ويجوز ان تكون النار تفسيراً كأنّه قيل ما هو فقيل يقول[1] هو النار قال الزّجاج قوله : لهم فيها دار الخلد أي لهم في النار دار الخلد والنار هي الدار كما تقول لك في هذه الدار دار سرور وأنت تعي الدار بعينها كما قال الشاعر :

أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيهَا وَيُسْأَلُهَا ... يَأْبَى الظُّلَامَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ[2]

فيكون ذلك من باب التجريد وموضع ان لا تخافوا نصب تقديره تتنزل عليهم الملائكة بأن لا تخافوا فلمّا حذف الباء وصل الفعل فنصبه .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم من ذكر الكفار فقال ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ أي قال رؤساؤهم لأتباعهم أو قال بعضهم لبعض يعني كفار قريش ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن ﴾ الذي يقرؤه محمد ولا تصغوا إليه ﴿ وألغوا فيه ﴾ أي عارضوه باللغو والباطل وبما لا يعتدّ به من الكلام ﴿ لعلّكم تغلبون ﴾ أي لتغلبوه باللغو والباطل ولا يتمكّن أصحابه من الاستماع وقيل ألغوا فيه بالتخليط في القول والمكاء والصفير عن مجاهد وقيل : معناه ارفعوا أصواتكم في وجهه بالشعر والرجز عن ابن عباس والسدّي لمّا عجزوا عن معارضة القرآن احتالوا في اللبس على غيرهم وتواصوا بترك استماعه والإلغاء عنه فيه عند قراءته ثم أوعدهم

(١) كذا في النسخ ولا حاجة إلى لفظة يقول .

(٢) الرغائب : العطايا ويحتمل قوياً كون يسألها بضم الياء ليناسب المدح والظلامة ما تظلّمه الرجل كالظليمة والنوفل : الرجل المعطاء والزفر : السيد الذي يحمل الأثقال ومنه للتجريد نحو لقيت منه أسداً والمراد التشبيه بالأسد وكذا هنا مقصوده أن السيد المعطاء ينشأ أباء الظلامة في أفعاله من هذا الممدوح فكأنه جعله عين اباء الظلامة وجرّد منه أباء الظلامة الذي هو في النوفل الزفر وقد مر البيت في ج ٢ بلفظ يسلبها بدل يسألها وقال في اللسان : « قوله منه » مؤكدة للكلام كما قال تعالى يغفر لكم من ذنوبكم والمعنى يأبى الظلامة لأنه النوفل الزفر » .

الله سبحانه فقال ﴿ فلنذيقنّ الذين كفروا عذاباً شديداً ﴾ في الدنيا بالأسر والقتل يوم بدر وقيل في الآخرة ﴿ ولنجزينّهم أسوأ الذي كانوا يعملون ﴾ أي نجازيهم بأقبح الجزاء على أقبح معاصيهم وهو الكفر والشرك وخصّ الأسوأ بالذكر للمبالغة في الزجر وقيل: معناه لنجزينّهم بأسوأ أعمالهم وهي المعاصي دون غيرها ممّا لا يستحق به العذاب ﴿ ذلك ﴾ يعني ما تقدّم الوعيد به ﴿ جزاء أعداء الله ﴾ الذين عادوه بالعصيان والكفر وعادوا أولياءه من الأنبياء والمؤمنين ﴿ النار ﴾ وهي النار والكون فيها ﴿ لهم فيها دار الخلد ﴾ أي منزل الدوام والتأبيد ﴿ جزاء لهم ﴾ وعقوبة ﴿ بما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ يعني القرآن يجحدون بأنه من عند الله عن مقاتل ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ أي وسيقول الكفار في النار ﴿ ربّنا أرنا اللذين أضلّانا من الجنّ والإنس ﴾ يعنون إبليس الأبالسة وقابيل بن آدم أوّل من أبدع المعصية روي ذلك عن علي (ع) وقيل المراد بذلك كلّ من أبدع الكفر والضلالة من الجنّ والإنس والمراد باللذين جنس الجنّ والإنس كما في قوله واللذان يأتيانها منكم ﴿ نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴾ تمنّوا لشدّة عداوتهم لهم وبغضهم إيّاهم بما أضلّوهم وأغووهم أن يجعلوهم تحت أقدامهم في الدرك الأسفل من النار وقيل: إنّ المراد به ندوسهما ونطأهما بأقدامنا إذلالاً لهما ليكونا من الأسفلين الأذلّين قال ابن عباس ليكونا أشدّ عذاباً منّا ولمّا ذكر سبحانه وعيد الكفار عقّبه بذكر الوعد للمؤمنين الأبرار فقال ﴿ إنّ الذين قالوا ربّنا الله ﴾ أي وحّدوا الله تعالى بلسانهم واعترفوا به وصدّقوا أنبياءه ﴿ ثمّ استقاموا ﴾ أي استمرّوا على أنّ الله ربّهم وحده لم يشركوا به شيئاً عن مجاهد وقيل معناه ثمّ استقاموا على طاعته وأداء فرائضه عن ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد وقيل ثمّ استقاموا في أفعالهم كما استقاموا في أقوالهم وقيل ثمّ استقاموا على ما توجبه الربوبية من عبادته عن ابن مسلم وروي عن أنس قال قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية ثمّ قال قد قالها ناس ثمّ كفر أكثرهم فمن قالها حتّى يموت فهو ممّن استقام عليها وروى محمد بن الفضيل قالت سألت أبا الحسن الرضا (ع) عن الاستقامة فقال هي والله ما أنتم عليه ﴿ تتنزّل عليهم الملائكة ﴾ يعني عند الموت عن مجاهد والسُدّي وروى ذلك عن أبي عبد الله (ع) وقيل تستقبلهم الملائكة إذا خرجوا من قبورهم في الموقف بالبشارة من الله عن الحسن وثابت وقتادة وقيل في القيامة عن الجبّائي وأبي مسلم وقيل أن البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث عن وكيع بن الجراح ﴿ ألا تخافوا ولا تحزنوا ﴾ أي تقولون لهم لا تخافوا عقاب الله ولا تحزنوا لفوات الثواب وقيل لا تخافوا ممّا أمامكم من أمور الآخرة ولا تحزنوا على ما وراءكم وعلى ما خلّفتم من أهل وولد عن عكرمة ومجاهد وقيل لا تخافوا ولا تحزنوا على

ذنوبكم فإنّي أغفرها لكم عن عطاء بن أبي رباح وقيل أنّ الخوف يتناول المستقبل والحزن يتناول الماضي وكان المعنى لا تخافوا فيما يستقبل من الأوقات ولا تحزنوا على ما مضى وهذا نهاية المطلوب ﴿ وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ بها في دار الدنيا على ألسنة الأنبياء .

﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾

[الإعراب] نزلاً نصب على المصدر وتقديره أنزلكم ربكم فيما تشتهون نزلاً ويجوز أن يكون نصباً على الحال وتقديره ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم منزلاً نزلاً كما يقال جاء زيد مشياً أي ماشياً والقولان جميعاً يرجعان إلى كونه مصدراً وقال أبو علي نزلاً يحتمل ضربين (أحدهما) أن يكون جمع نازل كقوله :

إنْ تَرْكَبُوا فَرُكُوبُ الْخَيْلِ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ

ويكون حالاً من الضمير في تدّعون أي ما تدّعون من غفور رحيم نازلين (والآخر) أن يراد به القوت الذي يقام للنازل أو الضيف حالاً ممّا تدّعون أي لكم ما تدّعون نزلاً من غفور رحيم صفة نزل وفيه ضمير يعود إليه وقولاً نصب على التفسير وقوله ولا السيئة لا هاهنا زائدة مؤكّدة لتبعيد المساواة .

[المعنى]ثمّ حكى سبحانه أنّ الملائكة تقول للمؤمنين الذين استقاموا بعد البشارة

﴿ نحن أولياؤكم ﴾ أي نحن معاشر الملائكة أنصاركم وأحبّاؤكم ﴿ في الحياة الدنيا ﴾ نتولّى إيصال الخيرات إليكم من قبل الله تعالى ﴿ وفي الآخرة ﴾ فلا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة عن مجاهد وقيل كنّا نتولّى حفظكم في الدنيا بأنواع المعونة وفي الآخرة نتولّاكم بأنواع الإكرام والمثوبة وقيل نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا أي نحرسكم في الدنيا وعند الموت وفي الآخرة عن أبي جعفر (ع) ﴿ ولكم فيها ﴾ أي في الآخرة ﴿ ما تشتهي أنفسكم ﴾ من الملاذّ وتتمنّونه من المنافع ﴿ ولكم فيها ما تدّعون ﴾ أنّه لكم فإنّ الله سبحانه يحكم لكم بذلك وقيل أنّ المراد بقوله ﴿ ما تشتهي أنفسكم ﴾ البقاء لأنّهم كانوا يشتهون البقاء في الدنيا أي لكم فيها ما كنتم تشتهون من البقاء ولكم فيها ما كنتم تتمنّونه من النعيم عن ابن زيد ﴿ نزلاً من غفور رحيم ﴾ معناه أنّ هذا الموعود به مع جلالته في نفسه له جلالة بمعطية إذ هو عطاء لكم ورزق يجري عليكم ممّن يغفر الذنوب ويستر العيوب رحمةً منه لعباده فهو أهنأ لكم وأكمل لسروركم قال الحسن أرادوا أن جميع ذلك من الله وليس منّا وفي هذه الآية بشارة للمؤمنين بمودّة الملائكة لهم وفيها بشارة بنيل مشتهياتهم في الجنة وفيها دلالة على أنّ الملائكة تتردّد إلى من كان مستقيماً على الطاعات وعلى شرف الاستقامة أيضاً تتولّى الملائكة صاحبها من أجلها ﴿ ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً ﴾ صورته صورة الاستفهام والمراد به النفي تقديره وليس أحد أحسن قولاً ممّن دعا إلى طاعة الله وأضاف إلى ذلك أن يعمل الأعمال الصالحة ﴿ وقال انّني من المسلمين ﴾ أي ويقول مع ذلك أنّني من المستسلمين لأمر الله المنقادين إلى طاعته وقيل: معناه ويقول انّني من جملة المسلمين كما قال إبراهيم وأنا أول المسلمين وهذا الداعي هو رسول الله ﷺ عن الحسن وابن زيد والسدّي وقيل هو وجميع الأئمّة الدعاة الهداة إلى الحقّ عن مقاتل وجماعة من المفسّرين وقيل هم المؤذّنون عن عائشة وعكرمة وفي هذه الآية ردّ على من قال أنا مؤمن إن شاء الله لأنه مدح من قال أنّني من المسلمين من غير أن يقرنه بالمشيئة وفي هذه الآية دلالة على أنّ الدعاء إلى الدين من أعظم الطاعات وأجلّ الواجبات وفيها دلالة على أنّ الداعي يجب أن يكون عاملاً بعلمه ليكون الناس إلى القبول منه أقرب وإليه أسكن ثمّ قال سبحانه ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيّئة ﴾قيل معناه لا تستوي الملّة الحسنة التي هي الإسلام والملّة السيّئة التي هي الكفر وقيل معناه لا تستوي الأعمال الحسنة ولا الأعمال القبيحة وقيل : لا تستوي الخصلة الحسنة والسيّئة فلا يستوي الصبر والغضب والحلم والجهل والمداراة والغلظة والعفو والإساءة ثمّ بيّن سبحانه ما يلزم على الداعي من الرفق بالمدعوّ فقال ﴿ آدفع بالتي هي أحسن ﴾ [خاطب النبي ﷺ فقال للنبي ﷺ ادفع بالتي هي

أحسن][1] خاطب النبي ﷺ فقال ادفع بحقك باطلهم وبحلمك جهلهم وبعفوك إساءتهم ﴿ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم ﴾ معناه فإنك إذا دفعت خصومك بلين ورفق ومداراة صار عدوّك الذي يعاديك في الدين بصورة وليّك القريب فكأنّه وليّك في الدين وحميمك في النسب وروي عن أبي عبد الله (ع) إنّ الحسنة التقية والسيّئة الإذاعة ﴿ وما يلقيها ﴾ أي وما يلقّى هذه الفعلة وهذه الحالة التي هي دفع السيّئة بالحسنة ﴿ إلا الذين صبروا ﴾ على كظم الغيظ واحتمال المكروه وقيل إلا الذين صبروا في الدنيا على الأذى عن أبي عبد الله (ع) ﴿ وما يلقاها ﴾ أي وما يلقّى هذه الخصلة المذكورة ولا يؤتاها ﴿ إلا ذو حظ عظيم ﴾ أي ذو نصيب وافر من الرأي والعقل وقيل إلا ذو نصيب عظيم من الثواب والخير وقيل: الحظّ العظيم الجنة عن قتادة وما يلقّاها إلا من وجبت له الجنة وروي عن أبي عبد الله (ع) وما يلقّاها إلا كلّ ذي حظّ عظيم .

[النظم] اتّصل قوله ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله الآية بما قبله من قوله ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن وألغوا فيه ﴾ الآية فكأنّه قال الا تتعجّبون من اعراض الكفار عن استماع القرآن وتواصيهم فيما بينهم باللغو في قراءته ولا قائل أحسن قولاً من محمّد ﷺ يدعوكم إلى من تقرّون أنّه خالقكم ثمّ أنّه قد عمل في دينه بما دعاكم إليه فانتفت عنه التهمة من جميع الوجوه .

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ ۞ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ

(١) ما بين المعقفتين زائد .

اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ
أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ اعْمَلُوا
مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا
جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ
وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾

[اللغة] النزغ النخس[1] بما يدعو إلى الفساد يقال نزغ ينزَغ وفلان ينزغ فلاناً كأنّه ينخسه بما يدعوه إلى خلاف الصواب والْلحد: مال عن الحق ويقال لحد يلحد أيضاً بمعناه ويسمّى القرآن ذكراً لأنّه ذكر فيه الدلائل والأحكام .

[الإعراب] وأمّا ينزغنك هي إن التي للجزاء زيد عليها ما تأكيداً فاشبه لذلك القسم فلذلك دخل الفعل نون التأكيد إنّ الذين كفروا بالذكر لم يذكر لأنّ خبراً والتقدير أنّ الذين كفروا بالذكر مبتدأ الخبر معذّبون فحذف الخبر ويجوز أن يكون الخبر أولئك ينادون من مكان بعيد .

[المعنى] ثمّ أمر نبيّه ﷺ أن يستعيذ بالله إذا صرفه الشيطان عن الإحتمال فقال ﴿ وإما ينزغنّك من الشيطان نزغ ﴾[2] أن ما يدعونّك نزغ من الشيطان بالوسوسة ﴿ فاستعذ بالله ﴾ أي فاطلب الاعتصام من شرّه بالله ﴿ أنّه هو السميع العليم ﴾ الآية مفسّرة في آخر سورة الأعراف ثمّ ذكر سبحانه دلالات التوحيد فقال ﴿ ومن آياته ﴾ أي حججه الدالّة على وحدانيّته وأدلّته على صفاته التي باين بها جميع خلقه ﴿ الليل ﴾ بذهاب الشمس عن بسيط الأرض ﴿ والنهار ﴾ بطلوعها على وجهها وتقديرهما على وجه مستقرّ وتدبيرهما على نظام مستمرّ ﴿ والشمس والقمر ﴾ وما اختصّا به من النور وظهر فيهما من التدبير في المسير

(١) نَخَسَ الدابة نَخْساً غرز مؤخرها أو جنبها بعُود ونحوه فهاجت ونخس بفلان: هيّجه وأزعجه .

(٢) [معناه] -

والتعريف في فلك التدّوير ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ﴾ وإن كان فيهما منافع كثيرة لأنّهما ليسا بخالقين ﴿ واسجدوا لله الذي خلقهنّ ﴾ وأنشأهنّ وإنّما قال خلقهنّ لوجهين (أحدهما) أنّ ضمير غير ما يعقل على لفظ التأنيث تقول هذا كباشك[1] فسُقها وإن شئت قلت فسُقهن (والآخر) أنّ الضمير يرجع إلى معنى الآيات لأنّه قال ومن آياته هذه الأشياء واسجدوا لله الذي خلقهنّ ﴿ إن كنتم إيّاه تعبدون ﴾ إن كنتم تقصدون بعبادتكم الله كما تزعمون الله فاسجدوا لله دون غيره ثمّ قال ﴿ فإن استكبروا ﴾ عن توجيه العبادة إلى الله وحده ﴿ فالذين عند ربّك ﴾ وهم الملائكة ﴿ يسبّحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ أي لا يملّون ولا يفترون وهو مفسَّر في سورة الأعراف والمروي عن ابن عباس وقتادة وابن المسيّب أنّ موضع السجود عند قوله ﴿ وهم لا يسأمون ﴾ وعن ابن مسعود والحسن أنّه عند قوله ﴿ إن كنتم إيّاه تعبدون ﴾ وهو اختيار أبي عمرو بن العلا وهو المروي عن أئمّتنا (ع) ﴿ ومن آياته ﴾ أي من أدلّته الدالّة على ربوبيّته ﴿ إنّك ترى الأرض خاشعة ﴾ أي غبراء دارسة متهشّمة عن قتادة والسُدّي أي كان حالها حال الخاضع المتواضع وقيل ميتة يابسة لا نبات فيها قال الأزهري إذا يبست الأرض ولم تمطر قيل قد خشعت ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت ﴾ أي تحرّكت بالنبات وربت أي انتفخت وارتفعت قبل أن تنبت وقيل إهتزّت بالنبات ﴿ وربت ﴾ بكثرة ريعها عن الكلبي ﴿ إنّ الذي أحياها ﴾ أي أحيا الأرض بما أنزله من المطر ﴿ لمحي الموتى ﴾ في الآخرة مثل ذلك ﴿ أنّه على كل شيء قدير ﴾ ظاهر المعنى ﴿ إنّ الذين يلحدون ﴾ أي إنّ الذين يميلون من الإيمان بآياتنا ﴿ لا يخفَون علينا ﴾ بأشخاصهم وأقوالهم وأفعالهم وهذا وعيد عن قتادة وابن زيد والسدّي وقد قيل أنّ معنى الإلحاد في آيات الله هو ما كانوا يفعلونه من المكاء والصفير عن مجاهد وقيل: هو تبديلهم ذلك ووضعه في غير موضعه عن ابن عباس وقال بعض المفسّرين أنّ المراد بالآيات هنا دلالات التوحيد والإلحاد فيها الإنحراف عنها وترك الإستدلال بها ثم قال سبحانه على وجه الإنكار عليهم والتهجين لفعلهم والتهديد لهم ﴿ أفمن يلقى في النار خير ﴾ وهم الملحدون ﴿ أم من يأتي آمناً يوم القيامة ﴾ من عذاب الله وهم المؤمنون المطيعون وهذا استفهام تقرير معناه أنهما لا يستويان وقيل إنّ الذي يلقى في النار أبو جهل والذي يأتي آمناً يوم القيامة رسول الله ﷺ عن مقاتل وقيل : هو عمّار بن ياسر عن عكرمة والصحيح أنّ الآية على العموم والمراد بهما المؤمن والكافر ثمّ قال سبحانه ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ لفظه لفظ الأمر ومعناه

(١) جمع كبش وهو الحمل إذا دخل في السنة الثانية .

الوعيد والتهديد أي فإذا علمتم أنّهما لا يستويان فليختر كلّ واحد منكم لنفسه ما شاء من الأمرين فإنّ العاقل لا يختار الإلقاء في النار فإذا لم يختر ذلك فلا بدّ أن يؤمن بالآيات فلا يلحد فيها ﴿ أنّه بما تعملون ﴾ أي بأعمالكم ﴿ بصير ﴾ عالم لا يخفى عليه شيء منها ثمّ أخبر سبحانه عنهم مهّجناً لهم فقال ﴿ إنّ الذين كفروا بالذكر ﴾ الذي هو القرآن وجحدوه ﴿ لما جاءهم ﴾ أي حين جاءهم ثم أخذ سبحانه في وصف الذكر وترك خبر أنّ على تقدير أنّ الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم ونحو ذلك وقيل إنّ خبره « أولئك ينادون من مكان بعيد » عن أبي عمرو بن العلا وقيل إن قوله ﴿ وأنّه لكتاب عزيز ﴾ في موضع الخبر والتقدير الكتاب الذي جاءهم عزيز وامّا قوله وأنّه فالهاء يعود إلى القرآن الذي هو الذكر والمعنى أنّ الذكر لكتاب عزيز بأنّه لا يقدر أحد من العباد على أن يأتي بمثله وقيل أنّه عزيز بأعزاز الله عزّ وجلّ إيّاه إذ حفظه من التغيير والتبديل وقيل هو عزيز إذ جعله الله على أتمّ صفات الأحكام وقيل عزيز بأنه يجب أن يعزّ ويجلّ بالإنتهاء إلى ما فيه وترك الأعراض عنه وقيل عزيز أي كريم على الله عزّ وجلّ عن ابن عباس ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ قيل فيه أقوال (أحدها) أنّ الباطل الشيطان ومعناه لا يقدر الشيطان أن ينقص منه حقاً أو يزيد فيه باطلاً عن قتادة والسدّي (وثانيها) أنّه لا يأتيه ما يبطله من بين يديه أي من الكتب التي قبله ولا من خلفه أي لا يجيء من بعده كتاب يبطله أي ينسخه عن ابن عباس والكلبي ومقاتل (وثالثها) معناه أنه ليس في إخباره عمّا مضى باطل ولا في إخباره عمّا يكون في المستقبل باطل بل إخباره كلّها موافقة لمخبراتها وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وأبي عبد الله (ع) (ورابعها) لا يأتيه الباطل من أول تنزيله ولا من آخره عن الحسن و (خامسها) لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات فلا تناقض في ألفاظه ولا كذب في إخباره ولا يعارض ولا يزاد فيه ولا يغيّر بل هو محفوظ حجّة على المكلّفين إلى يوم القيامة ويؤيّده قوله ﴿ أنا نحن نزّلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾ ﴿ وتنزيل من حكيم ﴾ أي هو تنزيل من عالم بوجوه الحكمة ﴿ حميد ﴾ مستحقّ للحمد على خلقه بالإنعام عليهم والقرآن هو من أعظم نعمه فاستحقّ به الحمد والشكر .

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا
مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ

ءَاْعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير حفص أأعجمي بهمزتين وقرأ هشام عن ابن عامر بهمزة واحدة وقرأ الباقون بهمزة واحدة ممدودة .

[الحجة] قال أبو علي الأعجمي الذي لا يفصح من العرب كان أو من العجم قالوا زياد الأعجم لأفة كانت في لسانه وكان عربياً وقالوا صلاة النهار عجماء أي تخفى فيها القراءة ولا تبين ويجمع الأعجم على عجم أنشد أبو زيد :

يَقُولُ الْخَنَا وَأَبْغَضُ الْعُجْمِ نَاطِقاً إِلَىٰ رَبِّنَا صَوْتُ الْحِمَارِ الْيُجَدَّعُ[1]

أي أبغض صوت العجم صوت الحمار وتسميّ العرب من لم يبيّن كلامه من أيّ صنف كان من الناس أعجم ومنه قول ابن الأخزر :

سَلُومُ[2] لَوْ أَصْبَحْتَ وَسْطَ الأَعْجَمِ بِالرُّومِ أَوْ بِالتُّرْكِ أَوْ بِالدَّيْلَمِ

فقال لو كنت وسط الأعجم ولم يقل وسط العجم لأنّه جعل كل من لم يبيّن كلامه أعجم فكأنّه قال وسط القبيل الأعجم والعجم خلاف العرب والعجمي خلاف العربي منسوب إلى العجم وإنما قوبل الأعجمي بالعربي في الآية وخلاف العربي العجمي لأنّ الأعجمي في أنّه لا يبيّن مثل العجمي عندهم فمن حيث إجتمعا في أنهما لا يبينان قوبل به العربي في قوله ﴿ أعجمي وعربي ﴾ وينبغي أن يكون الأعجمي الياء فيه للنسب نسب إلى

(١) الخنا: الفحش في الكلام وجدعه: قطع أنفه والمراد من قوله ابغض الخ تهجين الممحو بتشبيهه في قول الخنا بالحمار المجدّع وتوصيف الحمار بجدع الأنف لأنه إذا قطع أنفه صار صوته أنكر .

(٢) سلّوم منادى .

الأعجم الذي لا يفصح وهو في المعنى كالعجمي وإن كانا يختلفان في النسبة فيكون الأعجمي عربيّاً ويجوز أن يقال للرجل أعجمي ويراد به ما يراد بأعجم بغير ياء النسب كما يقال أحمر وأحمري ودوّار ودوّاري وقوله ولو نزّلناه على بعض الأعجمين مما جمع على إرادة ياء النسب فيه مثل قولهم النميرون ولولا ذلك لم يجز جمعه بالواو والنون ألا ترى أنك لا تقول في الأحمر إذا كان صفةً أحمرون وإنّما جاز الأعجمون لما ذكرنا فأمّا الأعاجم فينبغي أن تكون تكسير أعجميّ كما كان المسامعة تكسير مسمعي وقد استعمل هذا الوصف إستعمال الأسماء فمن ذلك قوله « حَزِقٌ يَمَانِيَةٌ لأَعْجَمَ طِمْطِمِ »[1] فينبغي أن يكون من باب الأجارع[2] والأباطح وأمّا قوله تعالى ﴿ أعجمي وعربي ﴾ فالمعنى المنزل أعجمي والمنزل عليه عربي فقوله أعجمي وعربي يرتفع كل منهما على أنّه خبر مبتدأ محذوف وهذه الآية في المعنى كقوله ﴿ ولو نزّلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ﴾.

[المعنى] ثم عزّى سبحانه نبيه ﷺ على تكذيبهم فقال ﴿ ما يقال لك إلاّ ما قد قيل للرسل من قبلك ﴾ أي ما يقول هؤلاء الكفار لك إلا ما قد قيل للأنبياء قبلك من التكذيب والجحد لنبوتهم عن قتادة والسدّي والجبائي وقيل معناه ما يقول الله لك إلا ما قد قاله للرسل من قبلك وهو الأمر بالدعاء إلى الحق في عبادة الله ولزوم طاعته فهذا القرآن موافق لما قبله من الكتب وقيل معناه ما حكاه تعالى بعده من ﴿ إنّ ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ﴾ فيكون على جهة الوعد والوعيد أي أنّه لذو مغفرة لمن آمن بك وذو عقاب أليم لمن كذّب بك ﴿ ولو جعلناه قرآناً أعجمياً ﴾ أي لو جعلنا هذا الكتاب الذي تقرؤه على الناس بغير لغة العرب ﴿ لقالوا لولا فصّلت آياته ﴾ أي هلاّ بيّنت بلسان العرب حتى نفهمه ﴿ أأعجمي وعربي ﴾ أي كتاب أعجمي ونبي عربي وهذا إستفهام على وجه الإنكار والمعنى أنهم كانوا يقولون المنزل عليه عربي والمنزل أعجمي وكان ذلك أشدّ لتكذيبهم فبيّن الله سبحانه أنّه أنزل الكتاب بلغتهم وأرسل الرسول من عشيرتهم ليكون أبلغ في الحجة وأقطع للمعذرة ﴿ قل ﴾ يا محمد لهم ﴿ هو ﴾ أي القرآن ﴿ للذين آمنوا هدىً ﴾ من الضلالة ﴿ وشفاء ﴾ من الأوجاع وقيل وشفاء للقلوب من كلّ شكّ وريب وشبهة وسمّى اليقين شفاءً كما سمّى الشك مرضاً في قوله ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ ﴿ والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر ﴾ أي ثقل

---

(١) الحِزَق جمع حزقة أي الجماعات وطِمطِم مَن في نطقه عُجمة أي تأوي أفراخ النعام إلى الظليم وهو الذكر من النعام كما تأوي الإبل اليمانية إلى راعٍ أعجم عَيٍّ لا يفصح وجه الشبه شدة سواد الظليم والراعي وشدة سواد القلوص والإبلِ اليمانية .

(٢) جمع الأجرع أي رملة مستوية لا تنبت شيئاً .

وصَمَم عن سماعه من حيث يثقل عليهم إستماعه فلا ينتفعون به فكأنهم صُمٌّ عنه ﴿ وهو عليهم عمى ﴾ عميت قلوبهم عنه عن السدّي يعني أنّهم لما ضلّوا عنه وحاروا عن تدبّره فكأنّه عمىً لهم ﴿ أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ أي أنّهم لا يسمعون ولا يفهمون كما أنّ من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم وإنّما قال ذلك لبعد أفهامهم وشدّة أعراضهم عنه وقيل لبعده عن قلوبهم عن مجاهد وقيل ينادى الرجل منهم في الآخرة بأشنع اسمه عن الضحاك ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ أي التوراة ﴿ فاختلف فيه ﴾ لأنه آمن به قوم وكذّب به آخرون وهذه تسلية للنبي ﷺ أيضاً عن جحود قومه له وإنكارهم لنبوّته ﴿ولولا كلمةسبقت من ربّك ﴾ في تأخير العذاب عن قومك وأنّه لا يعذبهم وأنت فيهم ﴿ لقضي بينهم ﴾ أي لفرغ من عذابهم واستئصالهم وقيل: معناه لولا حكم سبق من ربك بتأخيرهم العذاب[1] إلى وقت انقضاء آجالهم لقضي بينهم قبل انقضاء آجالهم فيظهر المحقّ من المبطل ﴿ وإنّهم لفي شكّ منه مريب ﴾ أي وإنّ قومك لفي شك مما ذكرناه موقع لهم الريبة وهو أفظع الشك .

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ * إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى

(١) ليس في بعض النسخ لفظة العذاب .

عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة والشام وحفص من ثمرات على الجمع والباقون من ثمرة على التوحيد .

[الحجة] قال أبو علي من ثمرة إذا أفرد يدل على الكثرة واستغنى به عن الجمع ويقوّي الأفراد قوله ﴿ وما تحمل من أنثى ﴾ وحجّة من جمع أنّ الجمع صحيح وإنّ المعنى على ذلك .

[اللغة] الأكمام جمع كِمّ وكِمّ جمع كمّة عن ابن خالويه وقيل هي جمع كمة عن أبي عبيدة وهي الكُفُرّي[1] وتكمّم الرجل في ثوبه إذا تلفّف به والإيذان الإعلام .

[المعنى] ثمّ احتجّ سبحانه عليهم بأن قال ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ﴾ أي من عمل طاعة فلنفسه لأنّ ثواب ذلك واصل إليه ومنفعته تكون له دون غيره ﴿ ومن أساء فعليها ﴾ أي من عمل معصية فعلى نفسه وبال ذلك وعقابه يلحقه دون غيره ﴿ وما ربّك بظلّام للعبيد ﴾ وهذا على وجه المبالغة في نفي الظلم عن نفسه للعبيد وإنّما قال ذلك مع أنّه لا يظلم مثقال ذرّة لأمرين (أحدهما) أنّ من فعل الظلم وإن قلّ وهو عالم بقبحه وبأنّه غنيّ عنه لكان ظلّاماً (والآخر) أنّه على طريق الجواب لمن زعم أنّه يظلم العباد فيأخذ أحداً بذنب غيره ويثيبه بطاعة غيره ثم بيّن سبحانه أنّه العالم بوقت القيامة فقال ﴿ إليه يردّ علم الساعة ﴾ التي يقع فيها الجزاء للمطيع والعاصي وهو يوم القيامة ﴿ وما تخرج من ثمرات من أكمامها ﴾ أي وما تخرج ثمرة من أوعيتها وغلفها ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ أي ولا تحمل أنثى من حمل ذكراً كان أو أنثى ولا تضع أنثى إلا في الوقت الذي علم سبحانه أنها تحمل فيه وتضع فيه فيعلم سبحانه قدر الثمار وكيفيتها وأجزاءها وطعومها وروائحها ويعلم ما في بطون الحبالى وكيفية انتقالها حالاً بعد حال حتى يصير بشراً سوياً ﴿ ويوم يناديهم ﴾ أي ينادي الله المشركين ﴿ أين شركائي ﴾ أي في قولكم وزعمكم كما قال أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴿ قالوا آذنّاك ما منّا من شهيد ﴾ أي يقولون أعلمناك ما منّا شاهد بأنّ لك شريكاً يتبرأون يومئذ من أن يكون مع الله شريك ﴿ وضلّ عنهم ما كانوا يدعون من قبل ﴾

(١) بتثليث الكاف والفاء وعاء طلع النخل.

أي بطل عنهم وذهب ما كانوا أملوه من أصنامهم ﴿ وظنوا ﴾ أي أيقنوا ﴿ ما لهم من محيص ﴾ أي من مهرب وملجأ دخل الظنّ على ما التي للنفي كما تدخل على لام الابتداء وكلاهما له صدر الكلام والمعنى أنّهم علموا أن لا مخلص لهم من عذاب الله وقد يعبّر بالظن عن اليقين فيما طريقه الخبر دون العيان ثم بيّن سبحانه طريقتهم في الدنيا فقال ﴿ لا يسأم الإنسان من دعاء الخير ﴾ قال الكلبي الإنسان هاهنا يراد به الكافر أي لا يملّ الكافر من دعائه الخير ولا يزال يسأل ربّه الخير الذي هو المال والغنى والصحة والولد ﴿ وإن مسّه الشرّ ﴾ أي البلاء والشدّة والفقر ﴿ فيؤوس ﴾ أي فهو يؤوس شديد اليأس من الخير ﴿ قنوط ﴾ من الرحمة وقيل يؤوس من إجابة الدعاء قنوط سيّء الظنّ بربّه ﴿ ولئن أذقناه رحمة منّا ﴾ أي خيراً وعافية وغنىً ﴿ من بعد ضرّاء مسّته ليقولنّ هذا لي ﴾ أي هذا بعملي وأنا محقوق به عن مجاهد قال وكلّ هذا من أخلاق الكافر وقيل معناه هذا لي دائماً أبداً ﴿ وما أظنّ الساعة قائمة ﴾ أي كائنة على ما يقوله المسلمون ﴿ ولئن رجعت إلى ربي أنّ لي عنده للحسنى ﴾ أي لست على يقين من البعث فإن كان الأمر على ذلك ورددت إلى ربّي إنّ لي عنده الحالة الحسنى والمنزلة الحسنى وهي الجنة سيعطيني في الآخرة مثل ما أعطاني في الدنيا ثم هدّد سبحانه من هذه صفته بأن قال ﴿ فلننبّئنّ الذين كفروا بما عملوا ﴾ أي لنقفنّهم يوم القيامة على مساوىء أعمالهم عن ابن عباس ﴿ ولنذيقنّهم من عذاب غليظ ﴾ أي شديد متراكم .

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن جهل الإنسان الذي تقدّم وصفه بمواقع نعم الله

سبحانه فقال ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ﴾ عن الشكر ﴿ ونأى بجانبه ﴾ أي بُعد بجانبه تكبّراً وتجبّراً عن الإعتراف بنعم الله تعالى ومن قرأ ناء فإنه مقلوب من نأى كما في قول الشاعر :

أقُولُ وَقَدْ نَاءَتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى نَوَى خَيْتَعُورٍ: لا تَشُطُّ دِيَارُكَ[1]

﴿ وإذا مسّه الشرّ ﴾ أي الضرّ أو الفقر أو المرض ﴿ فذو دعاء عريض ﴾ أي فهو ذو دعاءٍ كثير عند ذلك عن السدّي وإنّما قال فذو دعاء عريض ولم يقل طويل لأنّه أبلغ فإنّ العرض يدلّ على الطول والطول لا يدلّ على العرض إذ قد يصحّ طويل ولا عرض له ولا يصحّ عريض ولا طول له فإنّ العرض الإنبساط في خلاف جهة الطول والطول الامتداد في أيّ جهة كان وفي الآية دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر القائلين بأنّه ليس لله على الكافر نعمة فإنّ الله سبحانه أخبر بأنّه ينعم على الكافر وأنّه يعرض عن موجبها من الشكر والمراد بالآية أنّ الكافر يسأل ربّه بالتضرع والدعاء أن يكشف ما به من الضرّ والبلاء ويعرض عن الدعاء في الرخاء ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ أرأيتم إن كان ﴾ القرآن ﴿ من عند الله ﴾ وقيل إن كان هذا الانعام من عند الله ﴿ ثمّ كفرتم به ﴾ وجحدتموه ﴿ من أضلّ ممنّ هو في شقاق بعيد ﴾ أيّ في خلاف للحق بعيد عنه وهو أنتم والشقاق والمشاقّة الميل إلى شقّ العداوة أي فلا أحد أضلّ منكم ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ﴾ إختلف في معناه على أقوال (أحدها) أنّ المعنى سنريهم حججنا ودلائلنا على التوحيد في آفاق العالم وأقطار السماء والأرض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والبحار والجبال وفي أنفسهم وما فيها من لطائف الصنعة وبدائع الحكمة ﴿ حتى يتبيّن لهم ﴾ أي يظهر لهم ﴿ أنّه الحقّ ﴾ أي أنّ الله هو الحق عن عطاء وابن زيد (وثانيها) إنّ معناه سنريهم آياتنا ودلائلنا على صدق محمّد ﷺ وصحّة نبوّته في الآفاق أي بما يفتح من القرى عليه وعلى المسلمين في أقطار الأرض وفي أنفسهم يعني فتح مكة عن السدّي والحسن ومجاهد وقالوا هو ظهور محمد ﷺ على الآفاق وعلى مكّة حتّى يعرفوا أنّ ما أتى به من القرآن حقّ ومن عند الله لأنّهم بذلك يعرفون أنّه مؤيّد من قبل الله تعالى بعد أن كان واحداً لا ناصر له (وثالثها) أنّ المراد بقوله في الآفاق وقائع الله في الأمم وفي أنفسهم وقعة يوم بدر عن قتادة (ورابعها) أنّ معناه سنريهم آياتنا في

---

(١) الخيتعور كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ويضمحل كالسراب وبمعنى الغول . . وشطّ يَشطّ شطّاً وشطوطاً : بعدُ ولا تشطّ ديارُك محكى أقول في صدر البيت ونوى خيتعورٍ مفعول مطلق نوعيّ لقوله : ناءت وهو محل الاستشهاد .

الآفاق بصدق ما كان يخبرهم به النبي ﷺ من الحوادث فيها وفي أنفسهم يعني ما كان بمكّة من إنشقاق القمر حتّى يعلموا أنّ خبره حقّ من قبل الله سبحانه (وخامسها) أنّ المراد سنريهم آثار من مضى من قبلهم ممّن كذّب الرسل من الأمم وآثار خلق الله في كلّ البلاد وفي أنفسهم من أنّهم كانوا نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ثم عظاماً ثم كسيت لحماً ثم نقلوا إلى التمييز والعقل وذلك كله دليل على أنّ الذي فعله واحد ليس كمثله شيء عن الزجاج ﴿ أو لم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد ﴾ موضع قوله ﴿ بربك ﴾ رفع والمعنى أو لم يكف ربّك وأنّه على كلّ شهيد في موضع رفع أيضاً على البدل وإن حملته على اللفظ فهو في موضع جرّ والمفعول محذوف وتقديره أولم يكف شهادة ربّك على كلّ شيء ومعنى الكفاية هنا أنه سبحانه بيّن للناس ما فيه كفاية من الدلالة على توحيده وتصحيح نبوّة رسله قال مقاتل معناه أولم يكف ربّك شاهداً أنّ القرآن من عند الله وقيل معناه أولم يكف ربّك لأنه على كلّ شيء شهيد أي عليم بالأشياء شاهد لجميعها لا يغيب عنه شيء ﴿ألا أنّهم في مرية من لقاء ربّهم ﴾ إلا كلمة تنبيه وتأكيد أن الكفار في شك من لقاء ثواب ربّهم وعقابه أي في شكّ من مجازاة ربّهم وفي هذا تسفيه لهم في إضافة العبث إلى الله ﴿ إلا أنّه بكل شيء محيط ﴾ أي أحاط علمه بكل شيء فلا يخفى عليه شيء.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى



وتسمّى سورة الشورى أيضاً وهي مكيّة عن الحسن إلا قوله ﴿والذين استجابوا والذين إذا أصابهم﴾ إلى قوله ﴿ لا يحب الظالمين ﴾ وعن ابن عباس وقتادة إلا أربع آيات منها ﴿نزلن بالمدينة ﴾ ﴿ قل لا اسئلكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى ﴾ قال ابن عباس ولمّا نزلت هذه الآية قال رجل والله ما أنزل الله هذه الآية فأنزل الله ﴿ أم يقولون افترى على الله كذباً﴾ ثمّ أنّ الرجل تاب وندم فنزل وهو الذي يقبل التوبة عن عباده إلى قوله ﴿لهم عذاب شديد﴾ .

[عدد آيها] ثلاث وخمسون آية كوفي وخمسون في الباقي .

[إختلافها] ثلاث آيات حمّعسّق كالإعلام ثلثهن كوفي .

[فضلها] أبيّ بن كعبّ عن النبي ﷺ من قرأ سورة حمّعسّق كان ممّن يصلّي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون وروى سيف بن عميرة عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ حَم عَسق بعثه الله يوم القيام ووجهه كالقمر ليلة البدر حتى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ فيقول عبدي أدمنت قراءة حَم عسّق ولم تدر ما ثوابها أما لو دريت ما هي وما ثوابها لما مللت من قراءتها ولكن سأجزيك جزاءك أدخلوه الجنة وله فيها قصر من ياقوتة حمراء أبوابها وشرفها ودرجها منها يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وله فيها حَوْراوان من الحور العين وألف جارية وألف غلام من الولدان المخلدين الذين وصفهم الله .

[تفسيرها] ختم الله سورة حَم السجدة بذكر القرآن وافتتح هذه السورة بذكره أيضاً فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ
ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ
ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ
هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير كذلك يوحى إليك بفتح الحاء والباقون يوحي بكسر الحاء وفي الشواذّ رواية الأعمش عن ابن مسعود حٓم سق بغير عين .

[الحجة] قال ابو علي من قرأ يوحى فبنى الفعل للمفعول به احتمل أمرين (أحدهما) أن المعنى يوحى اليك السورة كما اوحى إلى الذين من قبلك زعموا انّ هذه السورة قد اوحى إلى الأنبياء قبل (والآخر) ان يكون الجارّ والمجرور يقومان مقام الفاعل ويجوز ان يكون قوله تعالى الله العزيز الحكيم تبييناً للفاعل كقوله يسبّح له فيها ثم قال رجال كأنّه قيل من يسبّح فقال رجال ومن قرأ يوحي اليك على بناء الفعل للفاعل فإنّ اسم الله يرتفع بفعله وأمّا اختلاف القراء في يتفطّرن وينفطرن والوجه في ذلك قد مرّ ذكره في سورة مريم وقال ابن جنّي قراءة ابن مسعود حمّ سَقَ ممّا يوكّدأنّ الغرض في هذه الفواتح إنما هو لكونها فواصل بين السور ولو كان في اسماء الله سبحانه لما جاز تحريف شيء منها بل كانت مؤدّاة بأعيانها وقد كان ابن عباس قد قرأها بلا عين أيضاً وكان يقول السين كلّ فرقة تكون والقاف كلّ جماعة تكون .

[المعنى] ﴿حٓم﴾ قد مضى تفسير ﴿عسق﴾ قيل إنمّا فضّلت هذه السورة من بين سائر الحواميم بعسق لأنّ جميعها استفتح بذكر الكتاب على التصريح به إلا هذه فذكر عسق ليكون دلالة على الكتاب دلالة التضمين وان لم يدل عليه دلالة التصريح وهو معنى قول قتادة فإنّه قال هو اسم من اسماء القرآن وقيل لأنّ هذه السورة انفردت بأنّ معانيها اوحيت إلى سائر الأنبياء فلذلك خصّت بهذه التسمية وقال عطا : هي حروف مقطعة من حوادث آتية فالحاء من حرب والميم من تحويل ملك والعين من عدوّ مقهور والسين من الاستئصال بسنين كسني يوسف والقاف من قدرة الله في ملوك الأرض وسائر الأقوال في ذلك مذكورة في اوّل البقرة ﴿كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾ أي كالوحي الذي تقدّم يوحي اليك اخبار الغيب

وما يكون قبل ان يكون وإلى الذين من قبلك من الأنبياء عن عطا عن ابن عباس قال وما من نبيّ انزل الله عليه الكتاب إلا انزل عليه معاني هذه السورة بلغاتهم وقيل معناه كهذا الوحي الذي يأتي في هذه السورة يوحي إليك لأنّ ما لم يكن حاضراً تراه صلح فيه هذا لقرب وقته وذلك لبعده في نفسه ومعنى التشبيه في كذلك انّ بعضه كبعض في انه حكمة وصواب بما تضمّنه من الحجج والمواعظ والفوائد ﴿الله﴾ الذي تحق له العبادة ﴿العزيز﴾ القادر الذي لا يغالب ﴿الحكيم﴾ المحكم لأفعاله ﴿له ما في السماوات وما في الأرض وهو العليّ﴾ المستعلي على كلّ قادر ﴿العظيم﴾ شأنه ﴿تكاد السماوات يتفطّرن من فوقهن﴾ أي تكاد كلّ واحدة من السماوات تنشق من فوق التي تليها من قول المشركين اتخذ الله ولداً استعظاماً لذلك عن ابن عباس والحسن وقيل معناه تكاد السماوات يتشقّقن فَرَقاً من عظمة الله وجلاله من فوقهن تقديره ممّن فوقهن اي من عظمة من فوقهن عن الضحاك وقتادة والزجاج وقيل من فوقهن أي من فوق الأرضين وهذا على طريق التمثيل والمعنى لو كانت السماوات تنفطر لشيء لانفطرت لهذا ﴿والملائكة يسبّحون بحمد ربّهم﴾ اي ينزّهونه عمّا لا يجوز عليه في صفاته ويعظمونه عمّا لا يليق به في ذاته وافعاله وروي عن ابي عبد الله (ع) والملائكة ومن حول العرش يسبّحون بحمد ربهم لا يفترون ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ من المؤمنين ﴿ألا أنّ الله هو الغفور الرحيم﴾ والمعنى ظاهر.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ
حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ
ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى
رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ
ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

[المعنى] ثمّ اخبر سبحانه عن امهاله الكفار بعد تقديم الانذار فقال ﴿والذين اتّخذوا من دونه اولياء﴾ اي آلهة عبدوها من دون الله يعني كفّار مكّة ﴿الله حفيظ عليهم﴾ أي حافظ عليهم اعمالهم لا يعزب شيء منها عنه ليجازيهم على ذلك كله ﴿وما أنت﴾ يا محمد ﴿عليهم بوكيل﴾ اي وما انت بمسلّط عليهم لتدخلهم في الإيمان قهراً وقيل معناه إنّك لم توكّل بحفظ اعمالهم وإنما بعثت نذيراً لهم داعياً إلى الله مبيّناً سبيل الرشد أي فلا يضيقنّ صدرك بتكذيبهم اياك وفيه تسلية للنبي ﷺ ﴿وكذلك أوحينا إليك قراناً عربيّاً﴾ أي ومثل ما اوحينا إلى من تقدمك من الأنبياء بالكتب التي انزلناها عليهم بلغة قومهم أوحينا اليك قرآناً بلغة العرب ليفقهوا ما فيه ﴿لتنذر أمّ القرى ومن حولها﴾ أي لتنذر أهل امّ القرى وهي مكة ومن حولها من سائر الناس وقرى الأرض كلّها ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ اي وتنذرهم يوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين واهل السماوات والأرضين فيوم الجمع مفعول ثان لتنذر وليس بظرف ﴿لا ريب فيه﴾ اي لا شك في كونه ثم قسم سبحانه اهل يوم الجمع فقال ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ اي فريق منهم في الجنة بطاعتهم وفريق منهم في النار بمعصيتهم ﴿ولو شاءالله لجعلهم أمّة واحدة﴾ اي ولو شاء الله ان يحملهم على دين واحد وهو الإسلام بأن يلجئهم اليه لفعله ولكنّه لم يفعله لأنه يؤدّي إلى ابطال التكليف والتكليف إنما يثبت معَ الاختيار عن الجبائي وقيل انّ معناه ولو شاء الله لسوّى بين الناس في المنزلة بأن يخلقهم في الجنة ولكنه اختار لهم اعلى الدرجتين وهو استحقاق الثواب ﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته﴾ وهم المؤمنون ﴿والظالمون ما لهم من وليّ﴾ يواليهم ﴿ولا نصير﴾ يمنع عنهم عذاب الله ﴿أم اتّخذوا من دونه أولياء﴾ اي بل اتّخذ الكافرون من دون الله اولياء من الاصنام والأوثان يوالونهم ﴿فالله هو الوليّ﴾ معناه انّ المستحق للولاية في الحقيقة هو الله تعالى دون غيره لأنه المالك للنفع والضرّ ﴿وهو يحيي الموتى﴾ اي يبعثهم للجزاء ﴿وهو على كلّ شيء قدير﴾ من الاحياء والإماتة وغير ذلك ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾ معناه انّ الذي تختلفون فيه من امور دينكم ودنياكم وتتنازعون فيه فحكمه إلى الله فإنّه الفاصل بين المحقّ والمبطل فيه فيحكم للمحقّ بالثواب والمدح وللمبطل بالعقاب والذمّ وقيل معناه فبيان الصواب إلى الله بنصب الأدلّة وقيل فحكمه إلى الله يوم القيامة فيجازي كلّ احد بما يستحقّه ﴿ذلكم الله﴾ الذي يحكم بين المختلفين ﴿ربّي﴾

اي هو ربّي ﴿عليه توكّلت﴾ في مهمّاتي ﴿وإليه انيب﴾ اي إليه ارجع في جميع اموري .

﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ
يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾
لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ * شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ
مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى
ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ
إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ
بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ
مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ
لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

[اللغة] الذرأ اظهار الخلق بإيجاده يقال ذرأ الله الخلق يذرؤهم ومنه ملح ذَرآنيّ لظهور بياضه ويقال أنمى الله ذراك وذروك اي ذرّيتك عن الأزهري وشرع الله الدين اي بيّن واظهر ومنه المشرعة والشريعة لأنّهما في مكان معلوم ظاهر من الانهار فالشريعة والشرعة الظاهر المستقيم من المذاهب التي شرعها الله .

[الاعراب] ان أقيموا الدين يجوز ان يكون موضعه رفعاً ونصباً وجراً فالرفع على معنى هو أن أقيموا الدين والنصب على معنى شرع لكم ان أقيموا الدين والجر على البدل من الهاء في به وجائز ايضاً أن يكون ان اقيموا الدين تفسيراً لما وصّى به نوحاً ولقوله والذي أوحينا اليك ولقوله وما وصّينا به ابراهيم فيكون المعنى شرع لكم ولمن قبلكم إقامة الدين وترك الفرقة فيه .

[المعنى] ثم وصف سبحانه نفسه بما يوجب ان لا يعبد غيره فقال: ﴿فاطر السماوات والأرض﴾ اي خالقهما ومبدعهما ابتداء ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ اي اشكالاً مع كلّ ذكر انثى يسكن اليها ويألفها ﴿ومن الأنعام أزواجاً﴾ أي ذكوراً وإناثاً لتكمل منافعكم بها كما قال ثمانية أزواج من الضأن اثنين إلى آخره ﴿يذرؤكم فيه﴾ أي يخلقكم في هذا الوجه الذي ذكر من جعل الأزواج فالهاء في فيه يعود إلى الجعل المراد بقوله جعل لكم وقيل معناه يذرؤكم في التزاوج لتكثروا به لدلالة الكلام عليه وهو ذكر الأزواج ومثله قول ذي الرمة .

وَمَيَّةُ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ جيداً وَسالِفَةً وَأَحْسَنُهُ قَذالا[1]

أي واحسن من ذكر يعني الثقلين وقال الزجاج والفراء معناه يذرؤكم به اي يكثركم بأن جعل من انفسكم ازواجاً ومن الأنعام ازواجاً وأنشد الأزهري في ذلك :

وَأَرْغَبُ فِيها عَنْ لَقيطٍ وَأَهْلِهِ وَلٰكِنَّني عَنْ سِنْبسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ

أي ارغب بها عن لقيط ﴿ليس كمثله شيء﴾ اي ليس مثله شيء والكاف زائدة مؤكدة لمعنى النفي قال اوس بن حجر :

وَقَتْلىٰ كَمِثْلِ جُذُوعِ النَّخِيلِ يَغْشاهُمُ سَبَلٌ مُنْهَمِرْ[2]

(١) مية معشوقته . السالفة : صفحة العنق وقيل ناحية مقدّمها من لدن معلق القرط الى فقرة الترقوة والقذال جماع مؤخر الرأس وقيل ما بين نقرة القفا الى الأذن .

(٢) السَبَل : المطر النازل من السحاب قبل ان يصل الى الارض .

وقال آخر :

سَعْـدَ بْن زَيْـد إذا أَبْصَـرْتَ فَضْـلَهُمُ مـا إنْ كَمِثْلِهُم في النَّـاسِ مِنْ أَحَـدِ

وقيل معناه إنّه لو قدّر لله تعالى مثل لم يكن لذلك المثل مثل لما تقرّر في العقول انّ الله تعالى متفرّد بصفات لا يشاركه فيها غيره فلو كان له مثل لتفرّد بصفات لا يشاركه فيها غيره فكان هو الله وقد دلّ الدليل على أنه ليس مع الله إلّه آخر وقيل: فيه حذف مضاف ومثل بمعنى الصفة تقديره ليس كصاحب صفته شيء وصاحب صفته هو اي ليس كهو شيء والوجه هو الأوّل ﴿وهو السميع البصير﴾ لمّا نفى ان يكون له نظير وشبيه على وجه من الوجوه بيّن انه مع ذلك سميع بصير فإنّما المدحة في انّه لا مثل له مع كونه سميعاً بصيراً لجميع المسموعات والمبصرات ﴿له مقاليد السماوات والأرض﴾ اي مفاتيح ارزاق السماوات والأرض واسبابها فتمطر السماء بأمره وتنبت الأرض بإذنه عن مجاهد وقيل معناه خزائن السماوات والأرض عن السدّي ﴿يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي يوسع الرزق لمن يشاء ويضيّق على من يشاء على ما يعلمه من المصالح للعباد ﴿انّه بكلّ شيء عليم﴾ فيفعل ذلك بحسب المصالح ثمّ خاطب سبحانه خلقه فقال ﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً﴾ اي بيّن لكم ونهج واوضح من الدين والتوحيد والبراءة من الشرك ما وصّى به نوحاً ﴿والذي أوحينا اليك﴾ اي وهو[1] الذي اوحينا إليك يا محمد ﴿و﴾ وهو ﴿ما وصّينا به ابراهيم وموسى وعيسى﴾ ثمّ بيّن ذلك بقوله ﴿أنْ أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه﴾ وإقامة الدين التمسّك به والعمل بموجبه والدوام عليه والدعاء إليه ولا تتفرّقوا أي ولا تختلفوا فيه وائتلفوا فيه واتفقوا وكونوا عباد الله اخواناً ﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ من توحيد الله والإخلاص له ورفض الأوثان وترك دين الآباء لأنهم قالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً ومعناه ثقل عليهم وعظم اختيارنا لك بما تدعوهم اليه وتخصيصك بالوحي والنبوّة دونهم ﴿الله يجتبي اليه من يشاء﴾ اي ليس اليهم الأختيار لأنّ الله يصطفي لرسالته من يشاء على حسب ما يعلم من قيامه بأعباء الرسالة وتحمّله لها فاجتباك الله لها كما اجتبى من قبلك من الانبياء وقيل معناه الله يصطفي من عباده لدينه من يشاء ﴿ويهدي اليه من ينيب﴾ اي ويرشد إلى دينه من يقبل الى طاعته وهذا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل يهدي إلى جنته وثوابه من يرجع إليه بالنية والإخلاص ثم قال ﴿وما تفرّقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ معناه وإنّ هؤلاء الكفار لم يختلفوا عليك

(١) لا يخفى ان قوله تعالى : الذي . . وما وصينا . مفعول لشَرَع كما في سائر التفاسير وهو رحمه الله تبع التبيان وارجع ضمير هو الى «المشروع» المستفاد من ذيل الآية ﴿ان اقيموا الدين﴾. ولا يخفى ما فيه.

إلا بعد أن اتاهم طريق العلم بصحّة نبوّتك فعدلوا عن النظر فيه ﴿بغياً بينهم﴾ اي فعلوا ذلك للظلم والحسد والعداوة والحرص على طلب الدنيا وقيل معناه وما تفرّقوا عنه اي عن محمد ﷺ الاّ بعد انّ علموا انّه حق ولكنّهم تفرّقوا عنه حسداً له وخوفاً أنّ تذهب رئاستهم ﴿ولولا كلمة سبقت من ربّك الى اجل مسمّى لقضي بينهم﴾ معناه ولولا وعد الله تعالى واخباره بتبقيتهم إلى وقت معلوم وتأخرّ العذاب عنهم في الحال لفصّل بينهم الحكم وأنزل عليهم العذاب الذي استحقوّه عاجلاً وقيل معناه ولولا وعد الله بتأخير عذابهم الى يوم القيامة وهو الأجل المسمّى لقضي بينهم بإهلاك المبطل وإثابة المحقّ ﴿وانّ الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شكّ منه مريب﴾ معناه وانّ اليهود والنصارى الذين اورثوا الكتاب من بعد قوم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومن بعد احبارهم لفي شك من القرآن أو من محمد ﷺ مؤدٍّ إلى الريبة عن السدّي بين بذلك أنّ أحبارهم انكروا الحق عن معرفته وان عوامّهم كانوا شاكين فيه يدلّ عليه قوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه وقيل معناه وانّ الذين اورثوا الكتاب اي القرآن وهم العرب من بعدهم أي من بعد اليهود والنصارى لفي شكّ منه بليغ ولو استقصوا في النظر ادّى بهم إلى اليقين والرشد ﴿فلذلك فادع﴾ أي فإلى ذلك فادع عن الفراء والزجاج يقال دعوت لفلان وإلى فلان وذلك اشارة إلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد ومعناه فإلى الدين الذي شرعه الله تعالى ووصّى به أنبياءه فادع الخلق يا محمد وقيل إن اللاّم للتعليل اي فلأجل الشك الذي هم فيه فادعهم الى الحق حتى تزيل شكّهم ﴿واستقم كما أمرت﴾ اي فاثبت على أمر الله وتمسّك به واعمل بموجبه وقيل واستقم على تبليغ الرسالة ﴿ولا تتّبع أهواءهم﴾ يعني اهواء المشركين في ترك التبليغ ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ اي آمنت بكتب الله التي أنزلها على الأنبياء قبلي كلّها ﴿وامرت لأعدل بينكم﴾ اي كي اعدل بينكم اي اسوّي بينكم في الدين والدعاء الى الحقّ ولا احابي احداً وقيل معناه امرت بالعدل بينكم في جميع الاشياء وفي الحديث ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فالمنجيات العدل في الرضاء والغضب والقصد في الغنى والفقر وخشية الله في السرّ والعلانية والمهلكات شحّ مطاع وهوى متّبع واعجاب المرء بنفسه ﴿الله ربّنا وربكم﴾ اي وقل لهم أيضاً الله مدبّرنا ومدبّركم ومصّرفنا ومصرّفكم والمنعم علينا وعليكم وإنّما قال ذلك لأنّ المشركين قد اعترفوا بأنّ الله هو الخالق ﴿لنا اعمالنا ولكم اعمالكم﴾ أي لا يضرّنا اصراركم على الكفر فإنّ جزاء أعمالنا لنا وجزاء اعمالكم لكم لا يؤاخذ احداً بذنب غيره ﴿لا حجّة بيننا وبينكم﴾ اي لا خصومة بيننا وبينكم عن مجاهد وابن زيد والمعنى انّ الحق قد ظهر فسقط الجدال والخصومة وكنّى بالحجّة عن الخصومة لاحتجاج أحد الخصمين على الآخر وهذا قبل ان يؤمر بالقتال وإذا لم يؤمر بالقتال

وامر بالدعوة لم تكن بينه وبين من لا يجيب خصومة وقيل معناه لا حجّة بيننا وبينكم لظهور امركم في البغي علينا والعداوة لنا والمعاندة لا على طريق الشبهة وليس ذلك تحريماً لإقامة الحجة لأنه لا يلزم قبول الدعوة إلا بالحجة التي يظهر بها المحق من المبطل فإذا صار الإنسان الى البغي والعداوة سقط الحِجاج بينه وبين اهل الحق ﴿الله يجمع بيننا﴾ يوم القيامة لفصل القضاء ﴿واليه المصير﴾ يحكم بيننا بالحقّ وفي هذا غاية التّهديد .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾

[المعنى] لمّا تقدّم ظهور الحجة وانقطاع المحاجّة عقّبه بذكر من يحاجّ بالباطل فقال سبحانه ﴿والذين يحاجّون في الله﴾ اي يخاصمون النبي ﷺ والمسلمين في دين الله وتوحيده وهم اليهود والنصارى قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبّينا قبل نبيّكم ونحن خير منكم واولى بالحق عن مجاهد وقتادة وإنّما قصدوا بما قالوا ليدفعوا ما أتى به محمد ﷺ ﴿من بعد ما استجيب له﴾ اي من بعد ما دخل الناس في الإسلام واجابوه إلى ما دعاهم اليه ﴿حجّتهم داحضة عند ربّهم﴾ أي خصومتهم باطلة حيث زعموا انّ دينهم افضل من الإسلام ولأنّ ما ذكروه لا يمنع

من صحةّ نبوّة نبيّنا بأن ينسخ الله كتابهم وشريعة نبيّهم وقيل معناه والذين يجادلون في الله بنصرة مذهبهم من بعد ما استجيب للنبي ﷺ دعاؤه في كفّار بدر حتى قتلهم الله بايدي المؤمنين واستجيب دعاؤه على أهل مكة وعلى مضر حتى قحطوا ودعاؤه للمستضعفين حتّى خلّصهم الله من ايدي قريش وغير ذلك ممّا يطول تعداده عن الجبائي وقيل من بعد ما استجيب لمحمد ﷺ دعاؤه في اظهار المعجزات واقامتها وقيل من بعد ما استجيب له بأن اقرّوا به قبل مبعثه فلمّا بعث جحدوه كما قال وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا وإنما سمّى سبحانه شبهتهم حجّة على اعتقادهم ولشبهها بالحجة أجرى عليها اسمها من غير اطلاق الصفه بها ﴿وعليهم غضب﴾ اي غضب الله عليهم لأجل كفرهم ﴿ولهم عذاب شديد﴾ دائم يوم القيامة ﴿الله الذي انزل الكتاب﴾ اي القرآن ﴿بالحق﴾ اي بالصدق فيما اخبر به من ماض ومستقبل وقيل بالحق اي بالأمر والنهي والفرائض والاحكام وكلّه حقّ من الله ﴿والميزان﴾ أي وأنزل الله العدل والميزان عبارة عن العدل كنّى به عنه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد ومقاتل وإنّما سمّي العدل ميزاناً لأنّ الميزان آلة الانصاف والتسوية بين الخلق وقيل اراد به الميزان المعروف وأنزله الله من السماء وعّرفهم كيف يعملون به بالحق وكيف يزنون به عن الجبائي وقيل الميزان محمد ﷺ يقضي بينهم بالكتاب عن علقمة ويكون على التوسع والتشبيه ولمّا ذكر العدل اتبعه بذكر الساعة فقال ﴿وما يدريك لعلّ الساعة قريب﴾ اي وما يدريك يا محمد ولا غيرك لعلّ مجيء الساعة قريب وإنّما اخفى الله الساعة ووقت مجيئها على العباد ليكونوا على خوف وليبادروا الى التوبة ولو عّرفهم مجيئها لكانوا مُغرين بالقبائح قبل ذلك تعويلاً على التّلافي بالتوبة ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ لجهلهم باحوالها واهوالها فلا يخافون ما فيها إذ لم يؤمنوا بها فهم يطلبون قيامها ابعاداً لكونها ﴿والذين آمنوا مشفقون منها﴾ اي خائفون من مجيئها وهم غير متأهّبين لها ﴿ويعلمون انها الحق﴾ اي أنّ مجيئها الحق الذي لا خلف فيه ﴿الا إنّ الذين يمارون﴾ اي تدخلهم المرية والشك ﴿في الساعة﴾ فيخاصمون في مجيئها على وجه الانكار لها ﴿لفي ضلال﴾ عن الصواب ﴿بعيد﴾ حين لم يذكروا فيعلموا انّ الذي خلقهم أوّلاً قادر على بعثهم ثم قال: ﴿الله لطيف بعباده﴾ اي حفيّ بارٌّ بهم رفيق عن ابن عباس وعكرمة والسدّي وقيل اللطيف العالم بخفيّات الامور والغيوب والمراد به هنا الموصل المنافع إلى العباد من وجه يدقّ ادراكه وذلك في الأرزاق التي قسمها الله لعباده وصرف الآفات عنهم وايصال السرور والملاذّ اليهم وتمكينهم بالقدر والآلات إلى غير ذلك من الطافه التي لا يوقف على كنهها لغموضها ثمّ قال سبحانه ﴿يرزق من يشاء﴾ اي يوسّع الرزق على من يشاء يقال فلان مرزوق إذا وصف بسعة

الرزق وقيل معناه يرزق من يشاء في خفض ودعة ومن يشاء في كد ومشقّة ومتعبة وكلّ من رزقه الله من ذي روح فهو ممّن شاء الله ان يرزقه ﴿وهو القوّي﴾ القادر الذي لا يعجز ﴿العزيز﴾ الغالب الذي لا يغالب ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه﴾ معنى الحرث في اللغة الكسب وفلان يحرث لعياله ويحترث اي يكتسب اي من كان يريد بعمله نفع الآخرة ويعمل لها نجازه بعمله ونضاعف له ثواب عمله فنعطيه على الواحد عشرة ونزيد على ذلك ما نشاء ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾ اي ومن كان يريد بعمله نفع الدنيا نعطه نصيباً من الدنيا لا جميع ما يريده بل على حسب ما تقتضيه الحكمة كما قال سبحانه عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وما له في الآخرة من نصيب وقيل معناه من قصد بالجهاد وجه الله فله سهم الغانمين والثواب في الآخرة ومن قصد به الغنيمة لم يحرم ذلك وحصل له سهمه من الغنيمة ولكن لا نصيب له من الثواب في الآخرة وروي عن النبي ﷺ انه قال من كانت نيّته الدنيا فرّق الله عليه امره وجعل الفقر بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت نيّته الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقيل من كان يعمل للآخرة نال الدنيا والآخرة ومن عمل للدنيا فلا حظّ له في ثواب الآخرة لأنّ الأعلى لا يجعل تبعاً للأدون عن الحسن .

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ
مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ
وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّٰتِ
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ
ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل
لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ
حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ

يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾

[القراءة] قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وخلف يبشر الله بفتح الياء وسكون الباء وضمّ الشين والباقون يبشّر الله بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشدّدة وقرأ أهل الكوفة غير ابي بكر ويعلم ما تفعلون بالتاء على الخطاب والباقون بالياء .

[الاعراب] ذلك الذي يبشّر الله عباده تقديره الذي يبشّر الله به عباده فحذف الباء ثم حذف الهاء ويجوز ان يكون الذي حكمه حكم ما التي تكون مصدرية أي ذلك تبشير الله عباده ويمح الله الباطل ليس بمعطوف على يختم لأنّ محو الباطل واجب فلا يكون معلّقاً بالشرط .

[المعنى] لمّا اخبر الله سبحانه أنّ من يطلب الدنيا باعماله فلا حظّ له في خير الآخرة قال ﴿ام لهم شركاء﴾ اي بل لهؤلاء الكفار شركاء فيما كانوا يفعلونه ﴿شرعوا لهم﴾ اي بيّنوا لهم ونهجوا لهم ﴿من الدين ما لم يأذن به الله﴾ اي ما لم يأمر به الله ولا أذن فيه أي شرعوا لهم ديناً غير دين الإسلام عن ابن عباس ﴿ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم﴾ اي لولا ان الله حكم في كلمة الفصل بين الخلق بتأخير العذاب لهذه الأمة إلى الآخرة لفرغ من عذاب الذين يكذّبونك في الدنيا ﴿وانّ الظالمين﴾ الذين يكذّبونك ﴿لهم عذاب اليم﴾ في الآخرة ﴿ترى الظالمين مشفقين﴾ اي خائفين ﴿ممّا كسبوا﴾ أي من جزاء ما كسبوا من المعاصي وهو العقاب الذي استحقّوه ﴿وهو واقع بهم﴾ لا محالة لا ينفعهم منه خوفهم من وقوعه والإشفاق الخوف من جهة الرقّة على المخوف عليه من وقوع الأمر ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات﴾ فالروضة الأرض الخضرة بحسن النبات والجنة والأرض التي يحفّها الشجر ﴿لهم فيها ما يشاؤون عند ربهم﴾ اي لهم ما يتمنّون ويشتهون يوم القيامة الذي لا يملك فيه الأمر والنهي غير ربهم ولا يريد بعند قرب المسافة لأنّ ذلك من صفات الاجسام وقيل عند ربهم اي في حكم ربهم ﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾ اي ذلك الثواب هو الفضل العظيم من الله إذ نالوا نعيماً لا ينقطع بعمل قليل منقطع ثم قال ﴿ذلك﴾ الفضل

الكبير ﴿الذي يبشّر الله به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ليستعجلوا بذلك السرور في الدنيا من شدّد الشين اراد به التكثير ومن خفّف فلأنّه يدل على القليل والكثير ثمّ قال سبحانه ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى﴾ اختلف في معناه على اقوال (أحدها) لا أسألكم على تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة أجراً الا التوادّ والتحابّ فيما يقرّب إلى الله تعالى من العمل الصالح عن الحسن والجبائي وابي مسلم قالوا هو التقرّب الى الله تعالى والتودّد اليه بالطاعة (وثانيها) أن معناه إلا أنّ تودّوني في قرابتي منكم وتحفظوني لها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وجماعة قالوا وكل قريش كانت بينه وبين رسول الله ﷺ قرابة وهذا لقريش خاصة والمعنى ان لم تودّوني لأجل النبوّة فودّوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم (وثالثها) انّ معناه الا ان تودّوا قربتي وعترتي وتحفظوني فيهم عن علي بن الحسين (ع) وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب وجماعة وهو المروي عن أبي جعفر وابي عبد الله (ع) واخبرنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قال اخبرنا الحاكم ابو القاسم الحسكاني قال حدثني القاضي ابو بكر الحميري قال اخبرنا ابو العباس الضبعي قال اخبرنا الحسن بن علي بن زياد السري قال اخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحماني[1] قال حدثنا حسين الأشتر قال اخبرنا قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لمّا نزلت قل لا أسألكم عليه اجراً الآية قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين امرنا الله بمودّتهم قال عليّ وفاطمة وولدهما واخبرنا السيد أبو الحمد قال اخبرنا الحاكم ابو القاسم بالإسناد المذكور في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفصيل مرفوعاً الى ابي إمامة الباهلي قال قال رسول الله ﷺ انّ الله تعالى خلق الأنبياء من اشجار شتّى وخلقت انا وعليّ من شجرة واحدة فأنا اصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها واشياعنا أوراقها فمن تعلّق بغصن من اغصانها نجا ومن زاغ عنها هوى ولو انّ عبداً عبد الله بين الصفا والمروة الف عام ثم الف عام ثم الف عام حتى يصير كالشنّ البالي ثم لم يدرك محبّتنا كبّه الله على منخريه في النار ثمّ تلا قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودّة في القربى وروى زاذان عن عليّ (ع) قال فينا في آل حمّ آية لا يحفظ مودّتنا الا كل مؤمن قم قرأ هذه الآية والى هذا اشار الكميت في قوله :

وَجَدْنا لَكُمْ في آلِ حَم آيةً تَأَوَّلَها مِنّا تَقِيٌّ وَمُعْرِبُ[2]

وعلى الأقوال الثلاثة فقد قيل في الاّ المودّة قولان : (أحدهما) انه استثناء منقطع لأنّ

(١) الحماني خ ل.

(٢) تقيّ اي صاحب التقية والمعرب اي من يظهر مذهبه علانية.

هذا ممّا يجبّ بالإسلام فلا يكون اجراً للنبوّة (والآخر) انّه استثناء متصل والمعنى لا أسألكم عليه اجراً الا هذا فقد رضيت به اجراً كما انك تسأل غيرك حاجة فيعرض المسؤول عليك برّاً فتقول له اجعل برّي قضاء حاجتي وعلى هذا يجوز أن يكون المعنى لا أسألكم عليه أجراً إلا هذا ونفعه ايضاً عائد عليكم فكأنّي لم أسألكم اجراً كما مرّ بيانه في قوله قل ما سألتكم من اجر فهو لكم وذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره حدّثني عثمان بن عمير عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس انّ رسول الله ﷺ حين قدم المدينة واستحكم الإسلام قالت الأنصار فيما بينها نأتي رسول الله ﷺ فنقول له إن تَعْرُك امور فهذه اموالنا تحكم فيها غير حرج ولا محظور عليك فأتوه في ذلك فنزلت ﴿قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة﴾ في القربى فقرأها عليهم وقال تودّون قرابتي من بعدي فخرجوا من عنده مسلمين لقوله فقال المنافقون انّ هذا لشيء افتراء في مجلسه اراد بذلك ان يذلّلنا لقرابته من بعده فنزلت ام يقولون افترى على الله كذباً فارسل اليهم فتلاها عليهم فبكوا واشتدّ عليهم فأنزل الله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده الآية فارسل في اثرهم فبشّرهم وقال ويستجيب الذين آمنوا وهم الذين سلّموا لقوله ثم قال سبحانه ﴿ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسناً﴾ أي ومن فعل طاعة نزد له في تلك الطاعة حسناً بأن نوجب له الثواب وذكر ابو حمزة الثمالي عن السدّي قال انّ اقتراف الحسنة المودّة لآل محمد ﷺ وصحّ عن الحسن بن علي (ع) انّه خطب الناس فقال في خطبته انا من اهل البيت الذين افترض الله مودّتهم على كل مسلم فقال قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً فاقتراف الحسنة مودّتنا اهل البيت وروي اسماعيل بن عبد الخالق عن أبي عبد الله (ع) انّه قال انها نزلت فينا اهل البيت اصحاب الكساء ﴿ان الله غفور شكور﴾ اي غفور للسيئات شكور للطاعات يعامل عباده معاملة الشاكر في توفية الحق حتّى كأنّه ممّن وصل اليه النفع فشكره ﴿ام يقولون افترى على الله كذباً﴾ أي بل يقولون افترى محمد على الله كذباً في ادعائه الرسالة عن الله ﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ اي لو حدثّت نفسك بأن تفتري على الله كذباً لطبع الله على قلبك ولأنساك القرآن فكيف تقدر ان تفتري على الله وهذا كقوله لئن اشركت ليحبطنّ عملك وقيل معناه فإن يشأ الله يربط على قلبك بالصبر على اذاهم حتى لا يشقّ عليك قولهم انّه مفتر وساحر عن مجاهد[1] ومقاتل فعلى هذا الا يحتاج الى اضمار وحذف ثم اخبر سبحانه انه يذهب ما يقولونه باطلا فقال ﴿ويمح الله الباطل﴾ أي يزيله ويرفعه بإقامة الدلائل على بطلانه وحذف الواو من يمحو في المصاحف

(١) وفي نسخة مجاهد وقتادة ومقاتل.

كما حذف من قوله سندع الزبانية على اللفظ في ذهابها لالتقاء الساكنين وليس بعطف على قوله يختم لأنه مرفوع يدلّ عليه قوله ﴿ويحقّ الحق بكلماته﴾ اي ويثبت الحقّ باقواله التي ينزلها على نبيه ﷺ وهو هذا القرآن المعجز ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ اي بضمائر القلوب ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ وان جلّت معاصيهم فكأنّه قال من نسب محمداً ﷺ الى الافتراء ثم تاب قبلت توبته وإن جلّت معصيته ﴿ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾ من خير وشرّ فيجازيهم على ذلك .

﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ * وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ
بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ
رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ
قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ
وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة وابن عامر وما اصابكم من مصيبة بما كسبت ايديكم بغير فاء والباقون بالفاء .

[الحجة] قال أبو علي القول في ذلك انّ اصاب في قوله وما اصابكم يحتمل امرين يجوز أن يكون صلة ما ويجوز أن يكون شرطاً في موضع جزم فمن قدّره شرطاً لم يجز حذف الفاء منه على قول سيبويه وقد تأوّل ابو الحسن بعض الآي على حذف الفاء في جواب الشرط وقال بعض البغداديين حذف الفاء من الجواب جائز واستدل على ذلك بقوله وان اطعتموهم

انّكم لمشركون وإذا كان صلة فالإثبات والحذف جائزان على معنيين مختلفين أما إذا ثبت الفاء ففيه دليل على انّ الأمر الثاني وجب بالأول وإذا لم يذكر الفاء جاز ان يكون الثاني وجب للأول وجاز ان يكون لغيره.

[**المعنى**] لمّا تقدّم وعيد أهل العصيان عقّبه سبحانه بالوعد لأهل الطاعة فقال ﴿**ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ أي يجيبهم إلى ما يسألونه وقيل معناه يجيبهم في دعاء بعضهم لبعض عن معاذ بن جبل وقيل معناه يقبل طاعاتهم وعباداتهم ويزيدهم من فضله على ما يستحقّونه من الثواب وقيل معناه ويستجيب الذين آمنوا بأن يشفّعهم في اخوانهم ﴿**ويزيدهم من فضله**﴾ ويشفّعهم في اخوان اخوانهم عن ابن عباس وروي عن أبي عبد الله (ع) قال قال رسول الله ﷺ في قوله ويزيد هم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممّن احسن اليهم في الدنيا ﴿**والكافرون لهم عذاب شديد**﴾ ظاهر المعنى ولما بيّن سبحانه انّه يزيد المؤمنين من فضله اخبر عقيبه انّ الزيادة في الارزاق في الدنيا تكون على حسب المصالح فقال ﴿**ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض**﴾ اي لو وسّع الرزق على عباده على حسب ما يطلبونه لبطروا النعمة وتنافسوا وتغالبوا وظلموا في الأرض وتغلّب بعضهم على بعض وخرجوا عن الطاعة قال ابن عباس يبغيهم في الأرض طلبهم منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابّة وملبساً بعد ملبس ﴿**ولكن ينزل بقدر ما يشاء**﴾ اي ولكنه ينزّل من الرزق قدر صلاحهم ما يشاء نظراً منه لهم عن قتادة والمعنى انه يوسّع الرزق على من تكون مصلحته فيه ويضيّق على من يكون مصلحته فيه ويؤيده الحديث الذي رواه انس عن النبي ﷺ عن جبرائيل (ع) عن الله انّ من عبادي من لا يصلحه الا السقم ولو صحّحته لافسده وانّ من عبادي من لايصلحه الا الصحة ولو اسقمته لأفسده وانّ من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لافسده وانّ من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده وذلك انّي ادبرّ عبادي لعلمي بقلوبهم والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة ومتى قيل نحن نرى كثيراً ممّن يوسع عليه الرزق يبغي في الأرض قلنا انّا إذا علمنا على الجملة انه سبحانه يدبر امور عباده بحسب ما يعلم من مصالحهم فلعلّ هؤلاء كان يستوي حالهم في البغي وسّع عليهم او لم يوسّع او لعلّهم لو لم يوسّع عليهم لكانوا أسوأ حالاً في البغي فلذلك وسّع عليهم والله اعلم بتفاصيل احوالهم ﴿**انّه بعباده خبير بصير**﴾ اي عليم باحوالهم بصير بما يصلحهم وما يفسدهم ثمّ بيّن سبحانه حسن نظره بعباده فقال ﴿**وهو الذي ينزّل الغيث من بعد ما قنطوا**﴾ اي ينزله عليهم من بعد ما يئسوا من نزوله والغيث ما كان نافعاً في وقته والمطر قد يكون نافعاً وقد يكون ضارّاً في وقته وغير وقته ووجه انزاله بعد القنوط انّه ادعى الى شكر الآتي به

وتعظيمه والمعرفة بموقع احسانه ﴿وينشر رحمته﴾ أي ويفرّق نعمته ويبسطها باخراج النبات والثمار التي يكون سببها المطر ﴿وهو الوليّ﴾ الذي يتولّى تدبير عباده وتقدير امورهم ومصالحهم المالك لهم. ﴿الحميد﴾ المحمود على جميع افعاله لكون جميعها احساناً ومنافع ﴿ومن آياته﴾ الدالة على وحدانيّته وصفاته التي باين بها خلقه ﴿خلق السماوات والأرض﴾ لأنه لا يقدر على ذلك غيره لما فيهما من العجائب والاجناس التي لا يقدر عليها القادر بقدرته ﴿وما بثّ فيهما من دابّة﴾ والدابّة ما تدبّ فيدخل فيه جميع الحيوانات ﴿وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ اي وهو على حشرهم إلى الموقف بعد اماتتهم قادر لا يتعذر عليه ذلك ثم قال سبحانه ﴿وما اصابكم﴾ معاشر الخلق ﴿من مصيبة﴾ من بلوى في نفس او مال ﴿فبما كسبت ايديكم﴾ من المعاصي ﴿ويعفو عن كثير﴾ منها فلا يعاقب بها قال الحسن : الآية خاصّة بالحدود التي تستحق على وجه العقوبة وقال قتادة هي عامّة وروي عن علي (ع) انّه قال قال رسول الله ﷺ خير آية في كتاب الله هذه الآية يا علي ما من خدش عود ولا نكبة قدم الا بذنب وما عفا الله عنه في الدنيا فهو اكرم من ان يعود فيه وما عاقب عليه في الدنيا فهو اعدل من ان يثني على عبده وقال اهل التحقيق انّ ذلك خاصّ وان خرج مخرج العموم لما يلحق من مصائب الاطفال والمجانين ومن لا ذنب له من المؤمنين ولأن الأنبياء والأئمّة يمتحنون بالمصائب وان كانوا معصومين من الذنوب لما يحصل لهم على الصبر عليها من الثواب .

[النظم] والوجه في اتّصال هذه الآية بما قبلها إنّ الله تعالى لمّا بيّن عظيم انعامه على العباد بيّن بعده ان لا يعاقبهم إلا على معاصيهم.

﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ۚ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾

[القراءة] قرأ اهل الكوفة وابن عامر الجوار بحذف الياء في الوصل والوقف وقرأ الباقون الجواري بإثبات الياء في الوصل وابن كثير ويعقوب في الوقف ايضاً وقرأ اهل المدينة وابن عامر يعلم الذين يجادلون بالرفع والباقون ويعلم بالنصب.

[الحجة] قال أبو علي القياس الجواري ومن حذف فلأنّ حذف هذه الياءات وان كانت لاماً قد كثر في كلامهم فصار كالقياس المستمرّ ومن قرأ يعلم بالرفع استأنف لأنّه موضع استئناف من حيث جاء من بعد الجماعة ان شئت جعلته خبر مبتدأ محذوف ومن نصب فلأنّ قبله شرط وجزاء وكل واحد منهما غير واجب تقول في الشرط إن تأتني وتعطيني اكرمك فتنصب تعطيني وتقديره ان يكن إتيان منك واعطاء اكرمك فالنّصب بعد الشرط إذا عطفت عليه بالفاء امثل من النصب بالفاء بعد جزاء الشرط فأمّا قوله .

وَمَنْ لا يُقَدِّمُ رِجْلَهُ مُطْمَئِنَّةً فَيُثْبِتَهَا في مُسْتَوَى الأَرْضِ يَزْلَقِ

فالنصب فيه حسن لمكان النفي فامّا العطف على الشرط نحو إن تأتني وتكرمني فاكرمك فالذي يختار سيبويه النصب في العطف على جزاء[1] الشرط فيختار ويعلم الذين يجادلون إذا لم يقطعه من الاول فيرفعه ويزعم ان المعطوف على جزاء الشرط شبيه بقوله « وألحقُ بالحجاز فاستريحا»[2] قال الا انّ من ينصب في العطف على جزاء الشرط امثل من ذلك لأنّه ليس يوقع فعلاً الا بأن يكون من غيره فعل فصار بمنزلة غير الواجب وزعم سيبويه أنّ بعضهم قرأ يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء بالنصب وانشد للأعشى في نصب ما عطف بالفاء على الجزاء :

وَمَنْ يَغْتَرِبْ عَنْ أَهْلِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجَرّاً وَمَسْحَباً
وَتُدْفَنَ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَ انْ يُسِيءُ يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارَ في رَأْسِ كَبْكَباً[3]

فهذا حجة لمن قرأ ويعلم .

[اللغة] الأعلام الجبال واحدها علم قالت الخنساء :

---

(١) وفي نسخة : العطف على الشرط.

(٢) اوله : سأترك ناقتي لبني تميم . وهو لمغيرة بن حنين .

(٣) مجرّاً ومسحباً بمعنى . وكبكب : جبل. مقصوده ان من بعد عن أهله يصير مظلوماً ولم يزل يرى مصارعه في كل مكان فإن عمل صالحاً دفنوه وان عمل شهراً شهروه به كالنار على جبل كبكب وفي جميع النسخ : «وتدفن» مع ان الغرض من الاستشهاد ان يكون فتدفن ليكون من العطف على الجزاء بالفاء. وقيل كوكباً بدل كبكباً .

وَإِنْ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ

فيظللن اي يدمن ويقمن يقال ظل يفعل كذا إذا فعله نهاراً والرواكد الثوابت والإيباق الإهلاك والإتلاف ووبق الرجل يَبِقِ ووبق يوبَق إذا هلك والمحيص المعدل والملجأ.

[المعنى] ثم قال سبحانه ﴿وما انتم﴾ يا معشر المشركين ﴿بمعجزين في الأرض﴾ اي لا تعجزونني حيث ما كنتم فلا تسبقونني هرباً في الأرض وفي هذا استدعاء الى العبادة وترغيب فيما امر به وترهيب عمّا نهى عنه ﴿وما لكم من دون الله من وليّ﴾ يدفع عنكم عقابه ﴿ولا نصير﴾ ينصركم عليه ﴿ومن آياته﴾ اي ومن حججه الدالّة على اختصاصه بصفات لا يشركه فيها غيره ﴿الجوار﴾ اي السفن الجارية ﴿في البحر كالأعلام﴾ أي كالجبال الطوال ﴿ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره﴾ أي ان يشأ الله يسكن الريح فتبقى السفن راكدة واقفة على ظهر الماء لا يبرحن من المكان لأنّ ماء البحر يكون راكداً فلو لم تجيء الريح لوقفت السفينة في البحر ولم تجر فالله سبحانه جعل الريح سبباً لجريها فيه وجعل هبوبها في الجهة التي تسير اليها السفينة ﴿انّ في ذلك﴾ الذي ذكر ﴿لآيات﴾ اي حججاً واضحات ﴿لكلّ صّبار﴾ على امر الله ﴿شكور﴾ على نعمته وقيل صّبار على ركوبها شكور على جريها والنجاة من البحر ﴿او يوبقهن بما كسبوا﴾ معناه ان يشأ اسكان الريح يسكن الريح أو ان يشأ يجعل الريح عاصفة فيهلك السفن اي اهلها بالغرق في الماء عقوبة لهم بما كسبوا من المعاصي ﴿ويعف عن كثير﴾ من اهلها فلا يغرقهم ولا يعاجلهم بعقوبة معاصيهم ﴿ويعلم الذين يجادلون في آياتنا﴾ اي في ابطال آياتنا ودفعها ﴿ما لهم من محيص﴾ اي ملجأ يلجأون إليه عن السدّي.

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن
شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ
وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾

وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم هنا وفي سورة والنجم كبير الإثم على التوحيد والباقون كبائر الإثم على الجمع .

[الحجة] حجة الجمع قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ومن قال كبير فأفرد جاز أن يريد به الجمع كقوله وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها وفي الحديث منعت العراق درهمها وقفيزها .

[الإعراب] وإذا ما غضبوا هم يغفرون يجوز أن يكون هم تأكيداً للضمير في غضبوا ويغفرون جواب إذاً ويجوز أن يكون هم إبتداء ويغفرون خبره وكذا هم ينتصرون وإن شئت كان هم وصفاً للمنصوب قبله وإن شئت كان مبتدأ وقياس قول سيبويه أن يرتفع هم بفعل مضمر دلّ عليه هم ينتصرون .

[المعنى] ثم خاطب سبحانه من تقدّم وصفهم فقال ﴿ فما أوتيتم من شيء ﴾ أي الذي أعطيتموه من شيء من الأموال ﴿ فمتاع الحيوة الدنيا ﴾ أي فهو متاع الحياة الدنيا تتمتّعون به أيّاماً ثم تموتون فيبقى عنكم أو يهلك المال قبل موتكم ﴿ وما عند الله ﴾ من الثواب والنعيم وما أعدّه للجزاء على الطاعة ﴿ خير وأبقى ﴾ من هذه المنافع القليلة ﴿ للذين آمنوا ﴾ أي صدّقوا بتوحيد الله وبما يجب التصديق به ﴿ وعلى ربهم يتوكّلون ﴾ والتوكل على الله تفويض الأمور إليه باعتقاد أنها جارية من قبله على أحسن التدبير مع الفزع إليه بالدعاء من كل ما ينوب ﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم ﴾ يجوز أن يكون موضع الذين جرّاً عطفاً على قوله ﴿ للذين آمنوا ﴾ فيكون المعنى وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين المتوكلين على ربهم المجتنبين كبائر الإثم ﴿ والفواحش ﴾ ويجوز أن يكون في موضع رفع بالإبتداء ويكون الخبر محذوفاً فيكون المعنى والذين يجتنبون الكبائر والفواحش ﴿ وإذا ما غضبوا ﴾ ممّا يفعل بهم من الظلم ﴿ هم يغفرون ﴾ ويتجاوزون عنه لهم مثل ذلك والفواحش جمع فاحشة وهي أقبح القبيح والمغفرة في الآية المراد بها ما يتعلّق بالإساءة إلى نفوسهم فمتى عفوا عنها كانوا ممدوحين فأمّا ما يتعلّق بحقوق الله وواجبات حدوده فليس للإمام تركها ولا العفو عنها ولا يجوز له العفو عن المرتدّ وعمّن جرى مجراه ثم زاد سبحانه في صفاتهم فقال ﴿ والذين استجابوا لربّهم ﴾ أي أجابوه فيما دعاهم إليه من أمور الدين ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ أي أداموها في أوقاتها بشرائطها ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ يقال صار هذا الشيء شورى بين القوم إذا تشاوروا فيه وهو فعلي من المشاورة وهي المفاوضة في

الكلام ليظهر الحقّ أي لا يتفرّدون بأمر حتى يشاوروا غيرهم فيه وقيل إنّ المعنيّ بالآية الأنصار كانوا إذا أرادوا أمراً قبل الإسلام وقبل قدوم النبي ﷺ إجتمعوا وتشاوروا ثم عملوا عليه فأثنى الله عليهم بذلك وقيل هو تشاورهم حين سمعوا بظهور النبي ﷺ وورود النقباء عليه حتى اجتمعوا في دار أبي أيوب على الإيمان به والنصرة له عن الضحاك وفي هذا دلالة على فضل المشاورة في الأمور وقد روي عن النبي ﷺ أنّه قال ما من رجل يشاور أحداً إلا هدي إلى الرشد ﴿ وممّا رزقناهم ينفقون ﴾ في طاعة الله تعالى وسبيل الخير ﴿ والذين إذا أصابهم البغي ﴾ من غيرهم ﴿ هم ينتصرون ﴾ ممّن بغى عليهم من غير أن يعتدوا عن السديّ وقيل ينتصرون أي يتناصرون ينصر بعضهم بعضاً نحو يختصمون ويتخاصمون عن أبي مسلم وقيل يعني به المؤمنين الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله في الأرض حتى انتصروا ممّن ظلمهم عن عطاء وقيل جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عمّن ظلمهم وهم الذين ذكروا قبل هذه الآية وهو قوله ﴿ وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ وصنف ينتصرون ممّن ظلمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية فمن انتصر وأخذ بحقه ولم يجاوز في ذلك ما حدّ الله فهو مطيع لله ومن أطاع الله فهو محمود عن ابن زيد ثم ذكر سبحانه حد الإنتصار فقال ﴿ وجزاء سيّئة سيّئة مثلها ﴾ قيل هو جواب القبيح إذا قال أخزاك الله تقول أخزاك الله من غير أن تعتدي عن ابن نجيح والسدّي ومجاهد وقيل يعني القصاص في الجراحات والدماء عن مقاتل وسمّى الثانية سيّئة لأنها في مقابلة الأولى كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ثم ذكر سبحانه العفو فقال ﴿ فمن عفى وأصلح فأجره على الله ﴾ أي فمن عفا عمّا له المؤاخذة به وأصلح أمره فيما بينه وبين ربه فثوابه على الله ﴿ أنه لا يحبّ الظالمين ﴾ ثم بيّن سبحانه أنه لم يرغب المظلوم في العفو عن الظالم لميله إلى الظالم أو لحبّه إيّاه ولكن ليعرِضه[1] بذلك لجزيل الثواب ولحبّه الإحسان والفضل وقيل إنه لا يحبّ الظالم في قصاص وغيره بتعدّيه عما هو له إلى ما ليس له وقيل إن الآية الأولى عامّة في وجوب التناصر بين المسلمين وهذه الآية في خاصّة الرجل يجازي من ظلمه بمثل ما فعله أو يعفو وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من كان أجره على الله فليدخل الجنة فيقال من ذا الذي أجره على الله فيقال العافون عن الناس فيدخلون الجنة بغير حساب .

﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ

(١) من باب عرض المتاع للبيع والهاء يعود إلى المظلوم أي ليجعل نفسه معرضاً لجزيل الثواب .

مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ
النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾
وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ ۗ وَتَرَى الظَّالِمِينَ
لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَاهُمْ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ
وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾

[الإعراب] إنّ ذلك لمن عزم الأمور جواب القسم الذي دلّ عليه قوله ﴿ ولمن صبر وغفر ﴾ كما قال سبحانه ﴿ لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ﴾ وقيل بل هي جملة في موضع خبر المبتدأ الذي هو من صبر وغفر والتقدير أن ذلك منه لمن عزم الأمور وحسن الحذف لطول الكلام وقوله ﴿ خاشعين ﴾ منصوب على الحال من يُعْرَضون ويعرضون في موضع النصب على الحال من تراهم .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه المنتصر فقال ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ معناه من إنتصر لنفسه وانتصف من ظالمه بعد ظلمه أضاف الظلم إلى المظلوم أي بعد أن ظلم وتعدي عليه فأخذ لنفسه بحقّه فالمنتصرون ما عليهم من إثم وعقوبة وذمّ ومثله في إضافة المصدر إلى المفعول قوله من دعاء الخير ﴿ إنما السبيل ﴾ أي الإثم والعقاب ﴿ على الذين يظلمون الناس ﴾ إبتداء ﴿ ويبغون في الأرض بغير الحق اولئك لهم عذاب أليم ﴾ أي موجع ﴿ ولمن صبر ﴾ أي تحمّل المشقّة في رضاء الله ﴿ وغفر ﴾ فلم ينتصر ﴿ فإنّ ذلك ﴾ الصبر والتجاوز ﴿ لمن عزم الأمور ﴾ أي من ثابت الأمور التي أمر الله تعالى بها فلم تنسخ وقيل عزم الأمور هو الأخذ بأعلاها في باب نيل الثواب والأجر ﴿ ومن

﴿ يضلل الله ﴾ أي ومن يضلله الله عن رحمته وجنته ﴿ فما له من وليّ ﴾ أي معين ﴿ من بعده ﴾ أي سواه وقيل من عذّبه الله عقوبة له على عناده وجحوده فما له من وليّ يلي أمره ويدفع عذاب الله عنه ﴿ وترى الظالمين لمّا رأوا العذاب ﴾ أي ترى الظالمين يا محمد إذا شاهدوا عذاب النار ﴿ يقولون هل إلى مردّ ﴾ أي رجوع وردّ إلى دار الدنيا ﴿ من سبيل ﴾ تمنّياً منهم لذلك ﴿ وتراهم ﴾ يا محمد ﴿ يعرضون عليها ﴾ أي على النار قبل دخولهم النار ﴿ خاشعين من الذلّ ﴾ أي ساكنين متواضعين في حال العرض ﴿ ينظرون من طرف خفيّ ﴾ أي خفيّ النظر لما عليهم من الهوان يسارقون النظر إلى النار خوفاً منها وذلّة في نفوسهم عن الحسن وقتادة وقيل خفيّ ذليل عن ابن عباس ومجاهد وقيل من عين لا تفتح كلّها وإنما نظروا ببعضها إلى النار[1] ﴿ وقال الذين آمنوا ﴾ لمّا رأوا عظيم ما نزل بالظالمين ﴿ إنّ الخاسرين ﴾ في الحقيقة هم ﴿ الذين خسروا أنفسهم ﴾ بأن فوّتوها الإنتفاع بنعيم الجنة ﴿ وأهليهم ﴾ أي وأولادهم وأزواجهم وأقاربهم لا ينتفعون بهم ﴿ يوم القيامة ﴾ لما حيل بينهم وبينهم وقيل وأهليهم من الحور العين في الجنة لو آمنوا ﴿ إلا أنّ الظالمين في عذاب مقيم ﴾ هذا من قول الله تعالى والمقيم الدائم الذي لا زوال له .

﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ

(١) في المخطوطة بزيادة « خوفاً منها ».

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ
وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

[**المعنى**] ثمّ أخبر سبحانه عن الظالمين الذين ذكرهم فقال ﴿ **وما كان لهم من أولياء** ﴾ لا فيما عبدوه من دونه ولا فيمن أطاعوه في معصيته أي نُصّار ﴿ **ينصروهم من دون الله** ﴾ ويدفعون عنهم عقابه ﴿ **ومن يضلل الله فما له من سبيل** ﴾ يوصله إلى الجنة ثم قال سبحانه ﴿ **استجيبوا لربكم** ﴾ أي أجيبوا داعي ربّكم يعني محمداً ﷺ فيما دعاكم إليه ورغّبكم فيه من المصير إلى طاعته والإنقياد لأمره ﴿ **من قبل أن يأتي يوم لا مرّد له من الله** ﴾ أي لا رجوع بعده إلى الدنيا وقيل معناه لا يقدر أحد على رده ودفعه وهو يوم القيامة عن الجبائي وقيل معناه لا يردّ ولا يؤخّر عن وقته وهو يوم الموت عن أبي مسلم ﴿ **ما لكم من ملجأ يومئذ** ﴾ أي معقل يعصمكم من العذاب ﴿ **وما لكم من نكير** ﴾ أي إنكار وتغيير للعذاب وقيل من نصير منكر ما يحلّ بكم ثم قال لنبيه ﷺ ﴿ **فإن أعرضوا** ﴾ يعني الكفّار أي عدلوا عمّا دعوتهم إليه ﴿ **فما أرسلناك عليهم حفيظاً** ﴾ أي مأموراً بحفظهم لئلاّ يخرجوا عمّا دعوتهم إليه كما يحفظ الراعي غنمه لئلا يتفرّقوا أي فلا تحزن لإعراضهم ﴿ **إن عليك إلا البلاغ** ﴾ أي ليس عليك إلاّ إيصال المعنى إلى إفهامهم والبيان لما فيه رشدهم ﴿ **وإنّا إذا أذقنا الإنسان منّا رحمة** ﴾ وأوصلنا إليه نعمة ﴿ **فرح بها** ﴾ أي بطر لأن الفرح المراد هنا ما قارنه أشر أو جحودا وانكار لأنّه خرج مخرج الذم وقيل أنّ الرحمة هنا العافية ﴿ **وأن تصبهم سيّئة بما قدمت أيديهم** ﴾ أي قحط أو فقر أو مرض أو غير ذلك ممّا يسؤهم ﴿ **فإن الإنسان كفور** ﴾ بعدّد المصيبة ويجحد النعم ثم بيّن سبحانه أن النعم كلها منه فقال ﴿ **لله ملك السماوات والأرض** ﴾ أي له التصرف فيهما وفيما بينهما وسياستهما بما تقتضيه الحكمة ﴿ **يخلق ما يشاء** ﴾ من أنواع الخلق﴿ **يهب لمن يشاء**﴾[1]من خلقه ﴿ **اناثاً** ﴾ فلا يولد له ذكر ﴿ **ويهب لمن يشاء الذّكور** ﴾ البنين فلا يولد له أنثى ﴿ **أو يزوّجهم ذكراناً وإناثاً** ﴾ معناه أو يجمع لهم بين البنين والبنات تقول العرب زوّجت إبلي أي جمعت بين صغارها وكبارها قال مجاهد هو أن تلد المرأة غلاماً ثم جارية ثم غلاماً ثم جارية وقيل: هو أن تلد توأماً ذكراً وأنثى

(١)[يهب لمن يشاء].

أو ذكراً وذكراً أو أنثى وأنثى عن ابن زيد وقيل هو أن يجمع في الرحم الذكر والأنثى عن محمد بن الحنفيّة ﴿ ويجعل من يشاء ﴾ من الرجال والنساء ﴿ عقيماً ﴾ لا يلد ولا يولد له ﴿ أنّه عليم ﴾ بما خلق ﴿ قدير ﴾ على خلق ما يشاء .

﴿ * وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ
أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا
فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ
وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ
لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

[القراءة] قرأ نافع أو يرسل بالرفع فيوحي بسكون الياء والباقون أو يرسلَ فيوحيَ بالنصب .

[الحجة] قال أبو علي من نصب أو يرسل فلا يخلو من أن يكون محمولاً على أن في قوله أن يكلّمه الله أو على غيره فلا يجوز أن يكون محمولاً عليه لأنه يصير تقديره ما كان لبشر ان يكلّمه الله أو أن يرسل رسولاً إليه ولم يخل قوله ﴿ أو يرسل رسولاً ﴾ من أن يكون المراد أو يرسله رسولاً أو يكون أو يرسل إليه رسولاً والتقدير أن جميعاً فاسد أن ألا ترى أنّ كثيراً من البشر قد أرسل رسولاً وكثيراً منهم قد أرسل إليه الرسل فإذا لم يخل من هذين التقديرين ولم يصحّ واحد منهما علمت أنّ المعنى ليس عليه والتقدير على غيره فالذي عليه المعنى والتقدير الصحيح ما ذهب إليه الخليل من أن يحمل يرسل على أن يوحي الذي يدل عليه وحياً فصار التقدير ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحي وحياً أو يرسل رسولاً فيوحي ويجوز في قوله إلا وحياً أمران (أحدهما) أن يكون إستثناء منقطعاً (والآخر) أن يكون حالاً فإن قدّرته إستثناء منقطعاً لم يكن في الكلام شيء يوصل بمن لأنّ ما قبل الاستثناء لا يعمل فيما

بعده لأنّ حرف الاستثناء في معنى حرف النفي ألا ترى أنّك إذا قلت قام القوم إلا زيداً فالمعنى قام القوم لا زيد فكما لا يعمل ما قبل حرف النفي فيما بعده كذلك لا يعمل ما قبل الاستثناء إذا كان كلاماً تامّاً فيما بعده إذ كان بمعنى النفي وكذلك لا يجوز أن يعمل ما بعد إلا فيما قبلها نحو ما أنا الخبز إلا آكل كما لم يعمل ما بعد حرف ماضي فيما قبله فإذا كان كذلك لم يتّصل الجارّ بما قبل إلا ويمتنع أن يتّصل به الجارّ من وجه آخر وهو أنّ قوله أو من وراء حجاب في صلة وحي الذي هو بمعنى أن يوحي فإذا كان كذلك لم يجز أن يحمل الجار الذي هو من قوله ﴿ أو من وراء حجاب ﴾ على أو يرسل لأنّك تفصّل بين الصلة والموصول بما ليس منهما ألا ترى أن المعطوف على الصلة في الصلة فإذا حملت على العطف على ما ليس في الصلة فصّلت بين الصلة والموصول بالأجنبيّ الذي ليس منهما فإذا لم يجز حمله على يكلّمه من قوله ﴿ ما كان لبشر أن يكلّمه الله ﴾ ولم يكن بدّ من أن يعلّق الجار بشيء ولم يكن في اللفظ شيء تحمله عليه اضمرت يكلّم وجعلت الجارّ في قوله ﴿ أو من وراء حجاب ﴾ متعلقاً بفعل مراد في الصلة محذوف منها للدلالة عليه وقد يحذف من الصلة أشياء للدلالة عليها ويكون في المعنى معطوفاً على الفعل المقدر صلة لأنِ الموصولة وهي يوحي فيكون التقدير ما كان لبشر أن يكلّمه الله إلا أن يوحي إليه أو يكلّمه من وراء حجاب فحذف يكلّم من الصلة لأنّ ذكره قد جرى وإن كان خارجاً من الصلة فحسّن ذلك حذفه من الصلة وسوّغه ألا ترى أنّ ما قبل حرف الإستفهام مثل ما قبل الصلة في أنّه لا يعمل في الصلة كما لا يعمل ما قبل الإستفهام فيما كان من حيّز الإستفهام وقد جاء الآن وقد عصيت قبل والمعنى الآن آمنت وقد عصيت قبل فلمّا كان ذكر الفعل قد جرى في الكلام أضمر ولا يجوز أن يقدّر عطف أو من وراء حجاب على الفعل الخارج من الصلة فيفصل بين الصلة والموصول بالأجنبي منهما كما فصّل في قوله ﴿ألا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس﴾ ثم قال ﴿ أو فسقاً أهلّ لغير الله به ﴾ فعطف بأ وعلى ما في الصلة بعدما فصل بين الصلة والموصول بقوله ﴿ فإنه رجس ﴾ لأنّ قوله فإنّه رجس من الإعتراض الذي يسدّد ما في الصلة ويوضحه فصار بذلك بمنزلة الصفة لما في الصفة من التبيين والتخصيص ومثل هذا في الفصل في الصلة قوله تعالى ﴿ والذين كسبوا السيئات ﴾ جزاء سيّئة بمثلها وترهقهم ذلة وفصّل بقوله جزاء[1] بمثلها وعطف عليه قوله ﴿ وترهقهم ذلة﴾ على الصلة مع هذا الفصل من حيث قوله ﴿ جزاء ﴾ سيّئة بمثلها ﴾ يسدّد ما[2] الصلة وأما من رفع فقال أو يرسل رسولاً

(١) [سيئة].

(٢) [في].

فجعل يرسل حالاً فإنّ الجارّ في قوله ﴿ أو من وراء حجاب ﴾ متعلق بمحذوف ويكون في الظرف ذكر من ذي الحال فيكون قوله ﴿ إلا وحياً ﴾ على هذا التقدير مصدراً وقع موقع الحال كقولك جئت رَكضاً وأتيت عدواً ويكون من في أنّه مع ما أنجرّ به في موضع الحال كقوله ﴿ ومن الصالحين ﴾ بعد قوله ﴿ ويكلّم الناس في المهد وكهلاً ﴾ ومعنى أو من وراء حجاب فمن قدّر الكلام استثناء منقطعاً أو حالاً ، يكلّمهم غير مجاهر لهم بكلامه يريد أنّ كلامه يسمع ويحدث من حيث لا يرى كما يرى سائر المتكلمين وليس أنّ ثمّ حجاباً يفصل موضعاً من موضع فيدلّ ذلك على تحديد المحجوب ومن رفع يرسل كان في موضع نصب على الحال والمعنى هذا كلامه إيّاهم كما يقول تحيّتك الضرب وعتابك السيف .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه أجلّ النعم وهي النبوّة فقال ﴿ وما كان لبشر أن يكلّمه الله ﴾ أي ليس لأحد من البشر أن يكلّمه الله ﴿ إلا ﴾ أن يوحي إليه ﴿ وحيا ﴾ وهو داود أوحى في صدره فزبر الزبور ﴿ أو من وراء حجاب ﴾ أي ويكلّمه من وراء حجاب وهو موسى (ع) ﴿ أو يرسل رسولاً ﴾ وهو جبرائيل أرسل إلى محمد ﷺ عن مجاهد وقيل معناه ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا بمثل ما يكلم به عباده من الأمر بطاعته والنهي عن معاصيه وتنبيهه إيّاهم على ذلك من جهة الخاطر أو المنام وما أشبه ذلك على سبيل الوحي وسمّاه وحياً لأن الوحي في اللغة ما جرى مجرى الإيماء والتنبيه على الشيء من غير أن يفصح به أو من وراء حجاب وهو أن يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه إلا من يريد أن يكلّمه به نحو كلامه لموسى (ع) لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق إلا عن موسى (ع) وحده وفي المرة الثانية حجبه عن جميع الخلق إلا عن موسى والسبعين الذين كانوا معه وقد يقال أنه حجب عنهم موضع الكلام الذي أقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من أين يسمعونه لأنّ الكلام عرض لا يقوم إلا في جسم ولا يجوز أن يكون أراد بقوله أنّ الله تعالى كان من وراء حجاب يكلم عباده لأنّ الحجاب لا يجوز إلا على الأجسام المحدودة وعنى بقوله ﴿ أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾ إرساله ملائكته بكتبه وكلامه إلى أنبيائه ليبلغوا ذلك عنه عباده فهذا أيضاً ضرب من الكلام الذي يكلم الله به عباده ويأمرهم فيه وينهاهم من غير أن يكلّمهم على سبيل ما كلّم به موسى وهو خلاف الوحي الذي ذكر في أول الآية لأنه تنبيه خاطر وليس فيه إفصاح عن أبي علي الجبائي وقال الزجاج معناه أنّ كلام الله للبشر أما أن يكون بإلهام يلهمهم أو بكلام من وراء حجاب كما كلّم موسى أو برسالة ملك إليهم فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء الله ﴿ أنّه عليّ ﴾ عن الإدراك بالأبصار ﴿ حكيم ﴾ في

جميع افعاله ﴿ وكذلك أوحينا إليك و أي مثل ما أوحينا إلى الأنبياء قبلك أوحينا إليك ﴿روحاً من أمرنا﴾ يعني الوحي بأمرنا ومعناه القرآن لأنّه يهتدي به ففيه حياة من موت الكفر عن قتادة والجبائي وغيرهما وقيل هو روح القدس عن السدّي وقيل هو ملك أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) قالا ولم يصعد إلى السماء وأنه لفينا ﴿ ما كنت تدري ﴾ يا محمد قبل الوحي ﴿ ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ أي ما القرآن ولا الشرائع ومعالم الإيمان وقيل معناه ولا أهل الإيمان أي من الذي يؤمن ومن الذي لا يؤمن وهذا من باب حذف المضاف ﴿ ولكن جعلناه نوراً ﴾ أي جعلنا الروح الذي هو القرآن نوراً لأنّ فيه معالم الدين عن السدّي وقيل جعلنا الإيمان نوراً لأنه طريق النجاة عن ابن عباس ﴿ نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ أي نرشده إلى الجنة ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ أي ترشد وتدعو إلى طريق مفضٍ إلى الحق وهو الإيمان ثم فسّر ذلك الصراط بقوله ﴿ صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿ ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ أي إليه ترجع الأمور والتدبير يوم القيامة فلا يملك ذلك غيره .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



مكّيّة كلّها وقيل إلاّ آية منها ﴿ واسئل من أرسلنا ﴾ الآية نزلت ببيت المقدس عن مقاتل .

[عدد آيها] ثمان وثمانون آية شامي تسع في الباقين .

[اختلافها] آيتان حم كوفي هو مهين حجازي بصري .

[فضلها] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الزخرف كان ممّن يقال له يوم القيامة ﴿يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب﴾ وعن أبي بصير قال قال أبو جعفر (ع) من أدمن قراءة حم الزخرف آمنه الله في قبره من هوامّ الأرض ومن ضمّة القبر حتى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ ثم جاءت حتى تكون هي التي تدخله الجنة بأمر الله عزّ وجلّ .

[تفسيرها] لمّا ختم الله سورة حمعسق بذكر القرآن والوحي افتتح هذه السورة بذلك أيضاً فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾
أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة والكوفة غير عاصم إن كنتم بكسر الهمزة والباقون بفتحها .

[الحجة] قال أبو علي من قال إن كنتم فالمعنى لأن كنتم فأمّا صفحاً فانتصابه من باب صنع الله لأن قوله ﴿ أفنضرب عنكم الذكر ﴾ يدلّ على أن نصفح عنكم صفحاً وكأنّ قولهم صفحت عنه أي أعرضت عنه وولّيته صفحة العنق فالمعنى أفنضرب عنكم ذكر الإنتقام منكم والعقوبة لكم لأن كنتم قوماً مسرفين وهذا يقرب من قوله ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ والكسر على أنّه جزاء استغني عن جوابه بما تقدّمه مثل أنت ظالم إن فعلت كذا كأنّه قال: إن كنتم مسرفين نضرب .

[اللغة]يقال ضربت عنه وأضربت عنه أي تركته وأمسكت عنه ويقال صفح عنّي بوجهه قال كثير وذكر امرأةً :

صَفُوحاً فَمَا تَلْقَاكَ إِلاَّ بَخِيلَةً فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصْلَ مَلَّتِ[1]

أي معرضة بوجهها والصَّفوح في صفات الله تعالى معناه العفوّ عن الذنب كأنّه أعرض عن مجازاته تفضلاً يقال صفح عن ذنبه إذا عفا والاسراف مجاوزة الحدّ في العصيان .

[المعنى] ﴿ حٰم ﴾ مرَّ معناه ﴿ والكتاب المبين ﴾ أقسم بالقرآن المبين للحلال والحرام المبين ما يحتاج إليه الأنام من شرائع الإسلام ﴿ إنّا جعلناه ﴾ أي أنزلناه عن السدّي وقيل قلناه عن مجاهد ونظيره ويجعلون لله البنات أي يقولون ﴿ قرآناً عربيّاً ﴾ أي بلسان العرب والمعنى جعلناه على طريقة العرب في مذاهبهم في الحروف والمفهوم ومع ذلك فإنّه لا يتمكّن أحد منهم من انشاء مثله والابتداء بما يقاربه من علوّ طبقته في البلاغة والفصاحة أمّا لعدم علمهم بذلك أو لأنّهم صرفوا عنه على الخلاف بين العلماء فيه ﴿ لعلّكم تعقلون ﴾ أي لكي تعقلوا وتتفكروا فيه فتعلموا صدق من ظهر على يده وفي هذه الآية دلالة على حدوث القرآن لأنّ المجعول هو المحدث بعينه ﴿ وانّه ﴾ يعني القرآن ﴿ في أمّ الكتاب ﴾ أي في اللوح المحفوظ وإنما سمّي أمّاً لأنّ سائر الكتب تنسخ منه وقيل لأنّ أصل كل شيء أمّه والقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ عن الزجاج وهو الكتاب الذي كتب الله فيه ما يكون إلى يوم القيامة لما رأى في ذلك من صلاح

(١) أي كثيرة الصفح عن عشاقها فما تلقاك الا بخيلة بالوصل وسريعة الملال فمن أظهر من وصلها الملال ملّت سريعاً

ملائكته بالنظر فيه وعلم فيه من لطف المكلفين بالأخبار عنه ﴿ لدينا ﴾ أي الذي عندنا عن ابن عباس ﴿ لعلّي ﴾ أي عالٍ في البلاغة مظهر ما بالعباد إليه من الحاجة وقيل: معناه يعلو كل كتاب بما اختصّ به من كونه معجزاً وناسخاً للكتب وبوجوب إدامة العمل به وبما تضمّنه من الفوائد وقيل عليّ أي عظيم الشأن رفيع الدرجة تعظّمه الملائكة والمؤمنون ﴿ حكيم ﴾ أي مظهر للحكمة البالغة وقيل حكيم دلالة على كل حقّ وصواب فهو بمنزلة الحكيم الذي لا ينطق إلا بالحق وصف الله تعالى القرآن بهاتين الصفتين على سبيل التوسع لأنّهما من صفات الحيّ ثم خاطب سبحانه من لم يعتبر بالقرآن وجحد ما فيه من الحكمة والبيان فقال ﴿ أفنضرب عنكم الذكر صفحاً ﴾ والمراد بالذكر هنا القرآن أي أفنترك عنكم الوحي صفحاً فلا نأمركم ولا ننهاكم ولا نرسل إليكم رسولاً ﴿ أن كنتم قوماً مسرفين ﴾ أي لأن كنتم والمعنى أفنمسك عن أنزال القرآن ونهملكم فلا نعرّفكم ما يجب عليكم من أجل إنكم أسرفتم في كفركم وهذا استفهام إنكار ومعناه إنّا لا نفعل ذلك وأصل ضربت عنه الذكر أنّ الراكب إذا ركب دابّة فأراد أن يصرفه عن جهة ضربه بعصى أو سوط ليعدل به إلى جهة أخرى ثم وضع الضرب موضع الصرف والعدل وقيل أن الذكر بمعنى العذاب ومعناه أحسبتم انّا لا نعذّبكم أبداً عن السدّي .

﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ
الْأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا
وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠

[المعنى] ثم عزّى سبحانه نبيّه ﷺ بقوله ﴿ وكم أرسلنا من نبيّ في الأولين ﴾ أي في الأمم الماضية ﴿ وما يأتيهم من نبيّ إلا كانوا به يستهزءون ﴾ يعني أنّ الأمم الخالية التي ذكرناها كفرت بالأنبياء وسخرت منهم لفرط جهالتهم وغباوتهم واستهزأت بهم كما استهزأ قومك بك أي فلم نضرب عنهم صفحاً لاستهزائهم برسلهم بل كرّرنا الحجج وأعدنا الرسل ﴿ فأهلكنا أشدّ منهم بطشاً ﴾ أي فأهلكنا من أولئك الأمم بأنواع العذاب من كان أشدّ قوة

ومنعة من قومك فلا يغترّ هؤلاء المشركون بالقوة والنجدة ﴿ ومضى مثل الأولين ﴾ أي سبق فيما أنزلنا إليك شبه حال الكفار الماضية بحال هؤلاء في التكذيب ولمّا أهلكوا أولئك بتكذيبهم رسلهم فعاقبة هؤلاء أيضاً إلاهلاك ﴿ ولئن سألتهم ﴾ أي إن سألت قومك يا محمد ﴿ من خلق السماوات والأرض ﴾ أي أنشأهما واخترعهما ﴿ ليقولُنّ خلقهنّ العزيز العليم ﴾ أي لم يكن جوابهم في ذلك إلا أن يقولوا خلقهن يعني السماوات والأرض العزيز القادر الذي لا يُقهر، العليم بمصالح الخلق وهو الله تعالى لأنهم لا يمكنهم أن يحيلوا في ذلك على الأصنام والأوثان وهذا إخبار عن غاية جهلهم إذ اعترفوا بأنّ الله خلق السماوات والأرض ثم عبدوا معه غيره وأنكروا قدرته على البعث ثم وصف سبحانه نفسه فقال ﴿ الذي جعل لكم الأرض مهداً ﴾ وقرىء مهاداً وقد مضى ذكره في طه ﴿ وجعل لكم فيها سبلاً ﴾ تسلكونها ﴿ لعلّكم تهتدون ﴾ لكي تهتدوا إلى مقاصدكم في أسفاركم وقيل معناه لتهتدوا إلى الحقّ في الدين بالاعتبار الذي حصل لكم بالنظر فيها.

﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾

[اللغة] يقال أنشر الله الخلق فنشروا أي أحياهم فحيوا قال الأعشى :

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتاً إلىٰ نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إلىٰ قَابِرِ
حَتّىٰ يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَا عَجَباً لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ(١)

(١) يصف المرأة بأنها من فرط الجمال تحيي الأموات فلو أسندت ميتاً إلى نحرها صار حياً ولم ينقل إلى قابر يقبره =

الإقران الإطاقة يقال أقرنت لهذا البعير أي أطقته .

[المعنى] ثم أكّد سبحانه ما قدّمه بقوله ﴿ والذي نزل من السماء ماء ﴾ أي غيثاً ومطراً ﴿ بقَدَرٍ ﴾ أي بقدر الحاجة لا زائداً عليها فيفسد ولا ناقصاً عنها فيضرّ ولا ينفع وفي ذلك دلالة على أنّه واقع من قادر مختار قد قدّره على ما تقتضيه الحكمة لعلمه بذلك ﴿ فأنشرنا ﴾ أي فأحيينا ﴿ به ﴾ أي بذلك المطر ﴿ بلدة ميتاً ﴾ أي جافّة يابسة بإخراج النبات والأشجار والزروع والثمار ﴿ كذلك ﴾ أي مثل ما أخرج النبات من الأرض اليابسة ﴿ تخرجون ﴾ من قبوركم يوم البعث ﴿ والذي خلق الأزواج كلها ﴾ يعني أزواج الحيوان من ذكر وأنثى وقيل معناه خلق الأشكال جميعها من الحيوان والجماد فمن الحيوان الذكر والأنثى ومن غير الحيوان ممّا هو كالمقابل كالحلو والمرّ والرطب واليابس وغير ذلك وقيل الأزواج الشتاء والصيف والليل والنهار والشمس والقمر والسماء والأرض والجنة والنار عن الحسن ﴿ وجعل لكم من الفلك ﴾ أي السفن ﴿ والانعام ﴾ من الإبل والبقر عن سعيد بن جبير وقيل الإبل ﴿ ما تركبون ﴾ في البحر والبر ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾ بيّن سبحانه أنّ الغرض في خلق ما ذكر لتستووا على ظهور ما جعل لكم فالضمير في ظهوره يعود إلى لفظ ما ﴿ ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه ﴾ فتشكروا على تلك النعمة التي هي تسخير ذلك المركب ﴿ وتقولوا ﴾ معترفين بنعمه منزّهين له عن شبه المخلوقين ﴿ سبحان الذي سخّر لنا هذا ﴾ المركب أي ذلّله لنا حتى ركبناه ﴿ وما كنّا له مقرنين ﴾ أي مطيقين مقاومين في القوّة ﴿ وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون ﴾ أي ولتقولوا أيضاً ذلك ومعناه وإنّا إلى الله راجعون في آخر عمرنا على مركب آخر وهو الجنازة قال قتادة قد علّمكم كيف تقولون إذا ركبتم وروي عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً في سفر كبّر ثلاثاً وقال سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وانّا إلى ربّنا لمنقلبون اللهمّ إنا نسألك في سفرنا هذا البرّ والتقوى والعمل بما ترضى اللّهمّ هوّن علينا سفرنا واطوِ عنّا بُعده اللهمّ أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال اللّهمّ إنّي أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال وإذا رجع قال آئبون تائبون لربّنا حامدون أورده مسلم في الصحيح وروى العياشي بإسناده عن أبي عبد الله (ع) قال ذكر النعمة أن تقول الحمد لله الذي هدانا للإسلام وعلّمنا القرآن ومنّ علينا بمحمد ﷺ وتقول بعده سبحان الذي سخّر لنا هذا إلى آخره ثم رجع سبحانه إلى ذكر الكفار الذين تقدّم ذكرهم فقال ﴿ وجعلوا له من عباده جزءاً ﴾

= ويدفنه فيتعجب الناس ويقولون : يا عجباً للميت الحيّ .

أي نصيباً يعني حكموا بأنّ بعض عباده وهم الملائكة له أولاد ومعنى الجعل هنا الحكم وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد والحسن قالوا زعموا أنّ الملائكة بنات الله قال الزجاج قد أنشد بعض أهل اللغة بيتاً يدلّ على أنّ معنى جزء معنى الإناث وهو :

إنّ أجْزأتْ حُرَّةٌ يَوْماً فَلا عَجَبٌ قَدْ تُجْزِىءُ الحُرَّةُ المِذْكَارُ أحْيانا[1]

أي أنثت وقيل أنّ معناه وجعلوا لله من مال عباده نصيباً فيكون كقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فحذف المضاف ﴿ إنّ الإنسان لكفور مبين ﴾ أي جاحد لنعم الله مظهر لكفره غير مستتر به .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ
بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ
لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن
يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ
شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ
مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر ينشّأ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين والباقون ينشأ بفتح الياء وسكون النون والتخفيف وقرأ أهل الكوفة وأبو عمر وعباد الرحمن والباقون عند الرحمن وقرأ أهل المدينة أأشهدوا على افعلوا بضم الهمزة وسكون الشين وقبلها همزة الاستفهام مفتوحة ثم تخفف الثانية من غير أن يدخل بينهما ألف وبعضهم يدخل

(١) المذكار: التي من عادتها أن تلد الذكور وكذلك الرجل. المراد أنه إن كانت الحرة مؤنثاً بأن خلقها الله أنثى فلا عجب فإن الحرة المذكار التي هي سبب الفخر تكون انثى قال في الكشاف: ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه « اجزئت المرئة » . الخ .

بينهما ألفاً وقرأ الباقون اشهدوا بفتح الألف والشين .

[الحجة] قال أبو علي يقال نشأت السحابة ونشأ الغلام فإذا نقل هذا الفعل بالهمزة كقوله ينشىء السحاب الثقال ثم أنشأناه خلقاً آخر تعدّى إلى مفعول ومن قرأ يُنشَّأ كان مثل فرّح وأفرح وغرّم وأغرم وموضع من نصب على تقدير اتخذوا له من ينشأ في الحلية على وجه التقريع لهم بما افتروه كما قال تعالى أم له البنات ولكم البنون وحجة من قرأ عباد الرحمن قوله ﴿ بل عباد مكرمون ﴾ وحجة من قرأ عند الرحمن قوله ﴿ ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ﴾ وقوله ﴿ إنّ الذين عند ربك لا يستكبرون ﴾ وفي هذا دلالة على رفع المنزلة والتقريب كما قال ﴿ ولا الملائكة المقرّبون ﴾ وليس من قرب المسافة وشهدت تستعمل على ضربين (أحدهما) بمعنى الحضور (والآخر) بمعنى العلم والذي بمعنى الحضور يتعدّى إلى مفعول به يدلّك على ذلك قوله «ويوم شهدناه سليماً وعامراً » تقديره شهدنا فيه سليماً ومن ذلك قوله :

شَهِدْنَا فَمَا تَلْقَى لَنَا مِنْ كَتِيبَةٍ يَدُ الدَّهْرِ إِلَّا جَبْرَئِيلُ أَمَامَهَا

فهذا محذوف المفعول والتقدير فيه شهدنا المعركة فهذا الضرب إذا نقل بالهمزة تعدّى إلى مفعولين تقول شهد زيد المعركة وأشهدته إياها ومن ذلك قوله ﴿ ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ﴾ وأما شهدت الذي بمعنى علمت فيستعمل على ضربين (أحدهما) أن يكون قسماً (والآخر) أن يكون غير قسم فاستعمالهم إيّاه قسماً كاستعمالهم علم الله ويعلم الله قسمين تقول علم الله لأفعلن فيتلقّاه ما يتلقّى الأقسام وأنشد سيبويه :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّتِي إِنَّ الْمَنَايَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا[1]

وحكي أنّ زفر كان يذهب إلى أنّه إذا قال أشهد بالله كان يميناً وإن قال أشهد ولم يقل بالله لم يره يمينا وقال محمد الشيباني أشهد غير موصولة بقوله بالله مثل أشهد موصولة بقولك بالله في أنه يمين واستشهد على ذلك بقوله ﴿ قالوا نشهد أنك لرسول الله ﴾ ثم قال ﴿ والله يشهد أن المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنة ﴾ فجعله يميناً ولم يوصل بقوله بالله وأما شهدت الذي يراد به علمت ولا يراد به حضرت فهو ضرب من العلم مخصوص فكل شهادة علم وليس كل علم شهادة وممّا يدل على اختصاصه في العلم أنّه لو قال عند الحاكم أعلم أنّ لزيد على عمرو عشرة لم يحكم بها حتى يقول أشهد فالشهادة مثل التيقن في أنه ضرب

(١) طاش السهم عن الهدف : جاز عنه ولم يصبه وما في هذه الصفحة من البيت والمصراع مذكور في جامع الشواهد .

من العلم مخصوص وليس كلّ علم تيقّناً وإن كان كل تيقّن علماً فكان معنى أشهد أيها الحاكم على كذا أعلمه علماً يحضرني وقد تذلّل لي فلا أتوقف فيه لوضوحه عندي وتبيّنه لي وليس كذلك سبيل المعلومات كلها ألا ترى أن منها ما يحتاج إلى توقف فيه واستدلال عليه وأما قوله ﴿ أشهدوا خلقهم ﴾ فمن الشهادة التي هي الحضور كأنّهم وبّخوا على أن قالوا ما لم يحضروه مما حكمه أن يعلم بالمشاهدة ومن قال أشهدوا خلقهم فالمعنى أحضروا ذلك وكان الفعل متعدياً إلى مفعولين فلما بني للمفعول به نقص مفعولاً فتعدّى الفعل إلى مفعول واحد ويقوّي هذه القراءة ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض وأما قوله إني أشهد الله وأشهدوا أني بريء فحذف المفعول[1] الأول على حدّ ضربني وضربت وهذا منقول من شهد بكذا إلا أنّ حرف الجرّ يحذف مع أن وان .

[المعنى] ثم أنكر سبحانه عليهم قولهم فقال ﴿ أم ﴾ وهذا استفهام انكار وتوبيخ ومعناه بل ﴿ اتّخذ مما يخلق بنات ﴾ أي اتّخذ ربكم لنفسه البنات ﴿ وأصفاكم ﴾ أي أخلصكم ﴿ بالبنين ﴾ وهذا كقوله أفأصفاكم ربكم بالبنين الآية ثم زاد في الاحتجاج عليهم بأن قال ﴿ وإذا بشّر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ﴾ أي بما جعل لله شبهاً وذلك أنّ ولد كل شيء شبهه وجنسه فالمعنى وإذا بشّر أحدهم بولادة ابنة له ﴿ ظلّ وجهه مسوداً ﴾ بما يلحقه من الغمّ بذلك ﴿ وهو كظيم ﴾ أي مملوء كرباً وغيظاً ثم وبّخهم بما افتروه فقال ﴿ أو من ينشّؤا في الحلية ﴾ أي أو جعلوا من ينشّؤ في الحلية أي في زينة النساء لله عزّ وجلّ يعني البنات ﴿ وهو في الخصام ﴾ يعني المخاصمة ﴿ غير مبين ﴾ للحجة قال قتادة قلّما تتكلم امرأة بحجّتها إلا تكلّمتْ بالحجة عليها أي لا يمكنها أن تبين الحجة عند الخصومة لضعفها وسفهها وقيل معناه أو تعبدون من ينشأ في الحلية ولا يمكنه أن ينطق بحجته ويعجز عن الجواب وهم الأصنام فإنّهم كانوا يحلّونها بالحلي عن ابن زيد وإنّما قال وهو في الخصام ولم يقل وهي لأنه حمله على لفظ من ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً ﴾ بأن زعموا أنّهم بنات الله ﴿ أشهدوا خلقهم ﴾ هذا ردّ عليهم أي أحضروا خلقهم حتى علموا أنهم إناث وهذا كقوله أم خلقنا الملائكة اناثاً وهم شاهدون ﴿ ستكتب شهادتهم ﴾ بذلك ﴿ ويسألون ﴾ عنها يوم القيامة ﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ﴾ أي لو شاء الرحمن أن لا نعبدهم ما عبدناهم فإنّما عبدناهم بمشيئة الله ﴿ ما لهم بذلك من علم ﴾ أي لا يعلمون

(١) كذا في النسخ والصواب مفعول الأول أي مفعول الفعل الأول وهو أشهد الله فإن جمعه أني بريء ليست مفعولاً أولا على أي تقدير .

صحّة ما يقولون هـذا إشارة إلى بـطلان قولهم لمّـا لم يصدر عن دليـل وعلم ﴿ ان هم الاّ يخرصون ﴾ أي ما هم إلا كاذبون قال أبـو حامـد كذّبهم الله تعـالى لأنهم أنكروا التـوحيد بإضافتهم الولد إليه سبحانه وفارقوا العدل بإضافتهم الكفر إلى مشيئة الله تعالى .

﴿ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا
مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا
مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ * قَـٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم
بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ
كَـٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر وحفص قال أولو وقرأ الباقون قل أولو وقرأ أبو جعفر جئناكم والباقون جئتكم .

[الحجة] قال أبو علي من قرأ قال فالمعنى قال لهم النذير أولو جئتكم ومن قرأ قل فإنّه يكون حكاية ما أوحي إلى النذير كأنّه أوحينا إليه فقلنا له قل لهم أولو جئتكم بأهدى من ذلك .

[المعنى] لمّا حكى الله سبحانه تخرّص من أضاف عبادة الأصنام والملائكة إلى مشيئة الله قـال ﴿ أم آتيناهم كتاباً ﴾ وهو استفهام بمعنى التقرير لهم على خطئهم والتقديـر أهذا الذي ذكروه شيء تخرّصوه وافتعلوه أم آتيناهم كتاباً ﴿ من قبله فهم به مستمسـكون ﴾ أي مستمسكون بذلك فإذا لم يمكنهم ادّعاء أنّ الله تعالى أنـزل بذلـك كتابـاً علم أنّ ذلك من تخرّصهم ودلّ أم على حذف حرف الاستفهام لأنّه المعادلة له ثم اعلم أنّهم اتّبعوا آباءهم في

الضلالة فقال ليس الأمر كذلك ﴿ بل قالوا انّا وجدنا آبائنا على أمّة ﴾ أي على ملة وطريقة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدّي وقيل على جماعة أي كانوا مجتمعين موافقين على ما نحن عليه عن الجبائي ﴿ وإنّا على آثارهم مهتدون ﴾ نهتدي بهداهم ثم قال سبحانه ﴿ وكذلك ﴾ أي ومثل ما قال هؤلاء في الحوالة على تقليد آبائهم في الكفر ﴿ ما أرسلنا من قبلك ﴾ يا محمد ﴿ في قرية ﴾ ومجمع من الناس ﴿ من نذير ﴾ أي نذيراً لأنّ من زائدة ﴿ إلا قال مترفوها ﴾ وهم المتنعّمون الذين آثروا الترفّه على طلب الحجة يريد الرؤساء ﴿ إنّا وجدنا آبائنا على أمّة وإنّا على آثارهم مقتدون ﴾ نقتدي بهم فلا نخالفهم وأحال جميعهم على التقليد للآباء فحسب دون الحجة والتقليد قبيح في العقول إذ لو كان جائزاً لكان يلزم في ذلك أن يكون الحق في الشيء ونقيضه فكلّ فريق يقلّد أسلافه مع أنّ كلاً منهم يعتقد أن من سواه على خطأ وضلال وهذا باطل لا شبهة في بطلانه فإذاً لا بدّ من الرجوع إلى حجة عقلية أو سمعية ثم قال سبحانه للنذير ﴿قل﴾ لهم ﴿أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آبائكم ﴾ تتّبعون ما وجدتم عليه آباءكم ولا تقبلون ما جئتكم به وفي هذا أحسن التلطف في الاستدعاء إلى الحق وهو أنّه لو كان ما يدّعونه حقاً وهدى وكان ما جئتكم به من الحق أهدى منه كان أوجب أن يتبع ويرجع إليه ثم أخبر انّهم أبوا أن يقبلوا ذلك ﴿ وقالوا إنّا بما أرسلتم به ﴾ أيها الرسل ﴿ كافرون ﴾ ثم ذكر سبحانه ما فعل بهم فقال ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ بان أهلكناهم وعجّلنا عقوبتهم ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المكذّبين ﴾ أنبياء الله والجاحدين لهم وفي هذا إشارة إلى أنّ العاقبة المحمودة تكون لأهل الحق والمصدّقين لرسل الله .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا
تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ
بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ
ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾

[اللغة] تقول العرب انا براء منك ونحن براء منك الذكر والأنثى والاثنان والجماعة

فيه سواء والمعنى أنا ذو براء منك كما قالوا رجل عدل[١] وقوم عدل أي ذو عدل[٢] وذوو عدل .

[المعنى] ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه ﴾ حين رآهم يعبدون الأصنام والكواكب ﴿ إنّني براء ﴾ أي بريء ﴿ مما تعبدون ﴾ ثم إستثنى خالقه من جملة ما كانوا يعبدون فقال ﴿ إلا الذي فطرني ﴾ أي سوى الله الذي خلقني وابتدأني وتقديره إلا من الذي فطرني قال قتادة: كانوا يقولون الله ربّنا مع عبادتهم الأوثان ﴿فإنه سيهديني﴾ إلى طريق الجنة بلطف من ألطافه وقيل سيهديني إلى الحق بما نصب لي من الأدلة وفيه بيان ثقته بالله تعالى ودعاء لقومه إلى أن يطلبوا الهداية من عنده ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ أي جعل كلمة التوحيد وهي قول لا إله إلا الله كلمة باقية في ذرّية إبراهيم ونسله فلم يزل فيهم من يقولها عن قتادة ومجاهد والسدّي وقيل جعل هذه الكلمة التي قالها إبراهيم وهو براءة من الشرك باقية في ولده من بعده وقيل الكلمة الباقية في عقبه هي الإمامة إلى يوم الدين عن أبي عبد الله (ع) واختلف في عقبه من هم فقيل ذرّيته وولده عن ابن عباس ومجاهد وقيل ولده إلى يوم القيامة عن الحسن وقيل هم آل محمد عن السدي ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أي لعلهم يتوبون ويرجعون عما هم عليه إلى الإقتداء بأبيهم إبراهيم في توحيد الله تعالى كما إقتدى الكفار بآبائهم عن الفرّاء والحسن وقيل لعلهم يرجعون عما هم عليه إلى عبادة الله تعالى ثم ذكر سبحانه نعمه على قريش فقال ﴿ بل متّعت هؤلاء وآبائهم ﴾ المشركين بأنفسهم وأموالهم وأنواع النعم ولم أعاجلهم بالعقوبة لكفرهم ﴿ حتى جاءهم الحق ﴾ أي القرآن عن السدّي وقيل الآيات الدالة على الصدق ﴿ ورسول مبين ﴾ يبين الحق ويظهره وهو محمد ﷺ ﴿ ولمّا جاءهم الحق ﴾ أي القرآن ﴿ قالوا هذا سحر ﴾ أي حيلة خفيّة وتمويه ﴿وإنّا به كافرون ﴾ جاحدون لكونه من قبل الله تعالى .

[النظم] وجه إتّصال قصّة إبراهيم (ع) بما قبلها أنّه سبحانه لمّا ذمّ التقليد وأوجب إتّباع الحق والدليل إتبعه بذكر إبراهيم الخليل حيث إتبع الحجة وأوضح المحجّة وقيل أنّه سبحانه لمّا ذمّ التقليد وذكر أنّ الكفار أبوا إلا ذلك ذكر أنّ تقليد إبراهيم أولى لأنّهم من أولاده وذرّيته ويدّعون إنّهم على طريقته وإنّما اتّصل قوله ﴿ بل متعت هؤلاء وآباءهم ﴾ بما تقدّمه من ذكر أعراضهم عن الحجة وتعويلهم على التقليد فبيّن سبحانه أنهم أتوا من قبل نفوسهم فقد أزيحت علّتهم بأن أمهلوا ومتّعوا ثم جاءهم الحق فلم يؤمنوا .

---

(١) [وامرأة عدل] .

(٢) [وذات عدل] .

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ
هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ
رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا
بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ
وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ
أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ
وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا
يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ
وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر سقفاً بفتح السين والباقون سقفاً بضم السين والقاف وقرأ عاصم وحمزة وإن كلّ ذلك لمّا بتشديد الميم والباقون لما خفيفة الميم .

[الحجة] قال أبو علي سُقُف جمع سقف مثل رُهُن ورهن ويخفف فيقال رهن وفعل في الجمع يخفف وسقف واحد يدلّ على الجمع ألا ترى أنه علم بقوله ﴿ لبيوتهم إنّ لكل بيت سقفاً ﴾ ومن شدّد لمّا كانت أن عنده بمنزلة ما النافية فالمعنى ما كلّ ذلك إلا متاع الحياة الدنيا ولمّا في معنى إلا حكى سيبويه نشدتك الله لمّا فعلت وحمله على إلا وهذه الآية تدلّ على فساد قول من قال إنّ قوله ﴿ وإن كل لمّا جميع لدينا محضرون ﴾ إنّ المعنى لمن هو جميع لدينا حاضرون وزعموا أن في حرف أبيّ،وما ذلك إلا متاع الحياة الدنيا ومن قرأ لما بالتخفيف فإنّ إن في قوله وإن كل هي المخففة من الثقيلة واللام فيها هي التي تدخل لتفصل بين النفي والإيجاب في قوله « هبلتك أمك أن قتلت لفارساً » ومن نصب بها مخففة فقال إن زيداً لمنطلق استغنى عن هذه اللام لأن النافية لا ينتصب بعدها إسم فلا يقع اللبس وما فيه زيادة والمعنى وإنّ كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا .

[اللغة] المعارج الدرج واحدها معرج والعروج الصعود وظهر عليه إذا علاه وصعده قال النابغة الجعدي :

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وجُدُودُنَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذٰلِكَ مَظْهَرا[1]

والسُّرُر جمع سرير ويجمع على أسرّة أيضاً والزخرف كمال حسن الشيء ومنه قيل للذهب زخرف ويقال زخرفه زخرفة إذا حسّنه وزيّنه ومنه قيل للنقوش والتصاوير زخرف وفي الحديث أنّه ﷺ لم يدخل الكعبة حتى أمر بالزخرف فنحي .

[المعنى] ﴿ وقالوا ﴾ أي وقال هؤلاء الكفار ﴿ لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ يعنون بالقريتين مكة والطائف وتقدير الآية على رجل عظيم من القريتين أي من إحدى القريتين فحذف المضاف ويعنون بالرجل العظيم من إحدى القريتين الوليد بن المغيرة من مكّة وأبا مسعود عروة بن مسعود الثقفي من الطائف عن قتادة وقيل عتبة بن أبي ربيعة من مكة وابن عبد يا ليل من الطائف عن مجاهد وقيل الوليد بن المغيرة من مكة وحبيب بن عمر الثقفي من الطائف عن ابن عباس وإنما قالوا ذلك لأنّ الرجلين كانا عظيمي قومهما وذوي الأموال الجسيمة فيهما فدخلت الشبهة عليهم حتى اعتقدوا أن من كان كذلك كان أولى بالنبوّة فقال سبحانه ردّاً عليهم ﴿ أهم يقسمون رحمة ربّك ﴾ يعني النبوّة بين الخلق بيّن سبحانه أنه هو الذي يقسم النبوّة لا غيره والمعنى ابأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاءوا عن مقاتل ثم قال سبحانه ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾ أي نحن قسمنا الرزق في المعيشة على حسب ما علمناه من مصالح عبادنا فليس لأحد أن يتحكم في شيء من ذلك فكما فضّلنا بعضهم على بعض في الرزق فكذلك اصطفينا للرسالة من نشاء وقوله ﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ﴾ معناه أفقرنا البعض واغنينا البعض فتلقى ضعيف الحيلة عيّي اللسان وهو مبسوط له وتلقى شديد الحيلة بسيط اللسان وهو مقتر عليه ولم نفوّض ذلك إليهم مع قلّة خطره بل جعلناه على ما توجبه الحكمة والمصلحة فكيف نفوّض إختيار النبوة إليهم مع عظم محلّها وشرف قدرها وقوله ﴿ ليتّخذ بعضهم بعضاً سخرياً ﴾ معناه أنّ الوجه في اختلاف الرزق بين العباد في الضيق والسعة زيادة على ما فيه من المصلحة أنّ في ذلك تسخيراً من بعض العباد لبعض بإحواجهم إليهم

(١) جدود جمع جد : وهو بمعنى الحظ والبخت والعظمة ومجدنا وجدودنا إمّا منصوبان مفعولان له لقوله : بلغنا وأما مرفوعان يدلان عن ضمير بلغنا .

يستخدم بعضهم بعضاً فينتفع أحدهم بعمل الآخر له فينتظم بذلك قوام أمر العالم وقيل معناه ليملك بعضهم بعضاً بما لهم فيتّخذونهم عبيداً ومماليك عن قتادة والضحاك ﴿ **ورحمة ربّك خير ممّا يجمعون** ﴾ أي ورحمة الله سبحانه ونعمته من الثواب والجنة خير مما يجمعه هؤلاء من حطام الدنيا وقيل معناه والنبوة لك من ربك خير مما يجمعونه من الأموال عن ابن عباس ثم أخبر سبحانه عن هوان الدنيا عليه وقلّة مقدارها عنده فقال ﴿ **ولولا أن يكون الناس أمّة واحدة** ﴾ أي لولا أن يجتمع الناس على الكفر فيكونوا كلّهم كفّاراً على دين واحد لميلهم إلى الدنيا وحرصهم عليها عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدّي وقيل معناه ولولا أن يجتمع الناس على إختيار الدنيا على الدين عن ابن زيد ﴿ **لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضّة**﴾ قوله لبيوتهم بدل من قوله لمن يكفروالمعنى لجعلنا لبيوت من يكفربالرحمن سقفاً من فضّة فالسقف إذا كان من فضّة فالحيطان من فضّة وقيل إن اللام الثانية بمعنى على فكأنّه قال لجعلنا لمن يكفربالرحمن على بيوتهم سقفاً من فضّة وقال مجاهد ما يكون من السماء فهو سقف بالفتح وما يكون من البيت فهو سُقف بضمتين ومنه قوله ﴿**وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً** ﴾ ﴿ **ومعارج عليها ينظرون** ﴾ أي وجعلنا درجاً وسلاليم من فضّة لتلك السقف عليها يعلون ويصعدون ﴿ **ولبيوتهم أبواباً وسرراً** ﴾ أي وجعلنا لبيوتهم أبواباً وسرراً من فضّة ﴿ **عليها** ﴾ أي على تلك السرر ﴿ **يتّكئون وزخرفاً** ﴾ أي ذهباً عن ابن عباس والضحاك وقتادة وهو منصوب بفعل مضمر أي وجعلنا لهم مع ذلك ذهباً وقيل الزخرف النقوش عن الحسن وقيل هو الفرش ومتاع البيت عن ابن زيد والمعنى لأعطي الكافر في الدنيا غاية ما يتمنّاه فيها لقلّتها وحقارتها عنده ولكنّه سبحانه لم يفعل ذلك لما فيه من المفسدة ثم أخبر سبحانه أنّ جميع ذلك إنما يتمتع به في الدنيا فقال ﴿ **وإن كلّ ذلك لما متاع الحياة الدنيا** ﴾ وقد مرّ بيانه ﴿ **والآخرة** ﴾ أي الجنة الباقية ﴿ **عند ربّك للمتقين** ﴾ خاصّة لهم قال الحسن والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل سبحانه ذلك فكيف لو فعله وفي هذه الآية[1] دلالة على اللطف وأنّه تعالى لا يفعل المفسدة وما يدعو إلى الكفر وإذا لم يفعل ما يؤدّي إلى الكفر فلأن لا يفعل الكفر ولا يريده أولى .

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ
نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ

(١) وفي المخطوطة : هذه الآيات .

ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ
ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ
تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾

[القراءة] قرأ عاصم في رواية حمّاد ويعقوب يقيّض بالياء والباقون نقيّض بالنون وقرأ أهل العراق غير أبي بكر حتّى إذا جاءنا على الواحد والباقون جاءآنا على الإثنين .

[الحجة] من قرأ يقيّض بالياء فالضمير يعود إلى الرحمن ومن قرأ بالنون فالمعنى على ذلك لكنّه سبحانه أخبر عن نفسه بنون العظمة ومن قرأ جاءآنا على التثنية فهو الكافر وقرينه ومن قرأ جاءنا فهو الكافر لأنّه أفرد بالخطاب في الدنيا وأقيمت عليه الحجة بإنفاذ الرسول إليه فاجتزىء بالواحد عن الإثنين كما قال لينبذنّ في الحطمة والمراد لينبذنّ هو وماله .

[اللغة] العشو أصله النظر ببصر ضعيف يقال عشى يعشو عشواً وعُشُوّاً إذا ضعف بصره وأظلمت عينه كأنّ عليها غشاوة وقال الأعشى :

مَتى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ

وإذا ذهب البصر قيل عشي يعشى عشاً والرجل أعشى وقرأ في الشواذ ومن يعش بفتح الشين ومعناه يَعْمَ ويقال عشى إلى النار إذا أتاها وقصد لها وعشى عنها إذا أعرض عنها قاصداً لغيرها كقولهم مال إليه ومال عنه والتقييض الإتاحة . الأزهري قيّض الله فلاناً لفلان جاء به .

[المعنى] لما تقدّم ذكر الوعد للمتقين عقّبه بذكر الوعيد لمن هو على ضدّ صفتهم فقال ﴿ ومن يعشُ عن ذكر الرحمن ﴾ أي يعرض عنه عن قتادة والسدّي وقيل معناه ومن يعم عنه عن ابن عباس وابن زيد قال الجبائي شبههم بالأعمى لما لم يبصروا الحق والذكر هو القرآن وقيل هو الآيات والأدلّة ﴿ نقيّض له شيطاناً فهو له قرين ﴾ أي نخلّ بينه وبين الشيطان الذي يغويه ويدعوه إلى الضلالة فيصير قرينه عوضاً عن ذكر الله عن الحسن وأبي مسلم قال الحسن وهو الخذلان عقوبة له عن الإعراض حين علم أنه لا يفلح وقيل معناه نقرن به شيطاناً

في الآخرة يلزمه فيذهب به إلى النار كما أن المؤمن يقرن به ملك فلا يفارقه حتى يصير به إلى الجنة عن قتادة وقيل أراد به شياطين الأنس نحو علماء السوء ورؤساء الضلالة يصدّونهم عن سبيل الله فيتبعونهم ﴿ وإنهم ﴾ يعني وإنّ الشياطين وإنما جمع لأن قوله ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً ﴾ في مذهب جمع وإن كان اللفظ على الواحد ﴿ ليصدّونهم ﴾ أي يصرفون هؤلاء الكفار ﴿ عن السبيل ﴾ أي عن طريق الجنة[1] ﴿ ويحسبون أنّهم مهتدون ﴾ أي ويحسب الكفار أنّهم على الهدى فيتبعونهم ﴿ حتى إذا جاءنا ﴾ من قرأ على التثنية فالمعنى جاءنا الشيطان ومن أغواه يوم القيامة الذي يتولّى سبحانه حساب الخلق فيه ومن قرأ على التوحيد فالمعنى حتى إذا جاءنا الكافر وعلم ما يستحقّه من العقاب ﴿ قال ﴾ في ذلك الوقت لقرينه الذي أغواه ﴿ يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين ﴾ يعني المشرق والمغرب فغلب أحدهما كما قال الشاعر :

أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ ... لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ

يعني الشمس والقمر وقيل يعني محمداً ﷺ وإبراهيم (ع) وقيل أراد بالمشرقين مشرق الشتاء ومشرق الصيف كما في قوله ﴿رب المشرقين﴾ والمراد يا ليت بيني وبينك هذا البعد مسافة فلم أرك ولا اغتررت بك ﴿فبئس القرين﴾ كنت لي في الدنيا حيث أضللتني وأوردتني النار وبئس القرين أنت لي اليوم فإنهما يكونان مشدودين في سلسلة واحدة زيادة عقوبة وغمّ عن ابن عباس ويقول الله سبحانه في ذلك اليوم للكفار ﴿ ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنّكم في العذاب مشتركون ﴾ أي لا يخفّف الإشتراك عنكم شيئاً من العذاب لأنّ لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الأوفر من العذاب وقيل معناه أنّه لا تسلّى لهم عما هم فيه بما يرونه بغيرهم من العذاب لأنه قد يتسلّى الإنسان عن المحنة إذا رأى إنّ عدوّه في مثلها ثم قال لنبيه ﷺ ﴿أفأنت تسمع الصمّ أو تهدي العمي ﴾ شبّه الكفار في عدم انتفاعهم بما يسمعونه ويرونه بالصمّ والعمي ﴿ ومن كان في ضلال مبين ﴾ أي بيّن ظاهر مضاف[2] معناه لا يضيقنّ صدرك فإنّك لا تقدر على إكراههم على الإيمان .

﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ

(١) وفي نسخة طريق الحق .

(٢) ليس في نسختين : لفظة مضاف .

إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

[**الإعراب**] لمّا دخل ما على حرف الشرط أشبه القسم في التأكيد والإيذان بطلب التصديق فدخلت النون في الكلام لذلك لأنّ النون يلزم في جواب القسم ولا يلزم في الجزاء لأنه مشبّه به .

[**المعنى**] ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال ﴿ **فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون** ﴾ أي فإمّا نتوفّينّك فإنا منهم منتقمون من أمّتك بعدك ﴿ **أو نرينّك الذي وعدناهم** ﴾ معناه أو نبقينّك ونرينّك في حياتك ما وعدناهم من العذاب ﴿ **فإنّا عليهم مقتدرون** ﴾ أي قادرون على الإنتقام منهم وعقوبتهم في حياتك وبعد وفاتك قال الحسن وقتادة أنّ الله أكرم نبيّه ﷺ بأن لم يُره تلك النقمة ولم ير في أمته إلا ما قرّت به عينه وقد كان بعده نقمة شديدة وقد روي أنّه ﷺ أُري ما تلقى أمّته بعده فما زال منقبضاً ولم ينبسط ضاحكاً حتّى لقي الله تعالى وروى جابر بن عبد الله الأنصاري قال إنّي لأدناهم من رسول الله ﷺ في حجّة الوداع بمنى حتى قال لا ألفينّكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنّني في الكتيبة التي تضاربكم ثم إلتفت إلى خلفه فقال أو علي أو علي ثلاث مرّات فرأينا أن جبرائيل غمزه فأنزل الله على أثر ذلك فإمّا نذهبّن بك فإنّا منهم منتقمون بعلي بن أبي طالب (ع) وقيل إنّ النبي ﷺ أري الإنتقام منهم وهو ما كان من نقمة الله من المشركين يوم بدر بعد أن أخرجوه من مكة فقد أسر منهم وقتل من قلّة أصحابه وضعف مُنَتهم[1] وكثرة الكفار وشدة شوكتهم ثم أمره سبحانه بالتمسك بالقرآن فقال ﴿ **فاستمسك بالذي أوحي إليك** ﴾ من القرآن بأن تتلوه حقّ تلاوته وتتبع أوامره وتنتهي عما نهي فيه عنه ﴿ **إنك على صراط مستقيم** ﴾ أي على دين حقّ وصواب وهو دين الإسلام ﴿ **وإنّه لذكر لك ولقومك** ﴾ أي وإن القرآن الذي أوحي إليك لشرف لك ولقومك من قريش عن ابن عباس والسُدّي وقيل لقومك أي للعرب لأنّ القرآن نزل بلغتهم ثم يختصّ بذلك الشرف الأخصّ من العرب حتى يكون الشرف لقريش أكثر من غيرهم ثم لبني هاشم أكثر مما يكون لقريش ﴿ **وسوف**

(١) المنّة بالضم القوة وبمعنى الضعف أيضاً فهي من الأضداد .

تسئلون ﴾ عن شكر ما جعله الله لكم من الشرف عن الكلبي والزّجاج وغيرهما وقيل تسألون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقّه ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ﴾ معناه سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلنا إليهم الرسل هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد وهو قول أكثر المفسّرين والتقدير سل أمم من أرسلنا أو اتباع من أرسلنا فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وقيل إنّ المراد سل أهل الكتابين التوراة والإنجيل وإن كانوا كفّاراً فإنّ الحجّة تقوم بتواتر خبرهم والخطاب وإن توجّه إلى النبي ﷺ فالمراد به الأمة أي سلوا من ذكرنا ﴿ أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ أي هل جعلنا فيما مضى معبوداً سوى الله يعبده قوم فإنّهم يقولون إنّا لم نأمرهم بذلك ولا تعبّده هم به وقيل معناه وسل الأنبياء وهم الذين جمعوا له ليلة الأسرى وكانوا تسعين نبيّاً منهم موسى وعيسى ولم يسألهم ﷺ لأنّه كان أعلم بالله منهم عن الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾
وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ
عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا
هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى
مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ
أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ
أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾

فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾

[القراءة] قرأ حفص ويعقوب وسهل أسورة والباقون أساورة .

[الحجة] الأسورة جمع سوار مثل سقاء وأسقية وخوان وأخونة ومن قرأ أساورة جعله جمع أسوار فتكون الهاء عوضاً عن الياء الّتي كانت ينبغي أن تلحق في جمع أسوار على حدّ أعصار وأعاصير ويجوز في أساورة أن يكون جمع أسورة فيكون مثل أسقية وإساق ولحق الهاء كما لحق في قشعم وقشاعمة[1] .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه حديث موسى (ع) فقال ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ﴾ أي بالحجج الباهرة والمعجزات القاهرة ﴿ إلى فرعون وملئه ﴾ أي أشراف قومه وخصّ الملأ بالذكر وإن كان أيضاً مرسلاً إلى غيرهم لأنّ من عداهم تبع لهم ﴿ فقال ﴾ موسى ﴿ إنّي رسول ربّ العالمين ﴾ أرسلني إليكم ﴿ فلما جاءهم بآياتنا ﴾ أي فلما أظهر المعجزات التي هي اليد البيضاء والعصا ﴿ إذ هم منها يضحكون ﴾ إستهزاءً واستخفافاً وجهلاً منهم بما عليهم من ترك النظر فيها وبما لهم من النفع بحصول العلم بها ﴿ وما نُريهم من آية إلّا هي أكبر من أختها ﴾ المراد بذلك ما ترادف عليهم من الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم والطمس وكانت كل آية من هذه الآيات أكبر من التي قبلها وهي العذاب المذكور في قوله ﴿ وأخذناهم بالعذاب لعلّهم يرجعون ﴾ لأنّهم عذّبوا بهذه الآيات وكانت عذاباً لهم ومعجزات لموسى (ع) فغلب عليهم الشقاء ولم يؤمنوا ﴿ وقالوا يا أيّها الساحر ﴾ يعنون بذلك يا أيّها العالم وكان الساحر عندهم عظيماً يعظّمونه ولم يكن صفة ذمّ عن الكلبي والجبائي وقيل إنما قالوا إستهزاء بموسى (ع) عن الحسن وقيل معناه يا أيّها الذي سلبنا بسحره تقول العرب خاصمته فخصمته وحاججته فحججته فكذلك ساحرته[2] وأرادوا أنه غالب السحرة فغلبهم بسحره ﴿ ادع لنا ربّك بما عهد عندك ﴾ أي بما زعمت أنه عهد عندك وهو أنه ضمن لنا أنّا إذا آمنّا بك أن يكشف العذاب عنّا ﴿ إنّنا لمهتدون ﴾ أي راجعون إلى الحق الذي تدعونا إليه متى كشف عنّا العذاب وفي الكلام حذف لأنّ التقدير فدعا موسى وسأل ربه أن يكشف عنهم ذلك العذاب فكشف الله عنهم ذلك ﴿ فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون ﴾ أي يغدرون وينقضون العهد وفي هذا تسلية للنبي ﷺ والمعنى فاصبر يا محمد على أذى قومك فإنّ حالك معهم كحال موسى مع قومه فيؤول أمرك إلى الاستعلاء

(١) القشعم المُسن من الرجال والنسور ـ والضخم ـ والأسد .
(٢) [فسحرته] .

على قومك كما آل أمره إلى ذلك ﴿ ونادى فرعون في قومه ﴾ معناه أنّه لما رأى أمر موسى يزيد على الأيام ظهوراً واعتلاء خاف على مملكته فأظهر الخداع فخطب الناس بعدما اجتمعوا ﴿ وقا يا قوم أليس لي ملك مصر ﴾ أتصرّف فيها كما أشاء أراد بذلك إظهار بسطته في الملك والمال ﴿ وهذه الأنهار ﴾ مثل النيل وغيرها ﴿ تجري من تحتي ﴾ أي من تحت أمري وقيل إنّها كانت تجري تحت قصره وهو مشرف عليها ﴿ أفلا تبصرون ﴾ هذا الملك العظيم وقوّتي وضعف موسى ﴿ أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ﴾ أي ضعيف حقير يعني به موسى قال سيبويه والخليل عطف أنا بأم على قوله ﴿ أفلا تبصرون ﴾ لأنَّ معنى أم أنا خير معنى أم تبصرون فكأنّه قال أفلا تبصرون أم تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير منه فقد صاروا بصراء عنده وقيل المهين الفقير الذي يمتهن نفسه في جميع ما يحتاج إليه ليس له من يكفيه أمره ﴿ ولا يكاد يبين ﴾ أي ولا يكاد يفصح بكلامه وحججه للعقدة التي في لسانه وقال الحسن كانت العقدة زالت عن لسانه حين أرسله الله كما قال مخبراً عن نفسه وأحلل عقدة من لساني ثم قال قد أوتيت سؤلك يا موسى وإنما عيَّره بما كان في لسانه قبل وقيل كان في لسانه لُثْغَة[1] فرفعه[2] الله تعالى وبقي فيه ثقل عن الجبائي ﴿ فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب ﴾ أي هلاّ طرح عليه أسورة من ذهب إن كان صادقاً في نبوّته وكان إذا سوّدوا رجُلاً سوّروه بسوار من ذهب وطوّقوه بطوق من ذهب ﴿ أو جاء معه الملائكة مقترنين ﴾ متتابعين يعينونه على أمره الذي بعث له ويشهدون له بصدقه وقيل متعاضدين متناصرين كلّ واحد منهم يمالىء صاحبه ﴿ فاستخف قومه ﴾ ومعناه إنّ فرعون استخفّ عقول قومه ﴿ فأطاعوه ﴾ فيما دعاهم إليه لأنه احتجّ عليهم بما ليس بدليل وهو قوله ﴿ أليس لي ملك مصر ﴾ إلى آخره ولو عقلوا لقالوا ليس في ملك الإنسان دلالة على أنّه محقّ وليس يجب أن يأتي مع الرسل ملائكة لأنّ الذي يدلّ على صدق الرسل هو المعجز دون غيره ﴿ إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ أي خارجين عن طاعة الله تعالى .

[النظم] وجه اتّصال قصة موسى (ع) بما قبلها أنّه لما تقدّم السؤال عن أحوال الرسل وما جاؤا به إتّصل به حديث موسى وعيسى (ع) لأنّ أهل الكتابين إليهما ينتسبون وقيل أنّه لمّا تقدّم ذكر محمد ﷺ وتكذيب قومه إيّاه ذكر حديث موسى تسلية له وتطيباً لقلبه ﷺ .

---

(١) اللثغة : ثقل اللسان بالكلام . تحوّل اللسان من السين إلى الثاء أو من الراء إلى الغين أو من حرف إلى حرف .

(٢) كذا في النسخ ولعل تذكير الضمير باعتبار الثقل .

﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ * وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

[القراءة] قرأ حمزة والكسائي سلفاً بضم السين واللام وقرأ الباقون بفتحهما وقرأ أهل المدينة وابن عامر والأعشى والبرجمي والكسائي وخلف يصدّون بضم الصاد والباقون بكسر الصاد .

[الحجة] من قرأ سلفاً جاز أن يكون جمعاً لسلف مثل أسد وأُسُد ووثن ووُثُن ومن قرأ سلفاً فلأنّ فعلاً قد جاء في حروف يراد بها الكثرة فكأنّه إسم من أسماء الجمع قالوا خادم وخدم وطالب وطلب وحارس وحرس وكذلك المثل واحد يراد به الجمع ولذلك عطف على سلف في قوله ﴿ فجعلناهم سلفاً ﴾ ومثلاً ومعنى يصدّون ويصدّون جميعاً يضجّون عن أبي عبيدة قال والكسر أجود ويقال صدّ عن كذا فيوصل بعن كما قال الشاعر :

صَدَدْتِ الْكَأْسَ عنّا أُمَّ عَمْرو وَكانَ الكَأْسُ مَجْراهَا الْيَمِينا[1]

وصدّوا عن سبيل الله فمن ذهب في يصدّون إلى معنى يعدلون كان المعنى إذا قومك منه أي من أجل المثل يصدّون ولم يوصل يصدّون بعن ومن قال يصدّون يضجّون جعل من متّصلة بيضجّ كما تقول يضجّ من كذا وقال بعض المفسّرين معنى يصدّون يضجّون والمعنى أنّه لما نزل إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية لأنّها إتخذت آلهة وعبدت فعيسى في حكمهم قال ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك في هذا الذي قالوه منه

(١) أي عملت يا أم عمرو خلاف العادة ولم تجريها على العادة وكانت العادة في الكاس أن تدار في مجلس الشرب من جانب اليمين إلى اليسار وفي أصل الديوان صبيْت وهو أيضاً بمعنى صرفت .

يضحكون لما أتوا به من عندهم من تسويتهم بين عيسى وبين آلهتهم وما ضربوه إلا إرادة للمجادلة لأنهم قد علموا أن المراد بحصب جهنم ما إتخذوا من الموات .

[اللغة] يقال آسفة فأسف يأسف أسفاً أي أغضبه فغضب وأحزنه فحزن ويقال الأسف الغيظ من المغتمّ إلا أنه هاهنا بمعنى الغضب والسلف المتقدم على غيره قبل مجيء وقته ومنه السلف في البيع والسلف نقيض الخلف والجدل مقابل الحجة بالحجة وقيل الجدل اللدد في الخصام وأصله من جدل الحبل وهو شدة فتله ورجل مجدول الخلق أي شديده وقيل أصله من الجدالة وهي الأرض كأنّ كل واحد من الخصمين يروم إلقاء صاحبه على الجدالة .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن إنتقامه من فرعون وقومه فقال ﴿ فلمّا آسفونا ﴾ أي أغضبونا عن ابن عباس ومجاهد وغضب الله سبحانه على العصاة إرادة عقوبتهم ورضاه عن المطيعين إرادة ثوابهم الذي يستحقّونه على طاعتهم وقيل معناه آسفوا رسلنا لأن الأسف بمعنى الحزن لا يجوز على الله سبحانه ﴿ انتقمنا منهم ﴾ أي إنتقمنا لأوليائنا منهم ﴿ فأغرقناهم أجمعين ما نجا منهم أحد ﴾ ﴿ فجعلناهم سلفاً ﴾ أي متقدّمين إلى النار ﴿ ومثلاً ﴾ أي عبرة وموعظة ﴿ للآخرين ﴾ أي لمن جاء بعدهم يتّعظون بهم والمعنى أنّ حال غيرهم يشبه حالهم إذا أقاموا على العصيان ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً ﴾ إختلف في المراد به على وجوه (أحدها) أن معناه ولما وصف ابن مريم شبهاً في العذاب بالآلهة أي فيما قالوه على زعمهم وذلك أنه لمّا نزل قوله ﴿إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم﴾ قال المشركون قد رضينا بأن تكون آلهتنا حيث يكون عيسى وذلك قوله ﴿إذا قومك منه يصدون﴾ أي يضجّون ضجيج المجادلة حيث خاصموك وهو قوله ﴿ وقالوا آآلهتنا خير أم هو ﴾ أي ليست آلهتنا خيراً من عيسى فإن كان عيسى في النار بأنه يعبد من دون الله فكذلك آلهتنا عن ابن عباس ومقاتل (وثانيها) أن معناه لما ضرب الله المسيح مثلاً بآدم في قوله ﴿ إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ﴾ أي من قدر على أن ينشيء آدم من غير أب وأمّ قادر على إنشاء المسيح من غير أب إعترض على النبي ﷺ بذلك قوم من كفار قريش فنزلت هذه الآية (وثالثها) أنّ معناه أنّ النبي ﷺ لمّا مدح المسيح وأمّه وانه كآدم في الخاصّيّة قالوا إنّ محمداً يريد أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى عن قتادة (ورابعها) ما رواه سادة أهل البيت عن علي عليهم أفضل الصلوات أنه قال جئت إلى رسول الله ﷺ يوماً فوجدته في ملأ من قريش فنظر إليّ ثم قال يا علي إنّما مثلك في هذه الأمّة كمثل عيسى بن مريم أحبّه قوم فأفرطوا في حبّه فهلكوا وأبغضه قوم فأفرطوا في بغضه فهلكوا واقتصد فيه قوم فنجوا فعظم

ذلك عليهم فضحكوا وقالوا يشبّهه بالأنبياء والرسل فنزلت الآية وقالوا آآلهتنا خير أم هو أي آلهتنا أفضل أم المسيح فإذا كان المسيح في النار رضينا أن تكون آلهتنا معه عن السدّي وابن زيد وقيل معناه أن آلهتنا خير من المسيح فإذا عبد المسيح جاز أن تعبد آلهتنا عن الجبائي وقيل هو كناية عن محمد ﷺ والمعنى آلهتنا خير من محمد ﷺ وهو يأمرنا بأن نعبده كما عبد النصارى المسيح ونطيعه ونترك آلهتنا عن قتادة وقال علي بن عيسى معنى سؤالهم بقولهم آآلهتنا خير أم هو أنهم ألزموا ما لا يلزم على ظنّ منهم وتوهّم كأنّهم قالوا ومثلنا فيما نعبد مثل ما يعبد المسيح فأيّما خير عبادة آلهتنا أم عبادة المسيح على أنه إن قال عبادة المسيح أقرّ بعبادة غير الله وكذلك أن قال عبادة الأوثان وإن قال ليس في عبادة المسيح خير قصر به عن المنزلة التي أبين لأجلها من سائر العباد وجوابهم عن ذلك أنّ إختصاص المسيح بضرب من التشريف والإنعام عليه لا يوجب العبادة له كما لا يوجب أن ينعم عليه بأعلى مراتب النعمة ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً ﴾ أي ما ضربوا هذا المثل لك إلا ليجادلوك به ويخاصموك ويدفعوك به عن الحقّ لأنّ المتجادلَين لا بدّ أن يكون أحدهما مبطلاً بخلاف المتناظرَين لأنّ المناظرة قد تكون بين المحقّيَن ﴿ بل هم قوم خصمون ﴾ أي جدلون في دفع الحقّ بالباطل ثم وصف سبحانه المسيح فقال ﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ﴾ أي ما هو إلا عبد أنعمنا عليه بالخلق من غير أب وبالنبوّة ﴿ وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ﴾ أي آية لهم ودلالة يعرفون بها قدرة الله تعالى على ما يريد حيث خلقه من غير أب فهو مثل لهم يشبّهون به ما يرون من أعاجيب صنع الله ثم قال سبحانه دالاً على كمال قدرته وعلى أنه لا يفعل إلّا الأصلح ﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ﴾ أي بدلاً منكم معاشر بني آدم ﴿ ملائكة في الأرض يخلفون ﴾ بني آدم أي يكونون خلفاء منهم والمعنى لو نشاء أهلكناكم وجعلنا الملائكة بدلكم سكّان الأرض يعمرونها ويعبدون الله ومثل قوله منكم في الآية ما في قول الشاعر :

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى الطَّهْيَانِ[1]

وقيل معناه ولو نشاء لجعلناكم أيها البشر ملائكة فيكون من باب التجريد وفيه إشارة إلى قدرته على تغيير بنية البشر إلى بنية الملائكة يخلفون أي يخلف بعضهم بعضاً .

﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ

(١) الطَهْيَان قُلّة الجبل . يتمنى أن يكون لهم بدلاً من ماء زمزم شربة ماء وضعت على قلة الجبل فصارت باردة شديداً .

هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ
عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم
بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾

[القراءة] في الشواذّ قراءة ابن عباس وقتادة والضحاك وأنه لعلم بفتح العين واللام أي إمارة وعلامة .

[المعنى] ثم رجع سبحانه إلى ذكر عيسى (ع) فقال ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾ يعني أنّ نزول عيسى (ع) من إشراط الساعة يعلم بها قربها ﴿ فلا تمترنّ بها ﴾ أي بالساعة فلا تكذّبوا بها ولا تشكّوا فيها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك والسدّي وقال ابن جريح أخبرني أبو الزبير أنّه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت النبي ﷺ يقول ينزل[1] عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صلّ بنا فيقول : لا إنّ بعضكم على بعض أمراء تكرمة من الله لهذه الأمة أورده مسلم في الصحيح وفي حديث آخر كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم وقيل إنّ الهاء في قوله وأنّه يعود إلى القرآن ومعناه أن القرآن لدلالة على قيام الساعة والبعث يعلم به ذلك عن الحسن وقيل معناه أنّ القرآن لدليل الساعة لأنه آخر الكتب أنزل على آخر الأنبياء عن أبي مسلم وقوله ﴿واتّبعوني هذا صراط مستقيم﴾ معناه واتّبعوني فيما أمركم به هذا الذي أنا عليه طريق واضح قيّم ﴿ ولا يصدّنّكم الشيطان ﴾ أي ولا يصرفنكم الشيطان بوساوسه عن دين الله ﴿ إنه لكم عدوّ مبين ﴾ بيّن العداوة يدعوكم إلى الضلال الذي هو سبب هلاككم ثم أخبر سبحانه عن حال عيسى (ع) حين بعثه الله نبيّاً فقال ﴿ ولمّا جاء عيسى بالبينات ﴾ أي بالمعجزات الدالة على نبوّته وقيل بالإنجيل عن قتادة ﴿ قال ﴾ لهم

(١) وفي الحجري بدل ينزل : كيف بكم إذا نزل.

﴿ قد جئتكم بالحكمة ﴾ أي بالنبوة عن عطاء وقيل بالعلم بالتوحيد والعدل والشرائع ﴿ ولأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه ﴾ قيل إنّ المعنى كلّ الذي تختلفون فيه كقول لبيد « أو يَخْتَرِمْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا »[1] أي كل النفوس وكقول القطامي :

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضُ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

أي كلّ حاجته عن أبي عبيدة قال الزجّاج والصحيح أن البعض لا يكون في معنى الكل والذي جاء به عيسى في الإنجيل إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه وبيّن لهم في غير الإنجيل ما إحتاجوا إليه وقول الشاعر « أو يخترم بعض النفوس حمامها » إنما يعني نفسه وقيل معناه لأبيّن لكم ما تختلفون فيه من أمور الدين دون أمور الدنيا ﴿فاتّقوا الله﴾ بأن تجتنبوا معاصيه وتعملوا بالطاعات ﴿وأطيعوني﴾ فيما أدعوكم إليه ﴿إن الله هو ربي وربكم الذي﴾ تحقّ له العبادة ﴿ فاعبدوه ﴾ خالصاً ولا تشركوا به شيئاً[2] ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾ يفضي بكم إلى الجنة وثواب الله ﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم ﴾ يعني اليهود والنصارى اختلفوا في أمر عيسى ﴿ فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم ﴾ قد مرّ تفسير الآية في سورة مريم .

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم
بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ
تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟
ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن
ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ

(١) أوّله : تَرَاكِ أمكنةٍ إذا لم أرضها . أي أني اترك أمكنة إذا لم أرْضَها إلا أن يأخذ الموت نفسي فلا يمكنها البراح
(٢) وفي المخطوطة والحجري : شيئاً معبوداً .

تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ
ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ
مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص ما تشتهيه الأنفس بزيادة الهاء والباقون تشتهي الأنفس بحذف الهاء .

[الحجة] قال أبو علي حذف هذه الهاء من الصلة في الحسن كإثباتها إلا أنّ الحذف يرجّح على الإثبات بأنّ عامّة هذا النحو في التنزيل جاء على الحذف نحو قوله ﴿ **أهذا الذي بعث الله رسولاً وسلاماً على عباده الذين اصطفى** ﴾ ويقوّي الحذف من جهة القياس أنّه إسم قد طال والأسماء إذا طالت فقد يحذف منها كما يحذف في اشهيباب واحميرار وكما حذفوا من كينونة فكما ألزموا الحذف لهذا كذلك حسن أن تحذف الهاء من الصلة .

[اللغة] الحبور السرور الذي يظهر في الوجه أثره وحبّرته أي حسّنته والحبار الأثر والصحاف جمع صحفة وهي الجام الذي يؤكل فيه الطعام والأكواب جمع كوب وهي إناء على صورة الإبريق لا أذن له ولا خرطوم وقيل أنّه كالكأس للشراب قال الأعشى :

صَرِيفِيَّةٌ[1] طَيِّبٌ طَعْمُهَا لَهَا زَبَدٌ بَيْنَ كُوبٍ وَدَنّ

[المعنى] قال سبحانه موبّخاً لهم ﴿ **هل ينظرون** ﴾ أي هل ينتظر هؤلاء الكفار بعد ورود الرسل والقرآن ﴿ **إلا الساعة** ﴾ أي القيامة ﴿ **أن تأتيهم بغتة** ﴾ أي فجأة ﴿ **وهم لا يشعرون** ﴾ أي لا يدرون وقت مجيئها ﴿ **الاخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ** ﴾ معناه أنّ الذين تخالّوا وتواصلوا في الدنيا يكون بعضهم أعداء لبعض ذلك اليوم يعني يوم القيامة وهم الذين تخالّوا على الكفر والمعصية ومخالفة النبي ﷺ لما يرى كل واحد منهم من العذاب بسبب تلك المصادقة ثم إستثنى من جملة الإخلاّء المتقين فقال ﴿ **إلا المتّقين** ﴾ من المؤمنين الموحّدين الذي خالّ بعضهم بعضاً على الإيمان والتقوى فإن تلك الخلّة تتأكد بينهم يوم القيامة ولا تنقلب عداوة ﴿**يا عبادي لا خوف عليكم اليوم** ﴾ أي يقال لهم وقت

(١) الصريفية الخمر المنسوبة إلى صريفون وهي قرية عند عكبراء أو منسوب إلى صريفة قريه بواسط ـ كما قيل ـ أولانها أخذت من الدن ساعتئذ كاللبن الحار ساعة يصرف عن الضرع .

الخوف يا عبادي لا خوف عليكم من العذاب اليوم ﴿ ولا أنتم تحزنون ﴾ من فوات الثواب ثم وصف سبحانه عباده وميّزهم من غيرهم فقال ﴿ الذين آمنوا بآياتنا ﴾ أي صدّقوا بحججنا ودلائلنا واتبعوها ﴿ وكانوا مسلمين ﴾ أي مستسلمين لأمرنا خاضعين منقادين والذين آمنوا في محلّ النصب على البدل من عبادي أو الصفة له ثم بيّن سبحانه ما يقال لهم بقوله ﴿ ادخلوا الجنّة أنتم وأزواجكم ﴾ اللاتي كنّ مؤمنات مثلكم وقيل يعني أزواجهم من الحور العين في الجنة ﴿تحبرون﴾ أي تسرّون وتكرمون وقد مرّ تفسيره في سورة الروم ﴿ يطاف عليهم بصحاف ﴾ أي بقصاع ﴿ من ذهب ﴾ فيها ألوان الأطعمة ﴿ وأكواب ﴾ أي كيزان لا عرى لها وقيل بآنية مستديرة الرأس إكتفى سبحانه بذكر الصحاف والأكواب عن ذكر الطعام والشراب ﴿ وفيها ﴾أي وفي الجنة ﴿ وما تشتهي الأنفس ﴾ من أنواع النعيم المشروبة والمطعومة والملبوسة والمشمومة وغيرها ﴿ وتلذّ الأعين ﴾ أي وما تلذّه العيون بالنظر إليه وإنما أضاف الالتذاذ إلى الأعين وإنما الملتذّ على الحقيقة هو الإنسان لأنّ المناظر الحسنة سبب من أسباب اللّذة فإضافة اللّذة إلى الموضع الذي يلذّ الإنسان به أحسن لما في ذلك من البيان مع الإيجاز وقد جمع الله سبحانه بقوله ﴿ ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين ﴾ ما لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يصفوا ما في الجنة من أنواع النعيم لم يزيدوا على ما انتظمته هاتان الصفتان ﴿ وأنتم فيها ﴾ أي في الجنة وأنواع من الملاذّ ﴿ خالدون ﴾ أي دائمون مؤبّدون ﴿ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ أي أعطيتموها بأعمالكم قال ابن عباس الكافر يرث نار المؤمن والمؤمن يرث جنّة الكافر وهذا كقوله ﴿ أولئك هم الوارثون ﴾ ﴿ لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ﴾ جمع لهم بين الطعام والشراب والفواكه وبين دوام ذلك فهذه غاية الأمنيّة ثم أخبر سبحانه عن أحوال أهل النار فقال ﴿ إنّ المجرمين في عذاب جهنّم خالدون ﴾ دائمون ﴿ لا يفترّ عنهم ﴾ العذاب أي لا يخفّف عنهم ﴿ وهم فيه مبلسون ﴾ آيسون من كلّ خير .

﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ

وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ
الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ
الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ
وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وأهل الكوفة غير عاصم إلا يحيى وروح عن يعقوب وإليه يرجعون بالياء والباقون بالتاء وفي الشواذ قراءة ابن مسعود ويحيى والأعمش يا مالِ وروي ذلك عن علي (ع) وقراءة أبي عبد الرحمن اليماني فأنا أول العبدين بغير ألف والقراءة المشهورة العابدين .

[**الحجة**] قال أبو علي حجة الياء في يرجعون أن قبله غيبة وهو قوله ﴿ **فذرهم يخوضوا ويلعبوا** ﴾ وحجة التاء أن يراد به مع الغيبة مخاطبون فغلب الخطاب على الغيبة أو يكون على قل لهم وإليه ترجعون وقوله ﴿ **يا مالِ** ﴾ على المذهب المألوف في الترخيم قال الشاعر :

فَأَبْلِغْ مَالِكاً عَنِّي رَسُولاً وَمَا يُغْنِي الرَّسُولُ لَدَيْكَ مَالِ

أي يا مالك قال ابن جني وفي هذا الموضع سرّ وهو أنّهم لعظم ما هم فيه خفيت[1] قواهم وصغر كلامهم فكان هذا في موضع الاختصار وقوله أنا أوّل العابدين من قولهم عَبِدْتُ من الأمر أعبَد عَبَداً أي أنِفت منه قال الفرزدق :

أُولَئِكَ قَوْمِي إِنْ هَجَوْنِي هَجَوْتُهُمْ وَأَعْبَدُ أَنْ تُهْجَىٰ كُلَيْبٌ بِدَارِمِ
وَلَكِنَّ نِصْفاً إِنْ سَبَبْتُ وَسَبَّنِي بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَهَاشِمِ[2]

(١) وفي المخطوطة خفت بدل خفيت .

(٢) النصف بالكسر الاسم من الإنصاف مقصوده أني آنف أن تهجى قبيلة كليب في قبال دارم لأن دارماً امنع حسباً من

[**الإعراب**] قوله ﴿ **وهو الذي في السماء إلّه** ﴾ إرتفع إلّه بكونه خبر مبتدأ محذوف من الصلة وتقديره وهو الذي هو في السماء إلّه وفي السماء يتعلق بقوله ﴿ إلّـه ﴾ وموضعه نصب به وإن كان مقدّماً عليه وعنده علم الساعة أي علم وقوع الساعة فالمصدر مضاف إلى المفعول أي يعلم وقوع السّاعة .

[**المعنى**] لمّا بيّن سبحانه ما يفعله بالمجرمين بيّن أنه لم يظلمهم بذلك فقال ﴿ **وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين** ﴾ نفوسهم بما جَنَوا عليها من العذاب ﴿ **ونادوا يا مالك** ﴾ أي ويدعون خازن جهنّم فيقولون يا مالك ﴿ **ليقض علينا ربّك** ﴾ أي ليمتنا ربّك حتى نتخلص ونستريح من هذا العذاب ﴿ **قال** ﴾ أي فيقول مالك مجيباً لهم ﴿ **أنّكم ماكثون** ﴾ أي لابثون دائمون في العذاب قال ابن عباس والسدّي إنّما يجيبهم مالك بذلك بعد ألف سنة وقال عبد الله بن عمر بعد أربعين عاماً ﴿ **لقد جئناكم** ﴾ أي يقول الله تعالى لقد أرسلنا إليكم الرسل ﴿ **بالحق** ﴾ أي جاءكم رسلنا بالحق وأضافه إلى نفسه لأنه كان بأمره وقيل هو من قول مالك وإنما قال لقد جئناكم لأنّه من الملائكة وهم من جنس الرسل عن الجبائي ﴿ **ولكن أكثركم** ﴾ معاشر الخلق ﴿ **للحق كارهون** ﴾ لأنّكم ألفتم الباطل فكرهتم مفارقته ﴿ **أم أبرموا أمراً فإنّا مبرمون** ﴾ أي بل إحكموا أمراً في كيد محمد ﷺ والمكر به فإنّا مبرمون أي محكمون أمراً في مجازاتهم ﴿ **أم يحسبون** ﴾ أي بل أيظنّ هؤلاء الكفار ﴿ **أنا لا نسمع سرّهم ونجواهم** ﴾ أي ما يسرّونه من غيرهم ويتناجون به بينهم والسرّ ما يضمره الإنسان في نفسه ولا يظهره لغيره والنجوى ما يحدّث به المحدّث غيره في الخفية ﴿بلى﴾[1] نسمع ذلك وندركه ﴿ورسلنا[2] لديهم يكتبون﴾ ما يقولونه ويفعلونه يعني الحفظة وسبب نزول الآية مذكور في تفسير أهل البيت (ع) ﴿ **قل إن كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين** ﴾ اختلف في معناه على أقوال (أحدها) أن معناه إن كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فأنا أول العابدين أي أول من عبد الله وحده[3] فقد دفع أن يكون له ولد والمعنى فأنا أول الموحدين لله المنكرين لقولكم عن مجاهد (وثانيها) أنّ إن بمعنى ما النفي والمعنى ما كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين لله المقرّين بذلك عن ابن عباس وقتادة وابن

= كليب فليسا بكفوه ولكن الإنصاف أن يقع النسابّ والتهاجي بين قومي وبين بني عبد شمس وبني هاشم فإنهما كفوان لقومي .

(١) [أي بل] .

(٢) في المخطوطة و يرى : مع ذلك

(٣) في الحجري زيادة وهي « ومن عبد الله وحده » وهو الصواب .

زيد (وثالثها) إنّ معناه لو كان له ولد لكنت أنا أول الأنفين من عبادته لأنّ من كان له ولد لا يكون إلا جسماً محدثاً ومن كان كذلك لا يستحق العبادة لأنّه لا يقدر على النعم التي يستحقّ بها العبادة عن الجبائي وغيره (ورابعها) أنه يقول كما أنّي لست أول من عبد الله فكذلك ليس لله ولد وهذا كما تقول إن كنت كاتباً فأنا حاسب تريد لست كاتباً ولا أنا حاسب عن سفيان بن عيينة (وخامسها) أنّ معناه لو كان له ولد لكنت أول من يعبده بأنّ له ولداً ولكن لا ولد له عن السدّي وأبي مسلم وهذا كما يقال لو دعت الحكمة إلى عبادة غيره لعبدته لكنّ الحكمة لا تدعو إلى عبادة غيره ولو دلّ الدليل على أنّ له ولداً لقلت به ولكنّه لا يدلّ فهذا تحقيق لنفي الولد وتبعيد له لأنه تعليق محال بمحال ثم نزّه سبحانه نفسه عن ذلك فقال ﴿ **سبحان ربّ السماوات والأرض ربّ العرش عما يصفون** ﴾ أي تنزيهاً لمالك السماوات والأرض وخالقهن وخالق العرش ومدبّره عما يصفونه به من اتّخاذ الولد لأنّ من قدر على ذلك إستغنى عن اتّخاذ الولد ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ على وجه التهديد للكفار فقال ﴿ **فذرهم يخوضوا** ﴾ في باطلهم ﴿ **ويلعبوا** ﴾ في دنياهم ﴿ **حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون** ﴾ فيه بعذاب الأبد وهو يوم القيامة ﴿ **وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله** ﴾ أي هو الذي تحقّ له العبادة في السماء وتحقّ له العبادة في الأرض وإنّما كرّر لفظ إله لأمرين (أحدهما) التأكيد ليتمكن المعنى في النفس (والثاني) لأنّ المعنى هو إله في السماء يجب على الملائكة عبادته وإله في الأرض يجب على الإنس والجن عبادته ﴿ **وهو الحكيم** ﴾ في جميع أفعاله ﴿ **العليم** ﴾ بمصالح عباده ﴿ **وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما** ﴾ أي دامت بركته فمنه البركات وإيصال السعادات وجلّ عن أن يكون له ولد أو شبيه من له التصرف في السماوات والأرض وفيما بينهما بلا دافع ولا منازع ﴿ **وعنده علم الساعة** ﴾ أي علم يوم القيامة لأنه لا يعلم وقته على التعيين غيره ﴿ **وإليه ترجعون** ﴾ يوم القيامة فيجازي كلاً على قدر عمله .

﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

[القراءة] قرأ عاصم وحمزة وقيله بالجر والباقون بالنصب وفي الشواذّ قراءة الأعرج ومجاهد وقيله بالرفع وقرأ أهل المدينة والشام فسوف تعلمون بالتاء والباقون بالياء .

[الحجة] قال أبو علي وجه الجر في وقيله أنّه معطوف على قوله ﴿ وعنده علم الساعة وعلم قيله ﴾ أي يعلم الساعة ومن يصدّق بها ويعلم قيله ومعنى يعلم قيله أي يعلم أن الدعاء مندوب إليه نحو قوله ﴿ ادعوني أستجب لكم وادعوا ربّكم تضرّعاً وخفية ﴾ وأمّا من نصب حمله على موضع وعنده علم الساعة لأن الساعة مفعول بها وليست بظرف فالمصدر مضاف إلى المفعول به ومثل ذلك قوله :

قَدْ كُنْتُ دَايَنْتُ بِهَا حَسَّانَا مَخَافَةَ الإِفْلاَسِ وَاللَّيَانَا(١)

يُحْسِنُ بَيْعَ الأَصْلِ وَالْقِيَانَا

فكما أنّ القيان والليان محمولان على ما أضيف إليه المصدر من المفعول به فكذلك قوله تعالى ﴿ وعنده علم الساعة ﴾ لما كان معناه يعلم الساعة حملت قيله على ذلك ويجوز أن تحمله على يقول قيله فيدلّ انتصاب المصدر على فعله وكذلك قول كعب :

يَسْعَى الْوُشَاةُ جَنَابَيْهَا وَقِيلَهُمْ إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولٌ(٢)

أي ويقولون حقاً ووجه ثالث أن يحمل على قوله ﴿ يحسبون أنّا لا نسمع سرّهم ونجواهم ﴾ وقيله ومن قرأ وقيله بالرفع إحتمل ضربين (أحدهما) أن يجعل الخبر وقيله قيل يا ربّ فيحذف (والآخر) أن يجعل الخبر وقيله يا رب مسموع ومتقبّل فيا ربّ منصوب الموضع بقيله المذكور وعلى القول الآخر بقيله المضمر وهو من صلته ولا يمتنع ذلك من حيث إمتنع أن يحذف بعض الموصول ويبقى بعضه لأنّ حذف القول قد كثر حتى صار بمنزلة المذكور وقد يحتمل بيت كعب الرفع على هذين الوجهين وقال ابن جني هو معطوف على علم أي وعلم قيله فحذف المضاف فالمصدر الذي هو قيل مضاف إلى الهاء الذي هو مفعول في المعنى والتقدير وعنده علم أن يقال يا رّب أن هؤلاء قوم لا يؤمنون ومن قرأ فسوف

---

(١) داينت أي اقرضت والضمير في بها راجع إلى القنية وهي ما يكتسب من المال والليان المماطلة بالدين والأصل المال الأصيل مقابل القِيان وهو جمع القين والقينة وهما العبد والأمة أي يحسن بيع أنواع أمواله من الأصل والقيان لقضاء دينه .

(٢) مر البيت في ج ١

تعلمون بالتاء فالوجه فيه أنه على تقدير قل لهم فسوف تعلمون ووجه الياء أن يحمل على الغيبة التي هي فاصفح عنهم وقوله وقل سلام تقديره وقل أمرنا وأمركم سلام أي متاركة .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه أنه لا شفاعة لمعبوديهم فقال ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه ﴾ أي الذي يدعوه الكفار إلهاً ويوجّهون عبادتهم إليه من الأصنام وغيرها ﴿ الشفاعة ﴾ لمن يعبدهم كما توهّمه الكفار وهي مسألة الطالب العفو عن غيره وإسقاط العقاب عنه ﴿ إلا من شهد بالحق ﴾ وهم عيسى بن مريم وعزير والملائكة استثناهم سبحانه ممن عبد من دون الله فإن لهم عند الله منزلة الشفاعة عن قتادة وقيل معناه لا يملك أحد من الملائكة وغيرهم الشفاعة إلا لمن شهد بالحق أي شهد أن لا إله إلا الله وذلك أن النضر بن الحارث ونفراً من قريش قالوا إن كان ما يقوله محمد حقّاً فنحن نتولّى الملائكة وهم أحقّ بالشفاعة لنا منه فنزلت الآية فالمعنى أنهم يشفعون للمؤمنين بإذن الله ﴿ وهم يعلمون ﴾ أي يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وفي هذا دلالة على أنّ حقيقة الإيمان هو الإعتقاد بالقلب والمعرفة لأنّ الله شرط مع الشهادة العلم وهو ما اقتضى طمأنينة القلب إلى ما اعتقده بحيث لا يتشكك إذا شكّك ولا يضطرب إذا حرّك ﴿ ولئن سألتهم ﴾ يا محمد ﴿ من خلقهم ﴾ أي أخرجهم من العدم إلى الوجود ﴿ليقولنّ الله ﴾ لأنّهم يعلمون ضرورة أنّ أصنامهم لم تخلقهم ﴿ فأنّى يؤفكون ﴾ أي فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ﴿ وقيله يا ربّ أنّ هؤلاء قوم لا يؤمنون ﴾ قال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه إلى ربّه وينكر عليهم تخلّفهم عن الإيمان وذكر أن قراءة عبد الله وقال الرسول يا ربّ أنّ هؤلاء قوم لا يؤمنون وعلى هذا فالهاء في وقيله يعود إلى النبي ﷺ ﴿ فاصفح عنهم ﴾ أي فأعرض عنهم يا محمد بصفح وجهك كما قال واعرض عن الجاهلين ﴿وقل سلام ﴾ أي مداراة ومتاركة وقيل هو سلام هجران ومجانبة لا سلام تحيّة وكرامة كقوله ﴿ سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾ وقيل معناه قل ما تسلم به من شرّهم وأذاهم وهذا منسوخ بآية السيف عن قتادة وقيل معناه فاصفح عن سفههم ولا تقابلهم بمثله . ندبه سبحانه إلى الحلم فلا يكون منسوخاً عن الحسن ثم هدّدهم سبحانه بقوله ﴿ فسوف يعلمون ﴾ يعني يوم القيامة إذا عاينوا ما يحل بهم من العذاب .



[عدد آيها] تسع وخمسون آية كوفي سبع بصري ستّ في الباقين .

[إختلافها] أربع آيات حم وإنّ هؤلاء ليقولون كوفي شجرة الزقوم عراقي شامي والمدني الأول في البطون عراقيّ مكيّ والمدني الأخير .

[فضلها] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ ومن قرأ الدخان في ليلة الجمعة غفر له أبو هريرة عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الدّخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك . وعنه عن النبي ﷺ قال ومن قرأها في ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له . أبو امامة عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الدخان ليلة الجمعة ويوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة . وروى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر (ع) قال من قرأ سورة الدخان في فرائضه ونوافله بعثه الله من الآمنين يوم القيامة وأظلّه تحت ظلّ عرشه وحاسبه حساباً يسيراً وأعطي كتابه بيمينه .

[تفسيرها] ختم الله سبحانه سورة الزخرف بالوعيد والتهديد وافتتح هذه السورة أيضاً بمثل ذلك في الإنذار بالعذاب الشديد فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حم ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ
إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا
مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

ٱلْعَلِيمُ ﴿١﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم
مُّوقِنِينَ ﴿٢﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ
تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١١﴾ احدى عشرة آية كوفي[1] في غيرهم.

[القراءة] قرأ أهل الكوفة ربّ السماوات بالجرّ والباقون بالرفع .

[الحجة] الرفع فيه على أحد أمرين إما أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو رب السماوات وإما أن يكون مبتدأ وخبره الجملة التي عاد الذكر منها إليه وهو قوله ﴿ لا إله إلا هو ﴾ ويقوّيه قوله ﴿ رب المشرق والمغرب ﴾ لا إله إلّا هو ومن قرأ بالجرّ جعله بدلاً من ربك المتقدم ذكره قال أبو الحسن الرفع أحسن وبه يقرأ .

[الإعراب] أنّا كنّا منذرين جواب القسم دون قوله ﴿ انّا أنزلناه ﴾ لأنك لا تقسم بالشيء على نفسه فإن القسم تأكيد خبر بخبر آخر فقوله ﴿ إنّا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾ اعتراض بين القسم وجوابه أمراً من عندنا في انتصابه وجهان (أحدهما) أن يكون نصباً على الحال وتقديره أنا أنزلناه آمرين أمراً كما يقال جاء فلان مشياً وركضاً أي ماشياً وراكضاً وعلى هذا فيكون مصدراً موضوعاً موضع الحال وهذا إختيار الأخفش ويجوز أن يكون تقديره ذا أمر فحذف المضاف كما قال ولكنّ البرّ بمعنى ذا البرّ (والثاني) أن يكون منصوباً على المصدر لأن معنى قوله فيها يفرق فيها يؤمر قد دلّ يفرق على يؤمر وقوله ﴿ رحمة ﴾ منصوب على أنه مفعول له أي أنزلناه للرحمة وقال الأخفش هو منصوب على الحال أي راحمين رحمة .

[المعنى] ﴿ حم ﴾ مرّ بيانه ﴿ والكتاب المبين ﴾ أقسم سبحانه بالقرآن الدالّ على صحّة نبوّة نبينا ﷺ وفيه بيان الأحكام والفصل بين الحلال والحرام وجواب القسم ﴿ إنّا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾ أي إنا أنزلنا القرآن والليلة المباركة هي ليلة القدر عن ابن عباس

(١) [عشرة].

وقتادة وابن زيد وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) وقيل هي ليلة النصف من شعبان عن عكرمة والأصحّ الأول ويدلّ عليه قوله ﴿ إنّا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ وقوله ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ واختلف في كيفيّة إنزاله فقيل أنزل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم أنزل نجوماً إلى النبي ﷺ وقيل أنّه كان ينزل جميع ما يحتاج في كل سنة في تلك الليلة ثم كان ينزلها جبرائيل (ع) شيئاً فشيئاً وقت وقوع الحاجة إليه وقيل كان بدء إنزاله في ليلة القدر وروي عن ابن عباس أنه قال قد كلم الله جبرائيل في ليلة واحدة وهي ليلة القدر فسمعه جبرائيل وحفظه بقلبه وجاء به إلى السماء الدنيا إلى الكتبة وكتبوه ثمّ نزل على محمد ﷺ بالنجوم في ثلاث وعشرين سنة وقيل في عشرين سنة وإنما وصف الله سبحانه هذه الليلة بأنّها مباركة لأنّ فيها يقسم الله نعمه على عباده من السنة إلى السنة فتدوم بركاتها والبركة نماء الخير وضدّها الشؤم وهو نماء الشر فالليلة التي أنزل فيها كتاب الله مباركة ينمى الخير فيها على ما دبّر الله سبحانه لها من علّو مرتبتها واستجابة الدعاء فيها ﴿ إنّا كنّا منذرين ﴾ أي مخوّفين بما أنزلناه من تعذيب العُصاة والإنذار الأعلام بموضع الخوف ليتّقى وموضع الأمن ليجتبى فالله عزّ اسمه قد أنذر عباده بأتمّ الأنذار من طريق العقل والسمع ﴿ فيها يفرق كلّ أمر حكيم ﴾ أي في هذه الليلة يفصل ويبيّن والمعنى يقضى كلّ أمر محكم لا تلحقه الزيادة والنقصان وهو أنّه يقسم فيها الآجال والأرزاق وغيرها من أمور السنة إلى مثلها من العام القابل عن ابن عباس والحسن وقتادة وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى وقال عكرمة هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وينسخ الأحياء من الأموات ويكتب الحاج فلا يزيد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد ﴿ أمراً من عندنا ﴾ معناه إنّا نأمر ببيان ذلك ونسخه من اللوح المحفوظ ﴿ إنّا كنّا مرسلين ﴾ محمداً إلى عبادنا كمن كان قبله من الأنبياء ﴿ رحمة من ربك ﴾ أي رأفة منا بخلقنا ونعمةمنا عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل عن ابن عباس ﴿إنه هو السميع﴾ لمن دعاه من عباده ﴿ العليم ﴾ بمصالحهم ﴿ ربّ السماوات والأرض ﴾ أي خالقهما ومدبّرهما ﴿ وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾ بهذا الخبر محقّقين له وهو أنّه ﴿ لا إله إلاّ هو ﴾ لا يستحق العبادة سواه ﴿ يحيي ﴾ الخلق بعد موتهم ﴿ ويميت ﴾ أي ويميتهم بعد إحيائهم ﴿ربّكم ﴾ الذي خلقكم ودبّركم ﴿ ورب آبائكم الأولين ﴾ الذين سبقوكم ثمّ ذكر سبحانه الكفار فقال ليس هؤلاء بموقنين بما قلناه ﴿ بل هم في شكّ ﴾ مما أخبرناك به ﴿ يلعبون ﴾ مع ذلك ويستهزؤون بك وبالقرآن إذا قرىء عليهم عن الجبائي وقيل يلعبون أي يشتغلون بالدنيا ويتردّدون في أحوالها ثم خاطب نبيّه ﷺ فقال ﴿ فارتقب ﴾ أي فانتظر يا محمد ﴿ يوم تأتي

السماء بدخان مبين ﴾ وذلك أنّ رسول الله ﷺ دعا على قومه لما كذّبوه فقال اللهم سنيناً[1] كسني يوسف فأجدبت الأرض فأصابت قريشاً المجاعة وكان الرجل لما به من الجوع يرى بينه وبين السماء كالدخان وأكلوا الميتة والعظام ثم جاؤوا إلى النبيّ ﷺ وقالوا يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وقومك قد هلكوا فسأل الله تعالى لهم بالخصب والسعة فكشف عنهم ثمّ عادوا إلى الكفر عن ابن مسعود والضحاك وقيل إن الدخان آية من إشراط الساعة تدخل في مسامع الكفار والمنافقين وهو لم يأت بعد وإنّه يأتي قبل قيام الساعة فيدخل أسماعهم حتى أنّ رؤوسهم تكون كالرأس الحنيذ ويصيب المؤمن منه مثل الزكمة وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خَصاص[2] ويمكث ذلك أربعين يوماً عن ابن عباس وابن عمر والحسن والجبائي ﴿ يغشى الناس ﴾ يعني أنّ الدخان يعمّ جميع الناس وعلى القول الأول المراد بالناس أهل مكّة وهم الذين يقولون ﴿ هذا عذاب أليم ﴾ أي موجع مؤلم .

﴿ رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾

[الإعراب] يوم نبطش منصوب بقوله ﴿ إنّا كاشفو العذاب قليلاً ﴾ ويجوز أن

(١) في نسخة سنين وهو الصواب فإن علامة النصب فيه الياء من دون التنوين .

(٢) الخصاص كل خلل وخرق في باب ومنخل وبرقع ونحوه والفُرَج في البناء بين الأثافي .

ينتصب بمضمر دلّ عليه منتقمون ولا ينتصب بقوله ﴿ منتقمون ﴾ لأنّ ما بعد أنّ لا يعمل فيما قبله .

[المعنى] ثمّ لما أخبر سبحانه أنّ الدخان يغشى الناس عذاباً لهم وأنهم قالوا ويقولون على ما فيه من الخلاف هذا عذاب أليم حكى عنهم أيضاً قولهم ﴿ ربّنا اكشف عنّا العذاب انّا مؤمنون ﴾ بمحمد ﷺ والقرآن قال سبحانه ﴿ أنّى لهم الذكرى ﴾ أي من أين لهم التذكّر والاتّعاظ وكيف يتذكّرون ويتّعظون ﴿ وقد جاءهم رسول مبين ﴾ أي وحالهم أنّهم قد جاءهم رسول ظاهر الصدق والدلالة ﴿ ثم تولّوا عنه ﴾ أي أعرضوا عنه ولم يقبلوا قوله ﴿ وقالوا معلّم مجنون ﴾ أي هو معلّم يعلّمه بشر مجنون بادّعاء النبوة ثمّ قال سبحانه ﴿ إنّا كاشفو العذاب ﴾ أي عذاب الجوع والدخان ﴿ قليلاً ﴾ أي زماناً قليلاً يسيراً إلى يوم بدر عن مقاتل ﴿ إنّكم عائدون ﴾ في كفركم وتكذيبكم فلمّا كشف الله سبحانه ذلك عنهم بدعاء النبي ﷺ واستسقائه لهم عادوا إلى تكذيبه هذا على تأويل من قال إنّ ذلك الدخان كان وقت النبي ﷺ فأمّا على القول الآخر فمعناه أنّكم عائدون إلى العذاب الأكبر وهو عذاب جهنّم والقليل مدّة ما بين العذابين ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى ﴾ أي واذكر لهم ذلك اليوم يعني يوم بدر على القول الأوّل قالوا لمّا كشف عنهم الجوع عادوا إلى التكذيب فانتقم الله منهم يوم بدر وعلى القول الآخر البطشة الكبرى تكون يوم القيامة والبطش هو الأخذ بشدّة وقع الألم ﴿ انا منتقمون ﴾ منهم ذلك اليوم ثم قال سبحانه ﴿ ولقد فتنّا قبلهم ﴾ أقسم سبحانه أنّه فتن قبل كفّار قوم النبي ﷺ ﴿ قوم فرعون ﴾ أي اختبرهم وشدّد عليهم التكليف لأنّ الفتنة شدّة التعبد وأصلها الإحراق بالنار لخلاص الذهب من الغشّ وقيل إنّ الفتنة معاملة المختبر ليجازي بما يظهر دون ما يعلم مما لا يظهر ﴿ وجاءهم رسول كريم ﴾ أي كريم الأخلاق والأفعال بالتجاوز والصفح والدعاء إلى الصلاح والرشد وقيل كريم عند الله بما استحقّ بطاعته من الإكرام والإعظام وقيل كريم شريف في قومه من بني إسرائيل ﴿ إن أدّوا إليّ عبادَ الله ﴾ هذا من قول موسى (ع) لفرعون وقومه والمعنى أطلقوا بني إسرائيل من العذاب والتسخير فإنّهم أحرار فهو كقوله ﴿ فارسل معي بني إسرائيل ﴾ فيكون عباد الله مفعول ادّوا وقال الفراء معناه أدّوا إليّ ما أمركم به يا عباد الله ﴿ إنّي لكم رسول أمين ﴾ على ما أؤدّيه وأدعوكم إليه ﴿ وأن لا تعلوا على الله ﴾ أي لا تتجبّروا على الله بترك طاعته عن الحسن وقيل لا تتكبّروا على أولياء الله بالبغي عليهم وقيل : لا تبغوا عليه بكفران نعمه وافتراء الكذب عليه عن ابن عباس وقتادة ﴿ إني آتيكم بسلطان مبين ﴾ أي بحجّة واضحة يظهر الحقّ معها وقيل بمعجز ظاهر

يبيّن صحّة نبوّتي وصدق مقالتي فلمّا قال ذلك توعّدوه بالقتل والرجم فقال ﴿ وإنّي عذت بربّي وربّكم ﴾ أي لذت بمالكي ومالككم والتجأت إليه ﴿ أن ترجموني ﴾ أي من أن ترموني بالحجارة عن قتادة وقيل إنّ الرجم الذي استعاذ منه موسى هو الشتم كقولهم هو ساحر كذّاب ونحوه عن ابن عباس وأبي صالح ﴿ وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلوني ﴾ أي إن لم تصدّقوني فاتركوني لا معي ولا عليّ وقيل معناه فاعتزلوا أذاي عن ابن عباس .

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾
فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ
جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ
وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ
وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ
وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾

[اللغة] الرَهْو السهل الساكن يقال عيش راءٍ أي خافض وادع قال الشاعر:

يَمْشِينَ رَهْواً فَلا الأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلا الصُّدُورُ عَلَى الأَعْجَازِ تَتَّكِلُ[1]

وقيل الرهو الدمث[2] ليس برمل ولا حزن عن الازهري يقال جاءت الخيل رَهْواً أي مسابقة قال ابن الاعرابي الرهو من الطير والخيل السراع قال الشاعر :

طَيْراً رَأَتْ بَازِياً نَضْخُ[3] الدِّمَاءِ بِهِ وَأُمُّهُ خَرَجَتْ رَهْواً إلى عِيدِ

[الاعراب] رهواً نصب على الحال من البحر ويكون حالاً بعد الفراغ من الفعل كقولهم قطعت الثوب قباء وهذا يدلّ على انّ البحر كان قبل تركه وبعد تركه رهواً وكم في

(١) مقصوده توصيف نساء مورد مدحه بالاستواء في المشى فلا اعجازهن متخلفة عن سائر اعضاء البدن ولا الصدور متكلة على الاعجاز بأن يتأخر الصدر عن الاعضاء ويتكل على الاعجاز.

(٢) الدَمْث والدَمِث والدميث المكان اللين ذو الرمل وأرض دَمْثاء: لَينة سهلة.

(٣) وفي بعض النسخ بالحاء المهملة والنَضْح الاثر من الطيب وغيره يبقى في الثوب وبالحاء رشاش الماء ونحوه.

قوله كم تركوا في موضع نصب بأنه صفة موصوف محذوف وهو مفعول تركوا وتقديره شيئاً كثيراً تركوا كذلك خبر مبتدأ محذوف اي الأمر كذلك .

[المعنى] ثمّ ذكر سبحانه تمام قصّة موسى بأن قال ﴿فدعا ربّه﴾ اي فدعا موسى ربّه حين يئس من قومه ان يؤمنوا به فقال ﴿إنّ هؤلاء قوم مجرمون﴾ أي مشركون لا يؤمنون عن الكلبي ومقاتل فكأنّه قال اللهم عجّل لهم مما يستحقّونه بكفرهم ما يكونون به نكالاً لمن بعدهم وما دعا عليهم إلا بعد أن أذن له في ذلك وقوله ﴿فأسر بعبادي ليلاً﴾ الفاء وقعت موقع الجواب والتقدير فأجيب بأن قيل له فأسر بعبادي امره سبحانه ان يسير بأهله وبالمؤمنين به ليلاً حتى لا يردّهم فرعون إذا خرجوا نهاراً واعلمه بأنّه سيتبعهم فرعون بجنوده بقوله ﴿انّكم متّبعون واترك البحر رهواً﴾ اي ساكناً على ما هو به إذا قطعته وعبرته وكان قد ضربه بالعصا فانفلق لبني اسرائيل فأمره الله سبحانه ان يتركه كما هو ليغرق فرعون وقومه عن ابن عباس ومجاهد وقيل رهواً أي منفتحاً منكشفاً حتى يطمع فرعون في دخوله عن ابي مسلم قال قتادة لما قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم وخاف ان يتبعه فرعون وجنوده فقيل له واترك البحر رهواً أي كما هو طريقاً يابساً ﴿انّهم جند مغرقون﴾ سيغرقهم الله تعالى ثم اخبر سبحانه عن حالهم بعد اهلاكهم فقال ﴿كم تركوا من جنات﴾ رائعة ﴿وعيون﴾ جارية ﴿وزروع﴾ كثيرة ﴿ومقام كريم﴾ أي مجالس شريفة ومنازل خطيرة وقيل هي المناظر الحسنة ومجالس الملوك عن مجاهد وقيل منابر الخطباء عن ابن عباس وقيل المقام الكريم الذي يعطي اللذة كما يعطي الرجل الكريم الصلة عن علي بن عيسى ﴿ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾ اي وتنعم وسعة في العيش كانوا ناعمين متمتعين كما يتمتع الأكل بأنواع الفواكه ﴿كذلك﴾ قال الكلبي معناه كذلك افعل بمن عصاني ﴿وأورثناها قوماً آخرين﴾ ايراث النعمة تصييرها الى الثاني بعد الأول بغير مشقّة كما يصير الميراث إلى اهله على تلك الصفة فلما كانت نعمة قوم فرعون وصلت بعد هلاكهم إلى غيرهم كان ذلك إيراثاً من الله لهم واراد بقوم آخرين بني إسرائيل لأنّهم رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ اختلف في معناه على وجوه (احدها) انّ معناه لم تبك عليهم اهل السماء والأرض لكونهم مسخوطاً عليهم عن الحسن فيكون مثل قوله حتى تضع الحرب اوزارها أي اصحاب الحرب ونحوه قول الحطيئة :

وَشَرُّ الْمَنَايَا مَيِّتٌ وَسْطَ أَهْلِهِ كَهُلْكِ الْفَتَى قَدْ أَسْلَمَ الْحَيَّ حَاضِرُهْ[1]

(١) الحاضر: القوم الحي إذا اجتمعوا في الدار التي بها مجتمعهم .

أي وشر المنايا ميتة ميّت وقال ذو الرمة :

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ السِبَالِ[١] أَذِلَّةٌ سُوَاسِيَةٌ[٢] أَحْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا

أي لهم اهل مجلس (وثانيها) انه سبحانه اراد المبالغة في وصف القوم بصغر القدر فإنّ العرب إذا اخبرت عن عظم المصاب بالهالك قالت بكاه السماء والأرض وأظلم لفقده الشمس والقمر قال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز

الشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومُ اللَّيْلِ والْقَمَرَا[٣]

أي ليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر لأن عظم المصيبة قد سلبها ضوءها وقال النابغة :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَا النُّورُ نُورٌ وَلَا الإِظْلَامُ إِظْلَامُ

وثالثها ان يكون ذلك كناية عن انه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرفع منها إلى السماء وقد روي عن ابن عباس انه سئل عن هذه الآية فقيل وهل يبكيان على احد قال نعم مصلاة في الأرض ومصعد عمله في السماء وروى انس عن النبي ﷺ قال ما من مؤمن إلّا وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه فعلى هذا يكون معنى البكاء الاخبار عن الاختلال بعده كما قال مزاحم العقيلي :

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ أَجْلِهِمْ فَتَهَلَّلَتْ[٤] دُمُوعِي فَأَيُّ الْجَازِعَيْنِ أَلُومُ

أَمُسْتَعْبِراً يَبْكِي مِنَ الْهُونِ وَالْبِلَى أَمْ آخَرَ يَبْكِي شَجْوَهُ وَيَهِيمُ[٥]

وقال السدّي لمّا قتل الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) بكت السماء عليه وبكاؤها حمرة اطرافها وروى زرارة بن اعين عن أبي عبد الله (ع) انه قال بكت السماء على يحيى

(١) صهب جمع اصهب: الاحمر والأشقر والسبال جمع سَبَلة: الدائرة في وسط الشفة العليا وقيل ما على الشارب من الشعر أو طرفه أو مجتمع الشاربين وصهب السبال وصف الروميين ولانهم اعداء العرب يوصف به الاعداء.

(٢) سواء وسواسية يقال للجمع وسواء يقال للمفرد والمثنى والجمع وسواسية لا تقال الا في الشر كقولهم: هم سواسية في الشر وكذا هنا.

(٣) الشمس النجوم: غلب ضوئها على النجوم فلم يبد منها شيء ونحو الليل والقمر مفعول كاسفة مقصودة ان موتك صار سبباً لقلة ضوء الشمس بحيث لا يغلب نورها نور القمر والنجوم وهي تبكي عليك.

(٤) تهلل العين: سالت بالدمع.

(٥) هام على وجهه: ذهب من العشق وغيره لا يدري اين يتوجه.

ابن زكريا وعلى الحسين بن علي عليهما السلام اربعين صباحاً ولم تبك إلاّ عليهما قلت وما بكاؤها قال كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء ﴿وما كانوا منظرين﴾ اي عوجلوا بالعقوبة ولم يمهلوا .

﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ
ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾
وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَٰتِ
مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا
مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ۚ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾

[الاعراب] من فرعون أي من عذاب فرعون فحذف المضاف ويجوز ان يكون حالاً من العذاب المهين أي ثابتاً من فرعون فلا يكون على حذف المضاف. أهم خير أم قوم تبّع والذين من قبلهم يجوز ان يكون الذين من قبلهم مبتدأ واهلكناهم خبره ويجوز ان يكون منتصباً بفعل مضمر دلّ عليه اهلكناهم ويجوز ان يكون رفعاً بالعطف على قوم تبّع فعلى هذا تقف على قبلهم ويكون اهلكناهم في تقدير واهلكناهم اي والمهلكون من قبلهم.

[المعنى] ثمّ اقسم سبحانه بقوله ﴿ولقد نجيّنا بني إسرائيل﴾ الذين آمنوا بموسى ﴿من العذاب المهين﴾ يعني قتل الابناء واستخدام النساء والاستعباد وتكليف المشاقّ ﴿من فرعون انّه كان عالياً﴾ اي متجبّراً متكبّراً متغلّباً ﴿من المسرفين﴾ اي المجاوزين الحدّ في الطغيان وصفة بأنّه عالٍ وان جاز ان يكون عالٍ صفة مدح لأنه قيّده بأنه عالٍ في الإسراف

لأنّ العالي في الإحسان ممدوح والعالي في الإساءة مذموم ﴿ولقد اخترناهم﴾ أي اخترنا موسى وقومه بني إسرائيل وفضّلناهم بالتوراة وكثرة الأنبياء منهم ﴿على علم﴾ اي على بصيرة منّا باستحقاقهم التفضيل والاختيار ﴿على العالمين﴾ أي على عالمي زمانهم عن قتادة والحسن ومجاهد ويدلّ عليه قوله تعالى لأمّة نبينا ﷺ كنتم خير امة اخرجت للناس وقيل فضّلناهم على جميع العالمين في امر كانوا مخصوصين به وهو كثرة الأنبياء منهم ﴿وآتيناهم﴾ أي واعطيناهم ﴿من الآيات﴾ يعني الدلالات والمعجزات مثل فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المنّ والسلوى ﴿ما فيه بلاء مبين﴾ أي ما فيه النعمة الظاهرة عن الحسن وقيل ما فيه شدّة وامتحان مثل العصا واليد البيضاء فالبلاء يكون بالشدّة والرخاء عن ابن زيد فيكون في الآيات نعمة على الأنبياء وقومهم وشدّة على الكفار المكذّبين بهم ثم اخبر سبحانه عن كفّار قوم نبينا ﷺ الذين ذكرهم في اول السورة فقال ﴿إنّ هؤلاء ليقولون إن هي إلا موتتنا الاولى﴾ أي ما الموتة إلا موتة نموتها في الدنيا ثم لا نبعث بعدها وهو قوله ﴿وما نحن بمنشرين﴾ اي بمبعثوثين ولا معادين ﴿فأتوا بآبائنا﴾ الذين ماتوا قبلنا وأعيدوهم ﴿إن كنتم صادقين﴾ في انّ الله تعالى يقدر على اعادة الاموات واحيائهم وقيل ان قائل هذا ابو جهل بن هشام قال ان كنت صادقاً فابعث جدّك قُصيّ بن كلاب فإنّه كان رجلاً صادقاً لنسأله عمّا يكون بعد الموت وهذا القول جهل من ابي جهل من وجهين (أحدهما) انّ الاعادة إنّما هي للجزاء لا للتكليف وليست هذه الدار بدار جزاء ولكنها دار تكليف فكأنّه قال: ان كنت صادقاً في اعادتهم للجزاء فأعدهم للتكليف (والثاني) انّ الإحياء في دار الدنيا إنما يكون للمصلحة فلا يقف ذلك على اقتراحهم لأنه ربما تعلّق بذلك مفسدة ولّما تركوا الحجة وعدلوا إلى الشبهة جهلاً عدل سبحانه في اجابتهم الى الوعيد والوعظ فقال ﴿أهم خير ام قوم تبّع﴾ اي امشركو قريش أظهر نعمة واكثر اموالاً واعزّ في القوة والقدرة أم قوم تبّع الحميري الذي سار بالجيوش حتى حيّر[1] الحيرة ثم اتى سمرقند فهدمها ثمّ بناها وكان إذا كتب كتب باسم الذي ملك برّاً وبحراً وضحاً وريحاً عن قتادة وسمي تبّعاً لكثرة اتباعه من الناس وقيل سمّي تبّعاً لأنّه تبع من قبله من ملوك اليمن والتبابعة اسم ملوك اليمن فتبّع لقب له كما يقال خاقان لملك الترك وقيصر لملك الروم واسمه اسعد[2] ابو كرب وروى سهل بن سعد عن النبي ﷺ انه قال لا تسبّوا تبّعاً فإنه كان قد اسلم وقال كعب نعم الرجل الصالح ذمّ الله قومه

(١) لم نجد له فيما بايدينا من كتب اللغة معنى يناسبه ولعله مما يشتق ويؤخذ الفعل من الاسم نحو خيّم القوم اي ضربوا خياماً وهذا ايضاً مأخوذ من الحيرة وفي نسخة : حيّز مأخوذ من الحيّز.

(٢) وفي المخطوطة سعد.

ولم يذمّه وروى الوليد بن صبيح عن أبي عبد الله (ع) قال انّ تبّعاً قال للأوس والخزرج كونوا هاهنا حتى يخرج هذا النبي أمّا انا لو ادركته لخدمته وخرجت معه ﴿والذين من قبلهم﴾ يعني من تقدّمهم من قوم نوح وعاد وثمود ﴿اهلكناهم﴾ معناه انّهم ليسوا بأفضل منهم وقد اهلكناهم بكفرهم وهؤلاء مثلهم بل أولئك كانوا اكثر قوّة وعدداً فإهلاك هؤلاء ايسر ﴿إنّهم كانوا مجرمين﴾ أي كافرين فليحذر هؤلاء ان ينالهم مثل ما نال اولئك ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ اي لم نخلق ذلك لا لغرض حكمي بل خلقناهما لغرض حكمي وهو ان ننفع المكلّفين بذلك ونعرضهم للثواب وننفع سائر الحيوانات بضروب المنافع واللذات ﴿وما خلقناهما الا بالحق﴾ اي إلا بالعلم الداعي إلى خلقهما والعلم لا يدعو إلا إلى الصواب والحق وقيل معناه ما خلقناهما الا للحق وهو الامتحان بالأمر والنهي والتمييز بين المحسن والمسيء لقوله ليجزي الذين اساؤوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا الآية وقيل معناه ما خلقناهما إلا على الحق الذي يستحقّ به الحمد خلاف الباطل الذي يستحق به الذم ﴿ولكنّ اكثرهم لا يعلمون﴾ صحّة ما قلناه لعدولهم عن النظر فيه ولااستدلال على صحته ﴿انّ يوم الفصل ميقاتهم أجمعين﴾ يعني اليوم الذي يفصل فيه بين المحق والمبطل وهو يوم القيامة وقيل معناه يوم الحكم ميقات قوم فرعون وقوم تبع ومَن قبلهم ومشركي قريش وموعدهم .

﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

[القراءة] قرأ اهل مكة وحفص ورويس يغلي بالياء والباقون تغلي بالتاء وقرأ اهل الكوفة وابو جعفر وابو عمرو فاعتلوه بكسر التاء والباقون بضمها وقرأ الكسائي وحده ذق انّك بفتح الهمزة والباقون انّك بكسرها .

[**الحجة**] من قرأ تغلي بالتاء فعلى الشجرة كأنّ الشجرة تغلي ومن قرأ بالياء حمله على الطعام وهو الشجرة في المعنى ويَعتلِ ويَعتُل مثل يعكِف ويعكُف ويفسِق ويفسُق في انّهما لغتان ومعنى فاعتلوه قودوه بعنف ومن قرأ انّك بالكسر فالمعنى انّك انت العزيز الكريم في زعمك فأجرى ذلك على حسب ما كان يذكره أو يذكر به ومن قرأ انّك بالفتح فالمعنى ذق بأنّك .

[**المعنى**] لمّا ذكر سبحانه انّ يوم الفصل ميقات الخلق يحشرهم فيه بيّن أيّ يوم هو فقال ﴿**يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً**﴾ فالمولى الصاحب الذي من شأنه ان يتولّى معونة صاحبه على اموره فيدخل في ذلك ابن العمّ والناصر والحليف وغيرهم ممّن هذه صفته والمعنى ان ذلك اليوم يوم لا يغني فيه وليّ عن وليّ شيئاً ولا يدفع عنه عذاب الله تعالى ﴿**ولا هم ينصرون**﴾ وهذا لا ينافي ما يذهب اليه اكثر الأمة من اثبات الشفاعة للنبي ﷺ والأئمة (ع) والمؤمنين لأنّ الشفاعة لا تحصل إلا بامر الله تعالى وإذنه والمراد بالآية انه ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله وينصرهم من غير ان يأذن الله له فيه وقد بيّن ما اشرنا اليه باستثنائه من رحمه منهم فقال ﴿**الّا من رحم الله**﴾ اي إلا الذين رحمهم الله من المؤمنين فإنه إما ان يسقط عقابهم ابتداء أو يأذن بالشفاعة فيهم لمن علت درجته عنده فيسقط عقاب المشفوع له لشفاعته ﴿**انّه هو العزيز**﴾ في انتقامه من اعدائه ﴿**الرحيم**﴾ بالمؤمنين ثم وصف سبحانه ما يفصل به بين الفريقين فقال ﴿**إنّ شجرت الزقوم**﴾ وقد مر تفسيره في سورة الصافات ﴿**طعام الأثيم**﴾ اي الآثم وهو ابو جهل وروي انّ ابا جهل اتى بتمر وزبد فجمع بينهما وأكل وقال هذا هو الزقوم الذي يخوّفنا محمد به نحن نتزقمه أي نملأ افواهنا به فقال سبحانه ﴿**كالمهل**﴾ وهو المذاب من النحاس أو الرصاص أو الذهب أو الفضة وقيل هو دُردِيّ الزيت ﴿**يغلي في البطون كغلي الحميم**﴾ أي إذا حصلت في اجواف اهل النار تغلي كغلي الماء الحارّ الشديد الحرارة قال أبو علي الفارسي لا يجوز ان يكون المعنى يغلي المهل في البطون لأنّ المهل إنما ذكر للتشبيه به في الذوب الا ترى انّ المهل لا يغلي في البطون وإنما يغلي ما شبّه به ﴿**خذوه**﴾ اي يقال للزبانية خذوا الأثيم ﴿**فاعتلوه**﴾ اي زعزعوه وادفعوه بعنف ومنه قول الشاعر :

فَيَاضَيْعَةَ الفِتْيَانِ إذْ يَعْتِلُونَهُ ... بِبَطْنِ الثُّرَى مِثْلَ الفَنِيقِ المُسَدَّمِ[1]

---

(١) وفي نسخة: الفنيق بالتاء وهو من الجمال ما ينفتق سمناً وبالنون: الفحل المكرم لا يؤذي لكرامته على اهله ولا يركب والمسدّم: البعير المهمل. الهائج.

وقيل معناه جّروه على وجهه عن مجاهد ﴿إلى سواء الجحيم﴾ اي إلى وسط النار عن قتادة وسمّي وسط الشيء سواء لاستواء المسافة بينه وبين اطرافه المحيطة به والسواء العدل ﴿ثم صبّوا فوق رأسه﴾ قال مقاتل انّ خازن النار يمرّ به على رأسه فيذهب رأسه عن دماغه ثم يصب فيه ﴿من عذاب الحميم﴾ وهو الماء الذي قد انتهى حرّه ويقول له ﴿ذق انك انت العزيز الكريم﴾ وذلك انه كان يقول انا اعزّ اهل الوادي واكرمهم فيقول له الملك ذق العذاب ايها المتعزّز المتكرم في زعمك وفيما كنت تقول وقيل انه على معنى النقيض فكأنه قيل انك انت الذليل المهين الا انّه قيل على هذا الوجه للاستخفاف به وقيل معناه انك انت العزيز في قومك الكريم عليهم فما اغنى ذلك عنك ﴿ان هذا ما كنتم به تمترون﴾ اي ثمّ يقال لهم انّ هذا لعذاب ما كنتم تشكّون فيه في دار الدنيا .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ
فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ
عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا
ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا
مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

[القراءة] قرأ اهل المدينة وابن عامر في مقام بالضم والباقون في مقام بالفتح .

[الحجة] من فتح الميم أراد به المجلس والمشهد كما قال في مقعد صدق ووصفه بالأمن يقوّي انّ المراد به المكان ومن ضم فإنه يحتمل ان يريد به المكان من اقام فيكون على هذا معنى القراءتين واحداً ويجوز ان يجعله مصدراً ويقدّر المضاف محذوفاً أي موضع إقامة

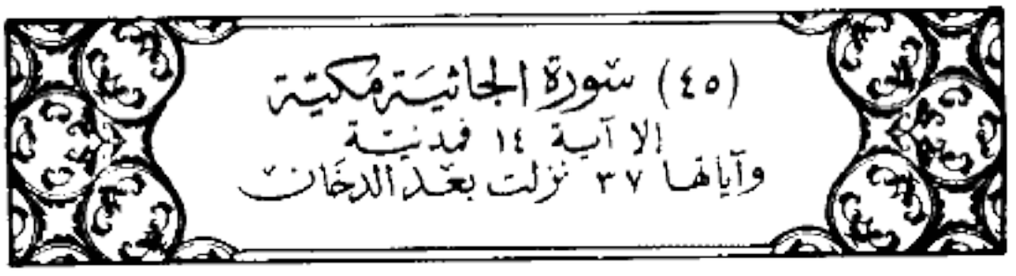
[**اللغة**] السندس الحرير والاستبرق الديباج الغليظ الصفيق قال الزجّاج إنما قيل له استبرق لشدة بريقه والحور جمع حوراء من الحَوَر وهو شدّة البياض وهنّ البيض الوجوه وقال أبو عبيدة الحوراء الشديدة بياض العين الشديدة سوادها والعين جمع العيناء وهي العظيمة العينين .

[**الاعراب**] كذلك جارّ ومجرور في موضع رفع بأنّه خبر المبتدأ التقدير الأمر كذلك متقابلين نصب على الحال من يلبسون ويلبسون يجوز ان يكون خبراً بعد خبر ويجوز ان يكون حالاً من الظرف الذي هو قوله في مقام لأن التقدير ان المتقين ثبتوا في مقام ومفعول يلبسون محذوف وتقديره يلبسون ثياباً من سندس فآمنين حال من يدعون المـوتة الأولى نصب على الاستثناء قال الزجاج معناه سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا كقوله ﴿**ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف**﴾ المعنى سوى ما قد سلف واقول ان سوى لا يكون إلا ظرفاً والا حرف فكيف يكون بمعناه فالاولى ان يكون الا هنا مع ما بعدها صفة او بدلاً بمعنى غير تقديره ولا يذوقون فيها الموت غير الموتة الأولى إذ الموتة الأولى وقد انقضت فلا يمكن ان يستثنى من الموت الذي لا يذوقونه في الجنة إذ ليست بداخلة فيه وقوله فضلاً من ربّك مفعول له تقديره فعل الله ذلك بهم فضلاً منه وتفضّلاً منه ويجوز ان يكون منصوباً بفعل مضمر تقديره واعطاهم فضلاً ويجوز ان يكون مصدراً مؤكداً لما قبله لأنّ ما ذكره قبله تفضّل منه سبحانه كقول امرء القيس «وَرُضْتُ[1] فَذَلَّتْ صَعْبَةُ أَيَّ إِذْلَالِ» على معنى اذللته أيّ اذلال فاستغنى عن أذللته بذكر رضت .

[**المعنى**] ثم عقّب سبحانه الوعيد بذكر الوعد فقال ﴿**انّ المتقين**﴾ الذين يجتنبون معاصي الله لكونها قبائح ويفعلون الطاعات لكونها طاعات ﴿**في مقام امين**﴾ امنوا فيه الغِيَر من الموت والحوادث وقيل امنوا فيه من الشيطان والأحزان عن قتادة ﴿**في جنّات وعيون**﴾ أي بساتين وعيون ماء نابعة فيها ﴿**يلبسون من سندس واستبرق**﴾ خاطب العرب فوعدهم من الثياب بما عظم عندهم واشتهته أنفسهم وقيل السندس ما يلبسونه والاستبرق ما يفترشونه ﴿**متقابلين**﴾ في المجالس لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض بل يقابل بعضاً وقيل معناه متقابلين بالمحبّة لا متدابرين بالبغضة ﴿**كذلك**﴾ حال اهل الجنة ﴿**وزوّجناهم بحور عين**﴾ قال الأخفش المراد به التزويج المعروف يقال زوّجته امرأة وبامرأة وقال غيره لا يكون في الجنة

(١) راض المُهرَ ذلله وسخّره وجعله مطيعاً وعلمه السير ويقال: رُض نفسك بالتقوى اي ذللها .

تزويج والمعنى وقرنّاهم بحور عين ﴿يدعون فيها بكل فاكهة آمنين﴾ اي يستدعون فيها أيّ ثمرة شاؤوا واشتهوا غير خائفين فوتها آمنين من نفادها ومضرّتها وقيل آمنين من التّخم والأسقام والأوجاع ﴿لا يذوقون فيها الموت﴾ شبّه الموت بالطعام الذي يذاق ويتكره عند المذاق ثم نفى ان يكون ذلك في الجنة وإنما خصّهم بأنّهم لا يذوقون الموت مع انّ جميع اهل الآخرة لا يذوقون الموت لما في ذلك من البشارة لهم بالحياة الهنيئة في الجنة فأما من يكون فيما هو كالموت في الشدة فإنه لا يطلق له هذه الصفة لأنه يموت موتات كثيرة بما يقاسيه من العقوبة ﴿إلا الموتة الأولى﴾ قيل معناه بعد الموتة الأولى وقيل معناه لكنّ الموتة الاولى قد ذاقوها وقيل سوى الموتة الأولى وقد بيّنا ما عندنا فيه ﴿ووقيهم عذاب الجحيم﴾ اي فصرف عنهم عذاب النار. استدلّت المعتزلة بهذا على انّ الفاسق الملّي لا يخرج من النار لأنّه يكون قد وقي النار والجواب عن ذلك ان هذه الآية يجوز ان تكون مختصة بمن لا يستحق دخول النار فلا يدخلها او بمن استحق النار فتفضل عليه بالعفو فلم يدخلها ويجوز ان يكون المراد ووقاهم عذاب الجحيم على وجه التأبيد أو على الوجه الذي يعذّب عليه الكفار ﴿فضلاً من ربّك﴾ اي فعل الله ذلك بهم تفضلاً منه لأنه سبحانه خلقهم وانعم عليهم وركّب فيهم العقل وكلّفهم وبيّن لهم من الآيات ما استدلّوا به على وحدانيّة الله تعالى وحسن الطاعات فاستحقوا به النعم العظيمة ثم جزاهم بالحسنة عشر امثالها فكان ذلك فضلاً منه عز اسمه وقيل إنما سّماه فضلاً وان كان مستحقاً لأنّ سبب الاستحقاق هو التكليف والتمكين وهو فضل منه سبحانه ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ اي الظفر بالمطلوب العظيم الشأن ﴿فإنما يسّرناه بلسانك﴾ أي سهّلنا القرآن فالهاء كناية عن غير مذكور والمعنى هوّنا القرآن على لسانك ويسّرنا قراءته عليك وقيل معناه جعلنا القرآن عربياً ليسهل عليك وعلى قومك تفهمّه ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أي ليتذكروا ما فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد ويتفكروا فيه ﴿فارتقب انّهم مرتقبون﴾ اي فإن اعرضوا ولم يقبلوا فانتظر مجيء ما وعدناك به انهم منتظرون لأنهم في حكم من ينتظر لأنّ المحسن يترقب عاقبة الإحسان والمسيء يترقب عاقبة الإساءة وقيل معناه انتظر بهم عذاب الله فإنهم ينتظرون بك الدوائر وقيل انتظر قهرهم ونصرك عليهم فإنهم منتظرون قهرك بزعمهم .



وتسمى أيضاً سورة الشريعة لقوله فيها ﴿ ثم جعلناك ﴾ على شريعة من الأمر وهي مكية قال قتادة إلا آية منها نزلت بالمدينة ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا ﴾ الآية .

[عدد آيها] سبع وثلاثون آية كوفي ست في الباقين .

[اختلافها] آية حمٓ كوفي .

[فضلها] ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ حمٓ الجاثية ستر الله عورته وسكّن روعته عند الحساب وروى ابو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الجاثية كان ثوابها ان لا يرى النار أبداً ولا يسمع زفير جهنم ولا شهيقها وهو مع محمد ﷺ.

[تفسيرها] لمّا ختم الله سبحانه سورة الدخان بذكر القرآن افتتح هذه السورة بذكره ايضاً فقال سبحانه :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ

بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

[القراءة] قرأ حمزة والكسائي ويعقوب آيات في الموضعين على النصب والباقون آيات على الرفع فيهما .

[الحجة] قال أبو علي قوله وفي خلقكم وما يبثّ من دآبة آيات جاز الرفع في قوله آيات من وجهين (أحدهما) العطف على موضع انّ وما عملت فيه فإنه رفع بالابتداء فيحتمل الرفع فيه على الموضع (والآخر) أن يكون مستأنفاً ويكون الكلام جملة معطوفة على جملة فيكون قوله آيات على هذا مرتفعاً بالظرف فهذا وجه من رفع آيات في الموضعين قال أبو الحسن من دابة آيات قراءة الناس بالرفع وهي أجود وبها نقرأ لأنّه قد صارعلى كلام آخر نحو إنّ في الدار زيداً وفي البيت عمرو لأنك إنما تعطف الكلام كله على الكلام كلّه قال وقد قرىء بالنصب وهو عربّي انتهت الحكاية عنه وأمّا قوله واختلاف الليل والنهار إلى آخره آيات فإنك إن تركت الكلام على ظاهره فإنّ فيه عطفاً على عاملين أحد العاملين الجارّ الذي هو في من قوله وفي خلقكم وما يبثّ من دابة والعامل الآخران ان نصبت آيات وان رفعت فالعامل المعطوف عليه الابتداء او الظرف ووجه قراءة من قرأ آيات بالنصب انه لم يحمل على موضع انّ كما حمل من ورفع آيات في الموضعين او قطعة واستأنف ولكن حمل على لفظ انّ دون موضعها فحمل آيات في الموضعين على نصب إنّ في قوله ان في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين فإن قلت إنّه يعرض في هذه القراءة العطف على عاملين وذلك في قوله واختلاف الليل والنهار آيات وسيبويه وكثير من النحويين لا يجيزونه قيل يجوز انيقدر في قوله واختلاف الليل والنهار آيات وان كانت محذوفة من اللفظ وذلك انّ ذكره قد تقدّم في قوله ان في السماوات وقوله وفي خلقكم فلمّا تقدّم ذكر الجارّ في هذين قدّر فيه الإثبات في اللفظ وان كان محذوفاً منه كما قدّر سيبويه في قوله :

أكُلَّ أمرِءٍ تَحْسَبِينَ أمَرءاً وَنَارٍ تَأَجَّجُ بالليلِ نَاراً

أنّ كل في حكم الملفوظ به واستغني عن اظهاره بتقدم ذكره ومما يؤكد هذه القراءة في أنّ آيات محمولة على انّ ما ذكر عن أبي انّه قرأ في المواضع الثلاثة لآيات فدخول اللامات تدلّ على انّ الكلام محمول على انّ وإذا كان محمولاً عليها حسن النصب وصار كلّ موضع من ذلك كأنّ انّ مذكورة فيه بدلالة دخول اللام لأن هذه اللام إنما تدخل على خبر إنّ او على اسمها ومما يجوز ان يتأوّل على ما ذكرنا قول الفرزدق .

وَبَـاشَـرَ رَاعِيهَـا الصَّـلا بِلَبَـانِـهِ وَكَفَّيْـهِ حَـرَّ النَّـارِ مَـا يَتَحَـرَّف[١]

فهذا ان حملت الكلام على ظاهره كان عطفاً على عاملين على الفعل والباء ان قدرت ان الباء ملفوظ بها لتقدّم ذكرها صارت في حكم الثبات في اللفظ وإذا صار كذلك كان العطف على عامل واحد وهو الفعل دون الجارّ وكذلك قول الآخر :

أَوْصَـيْـتُ مِـنْ بَـرَّةَ قَـلْبـاً حُـرّاً بِـالْكَـلْبِ خَـيْـراً وَالْحَـمَـاةِ شَـرّاً[٢]

فإن قدّرت الجارّ في حكم المذكور لدلالة المتقدّم عليه لِمَ يكن عطفاً على عاملين كما لم يكن قولهُ واختلاف الليل والنهار لآيات كذلك وقد يخرج قولهُ واختلاف الليل والنهار آيات من ان يكون عطفاً على عاملين من وجه آخر وهو ان تقدّر قوله واختلاف الليل والنهار على في المتقدّم ذكرُها وتجعل آيات متكررة كرّرتها لما تراخى الكلام وطال كما قال بعض شيوخنا في قوله تعالى ألم يعلموا انّه من يحادد الله ورسوله فأنّ له نار جهنم ان أنهي الاولى كررت وكما جاء فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به لما تراخى عن قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله وهذا النحو في كلامهم غير ضيّق .

[**المعنى**] ﴿حٰم﴾ قد بيّنا ما قيل فيه وأجود الأقوال انّه اسم للسورة قال علي بن عيسى وفي تسمية السورة بحٰم دلالة على ان هذا القرآن السجز كلّه من حروف المعجم لأنه سمّي به ليدلّ عليه بأوصافه ومن اوصافه انه معجز وانّه مفصل قد فصّلت كلّ سورة من اختها وانه هدى ونور فكأنّه قيل هذا اسمه الدالّ عليه بأوصافه ﴿**تنزيل الكتاب من الله**﴾ اضاف التنزيل إلى نفسه في مواضع من السور استفتاحاً بتعظيم شأنه وتفخيم قدره بإضافته الى نفسه من اكرم الوجوه وأجلّها وما اقتضى هذا المعنى لم يكن تكريراً فقد يقول القائل اللّهم اغفر لي اللهم ارحمني اللّهم عافني اللّهم وسّع عليّ في رزقي فيأتي بما يؤذن ان تعظيمه لربّه منعقد بكل ما يدعو به وقوله من الله يدلّ على انّ ابتداءه من الله تعالى ﴿**العزيز**﴾ اي القادر الذي لا يغالب ﴿**الحكيم**﴾ العالم الذي افعاله كلّها حكمة وصواب ﴿**انّ في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين**﴾ الذين يصدّقون بالله وبأنبيائه لأنّهم المنتفعون بالآيات وهي الدلالات والحجج الدالّة على انّ لهما مدبّراً صانعاً قادراً عالماً ﴿**في خلقكم وما يبثّ من**

(١) الصّلا: وسط الظهر من الناس ومن كل ذي اربع ـ الوقود ـ النار. واللبان بالفتح : الصدر ـ وفي نسختين يتحرق بدل يتحرف وتحرق اي وقع في النار وتحرف اي مال الى حرف اي إلى جانب.

(٢) برّة امرأة وهي جدة قريش ام النضر بن كنانة والحماة بالفتح : ام الزوجة وحماة المرأة ام زوجها اي اوصتني برة من قلب حرّ أو بقلب حرّ بالكلب خيراً وبالحماة شراً.

دابّة آيات﴾ معناه وفي خلقه إيّاكم بما فيكم من بدائع الصنعة وعجائب الخلقة وما يتعاقب عليكم من الاحوال من مبتدأ خلقكم في بطون الأمّهات إلى انقضاء الاجال وفي خلق ما يفرّق على وجه الأرض من الحيوانات على اختلاف اجناسها ومنافعها والمقاصد المطلوبة منها دلالات واضحات على ما ذكرناه ﴿لقوم يوقنون﴾ اي يطلبون علم اليقين بالتدبّر والتفكر ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ اي وفي ذهاب الليل والنهار ومجيئها على وتيرة واحدة وقيل معناه وفي اختلاف حالهما من الطول والقصر وقيل اختلافهما في انّ احدهما نور والآخر ظلمة ﴿وما انزل الله من السماء من رزق﴾ اراد به المطر الذي ينبت به النبات الذي هو رزق الخلائق فسمّاه رزقاً لأنّه سبب الرزق ﴿فاحيا به الأرض بعد موتها﴾ اي فأحيا بذلك المطر الأرض بعد يبسها وجفافها ﴿وتصريف الرياح﴾ اي وفي تصريف الرياح يجعلها مرّة جنوباً وأخرى شمالاً ومرّة صبا واخرى دبوراً عن الحسن وقيل يجعلها تارة رحمة وتارة عذاباً عن قتادة ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ وجوه الأدلة ويتدبّرونها فيعلمون انّ لهذه الأشياء مدبّراً حكيماً قادراً عليماً حيّاً غنيّاً قديماً لا يشبهه شيء .

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ
يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم
مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ۝١٠

[القراءة] قرأ اهل الكوفة غير حفص والأعشى والبرجمي وابن عامر ويعقوب تؤمنون بالتاء والباقون بالياء .

[**الحجة**] قال أبو علي حجة من قرأ بالياء انّ قبله غيبة وهو قوله لقوم يؤمنون ومن قرأ بالتاء فالتقدير قل لهم فبأيّ حديث بعد ذلك تؤمنون .

[**المعنى**] لمّا قدّم سبحانه ذكر الادلّة عقّب ذلك بالوعيد لمن اعرض عنها ولم يتفكر فيها فقال ﴿**تلك آيات الله**﴾ اي ما ذكرناه ادلة الله التي نصبها لخلقه المكلّفين ﴿**نتلوها عليك**﴾ اي نقرأها عليك يا محمد لتقرأها عليهم ﴿**بالحقّ**﴾ دون الباطل والتلاوة الإتيان بالثاني في أثرالأول في القراءة والحقّ الذي تتلى به الآيات هو كلام مدلوله على ما هو به في جميع انواعه ﴿**فبأيّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون**﴾ معناه انّ هؤلاء الكفار إن لم يصدّقوا بما تلوناه عليك فبأيّ حديث بعد حديث الله وهو القرآن وآياته يصدّقون وبأيّ كلام ينتفعون وهذا اشارة إلى انّ المعاند لا حيلة له والفرق بين الحديث الذي هو القرآن وبين الآيات انّ الحديث قصص يستخرج منه الحق من الباطل والآيات هي الأدلة الفاصلة بين الصحيح والفاسد ﴿**ويل لكل أفّاك أثيم**﴾ الأفاك الفعّال من الإفك وهو الكذب ويطلق ذلك على من يكثر كذبه او يعظم كذبه وان كان في خبر واحد ككذب مسيلمة في ادعاء النبوة والاثيم ذو الإثم وهو صاحب المعصية التي يستحق بها العقاب والويل كلمة وعيد يتلقى بها الكفار وقيل هو وادٍ سائل من صديد جهنم ثم وصف سبحانه الأفاك الاثيم بقوله ﴿**يسمع آيات الله تتلى عليه**﴾ اي يسمع آيات القرآن التي فيها الحجة تقرأ عليه ﴿**ثم يصرّ مستكبراً**﴾ أي يقيم على كفره وباطله متعظماً عند نفسه عن الانقياد للحق ﴿**كأن لم يسمعها**﴾ اصلا في عدم القبول لها والاعتبار بها ﴿**فبشّره بعذاب أليم**﴾ أي مؤلم ﴿**وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً**﴾ اي وإذا علم هذا الأفاك الأثيم من حججنا وادلّتنا شيئاً استهزأ بها ليرى العوامّ انه لا حقيقة لها كما فعله ابو جهل حين سمع قوله انّ شجرة الزقوم طعام الاثيم او كما فعله النضر بن الحارث حين كان يقابل القرآن بأحاديث الفرس ﴿**أولئك لهم عذاب مهين**﴾ أي مذلّ مخز مع ما فيه من الألم ﴿**من ورائهم جهنم**﴾ أي من وراء ما هم فيه من التعزّز بالمال والدنيا جهنم ومعناه قدّامهم ومن بين أيديهم كقوله وكان وراءهم ملك ووراء اسم يقع على القدّام والخلف فيما توارى عنك فهو وراؤك خلفك كان أو أمامك ﴿**ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً**﴾ اي لا يغني عنهم ما حصّلوا وجمعوه من المال والولد شيئاً من عذاب الله تعالى ﴿**ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء**﴾ من الألهة التي عبدوها لتكون شفعاءهم عند الله ﴿**ولهم**﴾ مع ذلك ﴿**عذاب عظيم**﴾.

﴿ هَٰذَا هُدًى ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ

عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ * اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ
الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾
وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا
لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾
مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وحفص من رجز اليم بالرفع والباقون أليم بالجر وقرأ ابو جعفر ليجز بضم الياء وفتح الزاي وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف لنجزي بالنون وكسر الزاي والنصب وقرأ الباقون ليجزي بفتح الياء وكسر الزاي .

[الحجة] قال أبو علي الرجز العذاب فمن جرّ فالتقدير عدا بهم من عذاب اليم ومن رفع فالمعنى عذاب اليم من عذاب وفيه قولان (أحدهما) ان الصفة قد تجيء على وجه التأكيد كما انّ الحال قد تجيء كذلك وذلك نحو قوله نفخة واحدة ومناة الثالثة الأخرى وقولهم امس الدّابر قال :

وَأَبِي الَّذِي تَرَكَ الْمُلُوكَ وَجَمْعَهُمْ بِفِنَاءِ هَامِدَةَ كَأَمْسِ الدَّابِرِ[1]

(والآخر) انّه محمول على انه بمعنى الرجس الذي هو النجاسة على البدل للمقاربة ومعنى النجاسة فيه قوله ويسقى من ماء صديد يتجرّعه ولا يكاد يسيغه فكأنّ المعنى لهم عذاب من تجرّع رجس أو شرب رجس فتكون من تبييناً للعذاب مِمّ هو؟ ومن قرأ ليجزي بالياء فحجّته انّ ذكر الله قد تقدّم في قوله لا يرجون أيام الله فيكون فاعل يجزي ومن قرأ بالنون فالنون في معنى الياء وان كانت الياء اشدّ مطابقةً لما في اللفظ ومن قرأ ليجزي قوماً

(١) الهامدة: البالية المتقطعة.

فقال أبو عمرو انه لحسن ظاهر وذكر انّ الكسائي قال ان معناه ليجزي الجزاء قوماً قال الجامع البصير معناه ليُجزي الخير قوماً فأضمر الخير لدلالة الكلام عليه وليس التقدير ليجزي الجزاء قوماً لأن المصدر لا يقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح فإذا الخبر مضمر كما اضمر الشمس في قوله حتى توارت بالحجاب لأنّ قوله إذ عرض عليه بالعشي يدل على تواري الشمس .

[**المعنى**] ثم قال سبحانه ﴿**هذا هدىً**﴾ أي هذا القرآن الذي تلوناه والحديث الذي ذكرناه هدىً أي دلالة موصلة إلى الفرق بين الحق والباطل من أمور الدين والدنيا ﴿**والذين كفروا بآيات ربهم**﴾ وجحدوها ﴿**لهم عذاب من رجز اليم**﴾ مرّ معناه ثم نبه سبحانه خلقه على وجه الدلالة على توحيده فقال ﴿**الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره**﴾ أي جعله على هيئته[1] لتجري السفن فيه ﴿**ولتبتغوا من فضله**﴾ أي ولتطلبوا بركوبه في اسفاركم من الارباح بالتجارات ﴿**ولعلكم تشكرون**﴾ له هذه النعمة ﴿**وسخرّ لكم ما في السماوات وما في الارض**﴾ اي سخر لكم مع ذلك معاشر الخلق ما في السماوات من الشمس والقمر والنجوم والمطر والثلج والبَرَد وما في الأرض من الدوابّ والاشجار والنبات والاثمار والانهار ومعنى تسخيرها لنا انّه تعالى خلقها جميعاً لانتفاعنا بها فهي مسخرّة لنا من حيث انّا ننتفع بها على الوجه الذي نريده وقوله ﴿**جميعاً منه**﴾ قال ابن عباس أي كل ذلك رحمة منه لكم قال الزجاج كلّ ذلك منه تفضّل وإحسان ويحسن الوقف على قوله جميعاً ثم يقول منه أي ذلك التسخير منه لا من غيره فهو فضله واحسانه وروي عن ابن عباس وعبد الله بن عمر والحجحدري انهم قرأوا منّةً منصوبة ومنوّنة وعلى هذا فيكون من باب تبسّمت وميض البرق فكأنه قال منّ عليهم منّةً وروي عن سلمة انه قرأ منّة بالرفع وعلى هذا فيكون خبر مبتدأ محذوف اي ذلك منّة أو هو منّة أو يكون على معنى سخر لكم ذلك منّة ﴿**إن في ذلك لآيات**﴾ اي دلالات ﴿**لقوم يتفكرون**﴾ ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**للذين آمنوا يغفروا**﴾ هذا جواب امر محذوف دل عليه الكلام وتقديره قل لهم اغفروا يغفروا فصار قل لهم على هذا الوجه يغني عنه عن عليّ بن عيسى وقيل معناه قل للذين آمنوا اغفروا ولكنه شبّه بالشرط والجزاء كقوله قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة عن الفراء وقيل يغفروا تقديره يا هؤلاء اغفروا فحذف المنادي كقوله ألا يا اسجدوا لله وقول الشاعر «ألا يا اسلمي ذات الدّماليج والعِقد»[2] ﴿**للذين لا يرجون ايّام الله**﴾ اي لا يخافون عذاب الله إذا

(١) وفي نسخة على هيئة تجري السفن فيه وفي أخرى على هيئة لتجري . . والأول هو الصواب .

(٢) جمع الدملوج : حليّ يلبس في المعصم والعقد : القلادة .

نالوكم بالأذى والمكروه ولا يرجون ثوابهُ بالكفّ عنكم وقد مرَّ تفسير ايّام الله عند قوله وذكرهم بأيّام الله ومعنى يغفروا هاهنا يتركوا مجازاتهم على اذاهم ولا يكافؤوهم ليتوليّ الله مجازاتهم ﴿ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون﴾ بيان هذا الجزاء في الآية التي تليها وهو قوله ﴿من عمل صالحاً﴾ اي طاعة وخيراً وبرّاً ﴿فلنفسه﴾ لأنّ ثواب ذلك يعود عليه ﴿ومن أساء فعليها﴾ اي فوبال اساءته على نفسه ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ يوم القيامة اي إلى حيث لا يملك احد النفع والضرّ والنهي والأمر غيره سبحانه فيجازي كل إنسان على قدر عمله.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ
وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾
وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ
ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟
فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ
ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ
ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

[المعنى] لمّا تقدّم ذكر النعمة ومقابلتهم إياها بالكفر والطغيان بيّن عقيب ذلك ذكر ما كان من بني إسرائيل أيضاً في مقابلة النعم من الكفران فقال: ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب﴾ يعني التوراة ﴿والحكم﴾ يعني العلم بالدين وقيل العلم بالفصل بين الخصمين وبين المحقّ والمبطل ﴿والنبوّة﴾ اي وجعلنا فيهم النبوّة حتّى روي انّه كان فيهم الف نبيّ ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ اي واعطيناهم من انواع الطيّبات ﴿وفضّلناهم على العالمين﴾ اي عالمي زمانهم وقيل فضّلناهم في كثرة الانبياء منهم على سائر الأمم وإن كانت امّة محمد ﷺ أفضل منهم في كثرة المطيعين لله وكثرة العلماء منهم كما يقال هذا افضل في علم النحو

وذاك في علم الفقه فأمّة محمد ﷺ افضل في علوّ منزلة نبيّها عند الله على سائر الأنبياء وكثرة المجتبين الاخيار من آله وامتّه والفضل الخير الزائد على غيره فأمة محمد ﷺ افضل بفضل محمد وآله ﴿وآتيناهم بيّنات من الأمر﴾ اي أعطيناهم دلالات وبراهين واضحات من العلم بمبعث محمد ﷺ وما بيّن لهم من امره وقيل يريد بالامر احكام التوراة ﴿فما اختلفوا إلا من بعدما جاءهم العلم﴾ اي من بعد ما انزل الله الكتب على انبيائهم واعلمهم بما فيها ﴿بغياً بينهم﴾ أي طلباً للرئاسة وأَنَفَةً من الإذعان للحق وقيل بغياً على محمد ﷺ في جحود ما في كتابهم من نبوته وصفته ﴿إنّ ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ ظاهر المعنى ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر﴾ أي ثم جعلناك يا محمد على دين ومنهاج وطريقة يعني بعد موسى وقومه والشريعة السنة التي من سلك طريقها ادّته إلى البُغية كالشريعة التي هي طريق إلى الماء فهي علامة منصوبة على الطريق من الأمر والنهي يؤدّي إلى الجنة كما يؤدّي ذلك إلى الوصول إلى الماء ﴿فاتّبعها﴾ اي اعمل بهذه الشريعة ﴿ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون﴾ الحق ولا يفصلون بينه وبين الباطل من اهل الكتاب الذين غيروا التوراة اتباعاً لهواهم وحبّاً للرئاسة واستتباعاً للعوام ولا المشركين الذين اتبعوا اهواءهم في عبادة الأصنام ﴿انّهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً﴾ اي لن يدفعوا عنك شيئاً من عذاب الله ان اتبعتّ اهواءهم[1] ﴿وانّ الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ يعني انّ الكفار بأجمعهم متّفقون على معاداتك وبعضهم انصار بعض عليك ﴿والله وليّ المتقين﴾ اي ناصرهم وحافظهم فلا تشغل قلبك بتناصرهم وتعاونهم عليك فإن الله ينصرك عليهم ويحفظك ﴿هذا بصائر للناس﴾ أي هذا الذي انزلته عليك من القرآن بصائر اي معالم في الدين وعظات وعبر للناس يبصرون بها من امور دينهم ﴿وهدىً﴾ أي دلالة واضحة ﴿ورحمة﴾ اي ونعمة من الله ﴿لقوم يوقنون﴾ بثواب الله وعقابه لأنهم هم المنتفعون به .

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا
يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ

(١) وفي نسخة : ان اتبعت اهواءهم في عبادة الأصنام .

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ
هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ
بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟
مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم
بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا
بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾

[القراءة] قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر وروح وزيد سواء بالنصب والباقون بالرفع وقرأ اهل الكوفة غير عاصم غشوة بفتح الغين بغير الف والباقون غشاوة بالألف .

[الحجة] قال ابو علي ليس الوجه في الآية نصب سواء على ان تجريه على ما قبله على حدّ قولك مررت برجل ضارب ابوه ويزيد خارجاً أخوه لأنه ليس باسم فاعل ولا مشبّه به مثل حسن وشديد ونحو ذلك إنما هو مصدر فلا ينبغي ان يجري على ما قبله كما يجري اسم الفاعل وما شبّه به لتعرّيه من المعاني التي اعمل فافاعل وما شبّه بـه عمل الفعـل ومن قال مررت برجل خير منه أبوه وسرج خزّ صفته وبرجل مئة أبله استجاز ان يجري سواء أيضاً على ما قبله كما اجرى الضرب الاول فأما من قرأ سواءٍ بالنصب فإنّ انتصابه يحتمل ثلاثـة اوجه (احدها) ان يجعل المحيا والممات بدلاً من الضمير المنصوب في نجعلهم فيصير التقدير ان نجعل محياهم ومماتهم سواء فينتصب سواء على انه مفعول ثانٍ لنجعل ويكون انتصاب سواء على هذا القول حسناً لأنه لم يرفع مظهراً ويجوز أيضاً ان يجعل محياهم ومماتهم ظرفين من الزمان فيكون كذلك ايضاً ويجوز ان يعمل في الظرفين احد شيئين (أحدهما) ما في سواء من معنى الفعل كأنّه يستوون في المحيا والممات (والآخر) ان يكون العـامل الفعـل ولم يُعلم الكوفيون الذين نصبوا سواء نصبوا الممات فإذا لم ينصبوه كان النصب في سـواء على غير هذا الوجه وغير هذا الوجه لا يخلو من أن ينتصب على انه حال او على انه المفعول الثاني

لنجعل وعلى ايّ هذين الوجهين حملته فقد اعملته عمل الفعل فرفعت به المظهر فإن جعلته حالاً امكن ان يكون الحال من الضمير في نجعلهم ويكون المفعول الثاني قوله كالذين آمنوا فإذا جعلت قوله كالذين آمنوا المفعول الثاني امكن ان يكون سواء منتصباً على الحال مما في قوله كالذين آمنوا من معنى الفعل فيكون ذو الحال الضمير المرفوع في قوله كالذين آمنوا وهذا الضمير يعود إلى الضمير المنصوب في نجعلهم وانتصابه على الحال من هذين الوجهين ويجوز ان لا يجعل قوله كالذين آمنوا المفعول الثاني ولكن يجعل المفعول الثاني قوله سواء محياهم ومماتهم فيكون جملة في موضع نصب بكونها في موضع المفعول الثاني لنجعل ويجوز فيمن قال مررت برجل مائة ابله فاعمل المائة عمل الفعل ان ينصب سواء على هذا الوجه أيضاً ويرتفع به المحيا كما جاز ان يرتفع به إذا قدّرت الجملة في موضع الحال والحال في الجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم يكون من جعل ويكون مما في قوله كالذين من معنى الفعل وقد قيل في الضمير في قوله محياهم ومماتهم قولان (أحدهما) انه ضمير الكفار دون الذين آمنوا فكان سواء على هذا القول مرتفعاً بأنّه خبر مبتدأ مقدّم تقديره محياهم ومماتهم سواء اي محياهم محيا سوء ومماتهم ممات سوء ولا يكون النصب على هذا في سواء لأنّه اثبات في الاخبار بأنّ محياهم ومماتهم يستويان في الذمّ والبعد من رحمة الله (والقول الآخر) انّ الضمير في محياهم ومماتهم للقبيلين فإذا كان كذلك جاز ان ينتصب سواء على انّه المفعول الثاني من نجعل فيمن استجاز ان يعمله في الظاهر لأنه يلتبس بالقبيلين جميعاً وليس في الوجه الأول كذلك لأنّه للكفّار دون المؤمنين ولا يلتبس للمؤمنين من حيث كان للكفار من دونهم ولا يجوز ان ينتصب سواء ولم يكن فيه إلا الرفع ويكون على هذا الوجه قوله كالذين آمنوا وعملوا الصالحات في موضع المفعول الثاني وسواء محياهم استئناف ولا يكون في موضع حال من قوله كالذين آمنوا لأنه لا يلتبس بهم والقول في غشوة وغشاوة مذكور في سورة البقرة .

[اللّغة] الاجتراح الإكتساب يقال جرح واجترح وكسب واكتسب وفلان جارحة قومه أي كاسبة قومه وأصله من الجراح لأن لذلك تأثيراً كتأثير الجراح ومثله الإقتراف وهو مشتقّ من قرف[1] القرحة والسيئة الفعلة القبيحة التي تسوء صاحبها باستحقاق الذمّ عليها والحسنةهي التي تُسر صاحبها باستحقاق المدح عليها قال عليّ بن عيسى : القبيح ما ليس للقادر عليه أن يفعله والحسن هو ما للقادر عليه أن يفعله وكل فعل وقع لا لأمر من الأمور فهو لغو لا ينسب إلى الحكمة ولا إلى السفه .

(١) قرف القرحة يقرفها: قشرها بعد يبسها .

[المعنى] ثم قال سبحانه للكفار على سبيل التوبيخ لهم ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ معناه بل أحسبت وهذا استفهام انكار وقيل ان هذا معطوف على معنى مضمر تقديره هذا القرآن بصائر للناس مؤدّية إلى الجنة أفعلموا ذلك أم حسب الذين اكتسبوا الشرك والمعاصي ان نجعل منزلتهم منزلة الذين صدقوا الله ورسوله وحقّقوا أقوالهم بأعمالهم ﴿سواء محياهم ومماتهم﴾ اي يستوي محيا القبيلين ومماتهم يعني أحسبوا ان حياتهم ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم ﴿ساء ما يحكمون﴾ أي ساء ما حكموا على الله تعالى فإنّه لا يسوّي بينهم ولا يستقيم ذلك في العقول بل ينصر المؤمنين في الدنيا ويمكّنهم من المشركين ولا ينصر الكافرين ولا يمكنهم من المسلمين وينزل الملائكة عند الموت على المؤمنين بالبشرى وعلى الكافرين يضربون وجوههم وأدبارهم وقيل اراد محياهم بعد البعث ومماتهم عند حضور الملائكة لقبض أرواحهم وقيل اراد انّ المؤمنين محياهم على الإيمان والطاعة ومماتهم على الإيمان والطاعة ومحيا المشركين على الشرك والمعصية ومماتهم كذلك فلا يستويان عن مجاهد وقيل ان الضمير في مماتهم ومحياهم للكفار والمعنى انهم يتساوون في حال كونهم احياء وفي حال كونهم أمواتاً لأنّ الحي متى لم يفعل الطاعة فهو بمنزلة الميت ثم قال سبحانه ﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق﴾ أي لم يخلقهما عبثاً وإنما خلقهما لنفع خلقة بأن يكلّفهم ويعرضهم للثواب الجزيل ﴿ولتجزى كلّ نفس بما كسبت﴾ من ثواب على طاعة او عقاب على معصية ﴿وهم لا يظلمون﴾ اي لا يبخسون حقوقهم ثم قال ﴿أفرأيت﴾ يا محمد ﴿من اتخذ إلٰهه هواه﴾ اي اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئاً إلا ركبه لأنّه لا يؤمن بالله ولا يخافهُ فاتّبع هواه في أموره ولا يحجزه تقوى عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل معناه من اتخذ معبوده ما يهواه دون ما دلّت الدلالة على انّ العبادة تحقق له فإذا استحسن شيئاً وهواه اتخذه إلٰهاً وكان احدهم يعبد الحجر فإذا رأى ما هو احسن منه رمى به وعبد الآخر عن عكرمة وسعيد بن جبير وقيل معناه افرأيت من انقاد لهواه انقياده لإلٰهه ومعبوده ويرتكب ما يدعوه اليه ولم يرد انه يعبد هواه ويعتقد انهّ تحق لهُ العبادة لأنّ ذلك لا يعتقده احد عن علي بن عيسى قد ايس الله رسوله من إيمانه هؤلاء بهذا ﴿وأضلهّ الله على علم﴾ أي خذله الله وخلّاه وما اختاره جزاء له على كفره وعناده وترك تدبرّه على علم منه باستحقاقه لذلك وقيل اضله الله أي وجده ضالاً على حسب ما علمه فخرج معلومه على وفق ما علمه كما يقال احمدت فلاناً أي وجدته حميداً وكقول عمرو بن معد يكرب قاتلناهم فما أجْبَنُاهم وسألناهم فما ابخلناهم وقاولناهم فما افحمناهم اي ما وجدناهم كذلك وقيل معناه انه ضلّ عن الله كما قال :

هَبُوني امْرَءاً مِنْكُمْ أَضَلَّ بَعيرُهُ لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الذِّمامَ كَبيرُ

أي ضلّ عنه بعيره ﴿وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾ فسّرناه في سورة البقرة ﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ أي من بعد هداية الله إياه والمعنى إذا لم يهتد بهدى الله بعد ظهوره ووضوحه فلا طمع في اهتدائه ﴿أفلا تذكرون﴾ أي أفلا تتعظون بهذه المواعظ وهذا استبطاء بالتذكر منهم اي تذكّروا واتعظوا حتى تحصلوا على معرفة الله تعالى ثم اخبر سبحانه عن منكري البعث فقال ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا﴾ اي ليس الحياة إلا حياتنا التي تحن فيها في دار الدنيا ولا يكون بعد الموت بعث ولا حساب ﴿نموت ونحيا﴾ قيل في معناه أقوال (أحدها) انّ تقديره نحيا ونموت فقدّم وأخرّ (والثاني) انّ معناه نموت ونحيي أولادنا (والثالث) يموت بعضنا ويحيا بعضنا كما قال فاقتلوا أنفسكم اي ليقتل بعضكم بعضاً ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ أي وما يميتنا إلّا الأيام والليالي اي مرور الزمان وطول العمر انكاراً منهم للصانع ﴿وما لهم بذلك من علم﴾ نفي سبحانه عنهم العلم أي انما ينسبون ذلك إلى الدهر لجهلهم ولو علموا انّ الذي يميتهم هو الله وانه قادر على احيائهم لما نسبوا الفعل إلى الدهر ﴿إنهم إلا يظنون﴾ أي ما هم فيما ذكروه إلا ظانّون وإنما الأمر بخلافه وقد روي في الحديث عن النبي ﷺ انه قال لا تسبّوا الدّهر فإن الله هو الدهر وتأويله انّ اهل الجاهلية كانوا ينسبون الحوادث المجحفة والبلايا النازلة الى الدهر فيقولون فعل الدهر كذا وكانوا يسبّون الدهر فقال ﷺ ان فاعل هذه الأمور هو الله تعالى فلا تسبّوا فاعلها وقيل معناه فإنّ الله مصرّف الدهر ومدبره والوجه الأول أحسن فإنّ كلامهم مملوء من ذلك ينسبون افعال الله إلى الدهر قال الاصمعي ذَمّ اعرابي رجلاً فقال هو أكثر ذنوباً من الدهر وقال كثير .

وَكُنْتُ كَذي رِجلَيْنِ رِجْلٍ صَحيحَةٍ وَرِجْلٍ رَمى فيهَا الزَّمانُ فَشَلَّتِ

وقال آخر :

فَاسْتَأْثَرَ الدَّهْرُ الْغَداةَ بِهِمْ وَالدَّهْرُ يَرْميني وَمَا أَرْمي
يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجْعَتَنَا بِسَراتِنا وَوَقَرْتَ في الْعَظْمِ[1]

ثم قال سبحانه ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات﴾ أي إذا قرأت عليهم حججنا ظاهرات ﴿ما كان حجتهم إلا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين﴾ أي لم يكن لهم في مقابلتها حجةٌ

(١) السراة بالفتح جمع السرى وهوالسيد الشريف السخي وصاحب المروة في شرف وهو جمع نادر ووقر العظم يقره اي صدعه .

إلا مقالتهم ان كنتم صادقين في ان الله يعيد الأموات ويبعثهم يوم القيامة فأتوا بآبائنا وأحيُوهم حتى نعلم نعلم ان الله قادر على بعثنا وإنما لم يجبهم الله إلى ذلك لأنهم قالوا ذلك متعنتين مقترحين لا طالبين الرشد .

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾

[القراءة] قرأ يعقوب كلّ أمةً تدعى إلى كتابها بفتح اللام والباقون بالرفع .

[الحجة] الوجه في نصبه انه بدل من الاول وفي الثاني من الايضاح ما ليس في الأول لأنّ فيه ذكر السبب الداعي الى الجثوّ فلذلك جاز ابداله منه وتكون تدعى في موضع نصب على الحال او على انّه مفعول ثان على تفصيل معنى ترى .

[المعنى] ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ رادّاً على الكفار قولهم فقال ﴿قل﴾ يا محمد ﴿الله يحييكم﴾ في دار الدنيا لأنّه لا يقدر على الإحياء احد سواه لأنه القادر لنفسه ﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثم يجمعكم إلى يوم القيامة﴾ بأن يبعثكم ويعيدكم احياء ﴿لا ريب فيه﴾ اي لا شك فيه لقيام الحجة عليه وإنما احتج بالإحياء في دار الدنيا لأنّ من قدر على فعل الحياة في وقت قدر على فعلها في كل وقت ومن عجز عن ذلك في وقت مع ارتفاع الموانع المعقولة وكونه حيا عجز عنه في كلّ وقت ﴿ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ ذلك بعدولهم عن النظرالموجب للعلم بصحته ﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾ وهو قادر على البعث والإعادة ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون﴾ العادلون عن الحق

الفاعلون للباطل انفسهم وحياتهم في الدنيا لا يحصلون من ذلك إلّا على عذاب دائم ﴿وترى كل امة جاثية﴾ أي وترى يوم القيامة اهل كلّ ملة باركة على ركبها عن ابن عباس وقيل باركة مستوفزة[1] على ركبها كهيئة قعود الخصوم بين يدي القضاة عن مجاهد والضحاك وابن زيد وقيل ان الجثوّ للكفار خاصةً وقيل هو عامّ للكفار والمؤمنين ينتظرون الحساب ﴿كلّ امّة تدعى إلى كتابها﴾ أي كتاب اعمالها الذي كان يستنسخ لها وقيل إلى كتابها المنزل على رسولها ليسئلوا عما عملوا به ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾ اي يقال لهم ذلك ﴿هذا كتابنا﴾ يعني ديوان الحفظة ﴿ينطق عليكم بالحق﴾ اي يشهد عليكم بالحق والمعنى يبيّنه بياناً شافياً حتى كأنه ناطق ﴿انا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ اي نستكتب الحفظة ما كنتم تعملون في دار الدنيا والإستنساخ الأمربالنسخ مثل الإستكتاب الأمر بالكتابة وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ يشهد بما قضي فيه من خير وشرّ وعلى هذا فيكون معنى نستنسخ ان الحفظة تستنسخ الخزنة ما هو مدوّن عندها من احوال العباد وهو قول ابن عباس ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربّهم في رحمته﴾ اي جنّته وثوابه ﴿ذلك هو الفوز المبين﴾ اي الفلاح الظاهر.

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَـٰتِ

(١) استوفز في قعدته قعد منتصباً غيرمطمئن او وضع ركبتيه ورفع اليتيه او استقل على رجليه ولما يستو قائماً وقد تهيأ للوثوب.

آللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ
يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

[القراءة] قرأ حمزة وحده والساعة بالنصب والباقون بالرفع .

[الحجة] قال أبو علي الرفع على وجهين (أحدهما) أن يقطع من الأول فيعطف جملة على جملة (والآخر) ان يكون محمولاً على موضع ان وما عملت فيه وموضعهما رفع واما النصب فمحمول على لفظ انّ وموضع لا ريب فيها رفع بأنه في موضع خبر انّ وقد عاد الذكر إلى الاسم فكأنه قال والساعة حق لان قوله لا ريب فيها في معنى حق قال ابو الحسن والرفع أجود في المعنى وأكثر في كلام العرب إذا جاء بعد خبر إن اسم معطوف ويقوّيه قوله إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

[المعنى] ثم عقّب سبحانه الوعد بالوعيد فقال ﴿واما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ أي فيقال لهم افلم تكن حججي وبيّناتي تقرأ عليكم من كتابي ﴿فاستكبرتم﴾ أي تعظمتم عن قبولها ﴿وكنتم قوماً مجرمين﴾ أي كافرين كما قال أفنجعل المسلمين كالمجرمين والفاء في قوله أفلم تكن دالة على جواب اما المحذوف ﴿وإذا قيل انّ وعد الله حق﴾ اي ان ما وعد الله به من الثواب والعقاب كائن لا محالة ﴿والساعة لا ريب فيها﴾ اي وان القيامة لا شك في حصولها ﴿قلتم﴾ معاشر الكفار ﴿ما ندري ما الساعة﴾ وانكرتموها ﴿ان نظنّ إلا ظناً﴾ ونشك فيه ﴿وما نحن بمستيقنين﴾ في ذلك ﴿وبدا لهم سيئات ما عملوا﴾ أي ظهرلهم جزاء معاصيهم التي عملوها ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون﴾ أي جزاء استهزائهم ﴿وقيل اليوم ننساكم﴾ أي نترككم في العقاب ﴿كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ اي تركتم التأهب للقاء يومكم هذا عن ابن عباس وقيل معناه نحلّكم في العذاب محل المنسي كما احللتم هذا اليوم عندكم محلّ المنسي ﴿ومأواكم النار﴾ اي مستقركم جهنم ﴿وما لكم من ناصرين﴾ يدفعون عنكم عذاب الله ﴿ذلكم﴾ الذي فعلنا بكم ﴿بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً﴾ اي سخرية تسخرون منها ﴿وغرّتكم الحياة والدنيا﴾ اي خدعتكم بزينتها فاغتررتم بها ﴿فاليوم لا يخرجون منها﴾ اي من النار وقرأ اهل الكوفة غير عاصم يخرجون

بفتح الياء كما في قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي لا يطلب منهم العتبى والاعتذار لأنّ التكليف قد زال وقيل معناه لا يقبل منهم العتبى ثم ذكر سبحانه عظمته فقال ﴿فلِلهِ الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين﴾ أي الشكرالتام والمدحةالتي لا يوازيها مدحة لله الذي خلق السماوات والأرض ودبّرهما وخلق العالمين ﴿وله الكبرياء﴾ اي السلطان القاهر والعظمة القاهرة والعلّو والرفعة ﴿في السماوات والأرض﴾ لا يستحقهما أحد سواه وفي الحديث يقول الله سبحانه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدة منهما القيته في جهنم ﴿وهو العزيز﴾ في جلاله ﴿الحكيم﴾ في افعاله وقيل العزيز في انتقامه من الكفار والحكيم فيما يفعله بالمؤمنين والاخيار .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(٤٦) سورة الاحقاف مكية وآياتها خمس وثلاثون

مكية قال ابن عباس وقتادة إلا آية منها نزلت بالمدينة قل ارأيتم ان كان من عند الله الآية نزلت في عبد الله بن سلام .

[**عدد آيها**] خمس وثلاثون آية كوفي اربع في الباقين .

[**اختلافها**] آية حم كوفي .

[**فضلها**] ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الاحقاف اعطي من الاجر بعدد كل رمل في الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وعن عبد الله بن أبي يعقوب عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ كل ليلة او كل جمعة سورة الاحقاف لم يصبه الله بروعة في الدنيا وآمنه من فزعه يوم القيامة .

[**تفسيرها**] لمّا ختم الله تلك السورة بذكر التوحيد وذمّ اهل الشرك والوعيد افتتح هذه السورة ايضاً بالتوحيد ثم بالتوبيخ لاهل الكفر من العبيد فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي
بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾
وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

[القراءة] قرأ علي (ع) وابو عبد الرحمن السلمي اواثرة بسكون الثاء من غير الف وقرأ ابن عباس بخلاف وعكرمة وقتادة اواثرة بفتحتين والقراءة المشهورة أو اثارة بالألف.

[الحجة] قال ابن جني الاثرة والاثارة البقية وهي مايؤثر من قولهم اثر الحديث يأثِرُهُ أثراً وأثرة ويقولون هل عندك من هذا أثرة واثارة اي اثر ومنه سيف مأثور أي عليه اثر الصنعة وطريق العمل واما الاثرة ساكنة الثاء فهي ابلغ معنى وذلك انها الفعلة الواحدة من هذا الاصل فهي كقولهم إئتوني بخبر واحد أو حكاية شاذة اي قنعت في الاحتجاج لكم بهذا الاصل على قلته.

[المعنى] ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ مر تفسيره ﴿ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ اي ما خلقناهما عبثاً ولا باطلا وإنما خلقناهما لنتعبد سكانهما بالأمر والنهي ونعرضهم للثواب وضروب النعم فنجازيهم في الآخرة باعمالهم ﴿واجل مسمى﴾ يعني يوم القيامة فإنه اجل مسمى عنده مطوي عن العباد علمه إذا انتهى اليه تناهى وقامت القيامة وقيل هو مسمى للملائكة وفي اللوح المحفوظ ﴿والذين كفروا عما انذروا معرضون﴾ اي ان الكافرين عما انذروا من القيامة والجزاء معرضون عادلون عن التفكر فيه ﴿قل﴾ لهواء الذين كفروا بالله ﴿أرأيتم ما تدعون من دون الله﴾ من الاصنام ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ فاستحقوا بخلق ذلك العبادة الشكر ﴿ام لهم شرك في السماوات﴾ اي في خلقها وتقديره ام لهم شرك ونصيب في خلق السماوات ثم قال قل لهم ﴿ائتوني بكتاب من قبل هذا، القرآن﴾ انزله الله يدل على صحة قولكم ﴿أو أثارة من علم﴾ اي بقية من علم يؤثر من كتب الأولين يعلمون به انهم شركاء الله ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيما تقولون عن مجاهد وقيل او اثارة من علم اي خبر من الأنبياء عن عكرمة ومقاتل وقيل هو الخط اي بكتاب مكتوب عن ابن عباس وقيل خاصة من علم اوثرتم بها عن قتادة والمعنى

فهاتوا احدى هذه الحجج الثلاث اولاها دليل العقل والثانية الكتاب والثالثة الخبر المتواتر فإذا لم يمكنهم شيء من ذلك فقد وضح بطلان دعواهم ﴿**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة**﴾ اي من اضل عن طريق الصواب ممن يدعو من دون الله شيئاً لو دعاه الى يوم القيامة لم يجبه ولم يغثه والمراد لا يستجيب له ابداً ﴿**وهم عن دعائهم غافلون**﴾ اي ومن يدعونهم مع ذلك لا علم لهم بدعائهم ولا يسمعون دعاءهم وإنما كنّى عن الاصنام بالواو والنون لما اضاف اليها ما يكون من العقلاء كقوله رأيتهم لي ساجدين .

﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟
لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا
بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾
أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى
وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾

[**اللغة**] الآية الدلالة التي تدل على ما يتعجب منه قال :

بِـآيَـةٍ تَـقْـدُمُـونَ الـخَـيْـلَ زُوْراً كَـأَنَّ عَـلَىٰ سَـنَـابِكِـهَـا مُـدَامـا[1]

(١) قدَمَ القومَ يقدُمهم قدوماً: سبقهم؛ والزور ما ارتفع من الصدر إلى الكتفين. مقصوده أن تقدمهم على الخيل بتقدم =

أفاض القوم في الحديث إذا مضوا فيه وأصل الإفاضة الدفع وأفاضوا من عرفات اندفعوا منها وحديث مفاض ومستفاض ومستفيض أي جار شائع والبدع والبديع بمعنى وهو بدع من قوم ابداع قال عدي بن زيد :

فَلا أَنا بِدْعٌ مِنْ حَوادِثَ تَعْتَري رِجالاً عَرَتْ مِنْ بَعْدِ بُؤسٍ وَأَسْعُدِ(١)

[النزول] قيل نزلت الآية الأخيرة في عبد الله بن سلام وهو الشاهد من بني إسرائيل فروي أن عبد الله بن سلام جاء إلى النبي ﷺ فأسلم وقال يا رسول الله سل اليهود عني فإنهم يقولون هو أعلمنا فإذا قالوا ذلك قلت لهم ان التوراة دالّة على نبوتك وإنّ صفاتك فيها واضحة فلما سألهم قالوا ذلك فحينئذ أظهر عبد الله بن سلام إيمانه فكذّبوه .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه أنه إذا قامت القيامة صارت آلهتهم التي عبدوها أعداء لهم فقال ﴿ **وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء** ﴾ وكذلك قوله ويكونون عليهم ضدّاً ﴿ **وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ يعني أنّ هذه الأوثان التي عبدوها ينطقها الله حتى يجحدوا أن يكونوا دعوا إلى عبادتها ويكفروا بعبادة الكفار ويجحدوا ذلك ثم وصفهم الله سبحانه فقال ﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم** ﴾ أي للقرآن والمعجزات التي ظهرت على يد النبي ﷺ ﴿ **هذا سحر مبين** ﴾ أي حيلة لطيفة ظاهرة وخداع بيّن ﴿ **أم يقولون افتراه قل** ﴾ يا محمد لهم ﴿ **إن افتريته** ﴾ أي ان كذبت على الله واختلقت القرآن كما زعمتم ﴿ **فلا تملكون لي من الله شيئاً** ﴾ أي إن كان الأمر على ما تقولون إني ساحر مفتر فلا يمكنكم أن تمنعوا الله مني إذا أراد إهلاكي على افترائي عليه والمراد كيف افتري على الله من أجلكم وأنتم لا تقدرون على دفع عقابه عني أن افتريت عليه ﴿ **هو أعلم بما تفيضون فيه** ﴾ أي إن الله أعلم بما تقولون في القرآن وتخوضون فيه من التكذيب به والقول فيه أنه سحر ﴿ **كفى به شهيداً بيني وبينكم** ﴾ أن القرآن جاء من عنده ﴿ **وهو الغفور الرحيم** ﴾ في تأخير العقاب عنكم حين لا يعجل بالعقوبة قال الزجاج هذا دعاء لهم إلى التوبة أي من أتى من الكبائر مثل ما أتيتم به من الافتراء على الله وعليّ ثم تاب فإن الله غفور له رحيم به ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **ما كنت بدعا من الرسل** ﴾ أي لست بأول رسول بعث عن

= صدورهم على صدورها حال كون سنابكها محمرّة من الدم كأنه انصبّت عليها الخمر وهي شديدة العدو آية عجيبة وفي نسخة شعثاً بدل زوراً .

(١) عراه واعتراه بمعنى أصابه وأسعد جمع سعد وهو اليمن وضد النحس . يقول: لست أنا بأول من أصابته الحوادث مع أنها تصيب رجالاً قد أصابتهم في السعد من البخت والبؤس منه .

ابن عباس ومجاهد وقتادة والبدع الأول من الأمر ﴿ وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ﴾ أي لا أدري أأموت أم أقتل ولا أدري أيها المكذّبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم ليس يفعل بكم ما فعل بالأمم المكذّبة وهذا إنما هو في الدنيا وأما في الآخرة فإنه قد علم أنّه في الجنة وأنّ من كذّبه في النار عن الحسن والسدّي وقيل: معناه لست أدّعي غير الرسالة ولا أدّعي علم الغيب ولا معرفة ما يفعله الله تعالى بي ولا بكم في الإحياء والإماتة والمنافع والمضارّ إلا أن يوحى إلي عن أبي مسلم وقيل ما أدري ما أؤمر به ولا ما تؤمرون به عن الضحاك وقيل ما أدري أأترك بمكة أم أخرج منها بأن أومر بالتحول عنها إلى بلد آخر وما أدري أأومر بقتالكم أو بالكفّ عن قتالكم وهل ينزل بكم العذاب أم لا ﴿ ان اتّبع إلّا ما يوحى إليّ ﴾ أي لست اتبع في أمركم من حرب أو سلم أو أمر أو نهي إلا ما يوحي الله إليّ وما يأمرني به ﴿ وما أنا إلا نذير مبين ﴾ أي مخوّف لكم ظاهر ﴿ قل ﴾ يا محمد لهم ﴿ أرأيتم ﴾ معناه أخبروني ماذا تقولون ﴿ إن كان من عند الله ﴾ أي إن كان هذا القرآن من عند الله هو أنزله وهذا النبي رسوله ﴿ وكفرتم ﴾ أنتم أيها المشركون به ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل ﴾ يعني عبد الله بن سلام ﴿ على مثله ﴾ معناه عليه أي على أنه من عند الله وقيل على مثله أي على التوراة عن مسروق وقيل الشاهد موسى شهد على التوراة كما شهد النبي ﷺ على القرآن لأن السورة مكية وابن سلام أسلم بالمدينة ﴿ فآمن ﴾ يعني الشاهد ﴿ واستكبرتم ﴾ أنتم على الإيمان به وجواب قوله إن كان من عند الله محذوف وتقديره ألستم من الظالمين ويدلّ على هذا المحذوف قوله ﴿ أن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ وقيل جوابه فمن أضل منكم عن الحسن وقيل جوابه أفتؤمنون عن .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا
مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾
وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ
لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ
حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ
حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾

[القراءة] قرأ أهل الحجاز وابن عامر ويعقوب لتنذر بالتاء والباقون بالياء وقرأ أهل الكوفة إحساناً والباقون حسناً وروي عن علي (ع) وأبي عبد الرحمن السلمي حسناً بفتح الحاء والسين وقرأ أهل الحجاز وأبو عمرو والكسائي كرهاً بفتح الكاف والباقون بضمّها وقرأ يعقوب وفصله وهو قراءة الحسن وأبي رجاء وعاصم والجحدري والباقون وفصاله .

[الحجة] قال أبو علي حجة من قرأ لتنذر بالتاء قوله إنما أنت منذر وقوله لتنذر به وذكرى وحجة الياء لينذر بأساً شديداً أو أسند الإنذار إلى الكتاب كما أسنده إلى الرسول وأما الباء في قوله بوالديه فيجوز أن يتعلق بوصّينا بدلالة قوله ذلكم وصاكم به ويجوز أن يتعلق بالإحسان ويدلّ عليه قوله ﴿ وقد أحسن بي إذ أخرجني ﴾ ولا يجوز أن يتعلق في الآية بالإحسان لتقدمها على الموصول ولكن يجوز أن تعلقه بمضمر يفسّره الإحسان كما جاز في نحو قوله ﴿ وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ وقوله « كان جزائي بالعصا أن أجلدا » في قول من لم يعلقه بالجزاء . والإحسان خلاف الإساءة والحسن خلاف القبح فمن قال إحساناً كان انتصابه على المصدر وذلك أن معنى قوله ﴿ يوصينا الانسان بوالديه حسنا أمرناه بالإحسان ﴾ أي ليأتي الإحسان إليهما دون الإساءة ولا يجوز أن يكون انتصابه بوصّينا لأن وصّينا قد استوفى مفعوليه اللذين أحدهما منصوب والآخر المتعلق بالباء ومن قرأ حسناً فمعناه ليأت في أمرهما أمراً ذا حسن أي ليأت الحسن في أمرهما دون القبيح ويؤيده قراءة عليّ صلوات الرحمن عليه حَسَنا لأنّ معناه ليأت في أمرهما فعلاً حسناً وأما الكره بالفتح فهو المصدر والكره بالضم الإسم كأنه الشيء المكروه قال كتب عليكم القتال وهو كره لكم وهذا بالضم وقال ان ترثوا النساء كُرهاً فهذا في موضع الحال والفتح فيه أحسن وقد قيل أنهما لغتان وأما الفصل فهو بمعنى الفصال إلا أن الأكثر بالألف وفي الحديث لارضاع بعد الفصال يعني بعد الفطام .

[اللغة] القديم ما تقادم وجوده وفي عرف المتكلمين هو الموجود الذي لا أول لوجوده والإيزاع أصله المنع وأوزعني أمنعني عن الانصراف عن ذلك باللطف ومنه قول الحسن لا بد للناس من وَزَعَةٍ[1] وقال أبو مسلم الإيزاع إيصال الشيء إلى القلب .

[الإعراب] إماماً منصوب على الحال من الضمير في الظرف عند سيبويه ومن كتاب موسى عند الأخفش ومن رفع بالظرف ويجوز أن يرتفع قوله ﴿ كتاب موسى ﴾ بالعطف على قوله ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل ﴾ أي وشهد من قبل القرآن كتاب موسى ففصل بالظرف بين الواو والمعطوف به ورحمة معطوف على قوله إماماً ولساناً عربياً منصوب على الحال أيضاً من قوله ﴿ هذا كتاب ﴾ ويجوز أن يكون حالاً مما في مصدّق من الضمير وتقديره وهذا كتاب مصدق ملفوظاً به على لسان العرب وبشرى عطف على قوله ﴿ لينذر ﴾ وهو مفعول له جزاء مصدر مؤكّد لما قبله وتقديره جُوزُوا جزاء فاستغنى عن ذكر جُوزوا لدلالة الجملة قبلها عليها ويجوز أن يكون جزاء مفعولاً له وكرهاً منصوب على الحال أي حملته كارهة .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن الكفار الذين جحدوا وحدانيته فقال ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا ﴾ بالله ورسوله ﴿ لو كان خيراً ما سبقونا إليه ﴾ أي لو كان هذا الذي يدعونا إليه محمد خيراً أي نفعاً عاجلاً أو آجلاً ما سبقنا هؤلاء الذين آمنوا به إلى ذلك لأنّا كنّا بذلك أولى واختلف فيمن قال ذلك فقيل هم اليهود قالوا لو كان دين محمد ﷺ خيراً ما سبقنا إليه عبد الله بن سلام عن أكثر المفسرين وقيل: إنّ أسلم وجهينة ومزينة وغفاراً لما أسلموا قال بنو عامر بن صعصعة وغطفان وأسد وأشجع هذا القول عن الكلبي ونظم الكلام يوجب أن يكون ما سبقتمونا إليه ولكنه على ترك المخاطبة ﴿ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا أفك قديم ﴾ أي فإذ لم يهتدوا بالقرآن من حيث لم يتدّبروه فسيقولون هذا القرآن كذب متقادم أي أساطير الأولين ثم قال سبحانه ﴿ ومن قبله كتاب موسى ﴾ أي من قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة ﴿ اماماً ﴾ يقتدى به ﴿ ورحمة ﴾ من الله للمؤمنين به قبل القرآن وتقدير الكلام وتقدمه كتاب موسى اماماً وفي الكلام محذوف يتم به المعنى تقديره فلم يهتدوا به ودلّ عليه قوله في الآية الأولى وإذ لم يهتدوا به وذلك أنّ المشركين لم يهتدوا بالتوراة فيتركوا ما هم عليه من عبادة الأوثان ويعرفوا منها صفة محمد ﷺ ثم قال ﴿ وهذا كتاب ﴾ يعني القرآن ﴿ مصدق ﴾ للكتب التي قبله ﴿ لساناً عربيّاً ﴾ ذكر اللسان توكيداً كما تقول جاءني زيد رجلاً صالحاً فتذكر رجلاً توكيداً ﴿ لتنذر الذين ظلموا ﴾ أي لتخوّفهم يخاطب النبي ﷺ ومن قرأ

(١) جمع إلوازع وهو المانع الزاجر أي لا بد للناس من ولاة مانعين عن محارم الله تعالى .

بالياء أسند الفعل إلى الكتاب ﴿ وبشرى للمحسنين ﴾ وبشارة للمؤمنين وقيل معناه ويبشر بشرى فيكون نصباً على المصدر ويجوز أن يكون في موضع رفع أي وهو بشرى للمحسنين الموحدين ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثمّ استقاموا ﴾ مر تفسيره ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ من العقاب ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ من أهوال يوم القيامة ﴿ أولئك أصحاب الجنة ﴾ الملازمون لها المنعّمون فيها ﴿ خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴾ في الدنيا من الطاعات والأعمال الصالحات ﴿ ووصّينا الإنسان بوالديه حسناً ﴾ مر تفسيره ﴿ حملته أمه كرهاً ﴾ أي بكره ومشقّة عن الحسن وقتادة ومجاهد يعني حين أثقلت وثقل عليها الولد ﴿ ووضعته كرهاً ﴾ يريد به شدة الطلق عن ابن عباس ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ يريد انّ أقل مدة الحمل وكمال مدة الرضاع ثلاثون شهراً قال ابن عباس إذا حملت المراة تسعة أشهر أرضعت أحداً وعشرين شهراً وإذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهراً ﴿ حتى إذا بلغ أشدّه ﴾ وهو ثلاث وثلاثون سنة عن ابن عباس وقتادة وقيل بلوغ الحلم عن الشعبي وقيل وقت قيام الحجة عليه عن الحسن وقيل هو أربعون سنة وذلك وقت انزال الوحي على الأنبياء ولذلك فسّر به فقال ﴿ بلغ أربعين سنة ﴾ فيكون هذا بياناً لزمان الأشد وأراد بذلك أنه يكمل له رأيه ويجتمع عليه عقله عند الأربعين سنة ﴿ قال رب أوزعني ﴾ أي ألهمني ﴿ أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه ﴾ قد مرّ تفسيره في سورة النمل ﴿ وأصلح لي في ذرّيتي ﴾ أي اجعل ذريتي صالحين عن الزجاج وقيل أنه دعاء بإصلاح ذرّيته لبرّه وطاعته لقوله أصلح لي وقيل أنه الدعاء بإصلاحهم لطاعة الله عزّ وجلّ وهو عبادته وهو الأشبه لأنّ طاعتهم لله من برّه لأنّ اسم الذرية يقع على من يكون بعده وقيل معناه اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيد حق عن سهل بن عبد الله ﴿ إني تبت إليك ﴾ من سيّئاتي وذنوبي ﴿ وإنّي من المسلمين ﴾ المنقادين لأمرك .

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ

ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ۖ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر نتقبّل ونتجاوز بالنون، أحسن بالنصب والباقون يتقبل ويتجاوز بضم الياء أحسن بالرفع وقرأ ابن كثير وأبو جعفر ويعقوب آذهبتم بهمزة واحدة ممدودة وقرأ ابن عامر ءأذهبتم بهمزتين والباقون أذهبتم بفتح الهمزة .

[الحجة] من قرأ يتقبل فلأنّ الفعل وإن كان مبنيّاً للمفعول به فمعلوم أنه لله تعالى كما جاء في الأخرى إنما يتقبل الله من المتقين فبناؤه للمفعول كبنائه للفاعل في العلم بالفاعل وحجة من قرأ نتقبل بالنون أنّه قد تقدّم الكلام ووصينا الإنسان وكلاهما حسن وقد ذكرنا اختلافهم في أفّ في بني اسرائيل وحجة الاستفهام في أذهبتم أنه قد جاء هذا النحو بالاستفهام نحو أليس هذا بالحق وقوله أكفرتم بعد إيمانكم ووجه الخبر أن الاستفهام تقرير فهو مثل الخبر ألا ترى أن التقرير لإيجاب بالفاء كما يجاب بها إذا لم يكن تقريراً فكأنهم يوبّخون بهذا الذي يخبرون به ويبكّتون والمعنى في القراءتين يقال لهم هذا فحذف القول كما حذف في نحو قوله ﴿ أكفرتم بعد إيمانكم؟ ﴾.

[الإعراب] وعد الصدق نصب على المصدر تقديره وعدهم الله ذلك وعداً وإضافته إلى الصدق غير حقيقية لأن الصدق في تقدير النصب بأنه صفة وعدو الذي كانوا يوعدون موصول وصلة في موضع النصب بكونه صفة الوعد وأفّ لكما مبتدأ وخبر تقديره هذه الكلمة التي تقال عند الأمور المكروهة كائنة لكما ويلك منصوب لأنه مفعول فعل محذوف تقديره الزمك الله الويل وقيل تقديره وي لك فهو مبتدأ وخبر كما قلناه في أفّ وليوفّيها معطوف على محذوف تقديره والله أعلم ليجزيهم بما عملوا وليوفّيهم أعمالهم .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه بما يستحقّه هذا الإنسان من الثواب فقال ﴿ أولئك ﴾

يعني أهل هذا القول ﴿ الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ﴾ أي يثابون على طاعاتهم والمعنى نقبل بإيجاب الثواب لهم أحسن أعمالهم وهو ما يستحق به الثواب من الواجبات والمندوبات فإنّ المباح أيضاً من قبيل الحسن ولا يوصف بأنه متقبل ﴿ ونتجاوز عن سيئاتهم ﴾ التي اقترفوها ﴿ في أصحاب الجنة ﴾ أي في جملة من يتجاوز عن سيئاتهم وهم أصحاب الجنة فيكون قوله في أصحاب الجنة في موضع نصب على الحال ﴿ وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ أي وعدهم وعد الصدق وهو ما وعد أهل الإيمان بأن يتقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم إذا شاء أن يتفضل عليهم بإسقاط عقابهم أو إذا تابوا الوعد الذي كانوا يوعدونه في الدنيا على السنة الرسل ﴿ والذي قال لوالديه ﴾ إذا دعوه إلى الإيمان ﴿ افّ لكما ﴾ وهي كلمة تبرّم يقصد بها اظهار التسخّط ومعناه بعداً لكما وقيل معناه نتناً وقذراً لكما كما يقال عند شمّ الرائحة المكروهة ﴿ أتعِدانني أن أخرج ﴾ من القبر وأحيا وأبعث ﴿ وقد خلت القرون من قبلي ﴾ أي مضت الأمم وماتوا قبلي فما أخرجوا ولا أعيدوا وقيل معناه خلت القرون على هذا المذهب ينكرون البعث ﴿ وهما ﴾ يعني والديه ﴿ يستغيثان الله ﴾ أي يستصرخان الله ويطلبان منه الغوث ليتلطف له بما يؤمن عنده ويقولان له ﴿ ويلك آمن ﴾ بالقيامة وبما يقوله محمد ﷺ ﴿ إنّ وعد الله ﴾ بالبعث والنشور والثواب والعقاب ﴿ حقّ فيقول ﴾ هو في جوابهما ﴿ ما هذا ﴾ القرآن وما تزعمانه وتدعوانني إليه ﴿ إلا أساطير الأولين ﴾ أي أخبار الأوّلين وأحاديثهم التي سطروها وليس لها حقيقة وقيل أنّ الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قال له أبواه لمسلم وألحّا عليه فقال أحيوا لي عبد الله بن جدعان ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون عن ابن عباس وأبي العالية والسدّي ومجاهد وقيل الآية عامّة في كل كافر عاقّ لوالديه عن الحسن وقتادة والزجاج قالوا ويدلّ عليه أنه قال عقيبها ﴿ أولئك الذين حقّ عليهم القول في أمم ﴾ أي حقت عليهم كلمة العذاب في أمم أي مع أمم ﴿ قد خلت من قبلهم من الجن والانس ﴾ على مثل حالهم واعتقادهم قال قتادة قال الحسن الجن لا يموتون فقلت أولئك الذين حق عليهم القول في أمم الآية تدل على خلافه ثم قال سبحانه مخبراً عن حالهم ﴿ أنهم كانوا خاسرين ﴾ لأنفسهم إذ أهلكوها بالمعاصي ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ أي لكل واحد ممّن تقدم ذكره من المؤمنين البررة والكافرين الفجرة درجات على مراتبهم ومقادير أعمالهم فدرجات الأبرار في عليين ودرجات الفجار دركات في سجين عن ابن زيد وأبي مسلم وقيل معناه ولكل مطيع درجات ثواب وإن تفاضلوا في مقاديرها عن الجبائي وعلي بن عيسى ﴿ ولنوفّيهم أعمالهم ﴾ أي جزاء أعمالهم وثوابها ومن قرأ بالياء فالمعنى وليوفّيهم الله أعمالهم ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ بعقاب لا

يستحقونه أو بمنع ثواب يستحقونه ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار ﴾ يعني يوم القيامة أي يدخلون النار كما يقال عرض فلان على السوط وقيل معناه عرض عليهم النار قبل أن يدخلوها ليروا أهوالها ﴿ أذهبتم طيّباتكم في حياتكم الدنيا ﴾ أي فيقال لهم آثرتم طيباتكم ولذّاتكم في الدنيا على طيّبات الجنة ﴿ واستمتعتم بها ﴾ أي انتفعتم بها منهمكين فيها وقيل هي الطيبات من الرزق يقول انفقتموها في شهواتكم وفي ملاذّ الدنيا ولم تنفقوها في مرضاة الله ولمّا وبّخ الله سبحانه الكفار بالتمتع بالطيبات واللذات في هذه الدار آثر النبي ﷺ وأمير المؤمنين (ع) الزهد والتقشف واجتناب الترفّه والنعمة وقد روي في الحديث أن عمر بن الخطاب قال استأذنت على رسول الله ﷺ فدخلت عليه في مشربة أمّ إبراهيم وأنه لمضطجع على خصفة[1] وأن بعضه على التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفاً فسلّمت عليه ثم جلست فقلت يا رسول الله أنت نبيّ الله وصفوته وخيرته من خلقه وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير فقال رسول الله ﷺ أولئك قوم عجّلت طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع وإنما أخّرت لنا طيباتنا وقال علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلوات في بعض خطبه : والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل ألا تنبذها فقلت أعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى وروى محمد بن قيس عن أبي جعفر الباقر (ع) أنه قال والله إن كان علي (ع) ليأكل أكلة العبد ويجلس جلسة العبد وإن كان يشتري القميصين فيخيّر غلامه خيرهما ثم يلبس الآخر فإذا جاز أصابعه قطعه وإذا جاز كعبه حذفه ولقد ولي خمس سنين ما وضع آجُرَّة على اجُرَّة ولا لبنة على لبنة ولا أورث بيضاء ولا حمراء وإن كان ليطعم الناس على خبز البرّ واللحم وينصرف إلى منزله فيأكل خبز الشعير والزيت والخلّ وما ورد عليه أمران كلاهما لله عز وجل فيه رضى إلا أخذ بأشدهما على بدنه ولقد أعتق ألف مملوك من كدّ يمينه تربت منه يداه وعرق فيه وجهه وما أطاق عمله أحد من الناس بعده وإن كان ليصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وإن كان أقرب الناس شبهاً به علي بن الحسين (ع) ما أطاق عمله أحد من الناس بعده ثم أنه قد إشتهر في الرواية أنه (ع) لما دخل على العلاء بن زياد بالبصرة يعوده قال له العلاء يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد لبس العباءة وتخلّى من الدنيا فقال (ع) عليّ به فلما جاء به قال يا عديّ نفسه لقد استهام بك الخبيث أما رحمت أهلك وولدك أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها أنت أهون على الله من ذلك قال يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك قال ويحك

---

(١) الخَصَفَة : الجُلّة تُعمل من الخوص للتمر .

إني لست كأنت إن الله تعالى فرض على أئمة الحق أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يَتَبَيَّغ[1] بالفقير فقره ﴿ فاليوم تجزون عذاب الهون ﴾ أي العذاب الذي فيه الذلّ والخزي والهوان ﴿ بما كنتم تستكبرون في الأرض ﴾ أي باستكباركم عن الانقياد للحق في الدنيا وتكبركم على أنبياء الله وأوليائه ﴿ بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ أي بخروجكم من طاعة الله إلى معاصيه .

﴿ * وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ
قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ
أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾
قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ
وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ
أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ
فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ
إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير الكسائي ويعقوب وسهل لا يرى بضم الياء إلا مساكنهم بالرفع وقرأ الباقون لا ترى بالتاء إلا مساكنهم بالنصب وفي الشواذّ قراءة الحسن وأبي رجاء وقتادة ومالك بن دينار والأعمش لا ترى بضمّ التاء إلا مساكنهم بالرفع وقرأ الأعمش مسكنهم .

(١) باغ الدم بَيْغاً وتبيّغ : هاج وثار .

[**الحجة**] قال أبو علي تذكير الفعل في قوله لا يرى إلا مساكنهم حسن وهو أحسن من إلحاق علامة التأنيث الفعل من أجل الجمع وذلك أنهم حملوا الكلام في هذا الباب على المعنى فقالوا ما قام إلا هند ولم يقولوا ما قامت لما كان المعنى ما قام أحد ولا يجيء التأنيث فيه إلا في شذوذ وضرورة فمن ذلك قول الشاعر :

بَرَى النَّحْزُ وَالإِجْرَازُ مَا فِي عُرُوضِهَا فَمَا بَقِيَتْ إِلا الصُّدُورُ الْجَرَاشِعُ[١]

وقول ذي الرمة :

كَأَنَّهَا جُمَّلٌ وَهْمٌ وَمَا بَقِيَتْ إِلَّا النَّحِيزَةُ وَالأَلْوَاحُ وَالْعَصَبُ[٢]

قال ابن جني قوله مسكنهم ان شئت جعلته مصدراً وقدرت حذف المضاف أي لا ترى إلا آثار مسكنهم كما قال ذو الرمة :

تَقُولُ عَجُوزٌ مَدْرَجِي مُتَرَوِّحاً عَلَى بَابِهَا مِنْ عِنْدِ أَهْلِي وَغَادِيَا[٣]

فالمدرج هنا مصدر الا تراه قد نصب الحال وإن شئت قلت مسكنهم واحد كفى من جماعة .

[**اللغة**] الأحقاف جمع حِقْف وهو الرمل المستطيل العظيم لا يبلغ أن يكون جبلاً قال المبرد الحقف هو الرمل الكثير لمكتنز غير العظيم وفيه اعوجاج قال العجاج « بات على أرطاة حِقف أحقفاً » والعارض السحاب يأخذ في عرض السماء قال الأعشى :

يَا مَنْ رَأَى عَارِضاً قَدْ بِتُّ أَرْمُقُهُ كَأَنَّمَا الْبَرْقُ فِي حَافَاتِهِ[٤] شُعَلُ

والتدمير الإهلاك وإلقاء بعض الأشياء على بعض حتى يخرب ويهلك قال جرير :

---

(١) برى السفر الإنسان والحيوان هن له واذهب لحمه . ونخزه بحديدة أو نحوها نخزاً وجاء بها وبكلمة أوجعه بها وأجرز الناقة هزلت فهي مجرز والعرض: الناحية والعرض من الحديث معظمه ومن العنق جانبه والجرشع: العظيم الصدر المنتفخ الجنبين يقول: اذهب النخز والهزال ما في نواحي بدنها من اللحم والشحم فلم يبق منها الا عظام صدر منتفخ ليس عليها شحم ولا دم .

(٢) الجَمَل والجُمُل حبل السفينة والوَهْم: الضخم والنحيزة من نجز البعير إذا أصابه النحاز وهو داء في رئته تسعل به شديداً ولوح الجسد عظمه يصفها بأنها صارت من الهزال بمنزلة الحبل فما بقي فيها شيء سوى النَفَس والعظم والعصب

(٣) مذكور في جامع الشواهد .

(٤) حافات الشيء : جوانبه .

وَكَانَ لَهُمْ كَبَكْرِ ثَمُودَ لَمَّا رَغَىٰ ظَهْراً فَدَمَّرَهُمْ دَمَاراً[١]

[المعنى] ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿ واذكر ﴾ يا محمد لقومك أهل مكة ﴿ أخا عاد ﴾ يعني هوداً ﴿ إذ أنذر قومه ﴾ أي خوّفهم بالله تعالى ودعاهم إلى طاعته ﴿ بالأحقاف ﴾ وهو واد بين عُمان ومهرة عن ابن عباس وقيل رمال فيما بين عمان إلى حضرموت عن ابن إسحاق وقيل رمال مشرفة على البحر بالشَحْر[٢] من اليمن عن قتادة وقيل أرض خلالها رمال عن الحسن ﴿ وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ﴾ أي وقد مضت الرسل من قبل هود (ع) ومن بعده ﴿ ألّا تعبدوا إلا الله ﴾ أي بأن لا تعبدوا والمعنى إني لم أبعث قبل هود ولا بعده إلا بالأمر بعبادة الله وحده وهذا اعتراضٌ كلام وقع بين انذار هود وكلامه لقومه ثم عاد إلى كلام هود لقومه فقال ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ وتقدير الكلام إذ أنذر قومه بالأحقاف فقال إني أخاف عليكم الآية ثم حكى ما أجاب به قومه بقوله ﴿ قالوا أجئتنا ﴾ يا هود ﴿ لتأفكنا ﴾ أي لتلفتنا وتصرفنا ﴿ عن آلهتنا ﴾ أي عن عبادة آلهتنا ﴿ فأتنا بما تعدنا ﴾ من العذاب ﴿ إن كنت من الصادقين ﴾ أن العذاب نازل بنا ﴿ قال ﴾ هود ﴿ إنما العلم عند الله ﴾ هو يعلم متى يأتيكم العذاب لا أنا ﴿ وأبلّغكم ما أرسلت به ﴾ إليكم أي وأنا أبلّغكم ما أمرت بتبليغه إليكم ﴿ ولكني أريكم قوماً تجهلون ﴾ حيث لا تجيبون إلى ما فيه صلاحكم ونجاتكم وتستعجلون العذاب الذي فيه هلاككم وهذا لا يفعله إلا الجاهل بالمنافع والمضار ﴿ فلمّا رأوه ﴾ أي فلما رأوا ما يوعدون والهاء تعود إلى ما تعدنا في قوله فأتنا بما تعدنا ﴿ عارضاً ﴾ أي سحاباً يعرض في ناحية من السماء ثم يطبق السماء ﴿ مستقبل أوديتهم ﴾ قالوا كانت عاد قد حبس عنهم المطر أيّاماً فساق الله إليهم سحابة سوداء خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم استبشروا ﴿ وقالوا هذا عارض ممطرنا ﴾ أي سحاب ممطر إيانا هذا تقديره لأنه نكرة بدلالة أنه صفة لعارض فقال هود (ع) ﴿ بل هو ما استعجلتم به ﴾ أي ليس هو كما توهمتم بل هو الذي وعدتكم به وطلبتم تعجيله ثم فسره فقال ﴿ ريح فيها عذاب أليم ﴾ أي هو ريح فيها عذاب مؤلم وقيل بل هو قول الله تعالى ﴿ تدمر كل شيء بأمر ربها ﴾ أي تهلك كل شيء مرت به من الناس والدواب والأموال واعتزل هود ومن معه في حظيرة لم يصبهم من تلك الريح إلا ما

---

(١) رغى البعير رُغاه صوّت وضجّ والبكر: الفتي من الإبل .

(٢) الشَحْر ساحل اليمن وشَحْر عمان وشِحْر عمان وهو ساحل البحر بين عمان وعدن .

تلين على الجلود وتلتذ به الأنفس وأنها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والأرض حتى نرى الظعينة كأنها جرادة عن عمر بن ميمون ﴿ فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ﴾ وما عداها قد هلك ومن قرأ بالتاء فهو على وجه الخطاب للنبي ﷺ ﴿ كذلك ﴾ أي مثل ما أهلكنا أهل الأحقاف وجازيناهم بالعذاب ﴿ نجزي القوم المجرمين ﴾ أي الكافرين الذين يسلكون مسالكهم .

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ
فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ
عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟
يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ
أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ
قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾
وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾
قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة ابن عباس وعكرمة وأبي عامر أفكهم بفتح الألف والفاء والكاف وقراءة عبد الله بن الزبير آفكهم وقراءة ابن عياض أفكهم بالتشديد .

[الحجة] قوله أفكهم معناه صرفهم وثناهم قال :

إنْ يَسكُ عَنْ أَحْسَنِ الْمُرُوءَةِ مَافُو كاً فَفي آخَرِينَ قَدْ أُفِكُوا[1]

وآفكهم افعلهم منه أي أصارهم إلى الافك ويجوز أن يكون فاعلهم من ذلك مثل خادعهم وأما افّكهم ففعلهم وذلك لتكثيره ذلك الفعل بهم وروي عن قطرب ان ابن عباس قرأ آفكهم أي صارفهم .

[اللغة]التمكين إعطاء ما يتمكن به من الفعل وتدخل فيه القدرة والآلة وسائر ما يحتاج إليه الفاعل وقيل التمكين إزالة الموانع وذلك داخل في الأول لأنه كما يحتاج الفاعل في الفعل إلى الآلات يحتاج إلى زوال الموانع فإذا أزيحت عنه العلل كلها فقد مُكّن والقربان كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من طاعة أو نسك والجمع قرابين .

[الإعراب] فيما إن مكناكم فيه إن هنا بمعنى ما وإن في النفي مع ما الموصولة بمعنى الذي أحسنُ في اللفظ من ما ألا ترى أنّك لو قلت رغبت فيما ما رغبت فيه لكان أحسن منه أن تقول رغبت فيما أن رغبت فيه لاختلاف اللفظين .

[المعنى] ثم خوّف سبحانه كفار مكة وذكر فضل عاد بالأجسام والقوة عليهم فقال ﴿ ولقد مكّنّاهم فيما إن مكّنّاكم ﴾ أي في الذي ما مكناكم ﴿ فيه ﴾ والمعنى في الشيء الذي لم نمكّنكم فيه من قوة الأبدان وبسطة الأجسام وطول العمر وكثرة الأموال عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه فيما مكناكم فيه وإن مزيدة والمعنى مكناهم من الطاعات وجعلناهم قادرين متمكّنين بنصب الأدلة على التوحيد والتمكين من النظر فيها والترغيب والترهيب وإزاحة العلل في جميع ذلك ﴿ وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة ﴾ ثم أخبر سبحانه عن أولئك أنهم أعرضوا عن قبول الحجج والتفكر فيما يدلهم على التوحيد مع ما أعطاهم الله من الحواس الصحيحة التي بها تدرك الأدلة ﴿ فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء ﴾ أي لم ينفعهم جميع ذلك لأنهم لم يعتبروا ذلك ولا استعملوا أبصارهم وأفئدتهم في النظر والتدبر ﴿ إذ كانوا يجحدون بآيات الله ﴾ وأدلّته ﴿ وحاق بهم ﴾ أي حلّ بهم جزاء ﴿ ما كانوا به يستهزؤون ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى ﴾ معناه ولقد أهلكنا يا أهل مكة ما حولكم وهم قوم هود وكانوا باليمن وقوم صالح بالحجر وقوم لوط على طريقهم إلى الشام ﴿ وصرّفنا الآيات ﴾ تصريف الآيات تصييرها تارة في الإعجاز وتارة في الإهلاك وتارة في التذكير بالنعم وتارة في التذكير بالنقم وتارة في وصف الأبرار ليقتدى بهم وتارة في وصف

(١) مر البيت في ج ٣

الفجّار ليجتنب مثل فعلهم ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أي لكي يرجعوا عن الكفر ﴿ فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة ﴾ أي فهلاّ نصر هؤلاء المهلكين الذين اتخذوهم آلهة وزعموا أنهم يعبدونهم تقرباً إلى الله تعالى ثم لم ينصروهم لأن هذا استفهام انكار ﴿ بل ضلّوا عنهم ﴾ أي ضلت الآلهة وقت الحاجة إليها فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم ﴿ وذلك افكهم ﴾ أي تّخاذهم الآلهة دون الله كذبهم وافتراؤهم وهو قوله ﴿ وما كانوا يفترون ﴾ أي يكذبون من أنها آلهة ثم بين سبحانه أن في الجنّ مؤمنين وكافرين كما في الإنس فقال ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ﴾ معناه واذكر يا محمد اذ وجّهنا إليك جماعة من الجن تستمع القرآن وقيل معناه صرفناهم إليك عن بلادهم بالتوفيق والالطاف حتى اتوك وقيل صرفناهم إليك عن استراق السمع من السماء برجوم الشهب ولم يكونوا بعد عيسى قد صرفوا عنه فقالوا ما هذا الذي حدث في السماء إلا من أجل شيء قد حدث في الأرض فضربوا في الأرض حتى وقفوا على النبي ﷺ ببطن نخلة عامداً إلى عكاظ وهو يصلي الفجر فاستمعوا القرآن ونظروا كيف يصلي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعلى هذا فيكون الرمي بالشهب لطفاً للجن ﴿ فلما حضروه ﴾ أي حضروا القرآن أو النبي ﷺ ﴿ قالوا انصتوا ﴾ أي قال بعضهم لبعض اسكتوا لنستمع إلى قراءته فلا يحول بيننا وبين القرآن[1] شيء ﴿ فلما قضى ﴾ أي فرغ من تلاوته ﴿ ولّوا إلى قومهم ﴾ أي انصرفوا إلى قومهم ﴿ منذرين ﴾ أي محذّرين إياهم عذاب الله إن لم يؤمنوا ﴿ قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى ﴾ يعنون القرآن ﴿ مصدّقاً لما بين يديه ﴾ أي لما تقدمه من الكتب ﴿ يهدي إلى الحق ﴾ أي يرشد إلى دين الحق ويدل عليه ويدعو إليه ﴿ وإلى طريق مستقيم ﴾ يؤدي بسالكه إلى الجنة .

[القصة] عن الزهري قال لما توفّي أبو طالب (ع) اشتد البلاء على رسول الله ﷺ فعمد ليقف بالطائف رجاء أن يؤووه فوجد ثلاثة نفر منهم هم سادة وهم أخوة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو فعرض عليهم نفسه فقال أحدهم أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط وقال الآخر أعجز على الله أن يرسل غيرك وقال الآخر والله لا أكلّمك بعد مجلسك هذا أبداً فلئن كنت رسولاً كما تقول فأنت أعظم خطراً من أن يرد عليك الكلام وإن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلّمك بعد وتهزؤوا به وأفشوا في قومه ما راجعوه به فقعدوا له صفين على طريقه فلما مر رسول الله ﷺ بين صفّيهم جعلوا لا يرفع رجليه ولا

(١) وفي نسختين: الاستماع بدل القرآن .

يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتّى أدموا رجليه فخلص منهم وهما يسيلان دماً إلى حائط من حوائطهم واستظل في ظلّ نخلة منه وهو مكروب موجع تسيل رجلاه دما فإذا في الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله فلما رأياه أرسلا إليه غلاماً لهما يدعى عداس معه عنب وهو نصراني من أهل نينوى فلما جاءه قال له رسول الله ﷺ من أي أرض أنت قال من أهل نينوى قال من مدينة العبد الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك من يونس بن متى قال أنا رسول الله والله تعالى أخبرني خبر يونس بن متى فلما أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يونس خر عداس ساجداً لله ولرسول الله ﷺ وجعل يقبل قدميه وهما يسيلان الدماء فلما بصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا فلما أتاهما قالا ما شأنك سجدت لمحمد وقبّلت قدميه ولم نرك فعلت ذلك بأحد منا قال هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله إلينا يدعى يونس بن متى فضحكا وقالا لا يفتنك عن نصرانيتك فإنه رجل خداع فرجع رسول الله ﷺ إلى مكة حتى إذا كان بنخلة قام في جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن أهل نصيبين وقيل من اليمن فوجدوه يصلي صلاة الغداة ويتلو القرآن فاستمعوا له وهذا معنى قول سعيد بن جبير وجماعة وقال آخرون أمر رسول الله ﷺ أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله إليه نفراً من الجن من نينوى فقال ﷺ إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فأيكم يتبعني فأتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله ولم يحضر معه أحد غيري فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة ودخل نبي الله شعباً يقال له شعب الحجون وخط لي خطاً ثم أمرني أن أجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيته اسودة كثيرة حتى حالت بيني وبينه حتى لم أسمع صوته ثم انطلقوا وطفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط وفرغ رسول الله ﷺ مع الفجر فانطلق فرز ثم قال هل رأيت شيئاً فقلت نعم رأيت رجالاً سوداً مستفري [1] ثياب بيض قال أولئك جن نصيبين وروى علقمة عن عبد الله قال لم أكن مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ووددت أني كنت معه وروي عن ابن عباس أنهم كانوا سبعة نفر من جن نصيبين فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم قال زرّ بن حبيش كانوا تسعة نفر منهم زوبعة وروى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال لما قرأ رسول الله ﷺ الرحمن على الناس سكتوا فلم يقولوا شيئاً فقال رسول الله ﷺ الجن كانوا أحسن جواباً منكم لما قرأت عليهم فبأيّ آلاء ربكم تكذّبان قالوا لا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذّب .

(١) الاستفار هو أن يدخل الرجل ثوبه بين رجليه كما يفعل الكلب بذنبه

﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم
مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ
هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل
لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ
بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

[القراءة] قرأ يعقوب وحده يقدر بالياء وهو قراءة جدّه عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وعاصم الجحدري ومالك بن دينار وقرأ جميع القراء بقادر وفي الشواذ قراءة الحسن وعيسى الثقفي بلاغاً بالنصب وقراءة ابن محيصن فهل يهلك بفتح الياء .

[الحجة] قال أبو علي قراءة القرّاء أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض إلى قوله بقادر من الحمل على المعنى ادخل الباء لما كان في معنى أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر ومثل ذلك في الحمل على المعنى قول الشاعر :

بَادَتْ وَغَيَّرَ آيَهُنَّ مَعَ البِلَى إِلَّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ(١)

(١) الضمير في بادت راجع إلى الديار وفي نسخة « من » بدل « مع » والرواكد : الاثافي مشتقة من الركود لثباتها وعجز قوله ومشجّج : فبدا وغيّب ساره المعزاء والمشجّج : الوتد مأخوذ من الشجّة وهو الجرح يكون في الوجه والرأس شدّد لكثرة ذلك فيه وسواء بمعنى الوسط والقذال جماع مؤخر الرأس يقول: بادت الديار وغيّرت أعلامها فلم يبق =

ثم قال « وَمُشَجَّجٌ أَمَّا سَوَاءُ قَذَا له » لما كان غير آيهن مع البلى إلا رواكد بمعنى بها رواكد حمل مشجّج على ذلك وكذلك قوله يطاف عليهم بكأس من معين ثم قال وحور عين لما كان يطاف عليهم بكذا معناه لهم فيها كذا وقالوا إن أحداً لا يقول ذلك إلا زيد فأدخل أحداً في الموجب لما كان معنى الكلام النَفْي ومن قرأ بلاغاً فهو على تقدير فعل مضمر أي بلّغوا بلاغاً كما أن الرفع على تقدير مضمر أي هو بلاغ أو هذا بلاغ وقرأ أبو مجلز[1] بلّغ على الأمر .

[المعنى] ثم بيّن سبحانه تمام خبر الجن فقال حاكياً عنهم ﴿ يا قومنا أجيبوا داعي الله ﴾ يعنون محمداً ﷺ إذ دعاهم إلى توحيده وخلع الأنداد دونه ﴿ وآمنوا به ﴾ أي بالله ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ أي فإنكم إن آمنتم بالله ورسوله يغفر لكم ذنوبكم ﴿ ويجركم ﴾ أي ويخلصكم ﴿ من عذاب أليم ﴾ قال علي بن إبراهيم فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ فآمنوا به وعلّمهم رسول الله ﷺ شرائع الإسلام وأنزل الله سبحانه قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن إلى آخر السورة وكانوا يفرّون إلى رسول الله ﷺ في كل وقت وفي هذا دلالة على أنه كان مبعوثاً إلى الجن كما كان مبعوثاً إلى الانس ولم يبعث الله نبياً إلى الانس والجن قبله ﴿ ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ﴾ أي لا يعجز الله فيسبقه ويفوته ﴿ وليس له من دونه أولياء ﴾ أي أنصار يمنعونه من الله ويدفعون عنه العذاب إذا نزل بهم ويجوز أن يكون هذا من كلام الله تعالى ابتداء ثم قال ﴿ أولئك ﴾ يعني الذين لا يجيبون داعي الله ﴿ في ضلال مبين ﴾ أي عدول عن الحق ظاهر ثم قال سبحانه منبّهاً على قدرته على البعث والإعادة فقال ﴿ أولم يروا ﴾ أي أولم يعلموا ﴿ ان الله الذي خلق السماوات والأرض ﴾ وأنشأهما ﴿ ولم يعيَ بخلقهن ﴾ أي لم يصبه في خلق ذلك أعياء ولا تعب ولم يعجز عنه يقال عيي فلان بأمره إذا لم يهتدِ له ولم يقدر عليه ﴿ بقادر ﴾ الباء زائدة وموضعه رفع بأنه خبر إن ﴿ على أن يحيي الموتى ﴾ أي فخلق السماوات والأرض أعجب من إحياء الموتى ثم قال ﴿ بلى ﴾ هو قادر عليه ﴿ أنه على كل شيء قدير ﴾ ثم عقّبه بذكر الوعيد فقال ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق ﴾ أي يقال لهم على وجه الاحتجاج عليهم أليس هذا الذي جوزيتم به حق لا ظلم فيه ﴿ قالوا ﴾ أي فيقولون ﴿ بلى وربنا ﴾ اعترفوا بذلك

= فيها إلا أحجار أثافٍ جمرها صار هباء أبيضاً وكذا لم يبق فيها إلا وتد بدا رأسه وأخفت الأرض الكثير الحصى سائره ومرّ البيت في ج ٢ وج ٣

(٣) وفي نسختين أبو محلز .

وحلفوا عليه بعدما كانوا منكرين ﴿ **قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ﴾ أي بكفركم في الدنيا وانكاركم ثم قال لنبيه ﷺ ﴿ **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل** ﴾ أي فاصبر يا محمد على أذى هؤلاء الكفار وعلى ترك إجابتهم لك كما صبر الرسل ومن هاهنا لتبيين الجنس كما في قوله﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان** ﴾ وعلى هذا القول فيكون جميع الأنبياء هم أولو العزم لأنّهم عزموا على اداء الرسالة وتحمّل أعبائها عن ابن زيد والجبائي وجماعة وقيل أن من هاهنا للتعيض وهو قول أكثر المفسرين والظاهر في روايات أصحابنا ثم اختلفوا فقيل أولو العزم من الرسل من أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدمه وهم خمسة أولهم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد ﷺ عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) قال وهم سادة النبيين وعليهم دارت رحا المرسلين وقيل هم ستة نوح صبر على أذى قومه وإبراهيم صبر على النار واسحاق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر ويوسف صبر في البئر والسجن وأيوب صبر على الضر والبلوى عن مقاتل وقيل هم الذين أمروا بالجهاد والقتال وأظهروا المكاشفة وجاهدوا في الدين عن السدّي والكلبي وقيل هم إبراهيم وهود ونوح ورابعهم محمد ﷺ عن أبي العالية والعزم هو الوجوب والحتم وأولو العزم من الرسل هم الذين شرعوا الشرائع وأوجبوا على الناس الأخذ بها والانقطاع عن غيرها ﴿ **ولا تستعجل لهم** ﴾ أي ولا تستعجل لهم العذاب فإنه كائن واقع بهم عن قريب وما هو كائن فكأن قد كان وقع ﴿ **كأنهم يوم يرون ما يوعدون** ﴾ أي من العذاب في الآخرة ﴿ **لم يلبثوا** ﴾ في الدنيا ﴿ **إلا ساعة من نهار** ﴾ أي إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من نهار لأن ما مضى كأن لم يكن وإن كان طويلاً وتم الكلام ثم قال بلاغ أي هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله إليكم والبلاغ بمعنى التبليغ وقيل معناه ذلك اللبث بلاغ ﴿ **فهل يهلك إلا القوم الفاسقون** ﴾ أي لا يقع العذاب إلا بالعاصين الخارجين من أمر الله تعالى وقيل معناه لا يهلك على الله تعالى إلا هالك مشرك ولّى ظهره الإسلام أو منافق صدّق بلسانه وخالف بعمله عن قتادة وقيل معناه لا يهلك مع رحمة الله وتفضله إلا القوم الفاسقون عن الزجاج قال وما جاء في الرجاء لرحمة الله شيء أقوى من هذه الآية .



وهي مدنية وقال ابن عباس وقتادة غير آية منها نزلت على النبي ﷺ وهو يريد التوجه إلى المدينة من مكة وجعل ينظر إلى البيت وهو يبكي حزناً عليه فنزلت وكأين من قرية هي أشدّ قوة من قريتك الآية .

[عدد آيها]

أربعون آية بصري ثمان وثلاثون كوفي تسع في الباقين .

[اختلافها] آيتان أوزارها غير الكوفي للشاربين بصري .

[فضلها] أبيّ بن كعب قال قال النبي ﷺ من قرأ سورة محمد كان حقاً على الله أن يسقيه من أنهار الجنة وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأها لم يدخله شك في دينه أبداً ولم يزل محفوظاً من الشرك والكفر أبداً حتى يموت فإذا مات وكّل الله به في قبره ألف ملك يصلّون في قبره ويكون ثواب صلواتهم له ويشيّعونه حتى يوقفوه موقف الأمن عند الله ويكون في أمان الله وأمان محمد ﷺ وقال (ع) من أراد أن يعرف حالنا وحال أعدائنا فليقرأ سورة محمد ﷺ فإنه يراها آية فينا وآية فيهم .

[تفسيرها]ختم الله سبحانه تلك السورة بوعيد الكفار وافتتح هذه السورة بمثلها فقال جل ثناؤه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ
مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ
كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا
مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ
يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ
قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ
بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾

[القراءة] قرأ أهل البصرة وحفص والذين قتلوا على ما لم يسم فاعله والباقون قاتلوا بالألف .

[الحجة] قال أبو علي قاتلوا أعم من قتلوا ألا ترى أن من قاتل ولم يقتل لن يضل عمله كما أن الذي قتل كذلك فهو لعمومه أولى .

[اللغة] البال الحال والشأن والبال القلب أيضاً يقال خطر ببالي كذا والبال لا يجمع لأنه أبهم أخواته من الحال والشأن . والإثخان اكثار القتل وغلبة العدو وقهرهم ومنه أثخنه المرض اشتد عليه وأثخنه الجراح والوثاق اسم من الإيثاق ويقال أوثقه إيثاقاً ووثاقاً إذا اشتد أسره كيلا يفكّ والأوزار السلاح وأصل الوزر ما يحمله الإنسان فسمّي السلاح أوزاراً لأنه يحمل قال الأعشى :

وَأَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ أَوْزَارَهَا ... رِمَاحاً طِوَالا وَخَيْلاً ذُكُورَا
وَمِنْ نَسْجِ دَاوُدَ يَحْدُو بِهَا ... عَلَى أَثَرِ الحَيِّ عِيراً فَعِيرَا[1]

(١) حدا الإبل وبها ساقها وغنّى لها . حدا الليل النهار اتبعه .

[الإعراب] ذلك خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر ذلك ويجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره ذلك كائن فضرب الرقاب مصدر فعل محذوف تقديره فاضربوا الرقاب ضرباً فحذف الفعل وأضيف المصدر إلى المفعول وهذه الإضافة في تقدير الانفصال لأنّ تقديره فضرباً الرقاب قال الشاعر « فَنَدْلاً زُرَيْقُ الْمالَ نَدْلَ الثَّعالِبِ » وكذلك قوله منّاً وفداء تقديره فإمّا تمنّون منّاً وإمّا تفدون فداءً .

[المعنى] ﴿ الذين كفروا ﴾ بتوحيد الله وعبدوا معه غيره ﴿ وصدّوا ﴾ الناس ﴿ عن سبيل الله ﴾ أي عن سبيل الإيمان والإسلام باستدعائهم إلى تكذيب النبي ﷺ يعني مشركي العرب ﴿ أضل أعمالهم ﴾ أي أحبط الله أعمالهم التي كان في زعمهم أنها قربة وأنها تنفعهم كالعتق والصدقة وقرى الضيف والمعنى اذهبها وأبطلها حتى كأنها لم تكن إذ لم يروا لها في الآخرة ثواباً وقيل نزلت في المطعمين ببدر وكانوا عشرة أنفس أطعم كل واحد منهم الجند يوماً ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي صدّقوا بتوحيد الله وأضافوا إلى ذلك الأعمال الصالحة ﴿ وآمنوا بما نزّل على محمد ﴾ من القرآن والعبادات خصّ الإيمان بمحمد ﷺ بالذكر مع دخوله في الأول تشريفاً له وتعظيماً ولئلا يقول أهل الكتاب نحن آمنا بالله وبأنبيائنا وكتبنا ﴿ وهو الحق من ربهم ﴾ أي وما نزل على محمد ﷺ هو الحق من ربهم لأنه ناسخ للشرائع والناسخ هو الحق وقيل معناه ومحمد الحق من ربهم دون ما يزعمون من أنه سيخرج في آخر الزمان نبي من العرب فليس هذا هو فردّ الله ذلك عليهم ﴿ كفر عنهم سيئاتهم ﴾ أي سترها عنهم بأن غفرها لهم يعني غفر سيئاتهم المتقدمة بإيمانهم وحكم بإسقاط المستحق عليها من العقاب ﴿ وأصلح بالهم ﴾ أي أصلح حالهم في معاشهم وأمر دنياهم عن قتادة وقيل أصلح أمر دينهم ودنياهم بأن نصرهم على أعدائهم في الدنيا ويدخلهم الجنة في العقبى ثم بين سبحانه لم فعل ذلك ولم قسمهم هذين القسمين فقال ﴿ ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا ابتعوا الحق من ربهم ﴾ أي ذلك الإضلال والإصلاح باتباع الكافرين الشرك وعبادة الشيطان واتباع المؤمنين التوحيد والقرآن وما أمر الله سبحانه باتباعه ﴿ كذلك يضرب الله للناس أمثالهم ﴾ أي كالبيان الذي ذكرنا يبين الله سبحانه للناس أمثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين فإن معنى قول القائل ضربت لك مثلاً بيّنت لك ضرباً من الأمثال عن الزجاج وقيل أراد به المثل المقرون به فجعل الكافر في اتباعه الباطل كمن دعاه الباطل إلى نفسه فأجابه والمؤمن كمن دعاه الحق إلى نفسه فأجابه وقيل معناه كما بيّنت عاقبة الكافر والمؤمن وجزاء كل واحد منهما أضرب للناس أمثالاً يستدلون بها فيزيدهم علماً ووعظاً وأضاف المثل إليهم لأنه مجعول لهم ثم أمر سبحانه بقتال الكفار فقال ﴿ فإذا

لقيتم ﴾ معاشر المؤمنين ﴿ الذين كفروا ﴾ يعني أهل دار الحرب ﴿ فضرب الرقاب ﴾ أي فاضربوا رقابهم والمعنى اقتلوهم لأن أكثر مواضع القتل ضرب العنق وإن كان يجوز الضرب في سائر المواضع فإن الغرض قتلهم ﴿ حتى إذا اثخنتموهم ﴾ أي أثقلتموهم بالجراح وظفرتم بهم وقيل حتى إذا بالغتم في قتلهم وأكثرتم القتل حتى ضعفوا ﴿ فشدّوا الوثاق ﴾ أي احكموا وثاقهم في الأسر. أمر سبحانه بقتلهم والإثخان فيهم ليذلّوا فإذا ذلّوا بالقتل أسروا فالأسر يكون بعد المبالغة في القتل كما قال سبحانه ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴿ فإما منًّا بعد وإما فداء ﴾ أي فإما أن تمنّوا عليهم منّاً بعد أن تأسروهم فتطلقوهم بغير عوض وأمّا أن تفدوهم فداء واختلف في ذلك فقيل كان الأسر محرّماً بآية الانفال ثم أبيح بهذه الآية لأن هذه السورة نزلت بعدها فإذا أسروا فالإمام مخيّر بين المنّ والفداء بأسارى المسلمين وبالمال وبين القتل والاستعباد وهو قول الشافعي وأبي يوسف ومحمد بن إسحاق وقيل أن الإمام مخيّر بين المن والفداء والإستعباد وليس له القتل بعد الأسر عن الحسن وكأنّه جعل في الآية تقديماً وتأخيراً تقديره فضرب الرقاب حتى تضع الحرب أوزارها ثم قال حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإمّا منّاً بعد وأما فداء وقيل أنّ حكم الآية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله فإما تثقفنّهم في الحرب عن قتادة والسدّي وابن جريج وقال ابن عباس والضحاك الفداء منسوخ وقيل أن حكم الآية ثابت غير منسوخ عن ابن عمر والحسن وعطاء قالوا لأن النبي ﷺ منَّ على أبي غرة وقتل عقبة بن أبي معيط وفادى أسارى بدر والمروي عن أئمة الهدى صلوات الرحمن عليهم أنّ الأسارى ضربان ضرب يؤخذون قبل انقضاء القتال والحرب قائمة فهؤلاء يكون الإمام مخيّراً بين أن يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويتركهم حتى ينزفوا ولا يجوز المنّ ولا الفداء. والضرب الآخر الذين يؤخذون بعد أن وضعت الحرب أوزارها وانقضى القتال فالإمام مخيّر فيهم بين المن والفداء أما بالمال أو بالنفس وبين الاسترقاق وضرب الرقاب فإذا أسلموا في الحالين سقط جميع ذلك وكان حكمهم حكم المسلمين ﴿ حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ أي حتى يضع أهل الحرب أسلحتهم فلا يقاتلون وقيل حتى لا يبقى أحد من المشركين عن ابن عباس وقيل حتى لا يبقى دين غير دين الإسلام عن مجاهد والمعنى حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا فلا يبقى إلا الإسلام خير الأديان ولا تعبد الأوثان وهذا كما جاء في الحديث والجهاد ماض مذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال وقال الفراء المعنى حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم وقال الزجاج أي اقتلوهم وأسروهم حتى يؤمنوا فما دام الكفر فالحرب قائمة أبداً ﴿ ذلك ﴾ أي الأمر الذي ذكرنا ﴿ ولو

يشاء الله لانتصر منهم ﴾ أي من الكفار بإهلاكهم وتعذيبهم بما شاء ﴿ **ولكن** ﴾ يأمركم بالحرب وبذل الأرواح في إحياء الدين ﴿ **ليبلو بعضكم ببعض** ﴾ أي ليمتحن بعضكم ببعض فيظهر المطيع من العاصي والمعنى أنه لو كان الغرض زوال الكفر فقط لأهلك الله سبحانه الكفار بما يشاء من أنواع الهلاك ولكن أراد مع ذلك أن يستحقوا الثواب وذلك لا يحصل إلا بالتعبد وتحمل المشاقّ ﴿ **والذين قتلوا في سبيل الله** ﴾ أي في الجهاد في دين الله يوم أحد عن قتادة ومن قرأ قاتلوا فالمعنى جاهدوا سواء قتلوا أو لم يقتلوا ﴿ **فلن يضل أعمالهم** ﴾ أي لن يضيع الله أعمالهم ولن يهلكها بل يقبلها ويجازيهم عليها ثواباً دائماً ﴿ **سيهديهم** ﴾ إلى طريق الجنة والثواب ﴿ **ويصلح بالهم** ﴾ أي شأنهم وحالهم والوجه في تكرير قوله بالهم أن المراد بالأول أنه أصلح بالهم في الدين والدنيا وبالثاني أنه يصلح حالهم في نعيم العقبى فالأول سبب النعيم والثاني نفس النعيم ﴿ **ويدخلهم الجنة عرفها لهم** ﴾ أي بينها لهم حتى عرفوها إذا دخلوها وتفرّقوا إلى منازلهم فكانوا أعرف بها من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم عن سعيد بن جبير وأبي سعيد الخدري وقتادة ومجاهد وابن زيد وقيل معناه بيّنها لهم وأعلمهم بوصفها على ما يشوق إليها فيرغبون فيها ويسعون لها عن الجبائي وقيل معناه طيّبها لهم عن ابن عباس في رواية عطاء من العرف وهو الرائحة الطيبة يقال طعم معرّف أي مطيّب .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ * أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾

[**اللغة**] التعس الانحطاط والعثار والاتعاس والازلال والادحاض بمعنى وهو العثار الذي لا يستقل صاحبه فإذا سقط الساقط فأريد به الانتعاش والاستقامة قيل لعاً له وإذا لم يرد

ذلك قيل تعساً قال الأعشى « فالتعس أولى لها من أن أقول لعا »[1] .

[المعنى] ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا أن تنصروا الله ﴾ أي أن تنصروا دين الله ونبي الله بالقتال والجهاد ﴿ ينصركم ﴾ على عدوّكم ﴿ ويثبّت أقدامكم ﴾ أي يشجعكم ويقوّ قلوبكم لتثبتوا وقيل ينصركم في الآخرة ويثبّت أقدامكم عند الحساب وعلى الصراط وقيل ينصركم في الدنيا والآخرة ويثبّت أقدامكم في الدارين وهو الوجه قال قتادة حقّ على الله أن ينصر من نصره لقوله ﴿ ان تنصروا الله ينصركم ﴾ وأن يزيد من شكره لقوله ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ وأن يذكر من ذكره لقوله ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ وان يوفي بعهد من أقام على عهده لقوله ﴿ وأوفوا بعهدي أوفِ بعدكم ﴾ ﴿ والذين كفروا فتعساً لهم ﴾ أي مكروها لهم وسوءاً عن المبرد أي أتعسهم الله فتعسوا تعساً قال ابن عباس يريد في الدنيا العسرة وفي الآخرة التردّي في النار ﴿ وأضلّ أعمالهم ﴾ مرّ معناه ﴿ ذلك ﴾ التعس والاضلال ﴿ بأنهم كرهوا ما أنزل الله ﴾ على نبيه ﷺ من القرآن والأحكام وأمرهم بالانقياد فخالفوا ذلك وقال أبو جعفر (ع) كرهوا ما أنزل الله في حق علي (ع) ﴿ فأحبط أعمالهم ﴾ لأنها لم تقع على الوجه المأمور به ثم نبّههم سبحانه على الاستدلال على صحة ما دعاهم إليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله فقال ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ حين أرسل الله إليهم الرسل فدعوهم إلى توحيده وإخلاص العبادة له فلم يقبلوا منهم وعصوهم أي فهلاّ ساروا ورأوا عواقب أولئك ﴿ دمّر الله عليهم ﴾ أي أهلكهم ثم قال ﴿ وللكافرين ﴾ بك يا محمد ﴿ أمثالها ﴾ من العذاب إن لم يؤمنوا ويقبلوا ما تدعوهم إليه والمعنى أنهم يستحقون أمثالها وإنما يؤخر الله سبحانه عذابهم إلى الآخرة تفضّلاً منه .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن

(١) مرّ البيت في ج ٣

قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا
نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ
عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ
فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ
وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا
مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ
وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير اسن مقصوراً والباقون آسن بالمد وقرأ علي (ع) وابن عباس أمثال الجنة على الجمع .

[الحجة] قال أبو زيد يقال أَسَن الماء يأسُنُ أُسُوناً إذا تغير وأسن الرجل يأسَن أسناً إذا غشي عليه من ريح خبيثة وربما مات منها قال :

أَلتَّارِكُ الْقِرْنِ مُصْفَرّاً أَنامِلُهُ تَميلُ في الرُّمح ميل المائحِ الْأَسِنِ[1]

قال أبو عبيدة الإسن المتغير[2] فحجة ابن كثير أن اسم الفاعل من فَعَل يفعل على فعل وقال أبو الحسن أسِن إنما هو للحال التي تكون عليها ومن قرأ آسن على فاعل فإنما يريد أن ذلك لا يصير إليه فيما يستقبل وقوله أمثال الجنة فيه دليل على أن القراءة العامة التي هي مثل في معنى الكثرة لما فيه من معنى المصدرية .

[اللغة] المثوى المنزل من قولهم ثوى بالمكان ثواء إذا أقام به ويقال للمرأة أم المثوى

(١) القرن كفؤك ومن يقاومك ونظيرك في الشجاعة واصفرار الأنامل كناية عن الموت . ماح الرجل : دخل البئر فملأ الدلو لقلة مائها ولا يمكن أن يستقى منها إلا بالاغتراف باليد ومقابله المائح أي من يستقي وهو على رأس البئر سئل الأصمعي عن المتح والميح فقال « الفوق للفوق والتحت للتحت » أي المتح أن يستقى وهو على رأس البئر والميح أن يملأ الدلو وهو في قعرها والاسن من دخل البئر فأصابته ريح منتنة فغشي عليه أو دار رأسه .

(٢) [الريح] .

أي ربّة المنزل والمثل والمثل بمعنى مثل الشِبه والشَبَه والبدْل والبَدَل(١) والأمعاء جمع بمعنى وفي الحديث المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء وفيه وجوه من التأويل (أحدها) أنه قال علي (ع) في رجل معينَ (والثاني) أن المعنى يأكل المؤمن فيسمي الله تعالى فيبارك في أكله (والثالث) أن المؤمن يضيّق عليه في الدنيا والكافر يصيب منها (والرابع) أنه مَثَل لزهد المؤمن في الدنيا وحرص الكافر عليها وهذا أحسن الوجوه .

[**الإعراب**] قال الزجاج مثل الجنة مبتدأ وخبره محذوف تقديره مثل الجنة التي وعد المتقون مما قد عرفتموه من الدنيا جنة فيها أنهار إلى آخره وقوله كمن هو خالد في النار تقديره أفمن كان على بيّنة من ربه وأعطي هذه الأشياء كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار .

[**المعنى**] ثم قال سبحانه ﴿ **ذلك** ﴾ أي الذي فعلناه في الفريقين ﴿ **بأن الله مولى الذين آمنوا** ﴾ يتولى نصرهم وحفظهم ويدفع عنهم ﴿ **وأن الكافرين لا مولى لهم** ﴾ ينصرهم ولا أحد يدفع عنهم لا عاجلاً ولا آجلا ثم ذكر سبحانه حال الفريقين فقال ﴿ **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ أي من تحت أشجارها وأبنيتها ﴿ **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام** ﴾ أي سيرتهم سيرة الأنعام آثروا لذّات الدنيا وشهواتها وأعرضوا عن العبر يأكلون للشبع ويتمتعون لقضاء الوطر ﴿ **والنار مثوى لهم** ﴾ أي موضع مقامهم يقيمون فيها ثم خوّفهم وهدّدهم سبحانه فقال ﴿ **وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك** ﴾ يا محمد يعني مكة ﴿ **التي أخرجتك** ﴾ أي أخرجك أهلها والمعنى كم من رجال هم أشد من أهل مكة ولهذا قال ﴿ **أهلكناهم** ﴾ فكنّى عن الرجال عن ابن عباس ﴿ **فلا ناصر لهم** ﴾ يدفع عنهم اهلاكنا إياهم والمعنى فمن الذي يؤمّن هؤلاء أن أفعل بهم مثل ذلك ثم قال سبحانه على وجه التهجين والتوبيخ للكفار والمنافقين ﴿ **أفمن كان على بيّنة من ربّه** ﴾ أي على يقين من دينه وعلى حجّة واضحة من اعتقاده في التوحيد والشرائع ﴿ **كمن زيّن له سوء عمله** ﴾ زيّن له الشيطان المعاصي وأغواه ﴿ **واتّبعوا أهواءهم** ﴾ أي شهواتهم وما تدعوهم إليه طباعهم وهو وصف لمن زيّن له سوء عمله وهم المشركون وقيل هم المنافقون عن ابن زيد وهو المروي عن أبي جعفر (ع) ثم وصف الجنات التي وعدها المؤمنين بقوله ﴿ **مثل الجنة التي وعد المتقون** ﴾ تقدم تفسيره في سورة الرعد ﴿ **فيها أنها من ماء غير آسن** ﴾ أي غير متغير لطول المقام كما تتغير مياه الدنيا

(١) كلاهما بمعنى الشريف الكريم ومنهما الإبدال .

﴿ وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ﴾ فهو غير حامض ولا قارص ولا يعتريه شيء من العوارض التي تصيب الألبان في الدنيا ﴿ وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴾ أي لذيذة يلتذّون بشربها ولا يتأذّون بها ولا بعاقبتها بخلاف خمر الدنيا التي لا تخلو من المزازة[1]. والسكر والصداع ﴿ وأنهار من عسل مصفى ﴾ أي خالص من الشمع والرغوة والقذى ومن جميع الأذى والعيوب التي تكون لعسل الدنيا ﴿ ولهم فيها من كل الثمرات ﴾ أي مما يعرفون اسمها ومما لا يعرفون اسمها مبرّأة من كل مكروه يكون لثمرات الدنيا ﴿ ومغفرة من ربهم ﴾ أي ولهم مع هذا مغفرة من ربّهم وهو أنه يستر ذنوبهم وينسيهم سيّئاتهم حتى لا يتنغص عليهم نعيم الجنة ﴿ كمن هو خالد في النار ﴾ أي من كان في هذه النعيم كمن هو خالد في النار ﴿ وسقوا ماء حميماً ﴾ شديد الحر ﴿ فقطع أمعاءهم ﴾ إذا دخل أجوافهم وقيل أن قوله كمن هو خالد في النار معطوف على قوله ﴿ كمن زين له سوء عمله ﴾ أي كمن زين له سوء عمله ومن هو خالد في النار فحذف الواو كما يقال قصدني فلان شتمني ظلمني .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ
حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ
يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ
لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ
لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾
وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۚ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ
وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ

(١) وفي نسختين المرارة بدل المزازة والمزازة طعم بين الحموضة والحلاوة .

نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾

[القراءة] روي في بعض الروايات عن ابن كثير آنفاً بالقصر والقراءة المشهورة آنفاً بالمد .

[الحجة] قال أبو علي أنشد أبو زيد :

وَجَدْنَا آلَ مُرَّةَ حِينَ خِفْنَا ... جَرِيرَتَنَا هُمُ الْأُنُفَ الْكِرَامَا
وَيَسْرَحُ جَارُهُمْ مِنْ حَيْثُ يَمْسِي ... كَأَنَّ عَلَيْهِ مُؤْتَنَفاً حَرَاماً[1]

أي كأن عليه حرمة شهر مؤتنف حرام فحذف والأنف الذين يأنفون من إحتمال الضيم قال أبو علي فإذا كان كذلك فقد جمع فَعِل على فُعُل لأن واحد أُنُف أنِف بدلالة قول الشاعر :

وَحَمَّالُ الْمِئِينَ إِذَا أُلِمَّتْ ... بِنَا الْحَدَثَانُ وَالْأَنِفُ النَّصُورُ[2]

وليس الأُنُف والإنِف في البيتين مما في الآية في شيء لأن ما في الشعر من الآنَفَة وما في الآية من الإبتداء ولم يسمع أنف في معنى ابتداء ويجوز أن يكون توهمه ابن كثير مثل حاذر وحذِر وفاكه وفكِه والوجه المد والآنف الجاني من الإئتناف وهو الإبتداء فقوله آنفاً أي في أول وقت يقرب منا .

[اللغة] الأهواء جمع الهوى وهو شهوة النفس يقال هَوى يهْوِي هَوىً فهو هوٍ واستهواه هذا الأمر أي دعاه إلى الهوى والإشراط العلامات وأشرط فلان نفسه للأمر إذا أعلمها بعلامة قال أوس بن حجر :

فَأَشْرَطَ فِيهَا نَفْسَهُ وَهْوَ مُعْصِمٌ ... وَأَلْقَىٰ بِأَسْبَابٍ لَهُ وَتَوَكَّلَا[3]

وواحد الإشراط شرط والشرَط بالتحريك العلامة وإشراط الساعة علاماتها والشَرَط

(١) مرة بطن من قريش والجريرة الذنب وهي مفعول خفنا والأنف الكراما مفعول : ثان لوجدنا والأنف صفة من أنف من الشيء أي استنكف وتنزه عنه وفي المخطوطة يمسي بدل يمشي وهو الأنسب المقام والمؤتنف : المستأنف والمبتدأ .

(٢) ألمت أي نزلت وحِدْثان الدهر وحَدَثانه نوائبه والنصور مبالغة من الناصر .

(٣) الضمير في فيها راجع إلى الجبال واعصم يجوز أن يكون من قولهم أعصم الراكب إذا لم يثبت على الفرس وأن يكون من أعصم به إذا تمسك به والأسباب الأحبال وتوكل عليه أي وثق يصف رجلاً تدلى من رأس الجبل ليقطع البيعة لاتخاذ القوس عنه .

أيضاً رذال المال قال جرير :

تَرىٰ شَرَطَ الْمعْزىٰ مُهُورَ نِسائِهِمْ وَفِي شَرط الْمعْزىٰ لَهُنَّ مُهُورُ(١)

وأصحاب الشُرط سموا بذلك للبسهم لباساً يكون علامة لهم والشرط في البيع علامة بين المتبايعين .

[**المعنى**] ثم بين سبحانه حال المنافقين فقال: ﴿ **ومنهم من يستمع إليك** ﴾ أي ومن الكافرين الذين تقدم ذكرهم من يستمع إلى قراءتك ودعوتك وكلامك لأنّ المنافق كافر ﴿ **حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم** ﴾ يعني الذين آتاهم الله العلم والفهم من المؤمنين قال ابن عباس أنا ممن أوتوا العلم بالقرآن وعن الأصبغ بن نباته عن علي (ع) قال أنا كنا عند رسول الله ﷺ فيخبرنا بالوحي فأعيه أنا ومن يعيه فإذا خرجنا قالوا ﴿ **ماذا قال آنفاً** ﴾ وقولهم ماذا قال آنفاً أي أيّ شيء قال الساعة وإنما قالوه إستهزاء أو إظهار أنّا لم نشتغل أيضاً بوعيه وفهمه وقيل إنما قالوا ذلك لأنهم لم يفهموا معناه ولم يعلموا ما سمعوه وقيل بل قالوا ذلك تحقيراً لقوله أي لم يقل شيئاً فيه فائدة ويحتمل أيضاً أن يكونوا سألوا رياء ونفاقاً أي لم يذهب عني من قوله إلا هذا فماذا قال أعده عليّ لأحفظه وإنما قال يستمع إليك ثم قال خرجوا من عندك لأن في الأول ردّ الضمير إلى لفظة من وفي الثاني إلى معناه فإنه موحد اللفظ مجموع المعنى ثم قال ﴿ **أولئك الذين طبع الله على قلوبهم** ﴾ أي وسم قلوبهم بِسِمَة الكفار أو خلّى بينهم وبين إختيارهم ﴿ **واتبعوا أهواءهم** ﴾ أي شهوات نفوسهم وما مالت إليه طباعهم دون ما قامت عليه الحجة ثم وصف سبحانه المؤمنين فقال ﴿ **والذين اهتدوا** ﴾ بما سمعوا من النبي ﷺ ﴿ **زادهم** ﴾ الله أو قراءة القرآن أو النبي ﷺ ﴿ **هدى** ﴾ وقيل زادهم استهزاء المنافقين إيماناً وعلماً وبصيرة وتصديقاً لنبيهم ﷺ ﴿ **وآتاهم تقواهم** ﴾ أي وفقهم للتقوى وقيل معناه وآتاهم ثواب تقواهم عن سعيد بن جبير وأبي علي الجبائي وقيل بيّن لهم ما يتقون وهو ترك الرُخَص والأخذ بالعزائم ﴿ **فهل ينظرون إلا الساعة** ﴾ أي فليس ينتظرون إلا القيامة ﴿ **أن تأتيهم بغتة** ﴾ أي فجأة فقوله أن تأتيهم بدل من الساعة وتقديره إلا الساعة إتيانها بغتة والمعنى إلا إتيان الساعة إياهم بغتة ﴿ **فقد جاء إشراطها** ﴾ أي علاماتها قال ابن عباس معالمها والنبي من إشراطها ولقد قال بعثت أنا والساعة كهاتين وقيل هي إعلامها من إنشقاق القمر والدخان وخروج النبي ﷺ ونزول آخر الكتب عن مقاتل ﴿ **فأنّى**

(١) يذمهم بأنهم صعاليك مهور نسائهم من رذال المعزى ومعروف أن المعزى من أموال الصعاليك فيُذمُّ على مالكيتها وأشدّ الذم إذا كان مهر نساء قوم من رذال المعزى .

لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ أي فمن أين لهم الذكر والإتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة وموضع ذكراهم رفع مثله في قوله ﴿ يوم يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى ﴾ أي ليس تنفعه الذكرى والذكرى ما أمر الله سبحانه أن يتذكروا به ومعناه وكيف لهم بالنجاة إذا جاءتهم الساعة فإنه لا ينفعهم في ذلك الوقت الإيمان والطاعات لزوال التكليف عنهم ثم قال لنبيه ﷺ والمراد به جميع المكلفين ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ قال الزجاج يجوز أن يكون المعنى أقم على هذا العلم وأثبت عليه واعلم في مستقبل عمرك ما تعلمه الآن ويدل عليه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة أورده مسلم في الصحيح وقيل أنه يتعلق بما قبله على معنى إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة أورده مسلم في الصحيح وقيل أنه يتعلق بما قبله على معنى إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا إله إلا الله أي يبطل الملك عند ذلك فلا ملك ولا حكم لأحد إلا الله وقيل إن هذا أخبار بموته ﷺ والمراد فاعلم أن الحي الذي لا يموت هو الله وحده وقيل أنه كان ضيّق الصدر من أذى قومه فقيل له فاعلم أنه لا كاشف لذلك إلا الله ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ الخطاب له والمراد به الأمة وإنما خوطب بذلك لتستنّ أمته بسنّته وقيل إن المراد بذلك الإنقطاع إلى الله تعالى فإن الإستغفار عبادة يستحق به الثواب وقد صح الحديث بالإسناد عن حذيفة بن اليمان قال كنت رجلاً ذرب اللسان على أهلي فقلت يا رسول الله إني لأخشى أن يدخلني لساني في النار فقال رسول الله ﷺ فأين أنت من الاستغفار أني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة ﴿ وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ أكرمهم الله سبحانه بهذا إذ أمر نبيهم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم ثم أخبر سبحانه عن علمه وأحوال الخلق ومآلهم فقال ﴿ والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ أي متصرفكم في أعمالكم في الدنيا ومصيركم في الآخرة إلى الجنة أو إلى النار عن ابن عباس وقيل يعلم متقلبكم في إصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات ومثواكم أي مقامكم في الأرض عن عكرمة وقيل متقلبكم من ظهر إلى بطن ومثواكم في القبور عن ابن كيسان وقيل يعلم متقلبكم متصرفكم في النهار ومثواكم مضجعكم بالليل والمعنى أنه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها ثم قال سبحانه حكاية عن المؤمنين ﴿ ويقول الذين آمنوا لولا نزّلت سورة ﴾ أي هلاّ نزلت لأنهم كانوا يأنسون بنزول القرآن ويستوحشون لإبطائه ليعلموا أوامر الله تعالى فيهم وتعبّده لهم ﴿ فإذا أنزلت سورة محكمة ﴾ ليس فيها متشابه ولا تأويل وقيل سورة ناسخة لما قبلها من إباحة التخفيف في الجهاد قال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين قيل محكمة أي مقرونة بوعيد يؤكد الأمر كقوله ﴿ ألاّ تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ﴾ وقيل محكمة بوضوح

ألفاظها وعلى هذا فالقرآن كله محكم وقيل هي التي تتضمن نصاً لم يختلف تأويله ولم يتعقبه نص وفي قراءة ابن مسعود سورة محدثة أي مجددة ﴿ **وذكر فيها القتال** ﴾ أي وأوجب عليهم في القتال وأمروا به ﴿ **رأيت** ﴾ يا محمد ﴿ **الذين في قلوبهم مرض** ﴾ أي شك ونفاق ﴿ **ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت** ﴾ قال الزجاج يريد أنهم يشخصون نحوك بأبصارهم وينظرون إليك نظراً شديداً كما ينظر الشاخص ببصره عند الموت لثقل ذلك عليهم وعظمه في نفوسهم ﴿ **فأولى لهم** ﴾ هذا تهديد ووعيد قال الأصمعي معنى قولهم في التهديد أولى لك وليك وقارنك ما تكره وقال قتادة معناه العقاب لهم والوعيد لهم وعلى هذا يكون أولى إسماً للتهديد والوعيد ويكون أولى لهم مبتدأ وخبراً ولا ينصرف أولى لأنه على وزن الفعل وصار إسماً للوعيد وقول الأصمعي أن معناه وليك ما تكره لا يريد به أن أولى فعل وإنما فسره على المعنى وقيل معناه أولى لهم طاعة الله ورسوله وقول معروف بالإجابة أي لو أطاعوا فأجابوا كانت الطاعة والإجابة أولى لهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء واختيار الكسائي فيكون على هذا طاعة وقول معروف متصلاً بما قبله وكذلك لو كانت صفة لسورة وتقديره فإذا أنزلت سورة ذات طاعة وقول معروف على ما قاله الزجاج وعلى القول الأول يكون طاعة مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل أو أحسن أو يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره أمرنا طاعة ويكون الوقف حسناً عند قوله فأولى لهم .

﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾

[القراءة] قرأ يعقوب وسهل وتَقْطَعوا بفتح التاء والطاء وسكون القاف والباقون وتُقَطِّعوا بالتشديد وضم التاء وكسر الطاء وقرأ أهل البصرة وأملي لهم بضم الهمزة وفتح الياء وفي رواية رويس عن يعقوب بسكون الياء وقرأ الباقون وأملى لهم بفتح الهمزة واللام وروي عن النبي ﷺ فهل عسيتم إن وليتم وعن علي (ع) إن توليتم قال أبو حاتم معناه أن تولاكم الناس .

[الحجة] حجة من قرأ وتقطعوا بالتخفيف قوله تعالى ﴿ ويقطعون ما أمر الله به ﴾ أن يوصل والتشديد للمبالغة وقوله ﴿ وليتم من الولاية ﴾ وفيه دلالة على أن القراءة المشهورة توليتم معناه توليتم الأمر قال أبو علي قالوا انتظرته مليّاً من الدهر أي متسعاً منه صفة إستعمل إستعمال الأسماء وقالوا تمليت حبيباً أي عشت معه ملاوة من الدهروقالوا الملوان يريدون بهما تكرر الليل والنهار وطول مدتهما قال :

نَـهـارٌ وَلَـيْـلٌ دائِـمٌ مَـلَـوَاهُـمَـا عَلَى كُـلِّ حَـالِ الْمَـرْءِ يَخْتَلِفَـانِ

فلو كان الليل والنهار لم يضافا إلى ضميرهما من حيث لا يضاف الشيء إلى نفسه ولكن كأنه يراد تكرار الدهر واتساعه بهما والضمير في أملي لهم لاسم الله كما قال وأملي لهم أن كيدي متين فمن قرأ وأملي لهم فبني الفعل للمفعول به فإنه يحسن في هذا الموضع للعلم بأنه لا يؤخر أحد مدة أحد ولا يوسع له فيها إلا الله سبحانه .

[المعنى] ﴿ طاعة وقول معروف ﴾ قد ذكرنا أن فيه مذهبين (أحدهما) أن يكون كلاماً متصلاً بما قبله وقد مر ذكره (والآخر) أن يكون كلاماً مبتدأ ثم اختلف في تقديره على وجهين (أحدهما) أن يكون مبتدأ محذوف الخبر ثم قيل إن معناه طاعة وقول معروف أمثل وأليق من أحوال هؤلاء المنافقين وقيل معناه طاعة وقول معروف خير لهم من جزعهم عند نزول فرض الجهاد عن الحسن والوجه الآخر أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره قولوا أمرنا طاعة وقول معروف أي حسن لا ينكره السامع وهذا أمر أمر الله به المنافقين عن مجاهد وقيل هو حكاية عنهم أنهم كانوا يقولون ذلك ويقتضيه قوله فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم ﴿ فإذا عزم الأمر ﴾ معناه فإذا جدّ الأمر ولزم فرض القتال وصار الأمر معزوماً عليه والعزم العقد على الأمر بالإرادة لأن يفعله فإذا عقد العازم العزم على أن يفعله قيل عزم الأمر على طريق البلاغة وجواب إذا محذوف ويدل عليه قوله ﴿ فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم ﴾ وتقديره فإذا عزم الأمر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا من أنفسهم فلو صدقوا الله فيما أمرهم به من الجهاد وامتثلوا

أمره لكان خيراً لهم في دينهم ودنياهم من نفاقهم ﴿ **فهل عسيتم** ﴾ يا معشر المنافقين ﴿ **إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم** ﴾ معناه إن توليتم الأحكام ووليتم أي جعلتم ولاة أن تفسدوا في الأرض بأخذ الرشاء وسفك الدم الحرام فيقتل بعضكم بعضاً ويقطع بعضكم رحم بعض كما قتلت قريش بني هاشم وقتل بعضهم بعضاً وقيل إن توليتم معناه إن أعرضتم عن كتاب الله والعمل بما فيه أن تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية فتفسدوا بقتل بعضكم بعضاً قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن القرآن ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الأرحام وعصوا الرحمن ثم ذم الله سبحانه من يريد ذلك فقال ﴿ **أولئك الذين لعنهم الله** ﴾ أي أبعدهم من رحمته ﴿ **فأصمهم وأعمى أبصارهم** ﴾ ومعناه أنهم لا يَعُون الخبر ولا يبصرون ما به يعتبرون فكأنهم صمّ عمي عن أبي مسلم وقيل أنهم في الآخرة لا يهتدون إلى الجنة بمنزلة الأصم الأعمى في الدنيا عن أبي علي الجبائي ولا يجوز حمله على الصمم والعمى في الجارحة بلا خلاف لأنهم لو كانوا كذلك لما ذمّوا على أنهم لا يسمعون ولا يبصرون وإنما أطلق الصمم لأنه لا يكون إلا في الإذن وقرن العمي بالأبصار لأنه قد يكون بالبصر وبالقلب ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن** ﴾ بأن يتفكروا فيه ويعتبروا به وقيل أفلا يتدبرون القرآن فيقضوا ما عليهم من الحق عن أبي عبد الله (ع) وأبي الحسن موسى (ع) ﴿ **أم على قلوب أقفالها** ﴾ معنى تنكير القلوب إرادة قلوب هؤلاء ومن كان مثلهم من غيرهم وفي هذا دلالة على بطلان قول من قال لا يجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن إلا بخبر وسمع وفيه تنبيه أيضاً على فساد قول من يقول إن الحديث ينبغي أن يروى على ما جاء وإن كان مخالفاً لأصول الديانات في المعنى لأنه سبحانه دعا إلى التدبر والتفكر وذلك مناف للتعامي والتجاهل ثم قال سبحانه ﴿ **إن الذين ارتدوا على إدبارهم** ﴾ أي رجعوا عن الحق والإيمان ﴿ **من بعدما تبين لهم الهدى** ﴾ أي من بعد ما بان لهم طريق الحق وهم المنافقون عن ابن عباس والضحاك والسُّدّي كانوا يؤمنون عند النبي ﷺ ثم يظهرون الكفر فيما بينهم فتلك ردّة منهم وقيل هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد ﷺ وقد عرفوه ووجدوا نعته مكتوباً عندهم عن قتادة وليس في هذا دلالة على أنّ المؤمن قد يكفر لأنه لا يمتنع أن يكون المراد من رجع في باطنه عن الإيمان بعد أن أظهره وقامت الحجة عنده بصحته ﴿ **الشيطان سوّل لهم** ﴾ أي زين لهم خطاياهم عن الحسن وقيل أعطاهم سؤلهم وأمنيتهم إذ دعاهم إلى ما يوافق مرادهم وهواهم عن أبي مسلم ﴿**وأملى لهم**﴾ أي طول لهم أملهم فاغتروا به وقيل أوهمهم طول العمر مع الأمن من المكاره وأبعد لهم في الأمل والأمنية .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ

سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ
إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾
أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾
وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ
ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر أسرارهم بالكسر والبقاون أسرارهم بالفتح .

[الحجة] قال أبو علي حجة من قرأ أسرارهم أنه لما كان مصدراً أفرد ولم يجمع ويقوّي الأفراد قوله ﴿ ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم ﴾ فكما أفرد السر ولم يجمع كذلك قال أسرارهم ومن فتح الهمزة جعله جمع سر فكأنه جمع لاختلاف ضروب السر وجميع الأجناس يحسن جمعها مع الإختلاف وقد جاء سرهم في قوله ﴿ يعلم سرهم ﴾ على ما عليه معظم المصادر لأنّه يتناول جميع ضروبه فأفرد مرة وجمع أخرى .

[اللغة] الإضغان جمع الضغن وهو الحقد واللحن أصله إزالة الكلام عن جهته ثم أنه يستعمل على وجهين في الصواب والخطأ أما في الصواب فمعناه الكناية عن الشيء والعدول عن الإفصاح عنه قال الشاعر :

وَلَقَدْ وَحَيْتُ لَكُمْ لِكَيْلَا تَفْطُنُوا وَلَحَنْتُ لَحْناً لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ

وقيل اللحن هي الفطنة وسرعة الفهم والفاعل منه لحن يلحن فهو لحن إذا فطن ومنه الحديث لعل أحدكم يكون ألحن بحجته من بعض أي أفطن لها وأغرض بها ومنه قول الشاعر :

مَنْطِقُ صَائِبُ وَتَلْحَنُ أَحْيَاناً وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنا

وإنما يسمى التعريض لَحْناً لأنه ذهاب بالكلام إلى خلاف جهته ومنه قول عمر تعلموا اللحن كما تتعلمون القرآن وأما في الخطأ فإن اللحن إزالة الإعراب عن جهته والفعل منه

لحن يلحن فهو لاحن :

[**المعنى**] ثم بين سبحانه سبب إستيلاء الشيطان عليهم فقال ﴿ **ذلك** ﴾ أي التسويل والإملاء ﴿ **بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله** ﴾ من القرآن وما فيه من الأمر والنهي والأحكام والمروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) أنهم بنو أمية كرهوا ما نزل الله في ولاية علي ابن أبي طالب (ع) ﴿ **سنطيعكم في بعض الأمر** ﴾ أي نفعل بعض ما تريدونه ﴿ **والله يعلم أسرارهم** ﴾ أي ما أسره بعضهم إلى بعض من القول وما أسروه في أنفسهم من الإعتقاد ﴿ **فكيف إذا توفتهم الملائكة** ﴾ أي فكيف حالهم إذا قبضت الملائكة أرواحهم وإنما حذف تفخيماً لشأن ما ينزل بهم في ذلك الوقت ﴿ **يضربون وجوههم وأدبارهم** ﴾ على وجه العقوبة لهم ثم ذكر الله سبحانه سبب نزول ذلك الضرب فقال ﴿ **ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله** ﴾ من المعاصي التي يكرهها الله ويعاقب عليها ﴿ **وكرهوا رضوانه** ﴾ أي سبب رضوانه من الإيمان وطاعة الرسول ﴿ **فأحبط الله أعمالهم** ﴾ التي كانوا يعملونها من صلاة وصدقة وغير ذلك لأنها في غير إيمان ثم قال سبحانه ﴿ **أم حسب الذين في قلوبهم مرض إن لن يخرج الله أضغانهم** ﴾ أي أحقادهم على المؤمنين ولا يبدي عوراتهم للنبي ﷺ ﴿ **ولو نشاء لأريناكهم** ﴾ بأعيانهم يا محمد حتى تعرفهم وهو قوله ﴿ **فلعرفتهم بسيماهم** ﴾ أي بعلاماتهم التي ننصبها لك لكي تعرفهم بها ﴿ **ولتعرفنهم في لحن القول** ﴾ أي وتعرفهم الآن في فحوى كلامهم ومعناه ومقصده ومغزاه لأن كلام الإنسان يدل على ما في ضميره وعن أبي سعيد الخدري قال لحن القول بغضهم علي بن أبي طالب (ع) قال وكنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ ببغضهم علي بن أبي طالب (ع) وروي مثل ذلك عن جابر بن عبد الله الأنصاري وعن عبادة بن الصامت قال كنا نبور[1] أولادنا يجب علي (ع) فإذا رأينا أحدهم لا يحبه علمنا أنه لغير رَشْدَة[2] وقال أنس ما خفي منافق على عهد رسول الله بعد هذه الآية ﴿ **والله يعلم أعمالكم** ﴾ ظاهرها وباطنها .

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ
مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن

(١) باره : جرّبه واختبره . (٢) الرشدة بالفتح وتكسر : ضد الزنية يقال « ولد لرَشْدة .

يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن
يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ
وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾

[**القراءة**] قرأ أبو بكر وليبلونكم وما بعده بالياء وهو المروي عن أبي جعفر الباقر (ع) والباقون بالنون وقرأ يعقوب ونبلو ساكنة الواو .

[**الحجة**] قال أبو علي وجه الياء إن قبله والله يعلم أعمالكم واسم الغيبة أقرب إليه من لفظ الجمع فحمل على الأقرب ووجه النون قوله ﴿ **ولو نشاء لأريناكهم** ﴾ .

[**اللغة**] يقال وتره يتره وترا إذا نقصه ومنه الحديث فكأنه وتر أهله وماله وأصله القطع ومنه الترة القطع بالقتل ومنه الوتر المنقطع بإنفراده عن غيره .

[**المعنى**] ثم أقسم سبحانه فقال ﴿ **ولنبلونكم** ﴾ أي نعاملكم معاملة المختبر بما نكلفكم به من الأمور الشاقة ﴿ **حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين** ﴾ أي حتى يتميز المجاهدون في سبيل الله من جملتكم والصابرون على الجهاد وقيل معناه حتى يعلم أولياؤنا المجاهدين منكم وإضافة إلى نفسه تعظيماً لهم وتشريفاً كما قال إن الذين يؤذون الله ورسوله أي يؤذون أولياء الله وقيل معناه حتى نعلم جهادكم موجوداً لأن الغرض أن تفعلوا الجهاد فيثيبكم على ذلك ﴿ **ونبلو أخباركم** ﴾ أي نختبر أسراركم بما تستقبلونه من أفعالكم ﴿ **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله** ﴾ أي امتنعوا عن اتباع دين الله ومنعوا غيرهم من اتباعه[1] تارة وبالإغواء أخرى ﴿ **وشاقّوا الرسول** ﴾ أي عاندوه وعادوه ﴿ **من بعد ما تبين لهم الهدى** ﴾ أي من بعد ما ظهر لهم أنه الحق وعرفوا أنه رسول الله ﷺ ﴿ **لن يضروا الله** ﴾ بذلك ﴿ **شيئاً** ﴾ وإنما ضرّوا أنفسهم ﴿ **وسيحبط** ﴾ الله ﴿ **أعمالهم** ﴾ فلا يرون لها في الآخرة ثواباً وفي هذه الآية دلالة على أن هؤلاء الكفار كانوا قد تبين لهم الهدى فارتدوا عنه فلم يقبلوه

(١) [بالقهر] .

عناداً وهم المنافقون وقيل أنهم أهل الكتاب ظهر لهم أمر النبي ﷺ فلم يقبلوه وقيل هم رؤساء الضلالة جحدوا الهدى طلباً للجاه والرياسة لأن العناد يضاف إلى الخواص ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله** ﴾ بتوحيده ﴿ **وأطيعوا الرسول** ﴾ بتصديقه وقيل أطيعوا الله في حرمة الرسول وأطيعوا الرسول في تعظيم أمر الله ﴿ **ولا تبطلوا أعمالكم** ﴾ بالشك والنفاق عن عطاء وقيل بالرياء والسمعة عن الكلبي وقيل بالمعاصي والكبائر عن الحسن ﴿ **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله** ﴾ مضى معناه ﴿ **ثم ماتوا وهم كفار** ﴾ أي أصروا على الكفر حتى ماتوا على كفرهم ﴿**فلن يغفرالله لهم**﴾ أبداً لأن لفظ لن للتأبيد ﴿**فلا تهنوا**﴾ أي فلا تتوانوا ولا تضعفوا عن القتال ﴿ **وتدعوا إلى السلم** ﴾ أي ولا تدعوا الكفار إلى المسالمة والمصالحة ﴿ **وأنتم الأعلون** ﴾ أي وأنتم القاهرون الغالبون عن مجاهد وقيل إن الواو للحال أي لا تدعوهم إلى الصلح في الحال التي تكون الغلبة لكم فيها وقيل إنه إبتداء إخبار من الله عن حال المؤمنين أنهم الأعلون يداً ومنزلة آخر الأمر وإن غلبوا في بعض الأحوال ﴿ **والله معكم** ﴾ أي بالنصرة على عدوكم ﴿ **ولن يتركم أعمالكم** ﴾ أي لن ينقصكم شيئاً من ثوابها بل يثيبكم عليها ويزيدكم من فضله عن مجاهد وقيل معناه لن يظلمكم عن ابن عباس وقتادة وابن زيد .

﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكْكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

[القراءة] في بعض الروايات عن أبي عمرو ويخرج بالرفع والمشهور عنه وعن الجميع ويخرج بالجزم .

[**الحجة**] وهذا يكون على استئناف الكلام أي وهو يخرج اضغانكم على كل حال .

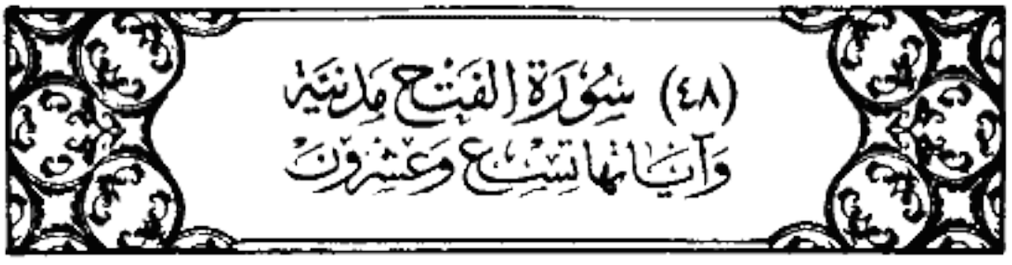
[**اللغة**] الإحفاء الإلحاح في السؤال حتى ينتهي إلى مثل الحفاء والمشي بغير حذاء يقال احفاه بالمسألة يحفيه احفاء وقيل الاحفاء بالمسألة الالطاف فيها عن أبي مسلم والبخل هو منع الواجب وقيل هو منع النفع الذي هو أولى في العقل عن علي بن عيسى .

[**الإعراب**] أن يسألكموها فيحفكم إنما قدم المخاطب على الغائب لأن الابتداء بالأقرب مع أنه المفعول الأول اولى وتقول أن يسألها جماعتكم لأنه غائب مع غائب فالمتصل اولى بأن يلي الفعل من المنفصل وقال ها أنتم هؤلاء كرر التنبيه في الموضعين للتأكيد وأنتم مبتدأ وهؤلاء بدل منه وتدعون خبر المبتدأ .

[**المعنى**] ثم حضّ الله سبحانه على طلب الآخرة فقال ﴿**إنما الحياة الدنيا لعب ولهو**﴾ أي سريعة الفناء والانقضاء ومن اختار الفاني على الباقي كان جاهلاً ومنقوصاً قال الحسن الذي خلقها هو اعلم بها ﴿**وإن تؤمنوا**﴾ بالله ورسوله ﴿**وتتقوا**﴾ معاصيه ﴿**يؤتكم أجوركم**﴾ أي جزاء أعمالكم في الآخرة ﴿**ولا يسألكم أموالكم**﴾ كلها في الصدقة وان أوجب عليكم الزكاة في بعض أموالكم عن سفيان بن عيينة الجبائي وقيل لا يسألكم أموالكم لأن الأموال كلها لله فهو املك لها وهو المنعم بإعطائها وقيل لا يسألكم الرسول على اداء الرسالة اموالكم ان تدفعوها إليه ﴿**ان يسئلكموها فيحفكم**﴾ أي يجهدكم بمسألة جميعها ﴿**تبخلوا**﴾ بها فلا تعطوها أي أن يسئلكم جميع ما في أيديكم تبخلوا وقيل فيحفكم أي فليلطف في السؤال بأن يعد عليه الثواب الجزيل عن أبي مسلم ﴿**ويخرج أضغانكم**﴾ أي ويظهر بغضكم وعداوتكم لله ورسوله ولكنه فرض عليكم ربع العشر قال قتادة علم الله أن في مسألة الأموال خروج الاضغان وهي الاحقاد التي في القلوب والعداوات الباطنة ﴿**ها أنتم هؤلاء تدعون انفقوا في سبيل الله**﴾ يعني ما فرض عليهم في أموالهم أي إنما تؤمرون باخراج ذلك وانفاقه في طاعة الله ﴿**فمنكم من يبخل**﴾ بما فرض عليه من الزكاة ﴿**ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه**﴾ لأنه يحرمها مثوبة جسيمة ويلزمها عقوبة عظيمة وهذه اشارة إلى أن معطي المال احوج إليه من الفمير الآخذ فبخله بخل على نفسه وذلك أشد البخل قال مقاتل إنما يبخل بالخير والفضل في الآخرة عن نفسه وقيل معناه فإنما يبخل بداع عن نفسه يدعوه إلى البخل فإن الله تعالى نهى عن البخل وذمه فلا يكون البخل بداع من جهته ﴿**والله الغني**﴾ عما عندكم من الأموال ﴿**وأنتم الفقراء**﴾ إلى ما عند الله من الخير والرحمة أي لا يأمركم بالانفاق لحاجته ولكن لتنتفعوا به في الآخرة ﴿**وان تتولوا**﴾ أي تعرضوا عن طاعته وعن أمر رسوله

﴿يستبدل قوماً غيركم﴾ امثل وأطوع لله منكم ﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ بل يكونوا خيراً منكم وأطوع لله وروى أبو هريرة أن ناساً من اصحاب رسول الله ﷺ قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه وكان سلمان الى جنب رسول الله ﷺ فضرب يده على فخذ سلمان فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال إن تتولوا يا معشر العرب يستبدل قوماً غيركم يعني الموالي وعن أبي عبد الله (ع) قال قد والله أبدل بهم خيراً منهم الموالي .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



[عدد آيها]

تسع وعشرون آية بالاجماع

[**فضلها**] إبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها فكأنما شهد مع محمد ﷺ فتح مكة وفي رواية أخرى فكأنما كان مع من بايع محمداً ﷺ تحت الشجرة عمر بن الخطاب قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقال نزلت علي البارحة سورة هي احب إلي من الدنيا وما فيها انا فتحنا الى قوله وما تأخر اورده البخاري في الصحيح . قتادة عن انس قال لما رجعنا من غزوة الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا فنحن بين الحزن والكآبة إذ أنزل الله عز وجل انا فتحنا لك فتحاً مبيناً فقال رسول الله ﷺ لقد أنزلت عليّ آية هي احب إليّ من الدنيا كلها عبد الله بن مسعود قال اقبل رسول الله ﷺ من الحديبية فجعلت ناقته تثقل فتقدمنا فأنزل الله عليه **﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾** فأدركنا رسول الله ﷺ وبه من السرور ما شاء الله فأخبر أنها أنزلت عليه . عبد الله بن بكير عن أبيه قال قال أبو عبد الله (ع) حصنوا أموالكم ونساءكم وما ملكت أيمانكم من التلف بقراءة انا فتحنا فإنه إذا كان ممن يدمن قراءتها ناداه مناد يوم القيامة حتى يسمع الخلائق انت من عبادي المخلصين الحقوه بالصالحين من عبادي فاسكنوه جنات النعيم واسقوه الرحيق المختوم بمزاج الكافور .

[**تفسيرها**] ختم الله تلك السورة بقوله **﴿والله الغني وأنتم الفقراء﴾** ومن غناه أنه فتح لنبيه ﷺ ما احتاج إليه في دينه ودنياه فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾
وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾

[**اللغة**] الفتح ضد الاغلاق وهو الأصل ثم استعمل في مواضع فمنها الحكم والقضاء ويسمّى الحاكم فتاحاً والفتاحة الحكومة ومنها النصر والاستفتاح الاستنصار ومنها فتح البلدان ومنها العلم وقوله وعنده مفاتح الغيب من ذلك .

[**المعنى**] ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ أي قضينا لك قضاء ظاهراً عن قتادة وقيل معناه يسرنا لك يسراً بيناً عن مقاتل وقيل معناه اعلمناك علماً ظاهراً فيما أنزلناه عليك من القرآن وأخبرناك به من الدين وقيل معناه أرشدناك إلى الاسلام وفتحنا لك أمر الدين عن الزجاج ثم اختلف في هذا الفتح على وجوه (أحدها) ان المراد به فتح مكة وعدها الله ذلك عام الحديبية عند انكفائه منها عن أنس وقتادة وجماعة من المفسرين قال قتادة نزلت هذه الآية عند مرجع النبي ﷺ من الحديبية بشّر في ذلك الوقت بفتح مكة وتقديره إنا فتحنا لك مكة أي قضينا لك بالنصر على أهلها وعن جابر قال ما كنا نعلم فتح مكة الا يوم الحديبية (وثانيها) إن المراد بالفتح هنا صلح الحديبية وكان فتحاً بغير قتال قال الفراء الفتح قد يكون صلحاً ومعنى الفتح في اللغة فتح المنغلق والصلح الذي حصل مع المشركين بالحديبية كان مسدوداً متعذراً حتى فتحه الله وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام في قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثير فكثر بهم سواد الإسلام وقال الشعبي بويع بالحديبية وذلك بيعة الرضوان

وأطعم نخيل خيبر وظهرت الروم على فارس وفرح المسلمون بظهور اهل الكتاب وهم الروم على المجوس إذ كان فيه مصداق قول الله تعالى ﴿انهم سيغلبون وبلغ الهدي﴾ محله والحديبية بئر روي انه نفذ ماؤها فظهر فيها من اعلام النبوة ما اشتهرت به الروايات قال البراء بن عازب تعدّون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي ﷺ اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فما ترك منها قطرة فبلغ ذلك إلى النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها وتركها ثم انها اصدرتنا نحن وركابنا وفي حديث سلمة بن الأكوع إما دعا واما بزق فيها فجاشت فسقينا وأسقينا وعن محمد بن اسحاق بن يسار عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة[1] ان رسول الله ﷺ خرج لزيارة البيت لا يريد حرباً فذكر الحديث الى أن قال[2] رسول الله ﷺ انزلوا فقالوا يا رسول الله ما بالوا ذي ماء فأخرج رسول الله ﷺ من كنانته سهماً فأعطاه رجلاً من أصحابه فقال له انزل في بعض هذه القلب فاغرزه في جوفه ففعل فجاش بالماء الرواء حتى ضرب الناس بعطن وعن عروة وذكر خروج النبي ﷺ قال وخرجت قريش من مكة فسبقوه إلى بلدح والى الماء فنزلوا عليه فلما رأى رسول الله ﷺ أنه قد سبق نزل على الحديبية وذلك في حرّ شديد وليس فيها إلا بئر واحدة فأشفق القوم من الظماء والقوم كثير فنزل فيها رجال يمتحونها ودعا رسول الله ﷺ بدلو من ماء فتوضأ[3] ومضمض فاه ثم مجّ فيه وأمر أن يصب في البئر ونزع سهماً من كنانته وألقاه في البئر فدعا الله تعالى فغارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس على شفتها وروى سالم بن أبي الجعد قال قلت لجابر كم كنتم يوم الشجرة قال كنا الفاً وخمسمائة وذكر عطشاً أصابهم قال فأتى رسول الله ﷺ بماء في تور فوضع يده فيه فجعل الماء يخرج من بين اصابعه كأنه العيون قال فشربنا وُسَعنا وكفانا قال قلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف كفانا كنا الفاً وخمسمائة (وثالثها) ان المراد بالفتح هنا فتح خيبر عن مجاهد والعوفي وروي عن مجمع بن حارثة الأنصاري كان احد القراء قال شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ فلما انصرفنا عنها إذاً الناس يهزون الاباعر فقال بعض الناس لبعض ما بال الناس قالوا أوحي إلى رسول الله ﷺ فخرجنا نوجف فوجدنا النبي ﷺ واقفاً على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس إليه قرأ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً السورة فقال عمر افتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده انه لفتح فقسمت خيبر على اهل الحديبية لم يدخل فيها احد إلا من

(١) محزمة خ ل. (٢) [قال] . (٣) في بعض النسخ فتوضأ من الدلو .

شهدها (ورابعها) ان الفتح الظفر على الاعداء كلهم بالحجج والمعجزات الظاهرة واعلاء كلمة الإسلام ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ قد قيل فيه أقوال كلها غير موافق لما يذهب اليه اصحابنا أن الأنبياء معصومون من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها قبل النبوة وبعدها (فمنها) انهم قالوا معناه ما تقدم من معاصيك قبل النبوة وما تأخر عنها (ومنها) قولهم ما تقدم الفتح وما تأخر عنه (ومنها) قولهم ما وقع وما لم يقع على الوعد بأنه يغفره له إذا وقع (ومنها) قولهم ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر من ذنوب امتك بدعوتك والكلام في ذنب آدم كالكلام في ذنب نبينا ﷺ ومن حمل ذلك على الصغائر التي تقع محبطة عندهم فالذي يبطل قولهم ان الصغائر اذا سقط عقابها وقعت مكفرة فكيف يجوز أن يمن الله سبحانه على نبيه ﷺ بأن يغفرها له وإنما يصح الامتنان والتفضل منه سبحانه بما يكون له المؤاخذة به لا بما لو عاقب به لكان ظالماً عندهم فوضح فساد قولهم ولأصحابنا فيه وجهان من التأويل (أحدهما) ان المراد ليغفر لك الله ما تقدم من ذنب امتك وما تأخر بشفاعتك وأراد بذكر التقدم والتأخر ما تقدم زمانه وما تأخر كما يقول القائل لغيره صفحت عن السالف والآنف من ذنوبك وحسنت اضافة ذنوب امته اليه للاتصال والسبب بينه وبين أمته ويؤيد هذا الجواب ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق (ع) قال سأله رجل عن هذه الآية فقال والله ما كان له ذنب ولكن الله سبحانه ضمن له أن يغفر ذنوب شيعة علي (ع) ما تقدم من ذنبهم وما تأخر وروى عمر بن يزيد قال قلت لأبي عبد الله (ع) عن قول الله سبحانه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال ما كان له ذنب ولا همَّ بذنب ولكن الله حمله ذنوب شيعته ثم غفرها له (والثاني) ما ذكره المرتضى قدس الله روحه أن الذنب مصدر والمصدر يجوز اضافته إلى الفاعل والمفعول معاً فيكون هنا مضافاً إلى المفعول والمراد ما تقدم من ذنبهم إليك في منعهم إياك عن مكة وصدهم لك عن المسجد الحرام ويكون معنى المغفرة على هذا التأويل الازالة والنسخ لاحكام اعدائه من المشركين عليه أي يزيل الله تعالى ذلك عنك ويستر عليك تلك الوصمة بما يفتح لك من مكة فستدخلها فيما بعد ولذلك جعله جزاء على جهاده وغرضاً في الفتح ووجهاً له قال ولو أنه أراد مغفرة ذنوبه لم يكن قوله إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله معنى معقول لأن المغفرة للذنوب لا تعلق لها بالفتح فلا يكون غرضاً فيه وأما قوله ما تقدم وما تأخر فلا يمتنع أن يريد به ما تقدم زمانه من فعلهم القبيح بك وبقومك وقيل أيضاً في ذلك وجوه أُخر (منها) ان معناه لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه لك (ومنها) ان المراد بالذنب هناك ترك المندوب وحسن ذلك لأن من المعلوم انه ممن لا يخالف الأوامر الواجبة فجاز ان يسمى ذنباً منه ما لو وقع من غيره لم يسم

ذنباً لعلو قدره ورفعة شأنه (ومنها) ان القول خرج مخرج التعظيم وحسن الخطاب كما قيل في قوله عفا الله عنك وهذا ضعيف لأن العادة جرت في مثل هذا أن يكون على لفظ الدعاء وقوله ﴿ويتم نعمته عليك﴾ معناه ويتم نعمته عليك في الدنيا باظهارك على عدوك وإعلاء امرك ونصرة دينك وبقاء شرعك وفي الآخرة برفع محلك فإن معنى اتمام النعمة فعل ما يقتضيها وتبقيتها على صاحبها والزيادة فيها وقيل يتم نعمته عليك بفتح خيبر ومكة والطائف ﴿ويهديك صراطاً مستقيماً﴾ أي ويثبتك على صراط يؤدي بسالكه إلى الجنة ﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ النصر العزيز هو ما يمتنع به من كل جبار عند وعاتٍ مريد وقد فعل ذلك بنبيه ﷺ إذ صير دينه أعز الأديان وسلطانه اعظم السلطان ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾ وهي ان يفعل الله بهم اللطف الذي يحصل لهم عنده من البصيرة بالحق ما تسكن اليه نفوسهم وذلك بكثرة ما ينصب لهم من الادلة الدالة عليه فهذه النعمة التامة للمؤمنين خاصة وأما غيرهم فتضطرب نفوسهم لأول عارض من شبهة ترد عليهم اذ لا يجدون برد اليقين وروح الطمأنينة في قلوبهم وقيل هي النصرة للمؤمنين لتسكن بذلك قلوبهم ويثبتوا في القتال وقيل هي ما أسكن قلوبهم من التعظيم لله ولرسوله ﴿ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾ أي يقيناً الى يقينهم بما يرون من الفتوح وعلوّ كلمة الاسلام على وفق ما وعدوا وقيل ليزدادوا تصديقاً بشرائع الإسلام وهو انهم كلما أمروا بشيء من الشرائع والفرائض كالصلاة والصيام والصدقات صدقوا به وذلك بالسكينة التي أنزلها الله في قلوبهم عن ابن عباس والمعنى ليزدادوا معارف على المعرفة الحاصلة عندهم ﴿ولله جنود السماوات والأرض﴾ يعني الملائكة والجن والانس والشياطين عن ابن عباس والمعنى أنه لو شاء لأعانكم بهم وفيه بيان انه لو شاء لأهلك المشركين لكنه عالم بهم وبما يخرج من أصلابهم فأمهلهم لعلمه وحكمته ولم يأمر بالقتال عن عجز واحتياج لكن ليعرض المجاهدين لجزيل الثواب ﴿وكان الله عليماً حكيماً﴾ فكل أفعاله حكمة وصواب ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات﴾ تقديره انا فتحنا لك ليغفر لك الله انا فتحنا لك ليدخل المؤمنين والمؤمنات ﴿جنات﴾ ولذلك لم يدخل واو العطف في ليدخل اعلاماً بالتفصيل ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي من تحت اشجارها الأنهار ﴿خالدين فيها﴾ أي دائمين مؤبدين لا يزول عنهم نعيمها ﴿ويكفر عنهم سيئاتهم﴾ أي عقاب معاصيهم التي فعلوها في دار الدنيا ﴿وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً﴾ أي ظفراً يعظم الله به قدره .

﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ

ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ
شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ
وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا
يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ۚ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ
نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

[القراءة] قد بينا اختلافهم في السوء في سورة التوبة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ليؤمنوا بالله وما بعده بالياء وقرأ الباقون بالتاء وقرأ أهل العراق فسيؤتيه بالياء والباقون بالنون وفي الشواذ قراءة الجحدري وتعزروه بفتح التاء وضم الزاي مخففاً .

[الحجة] قال أبو علي حجة الياء أنه لا يقال لتؤمنوا بالله ورسوله[1] وهو الرسول فإذا لم يسهل ذلك كانت القراءة بالياء ليؤمنوا ومن قرأ بالتاء فعلى قوله لهم إنا أرسلناك اليهم شاهداً لتؤمنوا وحجة الياء في فسيؤتيه قوله ومن أوفى مما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً على تقديم ذكر الغيبة وزعموا أن في حرف عبد الله فسوف يؤتيه الله والنون على الانصراف من الافراد الى لفظ الكثرة وقال ابن جني من قرأ تعزروه فالمعنى تمنعوه وتمنعوا دينه ونبيه فهو كقوله ان تنصروا الله ينصركم أي ان تنصروا دينه فهو على حذف المضاف واما تعزروه بالتشديد فتمنعوا منه بالسيف عن الكلبي وعزّرت فلاناً فخمت امره ومنه عزرة اسم رجل ومنه عندي التعزير للضرب دون الحدّ وذلك أنه لم يبلغ به ذل الحد الكامل فكأنه محاسنة فيه قال أبو حاتم وقرأ بعضهم تعززوه أي تجعلوه عزيزاً .

[المعنى] لما تقدم الوعد للمؤمنين عقبه سبحانه بالوعيد للكافرين فقال ﴿ويعذب﴾

(١) [المخاطب] .

الله ﴿المنافقين والمنافقات﴾ وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الشرك فالنفاق اسرار الكفرواظهارالإيمان أخذ من نافقاء اليربوع وهو أن يجعل لسربه بابين يظهر أحدهما ويخفى الآخر فإذا أتى من الظاهر خرج من الآخر ﴿والمشركين والمشركات﴾ وهم الذين يعبدون مع الله غيره ﴿الظانين بالله ظن السوء﴾ أي يتوهمون ان الله ينصرهم على رسوله وذلك سوء أي قبيح والسَوء المصدر والسوء الاسم وقيل هو ظنهم ان النبي ﷺ لا يعود الى موضع ولادته ابداً وقيل هو ظنهم ان لن يبعث الله احداً ومثله وظننتم ظن السوء ﴿عليهم دائرة السوء﴾ أي يقع عليهم العذاب والهلاك والدائرة هي الراجعة بخير أو شر قال حميد بن ثور « ودائرات الدهر ان تدورا » وقيل ان من قرأ بالضم فالمراد دائرة العذاب ومن قرأ بالفتح فالمراد ما جعله للمؤمنين من قتلهم وغنيمة اموالهم ﴿وغضب الله عليهم ولعنهم﴾ أي أبعدهم من رحمته ﴿وأعد لهم جهنم﴾ يجعلهم فيها ﴿وساءت مصيراً﴾ أي مآلاً ومرجعاً ﴿ولله جنود السماوات والأرض﴾ إنما كرر لأن الأول متصل بذكر المؤمنين اي فله الجنود التي يقدر أن يعينكم بها والثاني متصل بذكر الكافرين أي فله الجنود التي يقدر على الانتقام منهم بها ﴿وكان الله عزيزاً﴾ في قهره وانتقامه ﴿حكيماً﴾ في فعله وقضائه ثم خاطب نبيه ﷺ فقال ﴿إنا أرسلناك﴾ يا محمد ﴿شاهداً﴾ على أمتك بما عملوه من طاعة ومعصية وقبول وردّ او شاهداً عليهم بتبليغ الرسالة ﴿ومبشراً﴾ بالجنة لمن اطاع ﴿ونذيراً﴾ من النار لمن عصى ثم بيّن سبحانه الغرض بالإرسال فقال ﴿لتؤمنوا بالله﴾ من قرأ ليؤمنوا بالياء فالمعنى ليؤمن هؤلاء الكفار بالله ﴿ورسوله وتعزروه﴾ أي تنصروه بالسيف واللسان والهاء تعود إلى النبي ﷺ ﴿وتوقروه﴾ أي تعظموه وتبجّلوه ﴿وتسبحوه بكرة وأصيلاً﴾ أي وتصلوا[1] بالغداة والعشي وقيل معناه وتنزهوه عما لا يليق به وكثير من القراء اختاروا الوقف على وتوقروه لاختلاف الضمير فيه وفيما بعده وقيل وتعزروه اي وتنصروا الله وتوقروه اي وتعظموه وتطيعوه كقوله لا ترجون الله وقاراً وعلى هذا فتكون الكنايات متفقة وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب اهل الجبر ان الله سبحانه يريد من الكفار الكفر لأنه صرح هنا انه يريد من جميع المكلفين الايمان والطاعة ﴿إن الذين يبايعونك﴾ المراد بالبيعة هنا بيعة الحديبية وهي بيعة الرضوان بايعوا رسول الله ﷺ على الموت ﴿إنما يبايعون الله﴾ يعني أن المبايعة معك تكون مبايعة مع الله لأن طاعتك طاعة الله وإنما سميت بيعة لأنها عقدت على بيع أنفسهم بالجنة للزومهم في الحرب النصرة ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ أي عقد الله في هذه البيعة فوق عقدهم لأنهم بايعوا الله ببيعة نبيه ﷺ فكأنهم بايعوه من غير واسطة عن السديّ وقيل معناه قوة الله في نصرة

(١) [لله].

نبيه ﷺ فوق نصرتهم إياه اي ثق بنصرة الله لك لا بنصرتهم وان بايعوك عن ابن كيسان وقيل نعمة الله عليهم بنبيه ﷺ فوق أيديهم بالطاعة والمبايعة عن الكلبي وقيل يد الله بالثواب وما وعدهم على بيعتهم من الجزاء فوق أيديهم بالصدق والوفاء عن ابن عباس ﴿فمن نكث﴾ أي نقض ما عقد من البيعة ﴿فإنما ينكث على نفسه﴾ أي يرجع ضرر ذلك النقض عليه وليس له الجنة ولا كرامة عن ابن عباس ﴿ومن أوفى﴾ أي ثبت على الوفاء ﴿بما عاهد عليه الله﴾ من البيعة ﴿فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾ أي ثواباً جزيلاً .

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا ۖ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

[القراءة] قرأ اهل الكوفة غير عاصم ضرّاً بضم الضاد يبدلوا كلم الله بغير الف والباقون ضراً بالفتح كلام الله بالالف .

[الحجة] اقل ابو علي الضر خلاف النفع وفي التنزيل ما لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً والضر سوء الحال وفي التنزيل فكشفنا ما به من ضر هذا الأبين في هذا الحرف عندي ويجوز ان يكونا لغتين في معنى كالفَقر والفُقر والضَعف والضُعف ومن قرأ كلام الله فوجهه انه قيل فيهم لن تخرجوا معي ابداً فخص الكلام بما كان مفيداً وحديثاً فقال كلام الله ومن قرأ كلم الله قال الكلم قد يقع على ما يقع عليه الكلام وعلى غيره وان كان الكلام بما ذكرنا اخص الا ترى انه قال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل فإنما هو والله اعلم ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض وما يتصل به .

[اللغة] المخلّف هو المتروك في المكان خلف الخارجين من البلد وهو مشتق من الخلف وضده المقدم والاعراب الجماعة من عرب البادية وعرب الحاضرة ليسوا باعراب فرقوا بينهما وان كان اللسان واحداً والبور الفاسد الهالك وهو مصدر لا يثنى ولا يجمع يقال رجل بور ورجال بور قال :

يَارَسُولَ الْمَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ

وقال حسان :

لَا يَنْفَعُ الطُّوْلُ مِنْ نُوكِ الْقُلُوبِ وَقَدْ يَهْدِي الإِلَهُ سَبِيلَ الْمَعْشَرِ الْبُورِ

[المعنى] ثم اخبر سبحانه عمن تخلف عن نبيه ﷺ فقال ﴿**سيقول لك المخلفون عن الاعراب**﴾ اي الذي تخلفوا عن صحبتك في وجهتك وعمرتك وذلك انه لما اراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً وكان في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة استنفر من حول المدينة الى الخروج معه وهم غفار واسلم ومزينة وجهينة واشجع والدئل حذراً من قريش ان يعرضوا له بحرب او بصدّ واحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حرباً فتثاقل عنه كثير من الاعراب فقالوا نذهب معه إلى قوم قد جاؤه فقتلوا اصحابه فتخلفوا عنه واعتلوا بالشغل فقال سبحانه انهم يقولون لك إذا انصرفت إليهم فعاتبتهم على التخلف عنك ﴿**شغلتنا اموالنا واهلونا**﴾ عن الخروج معك ﴿**فاستغفر لنا**﴾ في قعودنا عنك فكذّبهم الله تعالى فقال ﴿**يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم**﴾ كذبهم في اعتذارهم بما اخبر عن ضمائرهم واسرارهم اي لا يبالون استغفر لهم النبي ﷺ ام لا ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**فمن يملك**

لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو اراد بكم نفعاً﴾ أي فمن يمنعكم من عذاب الله إن اراد بكم سوءاً ونفعاً أي غنيمة عن ابن عباس وذلك انهم ظنوا انّ تخلّفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر أو يُعجل لهم النفع بالسلامة في انفسهم واموالهم فأخبرهم سبحانه انه ان اراد بهم شيئاً من ذلك لم يقدر أحد على دفعه عنهم **﴿بل كان الله بما تعملون خبيراً﴾** أي عالماً بما كنتم تعملون في تخلفكم **﴿بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى اهليهم ابداً﴾** اي ظننتم انهم لا يرجعون إلى من خلّفوا بالمدينة من الأهل والأولاد لأن العدو يستأصلهم ويصطليهم[1] **﴿وزين ذلك في قلوبكم﴾** اي زين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم وسوّله لكم **﴿وظننتم ظن السوء﴾** في هلاك النبي ﷺ والمؤمنين وكل هذا من الغيب الذي لا يطلع عليه أحد إلا الله فصار معجزاً لنبينا ﷺ **﴿وكنتم قوماً بوراً﴾** أي هلكى لا تصلحون لخير عن مجاهد وقيل قوماً فاسدين عن قتادة **﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا اعتدنا للكافرين سعيرا﴾** اي ناراً تسعرهم وتحرقهم **﴿و لله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء﴾** ذنوبه **﴿ويعذب من يشاء﴾** إذا استحق العقاب **﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾** ظاهر المعنى ثم قال **﴿سيقول لك المخلفون﴾** يعني هؤلاء **﴿إذا انطلقتم﴾** ايها المؤمنون **﴿إلى مغانم لتأخذوها﴾** يعني غنائم خيبر **﴿ذرونا نتبعكم﴾** اي اتركونا نجيء معكم وذلك انهم لما انصرفوا من عام الحديبية بالصلح وعدهم الله سبحانه فتح خيبر وخص بغنائمها من شهد الحديبية فلما انطلقوا اليها قال هؤلاء المخلفون ذرونا نتبعكم فقال سبحانه **﴿يريدون ان يبدلوا كلام الله﴾** أي مواعيد الله لأهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة أرادوا تغيير ذلك بأن يشاركوهم فيها عن ابن عباس وقيل يريد امر الله لنبيه ان لا يسير معه منهم احد عن مقاتل **﴿قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل﴾** أي قال الله بالحديبية قبل خيبر وقبل مرجعنا اليكم إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية لا يشركهم فيها غيرهم هذا قول ابن عباس ومجاهد وابن إسحاق وغيرهم من المفسرين وقال الجبائي اراد بقوله يريدون ان يبدلوا كلام الله قوله سبحانه قل لن تخرجوا معي ابداً ولن تقاتلوا معي عدواً وهذا غلط فاحش لأن هذه السورة نزلت بعد الانصراف من الحديبية في سنة ست من الهجرة وتلك الآية نزلت في الذين تخلفوا عن تبوك وكانت غزوة تبوك بعد فتح مكة وبعد غزوة حنين والطائف ورجوع النبي ﷺ منها إلى المدينة ومقامه ما بين ذي الحجة إلى رجب ثم تهيأ في رجب للخروج إلى تبوك وكان منصرفه من تبوك في بقية رمضان من سنة تسع من الهجرة ولم يخرج ﷺ بعد ذلك لقتال ولا غزو إلى ان قبضه الله

---

(١) وفي بعض النسخ يصطلمهم .

تعالى فكيف تكون هذه الآية مرادة بقوله كلام الله وقد نزلت بعده بأربع سنين لولا ان العصبية ترين على القلوب ثم قال ﴿فسيقولون بل تحسدوننا﴾ أي فسيقول المخلفون عن الحديبية لكم إذا قلتم هذا لم يأمركم الله تعالى به بل انتم تحسدوننا ان نشارككم في الغنيمة فقال سبحانه ليس الأمر على ما قالوه ﴿بل كانوا لا يفقهون﴾ الحق وما تدعونهم اليه ﴿إلا قليلا﴾ اي إلا فقهاً قليلاً او شيئاً قليلاً وقيل معناه إلا القليل منهم وهم المعاندون.

﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ
أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ
أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾
لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ
حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ * لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ
عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ
فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً
يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ
كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ
وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون والباقون بالياء وهما في المعنى سواء.

[المعنى] ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿قل﴾ يا محمد ﴿للمخلفين﴾ الذين تخلفوا عنك

في الخروج إلى الحديبية ﴿من الاعراب ستدعون﴾ فيما بعد ﴿إلى قوم أولي بأس شديد﴾ وهم هوازن وحنين عن سعيد بن جبير وعكرمة وقيل هم هوازن وثقيف عن قتادة وقيل عن ثقيف عن الضحاك وقيل هم بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب عن الزهري وقيل هم اهل فارس هم ابن عباس وقيل هم الروم عن الحسن وكعب وقيل هم اهل صفين اصحاب معاوية والصحيح ان المراد بالداعي في قوله ستدعون هو النبي ﷺ لأنه قد دعاهم بعد ذلك إلى غزوات كثيرة وقتال اقوام ذوي نجدة وشدة مثل أهل حنين والطائف ومؤتة إلى تبوك وغيرها فلا معنى لحمل ذلك على ما بعد وفاته ﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾ معناه ان احد الأمرين لابد ان يقع لا محالة وتقديره أو هم يسلمون اي يقرّون بالإسلام ويقبلونه وقيل ينقادون لكم وفي حرف ابي او يسلموا وتقديره إلى ان يسلموا وفي النصب دلالة على ان ترك القتال من اجل الاسلام إذا وقع ﴿فإن تطيعوا﴾ أي فإن تجيبوا إلى قتالهم ﴿يؤتكم الله اجراً حسناً﴾ اي جزاءاً صالحاً ﴿وإن تتولوا﴾ عن القتال وتقعدوا عنه ﴿كما توليتم من قبل﴾ عن الخروج إلى الحديبية ﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾ في الآخرة ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ اي ضيق في ترك الخروج مع المؤمنين في الجهاد والأعمى الذي لا يبصر بجارحة العين ﴿ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ في ترك الجهاد أيضاً قال مقاتل عذر الله اهل الزمانة والآفات الذين تخلفوا عن المسير إلى الحديبية بهذه الآية ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ معناه في الأمر بالقتال ﴿ومن يتول﴾ عن امر الله وأمر رسوله فيقعد عن القتال ﴿يعذبه عذاباً أليماً. لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ يعني بيعة الحديبية وتسمى بيعة الرضوان لهذه الآية ورضاء الله سبحانه عنهم هو ارادته تعظيمهم واثابتهم وهذا اخبار منه سبحانه انه رضي عن المؤمنين اذ بايعوا النبي ﷺ في الحديبية تحت الشجرة المعروفة وهي شجرة السمرة ﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ من صدق النية في القتال والكراهة له لأنه بايعهم على القتال عن مقاتل وقيل ما في قلوبهم من اليقين والصبر والوفاء ﴿فأنزل السكينة عليهم﴾ وهي اللطف القوّي لقلوبهم والطمأنينة ﴿وأثابهم فتحا قريباً﴾ يعني فتح خيبر عن قتادة واكثر المفسرين وقيل فتح مكة عن الجبائي ﴿ومغانم كثيرة يأخذونها﴾ يعني غنائم خيبر فإنها كانت مشهورة بكثرة الاموال والعقار وقيل يعني غنائم هوازن بعد فتح مكة عن الجبائي ﴿وكان الله عزيزاً﴾ اي غالباً على امره ﴿حكيماً﴾ في افعاله ولذلك امر بالصلح وحكم للمسلمين بالغنيمة ولأهل الخيبر بالهزيمة ثم ذكر سبحانه سائر الغنائم التي يأخذونها فيما يأتي من الزمان فقال ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها﴾ مع النبي ﷺ ومن بعده إلى يوم القيامة ﴿فجعل لكم هذه﴾ يعني غنيمة خيبر ﴿وكفّ ايدي الناس عنكم﴾ وذلك ان

النبي ﷺ لما قصد خيبر وحاصر اهلها همّت قبائل من اسد وغطفان ان يغيروا على اموال المسلمين وعيالهم بالمدينة فكف الله ايديهم عنهم بإلقاء الرعب في قلوبهم وقيل ان مالك ابن عوف وعيينة بن حصين مع بني اسد وغطفان جاءوا لنصرة اليهود من خيبر فقذف الله الرعب في قلوبهم وانصرفوا ﴿ولتكون﴾ الغنيمة التي عجلها لهم ﴿آية للمؤمنين﴾ على صدقك حيث وعدهم أن يصيبوها فوقع المخبر على وفق الخبر ﴿ويهديكم صراطاً مستقيماً﴾ اي ويزيدكم هدى بالتصديق بمحمد ﷺ وما جاء به مما ترون من عدة الله في القرآن بالفتح والغنيمة .

[قصة فتح الحديبية]

قال ابن عباس ان رسول الله ﷺ خرج يريد مكة فلما بلغ الحديبية وقفت ناقته وزجرها فلم تنزجر وبركت الناقة فقال اصحابه خلأت الناقة فقال ﷺ ما هذا لها عادة ولكن حبسها حابس الفيل ودعا عمر بن الخطاب ليرسله إلى اهل مكة ليأذنوا له بأن يدخل مكة ويحل من عمرته وينحر هديه فقال يا رسول الله مالي بها حميم واني اخاف قريشاً لشدة عداوتي اياها ولكن ادلك على رجل هو اعز بها مني عثمان بن عفان فقال صدقت فدعا رسول الله ﷺ عثمان فأرسله إلى ابي سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال ﷺ لا نبرح حتى نناحز القوم ودعا الناس الى البيعة فقام رسول الله ﷺ إلى الشجرة فاستند اليها وبايع الناس على ان يقاتلوا المشركين ولا يفرّوا قال عبد الله بن معقل كنت قائماً على رأس رسول الله ﷺ ذلك اليوم وبيدي غصن من السمرة أذب عنه وهو يبايع الناس فلم يبايعهم على الموت وإنما بايعهم على ان لا يفروا وروى الزهري وعروة بن الزبير والمسور ابن مخزمة[1] قالوا خرج رسول الله ﷺ من الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه حتى إذا كانوا بذي الحليفة قلد رسول الله ﷺ الهدي واشعره واحرم بالعمرة وبعث بين يديه عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش وسار رسول الله ﷺ حتى إذ كان بغدير الاشطاط قريباً من عسفان أتاه عينة الخزاعي فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد جمعوا لك الاحابيش[2] وجمعوا جموعاً وهم قاتلوك او مقاتلوك وصادّوك عن البيت فقال ﷺ روحوا فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا

(١) وفي بعض النسخ محزمة .

(٢) جمع الاحبوس والاحبوشة اي الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة .

ذات اليمين وسار ﷺ حتى إذا كان بالثنية بركت راحلته فقال ﷺ ما خلأت القصواء ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها زجرها فوثبت به قال فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء إنما يتبرضه الناس تبرّضاً[١] فشكوا اليه العطش فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم ان يجعلوه في الماء فوالله ما زال يجيش لهم بالريّ حتى صدروا عنه فبيناهم كذلك إذ جاءهم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال رسول الله ﷺ إنا لم نجيء لقتال احد ولكن جئنا معتمرين وان قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاءوا ما دونهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس وان شاءوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جمعوا[٢] وان ابوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي أول لينفذن الله تعالى امره فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشاً فقال إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وانه يقول كذا وكذا فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال انه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آته فقالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ نحواً من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اي محمد أرأيت ان استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فوالله اني لأرى وجوها وارى اشابا من الناس خلقاء ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قال ابو بكر قال اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك قال وجعل يكلم النبي ﷺ وكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ قبل ان لا ترجع اليك فقال من هذا قال المغيرة بن شعبة قال اي غدر ولست اسعى في غدرتك قال وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ اما الإسلام فقد قلنا واما المال فإنه مال غدر لا حاجة لنا فيه ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبي ﷺ إذا امرهم رسول الله ﷺ ابتدروا امره وإذا توضأ ثاروا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلموا خفضوا اصواتهم عنده وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له قال فرجع عروة إلى اصحابه وقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رأيت ملكاً قط يعظمه

(١) تبرض الماء : اخذه قليلاً قليلاً من ههنا وهاهنا . (٢) في بعض النسخ : جمّوا وفي المخطوطة حمّوا .

اصحابه ما يعظم اصحاب محمد إذا امرهم ابتدروا امره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له وانه وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آته فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال رسول رسول الله ﷺ لاصحابه هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها فبعثت له واستقبله القوم يلبّون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آته فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي ﷺ فبينا هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو فقال ﷺ قد سهل عليكم امركم فقال اكتب بيننا وبينك كتاباً فدعا رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب فقال له رسول الله اكتب باسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم فقال المسلمون والله لا نكتب إلا باسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي ﷺ اكتب باسمك اللهم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي ﷺ اني لرسول الله وان كذبتموني ثم قال لعلي (ع) امح رسول الله فقال يا رسول الله إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة فأخذه رسول الله فمحاه ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وعلى انه من قدم مكة من اصحاب محمد حاجّاً أو معتمراً أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو إلى الشام فهو آمن على دمه وماله وان بيننا عيبة مكفولة[1] وانه لا اسلال ولا اغلال وانه من احب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم فقال رسول الله ﷺ على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف فقال سهيل والله ما تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل على انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك إلا رددته الينا ومن جاءنا ممن معك لم نرده عليك فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلماً فقال رسول الله ﷺ من جاءهم منا فأبعده الله ومن جاءنا منهم رددناه اليهم فلو علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً فقال سهيل وعلى انك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا

(١) وفي بعض النسخ مكفوفة .

مكة فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك فدخلتها باصحابك فأقمت بها ثلاثا ولا تدخلها بالسلاح إلا السيوف في القراب وسلاح الراكب وعلى ان هذا الهدي حيث ما حبسناه محله لا تقدمه علينا فقال نحن نسوق وانتم تردون فبيناهم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف[1] في قيوده قد خرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول ما اقاضيك عليه ان ترده فقال النبي ﷺ انا لم نقض بالكتاب بعد قال والله إذاً لا أصالحك على شيء ابداً فقال النبي ﷺ فأجره لي فقال ما انا بمجيره لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل قال مكرز بلى قد اجرناه قال ابو جندل بن سهيل معاشر المسلمين أأردّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذاباً شديداً فقال عمر ابن الخطاب والله ما شككت مذ اسلمت الا يومئذ فأتيت النبي ﷺ فقلت ألست نبي الله فقال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلِمَ نعطى الدنية في ديننا إذاً قال أني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري قلت او لست كنت تحدثنا انا سنأتي البيت ونطوف حقاً قال بلى أفأخبرتك ان نأتيه العام قلت لا قال فإنك تأتيه وتطوف به فنحر رسول الله ﷺ بدنة فدعا بحالقه فحلق شعره ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الآية قال محمد بن اسحاق بن يسار وحدثني بريدة بن سفيان عن محمد بن كعب ان كاتب رسول الله ﷺ في هذا الصلح كان علي بن أبي طالب (ع) فقال له رسول الله ﷺ اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو فجعل علي (ع) يتلكأ ويأبى ان يكتب إلا محمد رسول الله فقال رسول الله فإن لك مثلها تعطيها وانت مضطهد فكتب ما قالوا ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا العهد الذي جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلا يأكلان من تمر لهم قال ابو بصير لأحد الرجلين واني لأرى سيفك هذا جيداً جدّا فاستله وقال اجل انّه لجيد وجربت به ثم جربت فقال ابو بصير ارني انظر اليه فامكنه منه فضربه به حتى برد وفرّ الآخر حتى بلغ المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ حين رآه لقد رأى هذا ذعراً فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال قتل والله صاحبي واني لمقتول قال فجاء ابو بصير فقال يا رسول قد اوفى الله ذمتك ورددتني اليهم ثم انجاني الله منهم فقال النبي ﷺ ويل امه مسعر حرب لو كان له احدَ فلما سمع ذلك عرف انه سيرده اليهم فخرج حتى اتى سيف البحر. وانفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بابي

(١) رسَف يرسُف رَسْفاً مشى مشيَ المقتد.

بصير فلا يخرج من قريش رجل قد اسلم الا لحق بابي بصير حتى اجتمعت عليه عصابة قال فوالله لا يسمعون بعير لقريش قد خرجت الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم واخذوا اموالهم فأرسلت قريش الى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما ارسل اليهم فمن اتاه منهم فهو آمن فارسل ﷺ اليهم فأتوه .

[قصة فتح خيبر]

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة ثم خرج منها غادياً إلى خيبر ذكر ابن إسحاق بإسناده عن ابي مروان الاسلمي عن أبيه عن جده قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى خيبر حتى إذا كنا قريباً منها واشرفنا عليها قال رسول الله ﷺ قفوا فوقف الناس فقال اللهم رب السماوات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن انا نسألك خير هذه القرية وخير اهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر اهلها وشر ما فيها اقدموا باسم الله وعن سلمة بن الاكوع قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع الا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلاً شاعراً فجعل يقول :

لاهُمَّ لَوْلا أَنْتَ مَا حَجَيْنَا[1] وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا
فَاغْفِرْ فِدَاء لَكَ مَا أَقْتَنَيْنَا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاقَيْنَا
وَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا إِنَا أُذَا صِيحَ بَنَا أَتَيْنَا
وَبِالصِّيَاحِ[2] عَوَّلُوا عَلَيْنَا

فقال رسول الله ﷺ من هذا السابق[3] قالوا عامر قال يرحمه الله قال عمر وهو على جمل له وجيب يا رسول الله لولا امتعتنا به وذلك ان رسول الله ﷺ ما استغفر لرجل قط يخصه الا استشهد قالوا فلما جد الحرب وتصافَّ القوم خرج يهودي وهو يقول :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ إِذا الحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فبرز اليه عامر وهو يقول :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرٌ شَاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُغَامِرٌ

فاختلفا ضربتين فوقع سيف اليهودي في ترس عامر وكان سيف عامر فيه قصر فتناول به

(١) وفي نسخة : ما اهتدينا . (٢) وفي بعضها : وبالصياح . (٣) وفي بعضها السائق .

ساق اليهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه فاصاب عين ركبة عامر فمات منه قال سلمة فإذا نفر من أسحاب رسول الله ﷺ يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه قال فاتيت النبي ﷺ وانا ابكي فقلت قالوا ان عامراً بطل عمله فقال من قال ذلك قلت نفر من اصحابك فقال كذب اولئك بل اوتي من الأجر مرتين قال فحاصرناهم حتى اصابتنا مخمصة شديدة ثم ان الله فتحها علينا وذلك ان النبي ﷺ اعطى اللواء عمر بن الخطاب ونهض من نهض معه من الناس فلقوا اهل خيبر فانكشف عمرو واصحابه فرجعوا الى رسول الله ﷺ يجبّنه اصحابه ويجبّنهم وكان رسول الله ﷺ اخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس فقال حين افاق من وجعه ما فعل الناس بخيبر فأخبر فقال لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه وروى البخاري ومسلم عن قتيبة عن سعيد قال حدثنا يعقوب عن عبد الرحمن الاسكندراني عن ابي حازم قال اخبرني سعد بن سهل انّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لأعطين هذه الراية غداً رجل يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فبات الناس يدوكون[1] بجملتهم ايهم يُعطاها فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون ان يعطاها فقال أين علي بن أبي طالب فقالوا يا رسول الله هو يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال علي (ع) يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا امثلنا قال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الإسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من يكون لك حمر النعم قال سلمة فبرز مرحب وهو يقول قد علمت خيبر اني مرحب الابيات فبرز له علي (ع) وهو يقول :

أَنَا الَّذي سَمَّتْني أُمّي حَيْدَرَة كَلَيْثِ غاباتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَة أُو فِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَة[2]

فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله وكان الفتح على يده اورده مسلم في الصحيح وروى ابو عبد الله الحافظ بإسناده عن رافع[3] مولى رسول الله ﷺ قال خرجنا مع علي (ع) حين بعثه رسول الله ﷺ فلما دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول علي باب الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم القاه من يده فلقد رأيتني في نفر مع سبعة انا ثامنهم نجهد على ان نقلب ذلك الباب فما استطعنا ان نقلبه وبإسناده عن ليث بن أبي سليم عن أبي جعفر محمد بن

(١) اي يخوضون ويموجون ويختلفون.

(٢) [أبي رافع] بدل رافع وهو الصحيح.

(٣) ضرب من الكيل جراف والمعنى اقتلكم قتلاً واسعاً كبيراً.

علي (ع) قال حدثني جابر بن عبد الله علياً (ع) حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فاقتحموها وانه حرك بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلاً قال وروي من وجه آخر عن جابر ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً فكان جهدهم ان اعادوا الباب وبإسناده عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان علي (ع) يلبس في الحر والشتاء القباء المحشو الثخين وما يبالي الحر فأتاني اصحابي فقالوا إنا رأينا من امير المؤمنين (ع) شيئاً فهل رأيت فقلت وما هو قالوا رأيناه يخرج علينا في الحر الشديد في البقاء المحشو الثخين وما يبالي الحر ويخرج علينا في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين وما يبالي البرد فهل سمعت في ذاك شيئاً فقلت لا فقالوا فسل لنا أباك عن ذلك فإنه يسمر معه فسألته فقال ما سمعت في ذلك شيئاً فدخل على علي (ع) فسمر معه ثم سأله عن ذلك فقال أو ما شهدت[1] خيبر قلت بلى قال افما رأيت رسول الله ﷺ حين دعا ابا بكر فقعد له ثم بعثه إلى القوم فانطلق فلقي القوم ثم جاء بالناس وقد هزم فقال بلى قال ثم بعث إلى عمر فقعد له ثم بعثه إلى القوم فانطلق فلقي القوم فقاتلهم ثم رجع وقد هزم فقال رسول الله ﷺ لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه كراراً غير فرار فدعاني فأعطاني الراية ثم قال اللهم اكفه الحر والبرد فما وجدت بعد ذلك حراً ولا برداً وهذا كله منقول من كتاب دلائل النبوة للإمام ابي بكر البيهقي ثم لم يزل رسول الله ﷺ يفتح الحصون حصناً حصناً ويحوز الأموال حتى انتهوا إلى حصن الوطيح والسلالم وكان آخر حصون خيبر افتتح وحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة قال ابن إسحاق ولما افتتح القموص حصن ابن ابي الحقيق اتي رسول الله ﷺ بصفية بنت حيّي بن اخطب وبأخرى معها فمر بهما بلال وهو الذي جاء بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التي معها صفية صاحت وصكّت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله ﷺ قال اعزبوا عني هذا الشيطانة وامر بصفية فحيزت[2] خلفه والقى عليها رداءه فعرف المسلمون انه قد اصطفاها لنفسه وقال ﷺ لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ان قمراً وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا إلا انك تتمنين ملك الحجاز محمداً ولطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها فأتي بها رسول الله ﷺ وبها أثر منها فسألها رسول الله ﷺ ما هو فاخبرته وارسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله ﷺ انزل فأكلمك نعم فنزل

(١) وفي المخطوطة او ما شهدت معنا خيبر.

(٢) في المخطوطة: فجرت

وصالح رسول الله ﷺ على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم ويخلون بين رسول الله وبين ما كان لهم من مال وأرض على الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة[١] وعلى البز إلا ثوباً على ظهر انسان وقال رسول الله ﷺ فبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله ان كتمتموني شيئاً فصالحوه على ذلك فلما سمع بهم اهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله يسألونه ان يسيِّرهم ويحقن دماءهم ويخلون بينه وبين الأموال ففعل وكان ممن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك محيّصة ابن مسعود أحد بني حارثة فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم الأموال على النصف وقالوا نحن اعلم بها منكم واعمر لها فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف على أنا إذا شئنا ان نخرجكم اخرجناكم وصالحه اهل فدك على مثل ذلك فكانت اموال خيبر فيئاً بين المسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله لأنهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب ولما اطمأن رسول الله ﷺ اهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم وهي ابنة اخي مرحب شاة مصلية وقد سألت اي عضو من الشاة احب إلى رسول الله ﷺ فقيل لها الذراع فأكثرت فيها السم وسمّت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضغة وانتهش منها ومعه بشر بن البراء بن معرور فتناول عظماً فانتعش منه فقال رسول الله ﷺ ارفعوا ايديكم فإن كتف هذه الشاة تخبرني انها مسمومة ثم دعاها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومي ما لم يخفَ عليك فقلت إن كان نبياً فسيخبر وان كان ملكاً استحرت منه فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ومات بشر بن البراء من اكلته التي اكل قال ودخلت ام بشر بن البراء على رسول الله تعوده في مرضه الذي توفي فيه فقال ﷺ يا ام بشر ما زالت اكله خيبر التي اكلت بخيبر مع ابنك تعاودني[٢] فهذا او ان قطعت ابهري[٣] وكان المسلمون يرون ان رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما اكرمه الله به من النبوة .

﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ

(١) وفي بعض النسخ الخلقة.

(٢) وفي الحجري تعازني.

(٣) الأبهر: عرق مستبطن الصلب إذا انقطع لم يبق صاحبه.

لِسُنَّةَ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ
عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ
وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ
بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾

[القراءة] قرأ ابو عمرو بما يعملون بالياء والباقون بالتاء .

[الحجة] قال أبو علي وجه قول ابي عمرو وكان الله بما عمل الكفار من كفرهم وصدكم عن المسجد الحرام ومنعكم من دخوله بصيراً فيجازي عليه ووجه التاء ان الخطاب قد جرى للقبيلتين في قوله وهو الذي كف أيديهم عنكم وايديكم عنهم فالخطاب لتقدم هذا الخطاب .

[اللغة] التبديل رفع احد الشيئين وجعل الآخر مكانه فيما حكم ان يستمر على ما هو به ولو رفع الله حكماً إلى خلافه لم يكن تبديلاً لحكمه لأنه لا يرفع شيئاً إلا في الوقت الذي تقتضي الحكمة رفعه فيه والمعكوف الممنوع من الذهاب في جهة بالإقامة في مكانه ومنه الاعتكاف وهو الإقامة في المسجد للعبادة وعكف على هذا الأمر يعكف عكوفاً إذا قام عليه والمعَرّة الأمر القبيح المكروه يقال عرّ فلان فلاناً إذا شانه وألحق به عيباً وبه سمّي الجرب عرّاً والعذرة عرّة .

[الاعراب] سنة الله منصوب على المصدر والمعنى سن الله خذلانهم سنة وموضع ان تطؤهم رفع بدل من رجال والمعنى لولا ان تطأوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات ثم قال لو تزيلوا لعذبنا الآية والتقدير[1] وطء رجال ونساء اي قتلهم وهو بدل الاشتمال مثل نفعني عبد الله

(١) وفي نسختين: لولا وطء .

علمه واعجبتني الجارية حسنها ويجوز أن يكون موضع ان تطؤوهم نصباً على البدل من الهاء والميم في تعلموهم والتقدير ولولا رجال ونساء لم تعلموا ان تطؤهم اي لم تعلموا وطأهم وهو بدل الاشتمال ايضاً وقوله لم تعلموهم ان تطؤهم في موضع رفع صفة لرجال ونساء وجواب لولا يغني عنه جواب لو في قوله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا وقوله والهدي معكوفاً عطف على الكاف والميم في وصدوكم اي صدّوكم وصدّوا الهدي ومعكوفاً حال وقوله ان يبلغ محله تقديره كراهة أن يبلغ فحذف المضاف وقيل معكوفاً من ان يبلغ فحذف من .

[**النزول**] سبب نزول قوله وهو الذي كف ايديهم عنكم الآية ان المشركين بعثوا اربعين رجلاً عام الحديبية ليصيبوا من المسلمين فأتي بهم إلى النبي ﷺ اسرى فخلى سبيلهم عن ابن عباس وقيل انهم كانوا ثمانين رجلاً من اهل مكة هبطوا من جبل التنعيم عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوهم فأخذهم رسول الله ﷺ فأعتقهم عن انس وقيل كان رسول الله ﷺ جالساً في ظل شجرة وبين يديه عليّ صلوات الله عليه يكتب كتاب الصلح فخرج ثلاثون شاباً عليهم السلاح فدعا عليهم النبي ﷺ فأخذ الله تعالى بأبصارهم فقمنا فأخذناهم فخلى سبيلهم فنزلت هذه الآية عن عبد الله بن المغفل .

[**المعنى**] ثم عطف سبحانه على ما تقدم بعد النبي ﷺ والمؤمنين فتوحاً أخر فقال **﴿واخرى لم تقدروا عليها﴾** معناه ووعدكم الله مغانم اخرى لم تقدروا عليها بعد فتكون اخرى في محل النصب وقيل معناه وقرية اخرى لم تقدروا عليها قد اعدّها الله لكم وهي مكة عن قتادة وقيل هي ما فتح الله على المسلمين بعد ذلك إلى اليوم عن مجاهد وقيل ان المراد بها فارس والروم عن ابن عباس والحسن والجبائي قال كما ان النبي ﷺ بشرهم كنوز كسرى وقيصر وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم وفتح مدائنهم بل كانوا خولاً لهم حتى قدروا عليها بالإسلام **﴿قد احاط الله بها﴾** اي قدر الله عليها واحاط علماً بها فجعلهم بمنزلة قوم قد ادير حولهم فما يقدر أحد منهم ان يفلت قال الفراء احاط الله بها لكم حتى يفتحها عليكم فكأنه قال حفظها عليكم ومنعها من غيركم حتى تفتحوها وتأخذوها **﴿وكان الله على كل شيء﴾** من فتح القرى وغير ذلك **﴿قديراً ولو قاتلكم الذين كفروا﴾** من قريش يوم الحديبية يا معشر المؤمنين **﴿لولوا الادبار﴾** منهزمين بنصرة الله اياكم وخذلان الله اياهم عن قتادة والجبائي وقيل الذين كفروا من اسد وغطفان الذين ارادوا نهب ذراري المسلمين **﴿ثم لا يجدون وليا ولا نصيراً﴾** يواليهم وينصرهم ويدافع عنهم وهذا من علم الغيب وفي الآية دلالة على انه يعلم ما لم يكن ان لو كان كيف يكون وفي ذلك اشارة إلى ان المعدوم

معلوم﴿سنة الله التي قد خلت من قبل﴾ اي هذه سنتي في اهل طاعتي واهل معصيتي انصر اوليائي واخذل اعدائي عن ابن عباس وقيل معناه: هذه طريقة الله وعادته السالفة ان كل قوم إذا قاتلوا انبياءهم انهزموا وقتلوا ﴿ولن تجد لسنة الله﴾ في نصرة رسله ﴿تبديلاً﴾ اي تغييراً ﴿وهو الذي كف ايديهم عنكم﴾ بالرعب ﴿وأيديكم عنهم﴾ بالنهي ﴿ببطن مكة﴾ يعني الحديبية ﴿من بعد ان اظفركم عليهم﴾ ذكر الله منته على المؤمنين بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان اعظم من الفتح ﴿وكان الله بما تعملون بصيراً﴾ مر تفسيره ثم ذكر سبحانه سبب منعه رسول الله ﷺ ذلك العام دخول مكة فقال ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام﴾ ان تطوفوا وتحلوا من عمرتكم يعني قريشاً ﴿والهدي معكوفاً أن يبلغ محله﴾ اي وصدوا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله ﷺ معه وكانت سبعين بدنة حتى بلغ ذي الحليفة فقلد البدن التي ساقها واشعرها واحرم بالعمرة حتى نزل بالحديبية ومنعه المشركون وكان الصلح فلما تم الصلح نحروا البدن فذلك قوله معكوفاً اي محبوساً عن ان يبلغ محله اي منحره وهو حيث يحل نحره يعني مكة لأن هدي العمرة لا يذبح إلا بمكة كما ان هدي الحج لا يذبح إلا بمنى ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾ يعني المستضعفين الذين كانوا بمكة بين الكفار من اهل الإيمان ﴿لم تعلموهم﴾ بأعيانهم لاختلاطهم بغيرهم ﴿ان تطؤهم﴾ بالقتل وتوقعوا بهم ﴿فتصيبكم منهم معرة﴾ اي اثم وجناية عن ابن زيد وقيل فيلحقكم بذلك عيب يعيبكم المشركون بأنهم قتلوا اهل دينهم وقيل هو غرم الدية والكفارة في قتل الخطأ عن ابن عباس وذلك انهم لو كبسوا مكة وفيها قوم مؤمنون لم يتميزوا من الكفار لم يأمنوا أن يقتلوا المؤمنين فتلزمهم الكفارة وتلحقهم السيئة بقتل من على دينهم فهذه المعرة التي صان الله المؤمنين عنها وجواب لولا محذوف وتقديره لولا المؤمنون الذين لم تعلموهم لوطأتم رقاب المشركين بنصرنا اياكم وقوله ﴿بغير علم﴾ موضعه التقديم لأن التقدير لولا ان تطؤهم بغير علم وقوله ﴿ليدخل الله في رحمته من يشاء﴾ اللام متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام تقديره فحال بينكم وبينهم ليدخل الله في رحمته من يشاء يعني من اسلم من الكفار بعد الصلح وقيل ليدخل الله في رحمته اولئك بسلامتهم من القتل ويدخل هؤلاء في رحمته بسلامتهم من الطعن والعيب ﴿لو تزيلوا﴾ اي لو تميز المؤمنون من الكافرين ﴿لعذبنا الذين كفروا منهم﴾ أي من أهل مكة ﴿عذاباً أليماً﴾ بالسيف والقتل بأيديكم ولكن الله تعالى يدفع[1] المؤمنين عن الكفار فلحرمة اختلاطهم بهم لم يعذبهم .

(١) وفي نسختين يدفع بالمؤمنين .

﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى
قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ
وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا
وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا
بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ
رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن
دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ
ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ
رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ
رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم
مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ
كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ
يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير عن ابن فليح وابن ذكوان شطأه بفتح الطاء والباقون بسكونها وقرأ ابن عامر فآزره بقصر الهمزة والباقون فآزره بالمد وفي الشواذ قراءة الحسن أشداء على الكفار رحماء بينهم بالنصب فيهما وقراءة عيسى الهمداني شطاءه بالمد والهمزة وشطاه أيضاً .

[الحجة] قال أبو علي يشبه أن يكون شَطأ لغة في شطء فيكون كالشمع والشَمَع والنهْر والنَهَر ومن خفف الهمزة في شطاه حذفها وألقى حركتها على الطاء فقال شطاه قال أبو زيد اشطأت الشجرة بغصونها إذا أخرجت غصونها. أبو عبيدة أخرج شطاه فراخه واشطأ الزرع فهو مشطىء أي مفرخ وآزره على فاعله معناه ساواه أي صار مثل الأم وفاعله الشطء أي آزرا لشطء الزرع فصار في طوله قال امرؤ القيس :

بِمَحْنِيَةٍ قَدْ آزَرَ الضَّالَ نَبْتُهَا مَضَمُّ جُيُوشٍ غَانِمِينَ وَخُيَّبِ[1]

أي ساوى نبته الضال فصار في قامته لأنه لا يرعى ويجوز أن يكون فاعل آزر الزرع أي آزر الزرع الشطء ومن الناس من يفسر آزره أعانه وقواه فعلى هذا يكون آزر الزراع الشطء قال أبو الحسن آزره أفعله وهو الأشبه ليكون قول ابن عامر أزره فعله فيكون فيه لغتان فعل وأفعل لأنهما كثيراً ما يتعاقبان على الكلمة ومن قرأ أشداء بالنصب فهو نصب على الحال من معه أي هم معه على هذا الحال .

[اللغة] الحمية الأَنفَة والإنكار يقال فلان ذو حمية منكرة إذا كان ذا غضب وأنفة والكفار الزراع هنا لأن الزارع يغطي البذر وكل شيء قد غطيته فقد كفرته ومنه يقال للّيل كافر لأنه يستر بظلمته كل شيء قال « أَلْقَتْ ذُكَاءُ يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ » وقال لبيد « فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُجُومَ غَمَامُهَا » .

[الإعراب] محمد مبتدأ ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف على محمد وأشداء خبر محمد وما عطف عليه وقيل محمد مبتدأ ورسول الله خبره والذين معه مبتدأ وما بعده خبره يبتغون فضلاً من الله إن شئت كان في موضع الحال وإن شئت كان خبراً بعد خبر وإن شئت كان هو الخبر فيمن نصب أشداء ويكون تراهم أيضاً في موضع النصب مثل أشداء. ذلك مثلهم في التوراة ابتداء وخبر والكلام تام ثم ابتدأ فقال ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فلهم مثلان أحدهما في التوراة والثاني في الانجيل وقال مجاهد بل قوله أشداء على الكفار مع ما بعده جميعاً في التوراة والإنجيل وكذلك قوله كزرع أخرج شطأه في التوراة والانجيل فيكون قوله كزرع خبر مبتدأ مضمر أي هم كزرع أخرج شطأه .

[المعنى] ثم قال سبحانه ﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية ﴾ إذ يتعلق

(١) الضال من السّدر ما كان عِذياً أي لا يسقيه إلا المطر والمحنية معطف الوادي أي في معطف وادٍ قد ساوى نبته شجر الضال وهو مجمع جيوش بعضها غانم وبعضها خائب من الغنيمة .

بقوله لعذبنا أي لعذبنا الذين كفروا وأذنّا لك في قتالهم حين جعلوا في قلوبهم الأنفة التي تحمي الإنسان أي حميت قلوبهم بالغضب ثم فسر تلك الحمية فقال ﴿ **حمية الجاهلية** ﴾ أي عادة آبائهم في الجاهلية أن لا يذعنوا لأحد ولا ينقادوا له وذلك أن كفار مكة قالوا قد قتل محمد وأصحابه آباءنا وأخواننا ويدخلون علينا في منازلنا فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم انفنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فهذه الحمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم وقيل هي أنفتهم من الاقرار لمحمد ﷺ بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم حيث أراد أن يكتب كتاب العهد بينهم عن الزهري ﴿ **فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى** ﴾ وهي قول لا إله إلا الله عن ابن عباس وقتادة ومجاهد ﴿ **وكانوا أحق بها وأهلها** ﴾ قيل أن فيه تقديماً وتأخيراً والتقدير كانوا أهلها وأحق بها أي كان المؤمنون أهل تلك الكلمة وأحق بها من المشركين وقيل معناه وكانوا أحق بنزول السكينة عليهم وأهلها وقيل وكانوا أحق بمكة أن يدخلوها وأهلها وقد يكون حق أحق من غيره ألا ترى أن الحق الذي هو طاعة يستحق بها المدح أحق من الحق الذي هو مباح لا يستحق به ذلك ﴿ **وكان الله بكل شيء عليماً** ﴾ لما ذم الكفار بالحمية ومدح المؤمنين بلزوم الكلمة والسكينة بيّن علمه ببواطن سرائرهم وما ينطوي عليه عقد ضمائرهم ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق** ﴾ قالوا إن الله تعالى أرى نبيه ﷺ في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أن المسلمين دخلوا المسجد الحرام فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلو مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا مكة قال المنافقون ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام فأنزل الله هذه الآية وأخبر أنه أرى رسوله ﷺ الصدق في منامه لا الباطل وأنهم يدخلونه وأقسم على ذلك فقال ﴿ **لتدخلن المسجد الحرام** ﴾ يعني العام المقبل ﴿ **إن شاء الله آمنين** ﴾ قال أبو العباس ثعلب استثنى الله فيما يعلم ليستثني الناس فيما لا يعلمون وقيل أن الاستثناء من الدخول وكان بين نزول الآية والدخول مدة سنة وقد مات منهم أناس في السنة فيكون تقديره لتدخلن كلكم إن شاء الله إذ علم الله أن منهم من يموت قبل السنة أو يمرض فلا يدخلها فأدخل الاستثناء لأن لا يقع في الخبر خلف عن الجبائي وقيل أن الاستثناء داخل على الخوف والأمن فأما الدخول فلا شك فيه وتقديره لتدخلن المسجد الحرام آمنين من العدو إن شاء الله فهذه الأقوال الثلاثة للبصريين وقيل إنّ أن هنا بمعنى إذ أي إذ شاء الله حين أرى رسوله ذلك عن أبي عبيدة ومثله قوله وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين قال معناه إذ كنتم وهذا القول لا يرتضيه البصريون ﴿**محلقين رؤوسكم ومقصرين** ﴾ أي محرمين يحلق بعضكم رأسه ويقصر بعض وهو أن يأخذ بعض الشعر وفي هذا دلالة على أن المحرم بالخيار

عند التحلل من الإحرام إن شاء حلق وإن شاء قصر ﴿ لا تخافون ﴾ مشركاً ﴿ فعلم ﴾ من الصلاح في صلح الحديبية ﴿ ما لم تعلموا ﴾ وقيل علم في تأخير دخول المسجد الحرام من الخير والصلاح ما لم تعلموه أنتم وهو خروج المؤمنين من بينهم والصلح المبارك موقعه ﴿ فجعل من دون ذلك ﴾ أي من قبل الدخول ﴿ فتحاً قريباً ﴾ يعني فتح خيبر عن عطا ومقاتل وقيل يعني صلح الحديبية.

[عمرة القضاء]

وكذلك جرى الأمر في عمرة القضاء في السنة التالية للحديبية وهي سنة سبع من الهجرة في ذي القعدة وهو الشهر الذي صده فيه المشركون عن المسجد الحرام فخرج النبي ﷺ ودخل مكة مع أصحابه معتمرين وأقاموا بمكة ثلاثة أيام ثم رجعوا إلى المدينة وعن الزهري قال بعث رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب (ع) بين يديه إلى ميمونة بنت الحرث العامرية فخطبها عليه فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب وكان تحته أختها أم الفضل بنت الحرث فزوجها العباس رسول الله فلما قدم رسول الله ﷺ أمر أصحابه فقال أكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف ليرى المشركون جلدهم وقوتهم فاستكفّ[1] أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وهم يطوفون بالبيت وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ متوشحاً بالسيف يقول :

خَلُّوا بَنِي الكُفَّار عن سَبيله ... قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمٰنُ في تَنْزيله
في صُحُفٍ تُتْلى عَلىٰ رَسُوله ... اَلْيَوْمَ نَضْرِبْكُم عَلىٰ تَأويله
كَمٰا ضَرَبْنٰاكُمْ عَلىٰ تَنْزِيله ... ضَرْباً يُزيل الهٰامَ عَنْ مَقيله
وَيُذْهِلُ الْخَليلَ عَن خَليله ... يٰا رَبِّ إِنّي مُؤْمِن لِقيله
إِنّي رَأَيْتُ الحَق في قَبُوله

ويشير بيده إلى رسول الله ﷺ وأنزل الله في تلك العمرة الشهر الحرام بالشهر الحرام وهو أن رسول الله ﷺ اعتمر في الشهر الحرام الذي صُدَّ فيه ثم قال سبحانه ﴿ هو الذي أرسل رسوله ﴾ يعني محمداً ﴿ بالهدى ﴾ أي بالدليل الواضح والحجة الساطعة وقيل بالقرآن ﴿ ودين الحق ﴾ أي الإسلام ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ أي ليظهر دين الإسلام بالحجج والبراهين على جميع الأديان وقيل بالغلبة والقهر والانتشار في البلدان وقيل أن تمام

(١) استكفّ الناس حوله : أحاطوا به ينظرون إليه .

ذلك عند خروج المهدي (ع) فلا يبقى في الأرض دين سوى دين الإسلام ﴿ وكفى بالله شهيداً ﴾ بذلك ثم قال سبحانه ﴿ محمد رسول الله ﴾ نص سبحانه على اسمه ليزيل كل شبهة. تم الكلام هنا ثم اثنى على المؤمنين فقال ﴿ والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ قال الحسن بلغ من تشددهم على الكفار أن كانوا يتحرزون من ثياب المشركين حتى لا تلتزق بثيابهم وعن أبدانهم حتى لا تمس أبدانهم وبلغ تراحمهم فيما بينهم أن كان لا يرى مؤمن مؤمناً إلا صافحه وعانقه ومثله قوله أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴿ تريهم ركعاً سجداً ﴾ هذا إخبار عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها ﴿ يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ﴾ أي يلتمسون بذلك زيادة نعمهم من الله ويطلبون مرضاته ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ أي علامتهم يوم القيامة أن تكون مواضع سجودهم أشد بياضاً عن ابن عباس وعطية قال شهر بن حوشب يكون مواضع سجودهم كالقمر ليلة البدر وقيل هو التراب على الجباه لأنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب عن عكرمة وسعيد بن جبير وأبي العالية وقيل هو الصفرة والنحول عن الضحاك قال الحسن إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى وقال عطاء الخراساني دخل في هذه الآية كل من صلى الخمس ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ﴾ يعني أن ما ذكر من وصفهم هو ما وصفوا به في التوراة أيضاً ثم ذكر نعتهم في الإنجيل فقال ﴿ ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه ﴾ أي فراخه عن الضحاك وقيل ليس بينهما وقف والمعنى ذلك مثلهم في التوراة والانجيل جميعاً عن مجاهد والمعنى كمثل زرع أخرج شطأه أي فراخه ﴿ فآزره ﴾ أي شده وأعانه وقواه وقال المبرد يعني أن هذه الأفراخ لحقت الأمهات حتى صارت مثلها ﴿ فاستغلظ ﴾ أي غلظ ذلك الزرع ﴿ فاستوى على سوقه ﴾ أي قام على قصبه وأصوله فاستوى الصغار مع الكبار والسوق جمع الساق والمعنى أنه تناهى وبلغ الغاية ﴿ يعجب الزراع ﴾ أي يروع ذلك الزرع الزراع أي الأكرة الذين زرعوه قال الواحدي هذا مثل ضربه الله تعالى بمحمد وأصحابه فالزرع محمد ﷺ والشطأ أصحابه والمؤمنون حوله وكانوا في ضعف وقلة كما يكون أول الزرع دقيقاً ثم غلظ وقوي وتلاحق فكذلك المؤمنون قوّى بعضهم بعضاً حتى استغلظوا واستووا على أمرهم ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾ أي إنما كثرهم الله وقواهم ليكونوا غيظاً للكافرين بتوافرهم وتظاهرهم واتفاقهم على الطاعة ثم قال سبحانه ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي وعد من أقام على الإيمان والطاعة ﴿ منهم مغفرة ﴾ أي ستراً على ذنوبهم الماضية ﴿ وأجراً عظيماً ﴾ أي ثواباً جزيلاً دائماً.

(٤٩) سورة الحجرات مدنية وآياتها ثماني عشرة

عن الحسن وقتادة وعكرمة وعن ابن عباس إلا آية قوله ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾.

[عدد آيها]

ثماني عشرة آية بالإجماع .

[فضلها] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله ومن عصاه. الحسين بن أبي العلا عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الحجرات في كل ليلة أو في كل يوم كان من زوّار محمد ﷺ .

[تفسيرها] لما ختم الله سبحانه سورة الفتح بذكر نبيه ﷺ افتتح هذه السورة أيضاً بذكره وما يختص به من الإجلال والإعظام فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ

أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

[القراءة] قرأ يعقوب لا تقدموا بفتح التاء والدال والباقون لا تقدموا بضم التاء وكسر الدال وقرأ أبو جعفر الحجرات بفتح الجيم والباقون بضمها .

[الحجة] قال ابن جني معناه لا تفعلوا ما تؤثرونه وتتركوا ما أمركم الله ورسوله به وهذا معنى القراءة المشهورة لا تقدموا أي لا تقدموا أمراً على ما أمركم الله به فالمفعول هنا محذوف كما ترى ومن قرأ الحجرات أبدل من الضمة فتحة استثقالاً بتوالي الضمتين ومنهم من أسكن فقال الحجرات مثل عضد وعضد وقال أبو عبيدة حجرات جمع حجر فهو جمع الجمع .

[اللغة] قدم تقديماً وأقدم إقداماً واستقدم وقدم كل ذلك بمعنى تقدم والجهر ظهور الصوت بقوة الاعتماد ومنه الجهارة في المنطق وجاهر بالأمر مجاهرة ويقال جهاراً ونقيض الجهر الهمس والحروف المجهورة تسعة عشر حرفاً يجمعها قولك « اطلقن ضرغم عجز ظبي ذواد » وما عداها من الحروف مهموس يجمعها قولك « حث فسكت شخصه » والغض الحط من منزلة على وجه التصغير يقال غض فلان من فلان إذا صغّر حالة من هو أرفع منه وغض بصره إذا ضعّفه عن حدة النظر قال جرير :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِن نُمَيرٍ فَلا كَعْباً بَلَغْتَ وَلا كِلابا

[الإعراب] أن تحبط أعمالكم في محل النصب لأنه مفعول له ويجوز أن يكون في محل جر باللام المقدرة أي لأن تحبط أعمالكم وقيل تقديره كراهة أن تحبط أو حذارِ أن تحبط .

[النزول] نزل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم ﴾ إلى قوله ﴿ غفور رحيم ﴾ في وفد تميم وهم عطارد بن حاجب بن زرارة في أشراف من بني تميم منهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم في وفد عظيم فلما

دخلوا المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات أن أخرج إلينا يا محمد فآذى ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فقالوا جئناك لنفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا فقال قد أذنت فقام عطارد بن حاجب وقال الحمد لله الذي جعلنا ملوكاً الذي له الفضل علينا والذي وهب علينا أموالاً عظاماً نفعل بها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثر عدداً وعدة فمن مثلنا في الناس فمن فاخرنا فليعدّ مثل ما عددنا ولو شئنا لأكثرنا من الكلام ولكنا نستحي من الإكثار ثم جلس فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس قم فأجبه فقام فقال الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء قط إلا من فضله ثم كان من فضله أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمهم نسباً وأصدقهم حديثاً وأفضلهم حسباً فأنزل الله عليه كتاباً وأئتمنه على خلقه فكان خيرة الله على العالمين ثم دعا الناس إلى الإيمان بالله فآمن به المهاجرون من قومه وذوي رحمه أكرم الناس إحساباً وأحسنهم وجوهاً فكان أول الخلق إجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن فنحن أنصار رسول الله ﷺ وردؤه نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن نكث[1] جاهدناه في الله أبداً وكان قتله علينا يسيراً أقول هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم ثم قام الزبرقان بن بدر ينشد وأجابه حسان بن ثابت فلما فرغ حسان من قوله قال الأقرع إن هذا الرجل خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من أصواتنا فلما فرغوا أجازهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم وأسلموا عن ابن إسحاق وقيل إنهم أناس من بني العنبر كان النبي ﷺ أصاب من ذراريهم فأقبلوا في فدائهم فقدموا المدينة ودخلوا المسجد وعجلوا أن يخرج إليهم النبي ﷺ فجعلوا يقولون يا محمد أخرج إلينا عن أبي حمزة الثمالي عن عكرمة عن ابن عباس .

[المعنى] ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ روى زرارة عن أبي جعفر (ع) أنه قال ما سلت السيوف ولا أقيمت الصفوف في صلاة ولا زحوف ولا جهر بأذان ولا أنزل الله يا أيها الذين آمنوا حتى أسلم أبناء قبيلة الأوس والخزرج ﴿ لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ بين اليدين عبارة عن الإمام لأن ما بين يدي الإنسان أمامه ومعناه لا تقطعوا أمراً دون الله ورسوله ولا تعجلوا به قال أبو عبيدة العرب تقول لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب أي لا تعجل بالأمر دونه والنهي وقدم هنا بمعنى تقدم وهو لازم وقيل معناه لا تقدموا أعمال الطاعة قبل الوقت الذي أمر الله ورسوله به حتى أنه قيل لا يجوز تقديم الزكاة قبل وقتها عن الزجاج

(١) وفي نسخة : مكث بدل نكث

وقيل[١] لا تمكنوا أحداً يمشي أمام رسول الله ﷺ بل كونوا تبعاً له وأخروا أقوالكم وأفعالكم عن قوله وفعله وقال الحسن نزل في قوم ذبحوا الأضحيّة قبل صلاة العيد فأمرهم رسول الله ﷺ بالإعادة وقال ابن عباس نهوا أن يتكلموا قبل كلامه أي إذا كنتم جالسين في مجلس رسول الله ﷺ فسئل عن مسألة فلا تسبقوه بالجواب حتى يجيب النبي ﷺ أولاً وقيل معناه لا تسبقوه بقول ولا فعل حتى يأمركم به عن الكلبي والسدّي والأولى حمل الآية على الجميع فإن كل شيء كان خلافاً لله ورسوله إذا فعل فهو تقديم بين يدي الله ورسوله وذلك ممنوع ﴿ واتقوا الله ﴾ أي اجتنبوا معاصيه ﴿ إن الله سميع ﴾ لأقوالكم ﴿ عليم ﴾ بأعمالكم فيجازيكم بها ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ لأن فيه أحد الشيئين إما نوع استخفاف به فهو الكفر وإما سوء الأدب فهو خلاف التعظيم المأمور به ﴿ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ﴾ أي غضوا أصواتكم عند مخاطبتكم إياه وفي مجلسه فإنه ليس مثلكم إذ يجب تعظيمه وتوقيره من كل وجه وقيل معناه لا تقولوا له يا محمد كما يخاطب بعضكم بعضاً بل خاطبوه بالتعظيم والتبجيل وقولوا يا رسول الله ﴿ أن تحبط أعمالكم ﴾ أي كراهة أن تحبط أو لئلا تحبط أعمالكم وقيل إنه في حرف عبد الله فتحبط أعمالكم ﴿ وأنتم لا تشعرون ﴾ أي وأنتم لا تعلمون أنكم أحبطتم أعمالكم بجهر صوتكم على صوته وترك تعظيمه قال انس لما نزلت هذه الآية قال ثابت بن قيس أنا الذي كنت أرفع صوتي فوق صوت رسول الله ﷺ وأجهر له بالقول حبط عملي وأنا من أهل النار وكان ثابت رفيع الصوت فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال هو من أهل الجنة وقال أصحابنا أن المعنى في قوله أن تحبط أعمالكم أنه ينحبط ثواب ذلك العمل لأنهم لو أوقعوه على وجه تعظيم النبي ﷺ وتوقيره لاستحقوا الثواب فلما فعلوه على خلاف ذلك الوجه استحقوا العقاب وفاتهم ذلك الثواب فانحبط عملهم فلا تعلق لأهل الوعيد بهذه الآية ولأنه تعالى علق الإحباط في هذه الآية بنفس العمل وهم يعلقونه بالمستحق على العمل وذلك خلاف الظاهر ثم مدح سبحانه من يعظم رسوله ويوقره فقال ﴿ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ﴾ أي يخفضون أصواتهم في مجلسه إجلالاً ﴿ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ أي اختبرها فأخلصها للتقوى عن قتادة ومجاهد أخذ من امتحان الذهب بالنار إذا أذيب حتى يذهب غشه ويبقى خالصه وقيل معناه أنه علم خلوص نياتهم لأن الإنسان يمتحن الشيء ليعلم حقيقته وقيل معناه عاملهم معاملة المختبر بما تعبدهم به من هذه العبادة فخلصوا على

(١) [معناه] .

الاختبار كما يخلص جيّد الذهب بالنار ﴿ لهم مغفرة ﴾ من الله لذنوبهم ﴿ وأجر عظيم ﴾ على طاعتهم ثم خاطب النبي ﷺ فقال ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴾ وهم الجفاة من بني تميم لم يعلموا في أي حجرة هو فكانوا يطوفون على الحجرات وينادونه ﴿ أكثرهم لا يعقلون ﴾ وصفهم الله سبحانه بالجهل وقلة الفهم والعقل إذ لم يعرفوا مقدار النبي ﷺ ولا ما استحقه من التوقير فهم بمنزلة البهائم ﴿ ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم ﴾ من أن ينادوك من وراء الحجرات في دينهم بما يحرزونه من الثواب وفي دنياهم باستعمالهم حسن الأدب في مخاطبة الأنبياء ليعدّوا بذلك في زمرة العقلاء وقيل معناه لأطلقت أسراهم بغير فداء فإن رسول الله ﷺ كان سبى قوماً من بني العنبر فجاءوا في فدائهم فأعتق نصفهم وفادى النصف فيقول ولو أنهم صبروا لكنت تعتق كلهم ﴿ والله غفور رحيم ﴾ لمن تاب منهم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا
بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ
رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ
وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ
ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ
فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟
بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا
ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

[القراءة] قرأ يعقوب فأصلحوا بين إخوتكم بالتاء على الجمع وهو قراءة ابن سيرين والباقون بين أخويكم على التثنية لقوله ﴿ طائفتان ﴾ وفي الشواذ قراءة زيد بن ثابت والحسن إخوانكم بالألف والنون على الجمع وقد ذكرنا في سورة النساء إختلافهم في قوله ﴿ فتبينوا ﴾ والوجه في القراءتين والمروي عن الباقر (ع) فتثبتوا بالثاء والتاء .

[اللغة] العنت المشقة يقال عِنت الدابة تعنت عنتاً إذا حدث في قوائمه كسر بعد جبر لا يمكنه معه الجري قال ابن الأنباري أصل العنت التشديد يقال فلان يعنت فلاناً أي يشدد عليه ويلزمه ما يصعب عليه ثم نقل إلى معنى الهلاك والقسط العدل ونحوه الإقساط والقسوط والقسط بالفتح الجور والعدول عن الحق فأصل الباب العدول فمن عدل إلى الحق فقد أقسط ومن عدل عن الحق فقد قسط .

[الإعراب] أن فيكم رسول الله خبر أن في الظرف الذي هو فيكم عند النحويين وفيه نظر لأن من حق الخبر أن يكون الخبر مفيداً فلا يقال النار حارة لعدم الفائدة والوجه عندي أن يكون لو مع ما في حيزه خبر أن والمعنى واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ويجوز على الوجه الأول أن يكون المراد التنبيه لهم على مكان رسول الله ﷺ كما يقول القائل للرجل يريد أن ينبهه على شيء فلان حاضر والمخاطب يعلم حضوره ولو قال أن رسول الله ﷺ فيكم احتمل أن يكون غير رسول الله فيهم ممن هو بمنزلته فإذا قال إن فيكم رسول الله لا يحتمل ذلك على هذا فقوله لو يطيعكم لو مع ما في حيزه في محل رفع بأنه خبر أنّ خبر بعد خبر فضلاً من الله مفعول له والتقدير فعل الله ذلك لكم فضلاً منه ونعمة ويجوز أن يكون العامل فيه الراشدون وما فيه من الفعل أي رشداً وفضلاً من الله وقوله ﴿ بجهالة وبالعدل ﴾ كلاهما في موضع نصب على الحال والعامل في الأول فتصيبوا وفي الثاني فأصلحوا

[النزول] قوله ﴿ إن جاءكم فاسق ﴾ نزل في الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه رسول الله ﷺ في صدقات بني المصطلق فخرجوا يتلقونه فرحابه وكانت بينهم عداوة في الجاهلية فظن أنهم هموا بقتله فرجع إلى رسول الله ﷺ وقال إنهم منعوا صدقاتهم وكان الأمر بخلافه فغضب النبي ﷺ وهمّ أن يغزوهم فنزلت الآية عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل إنها نزلت فيمن قال للنبي ﷺ إن مارية أم إبراهيم يأتيها ابن عمّ لها قبطي فدعا رسول الله ﷺ علياً (ع) وقال يا أخي خذ هذا السيف فإن وجدته عندها فاقتله فقال يا رسول الله أكون في أمرك

إذا أرسلتني كالسكة المحماة أمضي لما أمرتني أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال ﷺ بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب قال علي (ع) فأقبلت متوشحاً بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما عرف إني أريده أتى نخلة فرقى إليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه فإذا أنه أجَبُّ أمسح ما له مما للرجال قليل ولا كثير فرجعت فأخبرت النبي ﷺ فقال الحمد لله الذي يصرف عنا السوء أهل البيت وقوله ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** ﴾ نزل في الأوس والخزرج وقع بينهما قتال بالسعف والنعال عن سعيد بن جبير وقيل نزل في رهط عبد الله بن أبي سلول من الخزرج ورهط عبد الله بن رواحة من الأوس وسببه أن النبي ﷺ وقف على عبد الله بن أبيّ فراث حمار رسول الله ﷺ فأمسك عبد الله أنفه وقال إليك عنّي فقال عبد الله بن رواحة لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك ومن أبيك فغضب قومه وأعان ابن رواحة قومه وكان بينهما ضرب بالحديد والأيدي والنعال .

[**المعنى**] ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ** ﴾ أي بخبر عظيم الشأن والفاسق الخارج عن طاعة الله إلى معصيته ﴿ **فتبينوا** ﴾ صدقه من كذبه ولا تبادروا إلى العمل بخبره ومن قال فتثبتوا فمعناه توقفوا فيه وتأنّوا حتى يثبت عندكم حقيقته ﴿ **أن تصيبوا قوماً بجهالة** ﴾ أي حذراً من أن تصيبوا قوماً في أنفسهم وأموالهم بغير علم بحالهم وما هم عليه من الطاعة والإسلام ﴿ **فتصبحوا على ما فعلتم** ﴾ من إصابتهم بالخطأ ﴿ **نادمين** ﴾ لا يمكنكم تداركه وفي هذا دلالة على أن خبر الواحد لا يوجب العلم ولا العمل لأن المعنى إن جاءكم من لا تأمنون أن يكون خبره كذباً فتوقفوا فيه وهذا التعليل موجود في خبر من يجوز كونه كاذباً في خبره وقد إستدل بعضهم بالآية على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان عدلاً من حيث أن الله سبحانه أوجب التوقف في خبر الفاسق فدل على أن خبر العدل لا يجب التوقف فيه وهذا لا يصح لأن دليل الخطاب لا يعول عليه عندنا وعند أكثر المحققين ﴿ **واعلموا أن فيكم رسول الله** ﴾ أي فاتقوا الله أن تكذبوه أو تقولوا باطلاً عنده فإن الله تعالى يخبره بذلك فتفضحوا وقيل معناه واعلموا بما أخبره الله تعالى من كذب الوليد أن فيكم رسول الله ﷺ فهذه إحدى معجزاته ﴿ **لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم** ﴾ أي لو فعل ما تريدونه في كثير من الأمر لوقعتم في عنت وهو الإثم والهلاك فسمى موافقته لما يريدونه طاعة لهم مجازاً ألا ترى أن الطاعة تراعى فيها الرتبة فلا يكون الإنسان مطيعاً لمن دونه وإنما يكون مطيعاً لمن فوقه إذا فعل ما أمره به ثم خاطب المؤمنين الذين لا يكذبون فقال ﴿ **ولكن الله حبب إليكم الإيمان** ﴾ أي جعله أحب الأديان إليكم بأن أقام الأدلة على صحته وبما وعد من الثواب عليه ﴿ **وزينه في قلوبكم** ﴾ بالإلطاف الداعية

إليه ﴿ وكره إليكم الكفر ﴾ بما وصف من العقاب عليه بوجوه الإلطاف اصارفة عنه ﴿ والفسوق ﴾ أي الخروج عن الطاعة إلى المعاصي ﴿ والعصيان ﴾ أي جميع المعاصي وقيل الفسوق الكذب عن ابن عباس وابن زيد وهو المروي عن أبي جعفر (ع) ثم عاد سبحانه إلى الخبر عنهم فقال ﴿ أولئك هم الراشدون ﴾ يعني الذين وصفهم بالإيمان وزينه في قلوبهم هم المهتدون إلى محاسن الأمور وقيل هم الذين أصابوا الرشد واهتدوا إلى الجنة ﴿ فضلاً من الله ونعمة ﴾ أي تفضلاً منّي عليهم ورحمة مني لهم عن ابن عباس ﴿ والله عليم ﴾ بالأشياء كلها ﴿ حكيم ﴾ في جميع أفعاله وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر من وجوه (منها) أنه إذا حبب في قلوبهم الإيمان وكره الكفر فمن المعلوم أنه لا يحبب ما لا يحبه ولا يكرّه ما لا يكرهه (ومنها) أنه إذ ألطف في تحبيب الإيمان بألطافه دل ذلك على ما نقوله في اللطف ثم قال ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ أي فريقان من المؤمنين قاتل أحدهما صاحبه ﴿ فأصلحوا بينهما ﴾ حتى يصطلحا ولا دلالة في هذا على أنهما إذا اقتتلا بقيا على الإيمان ويطلق عليهما هذا الاسم ولا يمتنع أن يفسق إحدى الطائفتين أو تفسقاً جميعا ﴿ فإن بغت إحداهما على الأخرى ﴾ بأن تطلب ما لا يجوز لها وتقاتل الأخرى ظالمة لها متعدية عليها ﴿ فقاتلوا التي تبغي ﴾ لأنها هي الظالمة المتعدية دون الأخرى ﴿ حتى تفيء إلى أمر الله ﴾ أي حتى ترجع إلى طاعة الله وتترك قتال الطائفة المؤمنة ﴿ فإن فاءت ﴾ أي رجعت وتابت وأقلعت وأنابت إلى طاعة الله ﴿ فأصلحوا بينهما ﴾ أي بينها وبين الطائفة التي هي على الإيمان ﴿ بالعدل ﴾ أي بالقسط حتى يكونوا سواء لا يكون من أحديهما على الأخرى جور ولا شطط فيما يتعلق بالضمانات من الأروش ﴿ واقسطوا ﴾ أي أعدلوا ﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾ العادلين الذين يعدلون فيما يكون قولاً وفعلاً ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ في الدين يلزم نصرة بعضهم بعضاً ﴿ فأصلحوا بين أخويكم ﴾ أي بين كل رجلين تقاتلا وتخاصما ومعنى الإثنين يأتي على الجمع لأن تأويله بين كل أخوين يعني فأنتم إخوة للمتقاتلين فأصلحوا بين الفريقين أي كفوا الظالم عن المظلوم وأعينوا المظلوم ﴿ واتقوا الله ﴾ في ترك العدل والإصلاح أو في منع الحقوق ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ أي لكي ترحموا قال الزجاج سمى المؤمنين إذا كانوا متفقين في دينهم إخوة لإتفاقهم في الدين ورجوعهم إلى أصل النسب لأنهم لأمّ واحدة وهي حواء وروى الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كروب يوم القيامة ومن ستر مسلماً يستره الله يوم القيامة أورده البخاري ومسلم في صحيحيهما وفي وصية النبي ﷺ لأمير

المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) سر ميلاً عد مريضاً سر ميلين شيّع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زر أخاً في الله سر خمسة أميال أجب دعوة الملهوف سر ستة أميال أنصر المظلوم وعليك بالاستغفار .

[النظم] وجه اتصال قوله ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ ﴾ بما قبله أنه لما أمر بطاعة الله ورسوله بيّن عقيبه أن الرسول لا يجوز أن يتبع اهواءهم بل ينبغي أن يعمل بما عنده ووجه إتصال قوله ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان[1] لئلا تقعوا في العنت ﴾ وإنما قلنا ذلك لأن لكن لا بد أن يتقدمه نفي إذا كان ما بعده إثباتاً وقوله ﴿ لو يطيعكم لعنتم ﴾ معناه أنه لم يطعكم فما عنتّم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ * قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ

(١) [بما قبله ان قوله لعنتّم بمنزلة أن يقول ما عنتّم اي ما عنتّم بطاعة كثير من الأمر ولكن الله حبب إليكم الإيمان].

وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاًۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾

[القراءة] قرأ أهل البصرة لا يألتكم بالألف والباقون لا يلتكم بغير الألف .

[الحجة] قال أبو زيد ألته حقه يالته ألْتا إذا نقصه وقوم يقولون لات يليت ليتا ويقال لِتُّ الرجل ألِيته لَيْتا إذا عمّيت عليه الخبر فأخبرته بغير ما يسألك عنه قال رؤبة :

وَلَيْلَةٍ ذَات نَدىً سَرَيْتُ وَلَمْ يَلِتْنِي عَنْ سَرَاهَا لَيْتُ

وقوم يقولون الاتني عن حقي والاتني عن حاجتي أي صرفني عنها وحجة من قرأ لا يالتكم قوله تعالى ﴿ وما التناهم ﴾ ومن قرأ يلتكم جعله من لات يليت .

[اللغة] الهمز واللمز العيب والغض من الناس فاللمز هو الرمي بالعيب لمن لا يجوز أن يؤذى بذكره وهو المنهي عنه فأما ذكر عيب الفاسق فليس بلمز وقد ورد في الحديث قولوا في الفاسق ما فيه كي يحذره الناس والنبز القذف باللقب يقال نبزته انبزه والغيبة أن تذكر الإنسان من ورائه بسوء هو فيه فإذا ذكرته بما ليس فيه فهو البهت والبهتان والشعوب الذي يصغر شأن العرب ولا يري لهم فضلاً على غيرهم سموا بذلك لأنهم تأولوا وجعلناكم شعوباً على أن الشعوب من العجم كالقبائل من العرب وقال أبوعبيدة الشعوب العجم وأصله من التشعب وهو كثرة تفرقهم في النسب ويقال شعبته جمعته وشعبته فرقته وهو من الأضداد .

[النزول] نزل قوله ﴿ لا يسخر قوم من قوم ﴾ في ثابت بن قيس بن شماس وكان في أذنه وقر وكان إذا دخل المسجد تفسحوا له حتى يقعد عند النبي فيسمع ما يقول فدخل المسجد يوماً والناس قد فرغوا من الصلاة وأخذوا مكانهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا حتى انتهى إلى رجل فقال له أصبت مجلساً فاجلس فجلس خلفه مغضباً فلما انجلت الظلمة قال من هذا قال الرجل أنا فلان فقال ثابت ابن فلانة ذكر أماً له كان يعيّر بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه حياء فنزلت الآية عن ابن عباس وقوله ﴿ ولا نساء من نساء ﴾ نزل في نساء النبي ﷺ سخرن من أم سلمة عن أنس وذلك أنها ربطت حقويها بسبية وهي ثوب أبيض وسدلت طرفيها خلفها فكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظري ماذا تجر

خلفها كأنه لسان كلب فلهذا كانت سخريتهما وقيل أنها عيرتها بالقصر وأشارت بيدها أنها قصيرة عن الحسن وقوله ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ نزل في رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ اغتابا رفيقهما وهو سلمان بعثاه إلى رسول الله ﷺ ليأتي لهما بطعام فبعثه إلى أسامة بن زيد وكان خازن رسول الله ﷺ على رحله فقال ما عندي شيء فعاد إليهما فقالا بخل اسامة وقالا لسلمان لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله فقال لهما رسول الله ﷺ ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالا يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحماً قال ظللتم تأكلون لحم سلمان وأسامة فنزلت الآية وعن أبي قلابة قال أن عمر بن الخطاب حُدّث أن أبا محجن الثقفي يشرب الخمر في بيته هو وأصحابه فانطلق عمر حتى دخل عليه فإذا ليس عنده إلا رجل فقال أبو محجن يا أمير المؤمنين أن هذا لا يحل لكِ قد نهاك الله عن التجسس فقال عمر ما يقول هذا قال زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم صدق يا أمير المؤمنين قال فخرج عمر وتركه وخرج عمر بن الخطاب أيضاً ومعه عبد الرحمن بن عوف يعسّان فنبيت لهما نار فأتيا واستأذنا ففتح الباب فدخلا فإذا رجل وامرأة تغنّي وعلى يد الرجل قدح فقال عمر من هذه منك قال امرأتي قال وما في هذا القدح قال ماء فقال للمرأة ما الذي تغنين قالت أقول :

تَطاوَلَ هٰذَا اللَّيْلُ وَاسْوَدَّ جَانِبُهُ ... وَأَرَّقَنِي أَلَّا حَبِيبٌ أُلَاعِبُهُ
فَوَاللهِ لَوْلَا خَشْيَةُ اللهِ وَالتُّقَى ... لَزَعْزَعَ مِنْ هٰذَا السَّرِيرِ جَوَانِبُهُ
وَلٰكِنَّ عَقْلِي وَالْحَيَاءَ يَكُفُّنِي ... وَأُكْرِمُ بَعْلِي أَنْ تُنَالَ مَرَاكِبُهُ

ثم قال الرجل ما بهذا أمرنا يا أمير المؤمنين قال الله تعالى ولا تحسسوا فقال عمر صدقت وانصرف وقوله ﴿ يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ قيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله للرجل الذي لم يتفسح له ابن فلانة فقال ﷺ من الذاكر فلانه فقام ثابت فقال أنا يا رسول الله فقال أنظر في وجوه القوم فنظر إليهم فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت أبيض وأسود وأحمر قال فإنك لا تفضلهم إلا بالتقوى والدين فنزلت هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس ﴾ الآية عن ابن عباس وقيل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالاً حتى علا ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب بن أسيد الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً وقال سهيل بن عمرو أن يرد الله شيئاً يغيره لغيره وقال أبو سفيان أني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبره به رب السماوات فأتى جبرائيل (ع) رسول الله ﷺ فأخبره بما قالوا فدعاهم رسول

الله ﷺ وسألهم عما قالوا فأقروا به ونزلت الآية وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والازدراء بالفقر والتكاثر بالأموال عن مقاتل.

[**المعنى**] لما أمر سبحانه بإصلاح ذات البين ونهى عن التفرق عقب ذلك بالنهي عن أسباب الفرقة من السخرية والازدراء بأهل الفقر والمسكنة ونحو ذلك فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم** ﴾ قال الخليل القوم يقع على الرجال دون النساء لقيام بعضهم مع بعض في الأمور قال زهير :

وما أدري وَلَسْتُ أخَالُ أدْري أقَوْمٌ آلُ حِصنٍ أمْ نِسَاءُ

فالمعنى لا يسخر رجال من رجال والسخرية الإستهزاء قال مجاهد معناه لا يسخر غني من فقير لفقره وربما يكون الفقير المهين في ظاهر الحال خيراً وأجل منزلة عند الله من الغني الحسن الحال ولو سخر مؤمن من كافر إحتقاراً له لم يكن مأثوماً وقال ابن زيد هذا نهي عن استهزاء المسلمين بمن أعلن بفسقه عسى أن يكون المسخور عند الله خيراً من الساخر معتقداً أو أسلم باطناً ﴿ **ولا نساء من نساء** ﴾ على المعنى الذي تقدم ﴿ **عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم** ﴾ أي لا يطعن بعضكم على بعض كما قال تعالى ولا تقتلوا أنفسكم لأن المؤمنين كنفس واحدة فكأنه إذا قتل أخاه قتل نفسه عن ابن عباس وقتادة واللمز العيب في المشهد والهمز العيب في المغيب وقيل أن اللمز يكون باللسان وبالعين وبالإشارة والهمز لا يكون إلا باللسان وقيل معناه ولا يلعن بعضكم بعضاً عن الضحاك ﴿ **ولا تنابزوا بالألقاب** ﴾ جمع اللقب وهو اسم غير الذي سمي به الإنسان وقيل هو كل اسم لم يوضع له وإذا دعي به يكرهه فأما إذا كان لا يسوؤه ولا يكرهه فلا بأس فيه مثل الفقيه والقاضي وقيل هو قول الرجل للرجل يا كافر يا فاسق يا منافق عن قتادة وعكرمة وقيل كان اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد ذلك يا يهودي أو يا نصراني فنهوا عن ذلك عن الحسن وقيل هو أن يعمل إنسان شيئاً من القبيح ثم يتوب منه فيعير بما سلف منه عن ابن عباس وروي أن صفية بنت حيي بن أخطب جاءت إلى النبي ﷺ تبكي فقال لها ما وراءك فقال إن عائشة تعيّرني وتقول يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد ﷺ فنزلت الآية عن ابن عباس ﴿ **بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان** ﴾ أي بئس الاسم أن يقول له يا يهودي يا نصراني وقد آمن عن الحسن وغيره والمعنى بئس الشيء تسميته باسم الفسوق يعني الكفر بعد الإيمان وقيل معناه بئس الشيء اكتساب اسم الفسوق باغتياب المسلمين

ولمزهم وهذا لا يدل على أن اسم[١] الإيمان والفسق لا يجتمعان لأه هذا كما يقال بئس الحال الفسوق بعد الشيب والمعنى بئس الحال الفسوق مع الشيب وبئس الإسم الفسوق مع الإيمان على أن الظاهر أن المعنى أن الفسوق الذي يتعقب الإيمان بئس الإسم وذلك هو الكفر ﴿ **ومن لم يتب** ﴾ من التنابز والمعاصي ويرجع إلى طاعة الله تعالى ﴿ **فأولئك هم الظالمون** ﴾ نفوسهم بفعل ما يستحقون به العقاب ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن** ﴾ قال الزجاج هو أن يظن بأهل الخير سوء فأما أهل السوء والفسق فلنا أن نظن بهم مثل ما ظهر منهم وقيل هو أن يظن بأخيه المسلم سوءاً ولا بأس به ما لم يتكلم به فإن تكلم بذلك الظن وأبداه أثم وهو قوله ﴿ **إن بعض الظن إثم** ﴾ يعني ما أعلنه مما ظن بأخيه عن المقاتلين[٢] وقيل إنما قال كثيراً من الظن لأن من جملته ما يجب العمل به ولا يجوز مخالفته وإنما يكون إثماً إذا فعله صاحبه وله الطريق إلى العلم بدلاً منه فهذا ظن محرم لا يجوز فعله فأما ما لا سبيل إلى دفعه بالعلم بدلاً منه فليس بإثم ولذلك قال بعض الظن إثم دون جميعه والظن المحمود قد بينه الله تعالى ودل عليه بقوله ﴿ **لولا إذ سمعتوه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً** ﴾ وقيل معناه يجب على المؤمن أن يحسن الظن ولا يسيئه في شيء يجد له تأويلاً جميلاً وإن كان ظاهراً قبيحاً ﴿ **ولا تجسسوا** ﴾ أي ولا تتبعوا عثرات المؤمنين عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقال أبو عبيدة التجسس والتحسس واحد وروي في الشواذ عن ابن عباس ولا تحسسوا بالحاء قال الأخفش وليس يبعد أحدهما عن الآخر إلا أن التجسس عما يكتم ومنه الجاسوس والتحسس بالحاء البحث عما تعرفه وقيل إن التجسس بالجيم في الشر والجاسوس صاحب سر الشر والناموس صاحب سر الخير[٣] وقيل معناه لا تتبعوا عيوب المسلمين لتهتكوا العيوب التي سترها أهلها وقيل معناه ولا تبحثوا عما خفي حتى يظهر عن الأوزاعي وفي الحديث إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تحاسدوا ولا تنابزوا[٤] وكونوا عباد الله إخواناً وقوله ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضاً** ﴾ الغيبة ذكر العيب بظهر الغيب على وجه تمنع الحكمة منه وفي الحديث إذا ذكرت الرجل بما فيه مما يكرهه الله فقد اغتبته وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته وعن جابر قال قال رسول الله ﷺ إياكم

---

(١) وفي نسخة ليس لفظة « اسم ».

(٢) وفي نسخة : يعني مقاتل بن حسان ومقاتل بن سليمان.

(٣) وفي نسخة : إن التجسس بالجيم في الشر والجاسوس صاحب الشر والتحسس في الخير والحاسوس صاحب سر الخير

(٤) وفي النسخ : ولا تدابروا بدل « ولا تنابزوا ».

والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا ثم قال أن الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه ثم ضرب سبحانه للغيبة مثلاً فقال ﴿ **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً** ﴾ وتأويله إن ذكرك بالسوء من لم يحضرك بمنزلة أن تأكل لحمه وهو ميت لا يحسّ بذلك عن الزجاج ولما قيل لهم أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً قالوا لا فقيل ﴿ **فكرهتموه** ﴾ أي فكما كرهتم ذلك فاجتنبوا ذكره بالسوء غائباً عن مجاهد وقيل فكما كرهتم لحمه ميتاً فاكرهوا غيبته حياً عن الحسن فهذا هو تقدير الكلام وقوله ﴿ **واتقوا الله** ﴾ معطوف على هذا الفعل المقدر ومثله ألم نشرح لك صدرك ووضعنا أي وقد شرحنا ووضعنا ويقال للمغتاب فلان يأكل لحوم الناس قال :

وَلَيْسَ الذِئْبُ يَأْكُلُ لَحْمَ ذِئْبٍ وَيَأْكُلُ بَعْضُنا بَعْضاً عِيانا

وقال آخر :

فَإِنْ يَأْكُلُوا لحْمي وَفَرتُ لُحُومَهُمْ وَإِنْ يهْدِمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدا

وقال قتادة كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً لكراهية الطبع كذلك يجب أن يمتنع عن غيبته لكراهية العقل والشرع لأن دواعي العقل والشرع أحق بالاتباع من دواعي الطبع فإن داعي الطبع أعمى وداعي العقل بصير وعن ميمون بن شاة[1] وكان يفضل على الحسن لأنه قد لقي من لم يلقه الحسن قال بينا أنا نائم إذا بجيفة زنجي وقائل يقول لي كل يا عبد الله قلت ولم آكل قال بما اغتيب عندك فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيراً ولا شراً قال لكنك استمعت فرضيت وكان ميمون بعد ذلك لا يدع أن يغتاب عنده واحد وقال رجل لابن سيرين إني قد اغتبتك فاجعلني في حل قال إني أكره أن أحلّ ما حرم الله ﴿ **إن الله تواب** ﴾ قابل التوبة ﴿ **رحيم** ﴾ بالمؤمنين ﴿ **يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى** ﴾ أي من آدم وحواء والمعنى أنكم متساوون في النسب لأن كلكم يرجع في النسب إلى آدم وحواء زجر الله سبحانه عن التفاخر بالأنساب وروى عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال إنما أنتم من رجل وامرأة كجمام الصاع ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى ثم ذكر سبحانه أنه إنما فرق أنساب الناس ليتعارفوا لا ليتفاخروا فقال ﴿ **وجعلناكم شعوباً وقبائل** ﴾ وهي جمع شعب وهو الحي العظيم مثل مضر وربيعة وقبائل هي دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر هذا قول أكثر المفسرين وقيل الشعوب دون القبائل وإنّما سميت بذلك لتشعبها وتفرقها عن

(١) وفي نسخة : شاه .

الحسن وقيل أراد بالشعوب الموالي وبالقبائل العرب في رواية عطا عن ابن عباس وإلى هذا ذهب قوم فقالوا الشعوب من العجم والقبائل من العرب والإسباط من بني إسرائيل وروي ذلك عن الصادق (ع) ﴿ لتعارفوا ﴾ أي جعلناكم كذلك لتعارفوا فيعرف بعضكم بعضاً بنسبه وأبيه وقومه ولولا ذلك لفسدت المعاملات وخربت الدنيا ولما أمكن نقل حديث ﴿ أن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ أي أن أكثركم ثواباً وأرفعكم منزلة عند الله إتقاكم لمعاصيه واعملكم بطاعته وروي عن النبي ﷺ أنه قال يقول الله تعالى يوم القيامة أمرتكم فضيعتم ما عهدت إليكم فيه ورفعتم أنسابكم فاليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم أين المتقون إن أكرمكم عند الله أتقاكم وروي أن رجلاً سأل عيسى بن مريم أي الناس أفضل فأخذ قبضتين من تراب فقال أي هاتين أفضل الناس خلقوا من تراب فأكرمهم أتقاهم أبو بكر البيهقي بالإسناد عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ أن الله عز وجل جعل الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسماً وذلك قوله ﴿ وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال ﴾ فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً وذلك قوله ﴿ وأصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة والسابقون السابقون ﴾ فأنا من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله ﴿ وجعلناكم شعوباً وقبائل ﴾ الآية فإني أتقى ولد آدم ولا فخر وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً وذلك قوله عز وجل ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ﴾ أهل البيت ويطهركم تطهيراً فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب ﴿ إن الله عليم ﴾ بأعمالكم ﴿ خبير ﴾ بأحوالكم لا يخفى عليه شيء من ذلك ﴿ قالت الاعراب آمنّا ﴾ وهم قوم من بني أسد أتوا النبي ﷺ في سنة جدبة وأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر إنما كانوا يطلبون الصدقة والمعنى أنهم قالوا صدّقنا بما جئت به فأمره الله سبحانه أن يخبرهم بذلك ليكون آية معجزة له فقال ﴿ قل لم تؤمنوا ﴾ أي لم تصدقوا على الحقيقة في الباطن ﴿ ولكن قولوا أسلمنا ﴾ أي أنقدنا واستسلمنا مخافة السبي والقتل عن سعيد بن جبير وابن زيد ثم بين سبحانه أن الإيمان محله القلب دون اللسان فقال ﴿ ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ قال الزجاج الإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به الرسول وبذلك يحقن الدم فإن كان مع ذلك الإظهار إعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان وصاحبه المؤمن المسلم حقاً فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم وباطنه غير مصدق وقد أخرج هؤلاء من الإيمان بقوله ﴿ ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ أي لم تصدقوا بعد بما اسلمتم تعوذاً من القتل فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر والمسلم التام الإسلام مظهر

للطاعة وهو مع ذلك مؤمن بها والذي أظهر الإسلام تعوذاً من القتل غير مؤمن في الحقيقة إلا أن حكمه في الظاهر حكم المسلمين وروى أنس عن النبي ﷺ قال الإسلام علانية والإيمان في القلب وأشار إلى صدره ﴿ وأن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً ﴾ أي لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً عن ابن عباس ومقاتل ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ .

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير يعملون بالياء والباقون بالتاء .

[الحجة] وجه التاء أن قبله خطاباً وهو قوله ﴿ لا تمنوا ﴾ ووجه الياء أن قبله غيبة وهو قوله ﴿ إنما المؤمنون ﴾ الذين آمنوا .

[الإعراب] خبر المبتدأ الذي هو المؤمنون قوله ﴿ أولئك هم الصادقون ﴾ وقوله ﴿ الذين آمنوا ﴾ صفة لهم .

[المعنى] ثم نعت سبحانه الصادقين في إيمانهم فقال ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ أي لم يشكوا في دينهم بعد الإيمان ﴿ وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون ﴾ في أقوالهم دون من يقول بلسانه ما ليس في قلبه قالوا فلما نزلت الآيتان أتوا رسول الله ﷺ يحلفون أنهم مؤمنون صادقون في دعواهم الإيمان فأنزل الله سبحانه ﴿ قل أتعلمون الله بدينكم ﴾ أي أتخبرون الله بالدين الذي أنتم

عليه والمعنى أنه سبحانه عالم بذلك فلا يحتاج إلى إخباركم به وهذا استفهام إنكار وتوبيخ أي كيف تعلمون الله بدينكم ﴿ والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم ﴾ لأن العالم لنفسه يعلم المعلومات كلها بنفسه فلا يحتاج إلى علم يعلم به ولا إلى من يعلمه كما أنه إذا كان قديماً موجوداً في الأزل لنفسه استغنى عن موجد أوجده وكانوا[1] يقولون آمنا بك من غير قتال وقاتلك بنو فلان فقال سبحانه ﴿ يمنّون عليك أن أسلموا ﴾ أي بأن أسلموا والمعنى أنهم يمنون عليك بالإسلام ﴿ قل لا تمنوا علي إسلامكم ﴾ أي بإسلامكم ﴿ بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ﴾ أي بأن هداكم للإيمان وأرشدكم إليه بأن نصب لكم من الأدلة عليه وأزاح عللكم ووفقكم له ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ في ادعائكم الإيمان ﴿ إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون ﴾ من طاعة ومعصية وإيمان وكفر .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) وفي بعض النسخ : كان هؤلاء .

(٥٠) سورة ق مكية وآياتها خمس وأربعون

قال الحسن غير قوله ﴿ **ولقد خلقنا السماوات والأرض** ﴾ إلى قوله ﴿ **وقبل الغروب** ﴾ وَالمَعْدِل عن ابن عباس ﴿ **ولقد خلقنا السماوات والأرض** ﴾ الآية وهي خمس وأربعون آية بالإجماع .

[**فضلها**] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة قَ هوّن الله عليه تبارات الموت وسكراته . أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر (ع) قال ومن أدمن في فرائضه ونوافله سورة قَ وسع الله في رزقه وأعطاه كتابه بيمينه وحاسبه حساباً يسيراً .

[**تفسيرها**] لما ختم الله تلك السورة بذكر الإيمان وشرائطه للعبيد افتتح هذه السورة بذكر ما يجب الإيمان به من القرآن وأدلة التوحيد فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾

ولم يعدّ قَ آية ولا نظيرُ له من نون وصاد لأنه مفرد وكل مفرد فإنه لا يعد لبعده من شبه

الجملة فأما المركب مما أشبه الجملة ووافق رؤوس الآي فإنه يعد مثل طه وحم وألم وما أشبه ذلك .

[اللغة] المجيد الكريم المعظم والعظيم المكرم والمجد في كلامهم الشرف الواسع يقال مُجد الرجل ومجَد مجداً إذا عظم وكرم وأصله من قولهم مجَدت الإبل مجوداً إذا عظمت بطونها من كثرة أكلها من كلاء الربيع وأمجد فلان القوم قرى قال :

أتَيْنَاهُ زَوّاراً فَأَمْجَدنَا قِرىً مِنَ البَثِّ والدَّاءِ الدَّخِيلِ المُخَامِرِ[1]

والعجيب والعجب هو كل ما لا يعرف علته ولا سببه والمريج المختلط الملتبس وأصله إرسال الشيء مع غيره من المرج قال الشاعر :

فَجَالَتْ فَالْتَمَسْتُ بِسِهِ حَشَاهَا فَخَرَّ كَأَنَّهُ غُصْنٌ مَرِيجُ

أي قد التبس بكثرة شعبه ومرجت عهودهم وأمورهم أي خلطوها ولم يفوا بها .

[الإعراب] جواب القسم في قَ والقرآن المجيد محذوف يدل عليه أإذا متنا وكنا تراباً وتقديره إنكم مبعوثون فقال أنبعث إذا متنا وكنا تراباً ويجوز أن يكون الجواب قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وحذفت اللام لأن ما قبلها عوض منها كما قال والشمس وضحاها إلى قوله ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ والمعنى لقد أفلح والعامل في أإذا متنا مضمر والتقدير أإذا متنا بعثنا .

[المعنى] ﴿ قَ ﴾ قد مر تفسيره وقيل إنه اسم من أسماء الله تعالى عن ابن عباس وقيل هو اسم الجبل المحيط بالأرض من زمردة خضراء خضرة السماء منها عن الضحاك وعكرمة وقيل معناه قضي الأمر أو قضي ما هو كائن كما قيل في حم حُمَّ الأمر[2] ﴿ والقرآن المجيد ﴾ أي الكريم على الله العظيم في نفسه الكثير الخير والنفع لتبعثن يوم القيامة وقيل تقديره والقرآن المجيد أن محمداً رسول الله ﷺ بدلالة قوله ﴿ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم ﴾ أي ما كذبك قومك لأنك كاذب بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم وحسبوا أنه لا يوحى إلا إلى ملك ﴿ فقال الكافرون هذا شيء عجيب ﴾ أي معجب عجبوا من كون محمد ﷺ رسولاً إليهم فأنكروا رسالته وانكروا البعث بعد الموت وهو قوله ﴿ أإذا متنا وكنا تراباً ﴾

(١) أمجدنا قِرىً أي آتانا ما كفى وفضل وخامرالداء فلاناً: خالط جوفه أي وفدنا عليه فآتانا من بثّ الشكوى وما به من الداء الدفين ما كفانا وفضل.

(٢) حَمّ الأمر بالبناء للمجهول أي قضى .

أنبعث ونردّ أحياء ﴿ ذلك ﴾ أي ذلك الرد الذي يقولون ﴿ رجع بعيد ﴾ أي ردّ بعيد عن الأوهام وإعادة بعيدة عن الكون والمعنى أنه لا يكون ذلك لأنه غير ممكن ثم قال سبحانه ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم ﴾ أي ما تأكل الأرض من لحومهم ودمائهم وتبليه من عظامهم فلا يتعذر علينا ردهم ﴿ وعندنا كتاب حفيظ ﴾ أي حافظ لعدتهم وأسمائهم وهو اللوح المحفوظ لا يشذ عنه شيء وقيل حفيظ أي محفوظ عن البلى والدروس وهو كتاب الحفظة الذين يكتبون أعمالهم ثم أخبر سبحانه بتكذيبهم فقال ﴿ بل كذبوا بالحق لما جاءهم ﴾ والحق القرآن وقيل هو الرسول ﴿ فهم في أمر مريج ﴾ أي مختلط فمرّة قالوا مجنون وتارة قالوا ساحر وتارة قالوا شاعر فتحيروا في أمرهم[1] لجهلهم بحاله ولم يثبتوا على شيء واحد وقالوا للقرآن أنه سحر مرة وزجر[2] مرة ومفترى مرة فكان أمرهم ملتبساً عليهم قال الحسن ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم .

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾

[اللغة] الفروج الشقوق والصدوع وفي الحائط فرجة بضم الفاء فإذا قيل فرجة بفتح الفاء فهو التفصي من الهم قال :

رُبَمَا تَكْرَهُ النُّفُوس مِنَ الأَمْـ ـرِ لَهُ فُرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ[3]

أي رب شيء تكرهه النفوس وما هاهنا نكرة موصوفة والفرج موضع المخافة وفي عهد الحجاج أني وليتك الفرجين يعني خراسان وسجستان والحصيد ما حصد من أنواع النبات

(١) وفي بعضها : أمره .
(٢) وفي المخطوطة : رجز .
(٣) مر البيت في ج ٦

والباسقات الطوال وبسق النخل بسوقاً والطلع طلع النخلة سمي بذلك لطلوعه والنضيد ما نضد بعضه على بعض .

[الإعراب] كيف يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال ويجوز أن يكون مصدراً وما لها من فروج في موضع نصب على الحال تقديره غير مفروجة والأرض منصوبة بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر وتقديره ومددنا الأرض مددناها تبصرة مفعول له وكذلك ذكرى وحب الحصيد تقديره وحب النبات الحصيد والحصيد صفة لموصوف محذوف وباسقات نصب على الحال وكذلك الجملة التي هي لها طلع نضيد حال بعد حال ورزقاً للعباد مفعول له أي أنبتنا هذه الأشياء لرزق العباد ويجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً أعني المصدر وتقديره رزقناهم رزقاً .

[المعنى] ثم أقام سبحانه الدلالة على كونه قادراً على البعث فقال ﴿ **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم** ﴾ أي ألم يتفكروا في بناء السماء مع عظمها وحسن ترتيبها وانتظامها ﴿ **كيف بنيناها** ﴾ بغير علاقة ولا عماد ﴿ **وزيناها** ﴾ بالكواكب السيارة والنجوم الثوابت ﴿ **وما لها من فروج** ﴾ أي شقوق وفتوق وقيل معناه ليس فيها تفاوت واختلاف عن الكسائي وإنما قال فوقهم بنيناها على أنهم يرونها ويشاهدونها ثم لا يتفكرون فيها ﴿ **والأرض مددناها** ﴾ أي بسطناها ﴿ **وألقينا فيها رواسي** ﴾ أي جبالاً رواسخ تمسكها عن الميدان ﴿ **وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج** ﴾ أي من كل صنف حسن المنظر عن أبن زيد والبهجة الحسن الذي له روعة عند الرؤية كالزهرة والأشجار النضرة والرياض الخضرة وقال الأخفش البهيج الذي من رآه بهج به أي سرّ به فهو بمعنى المبهوج به ﴿ **تبصرة وذكرى** ﴾ أي فعلنا ذلك تبصيراً ليبصر به أمر الدين وتذكيراً وتذكراً ﴿ **لكل عبد منيب** ﴾ راجع إلى الله تعالى ﴿ **ونزلنا من السماء ماء مباركاً** ﴾ أي مطراً وغيثاً يعظم النفع به ﴿ **فأنبتنا به** ﴾ أي بالماء ﴿ **جنات** ﴾ أي بساتين فيها أشجار تشتمل على أنواع الفواكه المستلذة ﴿ **وحب الحصيد** ﴾ أي حب البر والشعير وكل ما يحصد عن قتادة لأن من شأنه أن يحصد إذا تكامل واستحصد والحب هو الحصيد فهو مثل حق اليقين ومسجد الجامع ونحوهما ﴿ **والنخل باسقات** ﴾ أي وأنبتنا به النخل طويلات عاليات ﴿ **لها طلع نضيد** ﴾ أي لهذه النخل الموصوفة بالعلو طلع نضد بعضه على بعض عن مجاهد وقتادة والطلع الكفرّى وهو أول ما يظهر من ثمر النخل قبل أن ينشق وهو نضيد في أكمامه فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد ﴿ **رزقاً للعباد** ﴾ أي أنبتنا هذه الأشياء للرزق وكل رزق فهو من الله تعالى بأن يكون قد فعله أو فعل سببه لأنه مما يريده وقد يرزق الواحد منا

غيره كما يقال رزق السلطان جنده ﴿ واحيينا به ﴾ أي بذلك الماء الذي أنزلناه من السماء ﴿ بلدة ميتاً ﴾ أي جدبا وقحطاً لا تنبت شيئاً فنبت وعاشت ثم قال ﴿ كذلك الخروج ﴾ من القبور أي مثل ما أحيينا هذه الأرض الميتة بالماء نحيي الموتى يوم القيامة فيخرجون من قبورهم فإن من قدر على أحدهما قدر على الآخر وإنما دخلت الشبهة على هؤلاء من حيث أنهم رأوا العادة مستمرة في إحياء الموات من الأرض بنزول المطر ولم تجر العادة بإحياء الموتى من البشر ولو أنعموا الفكر وأمعنوا النظر لعلموا أن من قدر على أحد الأمرين قدر على الآخر .

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ
وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ
ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ
مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ
نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى
ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ
إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ
مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة أبي بكر عند خروج نفسه وجاءت سكرة الحق بالموت وهي قراءة سعيد بن جبير وطلحة ورواها أصحابنا عن أئمة الهدى (ع) .

[الحجة] قال ابن جني لك في الباء ضربان من التقدير ان شئت علقتها بنفس جاءت كقولك جئت بزيداً أي احضرته وان شئت علقتها بمحذوف.وجعلتها حالاً أي وجاءت سكرة الحق ومعها الموت كقولك خرج بثيابه أي وثيابه عليه ومثله قوله فخرج على قومه في زينته أي وزينته عليه وكقول أبي ذؤيب :

يَعْثُرْنَ فِي حَدِّ الظُّبَاةِ كَأَنَّمَا كُسِيَتْ بُرُودَ بَنِي يَزِيدَ الأَذْرُعَ[1]

أي يعثرن وهن في حد الظباة وكقول الآخر :

وَمُسْتَنَّةٍ كَاسْتِنَانِ الْخُرُوفِ وَقَدْ قَطَعَ الْحَبْلَ بِالْمِرْوَدِ

أي قطعه وفيه مروده وكذلك قراءة العامة وجاءت سكرة الموت بالحق ان شئت علقت الباء بنفس جاءت وان شئت علقتها بمحذوف[2] وجاءت سكرة الموت ومعها الحق .

[اللغة] يقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه وتعذر ذلك عليك وأعييت إذا تعبت وكل ذلك من التعب الا ان احدهما في الطلب والآخر فيما وقع الفراغ عنه والوريد عرق في الحلق وهما وريدان في العنق عن يمين وشمال وكأنه العرق الذي يَرِدّ اليه ما ينصب من الرأس وحبل الوريد حبل العاتق وهو منفصل من الحلق إلى العاتق والرقيب الحافظ والعتيد المعد للزوم الأمر

[المعنى] ثم ذكر سبحانه الأمم المكذبة تسلية للنبي ﷺ وتهديداً للكفار فقال ﴿كذبت قبلهم﴾ من الأمم الماضية ﴿قوم نوح﴾ فأغرقهم الله ﴿وأصحاب الرس﴾ وهم أصحاب البئر التي رسّوا نبيّهم فيها بعد أن قتلوه عن عكرمة وقيل الرسّ بئر قتل فيها صاحب ياسين عن الضحاك وقيل هم قوم كانوا باليمامة على آبار لهم عن قتادة وقيل هم أصحاب الاخدود وقيل كان سحق النساء في أصحاب الرس وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) ﴿وثمود﴾ وهم قوم صالح ﴿وعاد﴾ وهم قوم هود ﴿وفرعون واخوان لوط﴾ أي وكذب فرعون موسى وقوم لوط لوطاً وسماهم اخوانه لكونهم من نسبه ﴿وأصحاب الايكة﴾ وهم قوم شعيب ﴿وقوم تبّع﴾ وهو تبع الحميري الذي ذكرناه عند قوله اهم خير أم قوم تبع ﴿كل﴾ من هؤلاء المذكورين ﴿كذب الرسل﴾ المبعوثة إليهم وجحدوا نبوتهم ﴿فحق وعيد﴾ أي وجب عليهم عذابي الذي أوعدتهم به فإذا كان مآل الامم الخالية إذا كذبوا الرسل الهلاك والدمار وانكم معاشر العرب قد سلكتم مسالكهم في التكذيب والإنكار فحالكم كحالهم في التباب والخسار ثم قال سبحانه جواباً لقولهم ذلك رجع بعيد ﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ أي أفعجزنا

(١) الظُبة : حدّ السيف أو السنان ونحوه والمراد بحد الظبات المضارب بأسرها يقول : ان بقر الوحش أيضاً لا تنجو من الموت فيعثرن وهن في حد الظبات من السيف بجرح الصياد اياهن فتحمر اذرعهن من الدم كبرود بمعنى يزيد (وهي برود فيها خطوط حمر) وقد مر البيت أيضاً حديدة توتد في الأرض يشد فيها حبل الدابة وقد مر البيت في ج ٣

(٢) [بمعنى] .

حين خلقناهم اولاً ولم يكونوا شيئاً فكيف نعجز عن بعثهم واعادتهم وهذا تقرير لهم لأنهم اعترفوا بأن الله هو الخالق ثم أنكروا البعث ويقال لكل من عجز عن شيء عيي به ثم ذكر أنهم في شك من البعث بعد الموت فقال ﴿بل هم في لبس من خلق جديد﴾ أي بل هم في ضلال وشك من اعادة الخلق جديداً واللبس منع من ادراك المعنى بما هو كالستر له والجديد القريب الانشاء ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ أراد به الجنس يعني ابن آدم ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ أي ما يحدث به قلبه وما يخفي ويكنّ في نفسه ولا يظهره لأحد من المخلوقين ﴿ونحن أقرب إليه﴾ بالعلم ﴿من حبل الوريد﴾ وهو عرق يتفرق في البدن يخالط الإنسان في جميع أعضائه وقيل هو عرق الحلق عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو عرق متعلق بالقلب يعني نحن أقرب إليه من قلبه عن الحسن وقيل معناه نحن أعلم به ممن كان منه بمنزلة حبل الوريد في القرب وقيل معناه نحن أملك له من حبل وريده مع استيلائه عليه وقربه منه وقيل معناه نحن أقرب إليه بالإدراك من حبل الوريد لو كان مدركاً ثم ذكر سبحانه أنه مع علمه به وكل به ملكين يحفظان عليه عمله الزاماً للحجة فقال ﴿إذ يتلقى المتلقيان﴾ فإذ متعلقة بقوله ونحن أقرب إليه أي ونحن أعلم به وأملك له حين يتلقى المتلقيان وهما الملكان يأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المملى عليه ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاكتفى بأحدهما عن الآخر والمراد بالقعيد هنا الملازم الذي لا يبرح لا القاعد الذي هو ضد القائم وقيل عن اليمين كاتب الحسنات وعن الشمال كاتب السيئات عن الحسن ومجاهد وقيل الحفظة أربعة ملكان بالنهار وملكان بالليل عن الحسن ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ أي ما يتكلم بكلام فيلفظه أي يرميه من فيه إلا لديه حافظ حاضر معه يعني الملك الموكل به إما صاحب اليمين وإما صاحب الشمال يحفظ عمله لا يغيب عنه والهاء في لديه تعود إلى القول أو إلى القائل وعن أبي إمامة عن النبي ﷺ قال إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطىء او المسيء فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها والا كتب واحدة وفي رواية أخرى قال صاحب اليمين امير على صاحب الشمال فإذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين بعشر امثالها وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال ان يكتبها قال له صاحب اليمين امسك فيمسك عنه سبع ساعات فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيء وإن لم يستغفر الله كتب له سيئة واحدة وعن انس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ ان الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فإذا مات قالا يا رب قد قبضت عبدك فلاناً فإلى اين قال سمائي مملوءة بملائكتي يعبدونني وارضي مملوءة من خلقي يطيعونني اذهبا الى قبر عبدي فسبحاني وكبراني وهللاني فاكتبا ذلك في حسنات عبدي إلى يوم القيامة ﴿وجاءت

سكرة الموت بالحق﴾ أي جاءت غمرة الموت وشدته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله بالحق أي امر الآخرة حتى عرفه صاحبه واضطر اليه وقيل معناه جاءت سكرة الموت بالحق الذي هو الموت قال مقاتل يعني انه حق كائن والمراد ان هذه السكرة قد قربت منكم فاستعدوا لها فهي لقربها كالحاصلة مثل قوله تعالى اتى امر الله وروي أن عائشة قالت عند وفاة أبي بكر:

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ[1] يَوْماً وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

فقال أبو بكر لا تقولي ذلك ولكنه كما قال الله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ويقال لمن جاءته سكرة الموت ﴿ذلك﴾ أي ذلك الموت ﴿ما كنت منه تحيد﴾ أي تهرب وتميل ﴿ونفخ في الصور﴾ قد مر تفسيره ﴿ذلك يوم الوعيد﴾ أي ذلك اليوم يوم وقوع الوعيد الذي خوّف الله به عباده ليستعدّوا ويقدموا العمل الصالح له .

﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ
مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ
قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾
مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ
فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ
وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ
قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠
بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ
مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾

(١) حشرج حشرجة: غرغر عند الموت وتردد نفسه .

[القراءة] قرأ نافع وأبو بكر يوم يقول بالياء والباقون بالنون .

[الحجة] الياء على معنى يقول الله تعالى والنون أشبه بقوله قد قدمت اليكم بالوعيد وقوله وما أنا بظلام للعبيد .

[اللغة] السوق الحث على السير والحديد الحادّ مثل الحفيظ والحافظ والعنيد الجائر عن القصد وهو العنود والعاند وناقة عنود لا تستقيم في سيرها والعنيد المتحير[1] منه .

[الإعراب] هذا ما لديّ عتيد ما ها هنا نكرة موصوفة وتقديره هذا شيء ثابت لديّ عتيد فالظرف صفة لما وكذلك عتيد. جهنم لا ينصرف للتعريف والتأنيث وأصله من قولهم بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر وقيل هو أعجمي فلا ينصرف للتعريف والعجمة وقوله القيا في جهنم قيل فيه أقوال (أحدها) أن العرب تأمر الواحد والقوم بما يؤمر به الاثنان يقول للرجل الواحد قوما واخرجا ويحكى عن الحجاج انه كان يقول يا حرسيّ اضربا عنقه يريد اضرب قال الفراء سمعت من العرب من يقول ويلك ارحلاها وانشدني بعضهم :

فَقُلْتُ لِصاحِبي لا تَحْبِسانا ... بِنَزْعِ أُصُولِهِ وَاجْتَزَّ شِيحا[2]

وأنشدني أبو ثروان :

فَإِنْ تَزْجُراني يَا ابْنَ عَفّانَ انْزَجِرْ ... وَإِنْ تَدَعاني أَحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعا[3]

قال وترى ان ذلك منهم لأجل ان ادنى اعوان الرجل في ابله وغنمه اثنان وكذلك الرفقة ادنى ما تكون ثلاثة فجرى كلام الواحد على صاحبيه الا ترى أن الشعراء اكثر شيء قيلا يا صاحبي ويا خليلي قال امرؤ القيس :

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ ... لِنَقْضِيَ حاجاتِ الْفُؤادِ الْمُعَذَّبِ
فَإِنَّكُما إِنْ تَنْظِرانِيَ لَيْلَةً ... مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعْنِي لَدَى أُمِّ جُنْدُبِ

ثم قال:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ طارِقاً ... وَجَدْتُ بِها طِيباً وَإِنْ لَمْ تُطَيَّبِ

(١) وفي نسخة: المتجبر .

(٢) الشيح: نبات كثير الأنواع طيب الرائحة يقوي طبخ اللحم سريعاًولا تحسّنا بقلع اصول الأشجار للشيء حتى يطول المكث بل اجتزّ الشيح واشوبه .

(٣) الممنع: الممنوع شدد للمبالغة .

فرجع إلى الواحد لأن اول الكلام واحد في لفظ الاثنين وانشد أيضاً :

خَـلِـلَيَّ قُـومَـا فِي عَـطَالَـةَ فَـانْـظُرا أَنَـاراً تَـرَى مِنْ نَحْـوِ مَـا بَيْنَ أَمْ بَـرْقَـا[1]

ولم يقل تريا (والثاني) انه إنما ثني ليدل على التكثير كأنه قال الق الق فثني الضمير ليدل على تكرير الفعل وهذا لشدة ارتباط الفاعل بالفعل حتى إذا كرر احدهما فكأن الثاني كرر وهذا قول المازني ومثله عنده قال رب ارجعون إنما جمع ليدل على التكرير كأنّه قال ارجعني ارجعني ارجعني وحمل عليه قول امرىء القيس « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل » ونحو ذلك أي كأنه قال قف قف (والثالث) أن الأمر تناول السائق والشهيد فكأنه قال يا أيها السائق ويا أيها الشهيد القيا (والرابع) انه يريد النون الخفيفة فكان الْقَيْن فأجرى الوصل مجرى الوقف فأبدل من النون الفاً كما قال الأعشى :

وَذَا النُّسُكِ الْمَنْصُوبِ لَا تَنْسُكَنَّهُ وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللهَ فَاعْبُدا[2]

ويؤيد هذا القول ما روي عن الحسن انه قرأ ألقيا بالتنوين. الذي جعل مع الله إلهاً آخر إن كان مبتدأ فخبره قوله فالقياه ويجوز أن يكون نصباً بمضمر يفسّره فألقياه ويجوز أن يكون نصباً بدلاً من قوله كل كفار ولا يجوز أن يكون جراً صفة لكفّار لأن النكرة لا توصف بالموصول انما الموصول وصلة إلى وصف المعارف بالجمل .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن حال الناس بعد البعث فقال ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ أي وتجيء كل نفس من المكلفين في يوم الوعيد ومعها سائق من الملائكة يسوقها أي يحثها على السير إلى الحساب وشهيد من الملائكة يشهد عليها بما يعلم من حالها وشاهده منها وكتبه عليها فلا يجد إلى الهرب ولا إلى الجحود سبيلاً وقيل السائق من الملائكة والشهيد الجوارح تشهد عليها عن الضحاك ﴿لقد كنت في غفلة﴾ أي يقال له لقد كنت في سهو ونسيان ﴿من هذا﴾ اليوم في الدنيا والغفلة ذهاب المعنى عن النفس ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ الذي كان في الدنيا يغشى قلبك وسمعك وبصرك حتى ظهر لك الأمر وإنما تظهر الأمور في الآخرة بما يخلق الله تعالى من العلوم الضرورية فيهم فيصير بمنزلة كشف الغطاء لما يرى وإنما يراد به جميع المكلفين برّهم وفاجرهم لأن معارف الجميع ضرورية

---

(١) عطالة : جبل منيف بالسودة من ديارات بني سعد وفي اللسان اناراً ترى من ذي ابانين ام برقاً وبين اسم موضع .

(٢) قد مر البيت في ج ١

﴿فبصرك اليوم حديد﴾ أي فعينك اليوم حادة النظر لا يدخل عليها شك ولا شبهة وقيل معناه فعلمك بما كنت فيه من أحوال الدنيا نافذ ولا يراد به بصر العين كما يقال فلان بصير بالنحو والفقه وقيل هو خاص في الكافر أي فأنت اليوم عالم بما كنت تنكره في الدنيا عن ابن عباس ﴿وقال قرينه﴾ يعني الملك الشهيد عليه عن الحسن وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) وقيل قرينه الذي قيض له من الشياطين عن مجاهد وقيل قرينه من الانس ﴿هذا ما لدي عتيد﴾ إن كان المراد به الملك الشهيد فمعناه هذا حسابه حاضر لديّ في هذا الكتاب أي يقول لربه كنت وكلتني به فما كتبت من عمله حاضر عندي وان كان المراد به الشيطان أو القرين من الانس فالمعنى هذا العذاب حاضر عندي معدّ لي بسبب سيئاتي ﴿ألقيا في جهنم كل كفار عنيد﴾ هذا خطاب لخازن النار وقيل خطاب للملكين الموكلين به وهما السائق والشهيد عن الزجاج وقد ذكرنا ما قيل فيه وروى أبو القاسم الحسكاني بالإسناد عن الأعمش أنه قال حدثنا أبو المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى لي ولعليّ القيا في النار من أبغضكما وادخلا الجنة من أحبكما وذلك قوله القيا في جهنم كل كفار عنيد والعنيد الذاهب عن الحق وسبيل الرشد ﴿مناع للخير﴾ الذي أمر الله به من بذل المال في وجوهه ﴿معتد﴾ ظالم متجاوز يتعدّى حدود الله ﴿مريب﴾ أي شاكّ في الله وفيما جاء من عند الله وقيل متهم يفعل ما يرتاب بفعله ويظن به غير الجميل مثل المليم الذي يفعل ماجلام عليه وقيل انها نزلت في الوليد بن المغيرة حين استشاره بنو أخيه في الإسلام فمنعهم فيكون المراد بالخير الإسلام ﴿الذي جعل مع الله إلهاً آخر﴾ من الأصنام والأوثان ﴿فألقياه في العذاب الشديد﴾ هذا تأكيد للأول فكأنه قال افعلا ما أمرتكما به فإنه مستحق لذلك ﴿قال قرينه﴾ أي شيطانه الذي اغواه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وانما سمي قرينه لأنه يقرن به في العذاب وقيل قرينه من الإنس وهم علماء السوء والمتبوعون ﴿ربنا ما اطغيته﴾ أي ما أضللته وما أوقعته في الطغيان باستكراه أي لم أجعله طاغياً ﴿ولكن كان في ضلال﴾ من الإيمان ﴿بعيد﴾ أي ولكنه طغى باختياره السوء ومثل هذا قوله وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ﴿قال﴾ الله تعالى لهم ﴿لا تختصموا لديّ﴾ أي لا يخاصم بعضكم بعضاً عندي ﴿وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾ في دار التكليف ولم تنزجروا وخالفتم أمري ﴿ما يبدل القول لديّ﴾ المعنى ان الذي قدمته لكم في دار الدنيا من اني أعاقب من جحدني وكذب رسلي وخالفني في أمري لا يبدل بغيره ولا يكون خلافه ﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾ أي لست بظالم احداً في عقابي لمن استحقه بل هو الظالم لنفسه بارتكابه المعاصي التي استحق بها ذلك وإنما قال

بظلام على وجه المبالغة رداً على من أضاف الظلم إليه تعالى وتقدس عن ذلك ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت﴾ يتعلق يوم بقوله ما يبدل القول لديّ الآية وقيل يتعلق بتقدير اذكر يا محمد ذلك اليوم الذي يقول الله فيه لجهنم هل امتلأت من كثرة ما ألقي فيك من العصاة ﴿وتقول﴾ جهنم ﴿هل من مزيد﴾ قال انس طلبت الزيادة وقال مجاهد المعنى معنى الكفاية اي لم يبق مزيد لامتلائها ويدل على هذا القول قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقيل في الوجه الأول إن هذا القول كان منها قبل دخول جميع اهل النار فيها ويجوز ان تكون تطلب الزيادة على ان يزاد في سعتها كما عن النبي ﷺ أنه قيل له يوم فتح مكة الا تنزل دارك فقال وهل ترك لنا عقيل من دار لأنه كان قد باع دور بني هاشم لما خرجوا إلى المدينة فعلى هذا يكون المعنى وهل بقي زيادة فأما الوجه في كلام جهنم فقيل فيه وجوه (أحدها) انه خرج مخرج المثل اي ان جهنم من سعتها وعظمتها بمنزلة الناطقة التي إذا قيل لها هل امتلأت تقول لم امتلىء وبقي فيّ سعة كثيرة ومثله قول عنترة :

فَازوَرَّ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا بِلَبَانِهِ ... وَشَكَا إليَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ[1]

وقال آخر :

امْتَلأَ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطني ... مَهْلاً رُوَيْداً قَدْ مَلأْتُ بَطْني[2]

(وثانيها) انه سبحانه يخلق لجهنم آلة الكلام فتتكلم وهذا غير منكر لأن من أنطق الأيدي والجوارح والجلود قادر على ان ينطق جهنم (وثالثها) أنه خطاب لخزنة جهنم على وجه التقرير لهم هل امتلأت جهنم فيقولون بلى لم يبق موضع لمزيد ليعلم الخلق صدق وعده عن الحسن قال ومعناه ما من مزيد أي لا مزيد كقوله هل من خالق غير الله وهو قول واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد :

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾

(١) مرّ البيت في ج ٦

(٢) مر البيت أيضاً في ج ١

لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن
قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ
شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ
أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ
فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الحجاز وحمزة وخلف وادبار بكسر الهمزة والباقون وادبار السجود بالفتح وفي الشواذ قراءة ابن عباس وأبي العالية ويحيى بن يعمر فنقّبوا في البلاد بكسر القاف وقراءة السدي والقي السمع وقراءة أبي عبد الرحمن السلمي وطلحة وما مسنا من لغوب بفتح اللام .

[الحجة] قال أبو علي إدبار مصدر والمصادر تجعل ظروفاً على ارادة اضافة اسماء الزمان اليها وحذفها كقولك جئتك مقدم الحاج وخفوق النجم وخلافة فلان تريد في ذلك كله وقت كذا فكذلك يقدر هنا وقت ادبار السجود الا أن المضاف المحذوف في هذا الباب لا يكاد يظهر ولا يستعمل فهذا أدخل في باب الظروف من قول من فتح فكأنه أمر بالتسبيح بعد الفراغ من الصلاة ومن فتح جعله جمع دبر أو دبر مثل قفل واقفال وطُنُب وأطناب وقد استعمل ذلك ظرفاً نحو جئتك في دبر الصلاة وفي ادبار الصلاة قال اوس بن حجر :

عَلى دُبُرِ الشَّهْرِ الْحَرامِ بِأَرْضِنا وَما حَوْلَها جَدْبٌ سِنُونَ تَلَمَّعُ(١)

وأما من قرأ فنقبوا فقد قال ابن جني أنه فعلوا من النقب أي ادخلوا وغوروا في الأرض فإنكم لا تجدون لكم محيصاً وقوله أو القى السمع معناه أو القى السمع منه وقوله وما مسنا من لغوب فيمكن ان يكون من المصادر التي جاءت على فعول بفتح الفاء كالوضوء والولوغ

(١) تلمعت السنة كما قيل عام أبقع أي فيه خصب وجدب .

والوزوع والقبول وهي صفات مصادر محذوفةأي توضأت وضوءاً أي وضوءاً[١] حسناً وكذلك هذا أي وما مسنا من لغوب لغوب أي تعب متعب .

[اللغة] الإزلاف التقريب إلى الخير ومنه الزلفة والزلفى وازدلف اليه أي اقترب والمزدلفة منزلة قريبة من الموقف وهو المشعر وجَمْع ومنه قول الراجز :

نـاجٍ طَـواهُ الأَيْـنُ مِـمَّـا أَوْجَـفَـا طَيَّ الـلَّيـالـي زُلَـفـاً فَـزُلَـفـا
سَماوَةَ الْهِلالِ حَتَّى احْقَوْقَفا[٢]

والتنقيب التفتيح بما يصلح للسلوك وهو من النقب الذي هو الفتح قال امرؤ القيس :

لَـقَـدْ نَـقَّـبْـتُ فِـي الآفـاقِ حَـتَّـى رَضِـيـتُ مِـنَ الْـغَـنِـيـمَـةِ بِـالإِيـابِ

أي طوّفت في طرقها وسرت في نقوبها واللغوب الإعياء .

[الإعراب] غير بعيد صفة مصدر محذوف تقديره ازلافاً غير بعيد ويجوز أن يكون منصوباً على الحال من الجنة ولم يقل غير بعيدة لأنه في تقدير النسب أي غير ذات بعد وقوله لكل أوّاب يجوز أن يكون في موضع رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف أي هو لكل أواب ولا يجوز أن يكون خبراً بعد خبر تقديره هذا الموعود هذا لكل أواب حفيظ ولا يجوز أن تتعلق اللام بتوعدون لأن الأوابين هم الموعودون لا الموعود لهم . من خشي الرحمن يجوز أن يكون في محل جر على البدل من أواب فيتم الكلام عند قوله ﴿ وجاء بقلب منيب ﴾ ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره محذوف على تقدير يقال لهم ادخلوها فعلى هذا يكون تمام الكلام عند قوله ﴿ لكل أواب حفيظ ﴾ ويقتضي أن يكون ادخلوها خطاباً للمتقين وتقديره وتزلف الجنة للمتقين ويقال لهم أدخلوها بسلام .

[المعنى] لما أخبر سبحانه عما أعده للكافرين والعصاة عقبه بذكر ما أعده للمتقين فقال ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين ﴾ أي قربت الجنة وأدنيت للذين اتقوا الشرك والمعاصي حتى يروا ما فيها من النعيم والجنة هي البستان الّذي يجمع كل لذة من الأنهار والأشجار وطيب

---

(١) في بعض النسخ وضوء وَضوءاً حسناً .

(٢) ناج : البعير السريع ينجو بمن ركبها والأين : الأعياء وما في مما أوجفا مصدرية أي من إيجافه وهو اعدائه وسماوة الهلال أي كشخصه واحقوقف الهلال : اعوجّ وكل ما طال واعوجّ فقد احقوقف كظهر البعير وشخص القمر وقد مر البيت في ج ٥

الثمارَ ومن الأزواج الكرام والحور الحسان والخدم من الولدان ومن الأبنية الفاخرة المزينة بالياقوت والزمرد والعقيان نسأل الله التوفيق لما يقرب من رضاه ﴿غير بعيد﴾ أي هي قريبة منهم لا يلحقهم ضرر ولا مشقة في الوصول إليها وقيل معناه ليس ببعيد مجيء ذلك لأن كل آت قريب ومثله قول الحسن كأنك بالدنيا كأن لم تكن وبالآخرة كأن لم تزل ﴿ هذا ما توعدون ﴾ أي هذا الذي ذكرناه هو ما وعدتم به من الثواب على السنة الرسل ﴿ لكل أواب ﴾ أي تواب رجّاع إلى الطاعة عن الضحاك وابن زيد وقيل لكل مسبح عن ابن عباس وعطاء ﴿ حفيظ ﴾ لما أمر الله به منحفظ من الخروج إلى ما لا يجوز من سيئة تدنسه أو خطيئة تحط منه وتشينه ﴿ من خشي الرحمن بالغيب ﴾ أي هو من خاف الله وأطاعه وآمن بثوابه وعقابه ولم يره وقيل بالغيب أي في الخلوة بحيث لا يراه أحد عن الضحاك والسدي ﴿ وجاء بقلب منيب ﴾ أي ودام على ذلك حتى وافى الآخرة بقلب مقبل على طاعة الله راجع إلى الله بضمائره ﴿ ادخلوها بسلام ﴾ أي يقال لهم ادخلوا الجنة بأمان من كل مكروه وسلامة من كل آفة وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم ﴿ ذلك يوم الخلود ﴾ الوقت الذي يبقون فيه في النعيم مؤبدين لا إلى غاية ﴿لهم ما يشاؤون فيها﴾ أي لهم في الجنة ما تشتهيه أنفسهم ويزيدونه من أنواع النعم ﴿ ولدينا مزيد ﴾ أي وعندنا زيادة على ما يشاؤونه مما لم يخطر ببالهم ولم تبلغهم أمانيهم وقيل هو الزيادة على مقدار استحقاقهم من الثواب بأعمالهم ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن ﴾ أي كثيراً أهلكنا قبل هؤلاء من القرون الذين كذبوا رسلهم ﴿ هم أشد منهم بطشاً ﴾ أي الذين أهلكناهم كانوا أشد قوة من هؤلاء وأكثر عدة وعدّة[1] ولم يتعذر علينا ذلك فما الذي يؤمّن هؤلاء من مثله ﴿ فنقبوا في البلاد ﴾ أي فتحوا المسالك في البلاد بشدة بطشهم أصله من النقب وهو الطريق وقيل معناه ساروا في البلاد وطوّفوا فيها بقوتهم وسلكوا كل طريق وسافروا في أعمار طويلة ﴿ هل من محيص ﴾ أي هل من محيد عن الموت ومنجىً من الهلاك يعني لم يجدوا في جميع ذلك من الموت والهلاك منجىً ومهرباً ﴿ إن في ذلك ﴾ أي فيما أخبرته وقصصته ﴿ لذكرى ﴾ أي ما يعتبر به ويتفكر فيه ﴿ لمن كان له قلب ﴾ معنى القلب هنا العقل عن ابن عباس من قولهم أين ذهب قلبك وفلان قلبه معه وإنما قال ذلك لأن من لا يعي الذكر لا يعتد بماله من القلب وقيل لمن كان له قلب حيّ . عن قتادة ﴿ أو ألقىَ السمع وهو شهيد ﴾ أي استمع ولم يشغل قلبه بغير ما يستمع وهو شهيد لما يسمع فيفقهه غير غافل عنه ولا ساهٍ عن ابن عباس ومجاهد والضحاك

(١) في المخطوطة : مدة بدل عدة .

يقال ألق إليّ سمعك أي اسمع قال ابن عباس كان المنافقون يجلسون عند رسول الله ﷺ ثم يخرجون فيقولون ماذا قال آنفاً[١] ليس قلوبهم معهم وقيل هو شهيد على صفة النبي في الكتب السالفة يريد أهل الكتاب عن قتادة ﴿ **ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب** ﴾ أي نصب وتعب أكذب الله تعالى بهذا اليهود فإنهم قالوا استراح الله يوم السبت فلذلك لا تعمل[٢] فيه شيئاً ﴿ **فاصبر على ما يقولون** ﴾ يا محمد من بهتهم وكذبهم وقولهم أنك ساحر أو مجنون واحتمل ذلك حتى يأتي الله بالفرج وهذا قبل أن أمر الله بالقتال ﴿ **وسبح بحمد ربك** ﴾ أي وصلّ واحمد الله تعالى سمى الصلاة تسبيحاً لأن الصلاة تشتمل على التسبيح والتحميد عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وقيل أراد به التسبيح بالقول تنزيهاً لله تعالى عما لا يليق به ﴿ **قبل طلوع الشمس وقبل الغروب** ﴾ يعني صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر عن قتادة وابن زيد ﴿ **ومن الليل فسبحه** ﴾ يعني المغرب والعشاء الآخرة وقيل ومن الليل يعني صلاة الليل ويدخل فيه صلاة المغرب والعشاء عن مجاهد وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه سئل عن قوله ﴿**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**﴾ فقال تقول حين تصبح وحين تمسي عشرات مرات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ﴿ **وأدبار السجود** ﴾ فيه أقوال (أحدها) أن المراد به الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل الفجر عن علي بن أبي طالب (ع) والحسن بن علي (ع) والحسن والشعبي وعن ابن عباس مرفوعاً إلى النبي ﷺ (وثانيها) أنه التسبيح بعد كل صلاة عن ابن عباس ومجاهد (وثالثها) أنه النوافل بعد المفروضات عن ابن زيد والجبائي (ورابعها) أنه الوتر من آخر الليل روي ذلك عن أبي عبد الله (ع) .

﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ
قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾
إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ
عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ

(١) فيها أيضاً [أي]

(٢) وفي بعض النسخ : لا نعمل .

وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

[الإعراب] واستمع يوم ينادي المنادي تقديره واستمع حديث يوم ينادي المنادي فحذف المضاف وهو مفعول به وليس بالظرف ويوم يسمعون بدل من يوم ينادي المنادي وكذلك يوم تشقق الأرض ويجوز أن ينتصب يوم تشقق بقوله وإلينا المصير أي يصيرون إلينا في ذلك اليوم .

[المعنى] ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ والمراد به جميع المكلفين ﴿واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب﴾ أي اصغ إلى النداء وتوقعه يعني صيحة القيامة والبعث والنشور ينادي بها المنادي وهي النفخة الثانية ويجوز أن يكون المراد واستمع ذكر حالهم يوم ينادي المنادي وقيل أنه ينادي منادٍ من صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والأوصال المنقطعة واللحوم المتمزقة قومي لفصل القضاء وما أعد الله لكم من الجزاء عن قتادة وقيل أن المنادي هو إسرافيل يقول يا معشر الخلائق قوموا للحساب عن مقاتل وإنما قال من مكان قريب لأنه يسمعه الخلائق كلهم على حد واحد فلا يخفى على أحد قريب ولا بعيد فكأنهم نودوا من مكان يقرب منهم ﴿ يوم يسمعون الصيحة بالحق ﴾ والصيحة المرة الواحدة من الصوت الشديد وهذه الصيحة[1] هي النفخة الثانية وقوله بالحق أي بالبعث عن الكلبي وقيل يعني أنها كائنة حقاً عن مقاتل ﴿ ذلك يوم الخروج ﴾ من القبور إلى أرض الموقف وقيل هو اسم من أسماء القيامة عن أبي عبيدة واستشهد بقول الشاعر :

أَلَيْسَ يَوْمَ سُمِّيَ الْخُرُوجَا أَعْظَمُ يَوْمٍ رَجَّةً رُجُوجَاً

﴿ إنا نحن نحيي ونميت ﴾ أخبر سبحانه عن نفسه أنه هو الذي يحيي الخلق بعد أن كانوا جماداً أمواتاً ثم يميتهم بعد أن كانوا أحياء ثم يحييهم يوم القيامة وهو قوله ﴿ وإلينا المصير يوم تشقق ﴾ أي تتشقق ﴿ الأرض عنهم ﴾ تتصدع فيخرجون منها ﴿ سراعاً ﴾ يسرعون إلى الداعي بلا تأخير ﴿ ذلك حشر ﴾ والحشر الجمع بالسوق من كل جهة ﴿ علينا يسير ﴾ أي سهل علينا غير شاقّ هين غير متعذر مع تباعد ديارهم وقبورهم ثم عزّى سبحانه نبيه ﷺ فقال ﴿ نحن أعلم بما يقولون ﴾ أي بما يقوله هؤلاء الكفار في تكذيبك وجحود نبوتك وانكار البعث لا يخفى علينا من أمرهم شيء ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ أي بمسلط قادر على قلوبهم فتجبرهم على الإيمان وإنما بعثت منذراً داعياً مرغباً وهذا معنى قول ابن

(١) وفي نسخة : من النفخة الثانية .

عباس وقال تغلب جاءت أحرف على فعال بمعنى مفعل مثل دراك بمعنى مدرك وسراع بمعنى مسرع وسيف سقاط بمعنى مسقط وبكاء بمعنى مبكى قال علي بن عيسى لم يسمع من ذلك الإدرَاك من أدركت وقيل جبار من جبرته على الأمر بمعنى أجبرته وهي لغة كنانة وقيل معناه ما أنت عليهم بفظ غليظ لا تحلُم عنهم فاحتمل أذاهم ﴿ **فذكر بالقرآن من يخاف وعيد** ﴾ إنما خص بالذكر من يخاف وعيد الله لأنه الذي ينتفع به .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(٥١) سورة الذاريات مكية وآياتها ستون

[عدد آيها]

ستون آية بالإجماع .

[فضلها] أبي بن كعب عن النبي ﷺ من قرأ سورة الذاريات[١] أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل ريح هبّت وجرت في الدنيا وروى داود بن فرقد عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الذاريات في يومه أو ليلته أصلح الله له معيشته وأتاه برزق واسع ونور له في قبره[٢] بسراج يزهر إلى يوم القيامة .

[تفسيرها] لما ختم الله تعالى سورة قّ بالوعيد افتتح هذه السورة بتحقيق الوعيد فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾

(١) وفي بعض النسخ : في يومه وليلته .

(٢) وفي المخطوطة : ونور له قبره .

ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ ۖ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾

[اللغة] ذرت الريح التراب تذروه ذرواً إذا طيرته وأذرته تذريه بمعناه والحبك الطرايق التي تجري على الشيء كالطرائق التي ترى في السماء وفي الصافي من الماء إذا مرت عليه الريح وهو تكسر جار فيه ويقال للشعر الجعد حبك والواحد حباك وحبيكة والحبك حسن أثر الصنعة في الشيء واستواؤه يقال حبكه يحبكه ويحبُكه قال زهير في الحبك :

مُكَلَّلٌ بِأُصُولِ النَّجْمِ تَنْسِجُهُ ريحٌ خَرِيقٌ لِضَاحِي مَائِهِ حُبُكُ[1]

والخراص الكذاب والخرص الظن والحدس وسمي الحَزْر[2] حرصاً منه ويقال كم خرص أرضك بكسر الخاء وأصل الخرص القطع من قولهم خرص فلان كلاماً واخترصه إذا اقتطعه من غير أصل والغمرة من غمره الماء يغمره وغمره الدين إذا غطاه بكثرته والغَمْر السيد الكثير العطاء لأنه يغمر بعطائه .

[الإعراب] قال الزجاج يوم نصب على وجهين (أحدهما) أن يكون على معنى يقع الجزاء يومهم على النار يفتنون (والآخر) أن يكون لفظه لفظ نصب ومعناه معنى رفع لأنه مضاف إلى جملة كلام تقول يعجبني يوم أنت قائم ويوم أنت تقوم إن شئت فتحته وإن شئت رفعته كما قال الشاعر :

لَمْ يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقَتْ حَمَامَةٌ فِي غُصُونٍ ذَاتِ أَوْقَالِ[3]

وروي غير أن نطقت بالرفع لما أضاف غير إلى أن وليست بمتمكنة فتح وكذلك لما أضاف يوم إلى الجملة فتح وكما قرىء من خزي يومئذ ففتح يوم وهو في موضع خفض لأنك أضفته إلى غيرمتمكن وقيل أنه لما جرى في كلامهم ظرفاً بقي في موضع الرفع على ذلك

---

(١) كلل فلاناً : ألبسه الاكليل والنجم النبات والخريق : الريح الباردة الشديدة الهبابة والضاحي : البارز الظاهر، يصف روضه .

(٢) حزره أي قدره بظن .

(٣) الوَقَل : أصول السعف التي لم تستقص فبقيت بارزة في الجذع فأمكن المرتقي أن يرتقي فيها .

الاستعمال وجاء مفتوحاً كما جاء في قوله ومنا دون ذلك وقوله لقد تقطع بينكم .

[المعنى] ﴿ والذاريات ذروا ﴾ روي أن ابن الكوا سأل أمير المؤمنين علياً (ع) وهو يخطب على المنبر فقال ما الذاريات ذروا قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال ﴿ فالجاريات يسرا ﴾ قال السفن قال ﴿ فالمقسمات أمرا ﴾ قال الملائكة وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد فالذاريات الرياح تذرو التراب وهشيم النبت أي تفرقه ﴿ فالحاملات وقرا ﴾ السحاب تحمل ثقلاً من الماء من بلد إلى بلد فتصير موقرة به والوقر بالكسر ثقل الحمل على ظهرأو في[1] بطن والوقرثقل الأذن ﴿فالجاريات يسرا﴾ السفن تجري ميسرة على الماء جرياً سهلاً إلى حيث سيرت وقيل هي السحاب تجري يسرا إلى حيث سيرها الله من البقاع وقيل هي النجوم السبعة السيارة الشمس والقمر وزحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد ﴿ فالمقسمات أمراً ﴾ الملائكة يقسّمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به أقسم الله تعالى بهذه الأشياء لكثرة ما فيها من المنافع للعباد ولم تضمنه من الدلالة على وحدانية الله تعالى وبدائع صنعه وقيل أن التقدير فيها القسم برب هذه الأشياء لأنه لا يجوز القسم إلا بالله عز اسمه وقال أبو جعفر وأبو عبد الله (ع) أنه لا يجوز لأحد أن يقسم إلا بالله تعالى والله سبحانه يقسم بما يشاء من خلقه ثم ذكر المقسم عليه فقال ﴿ إنما توعدون ﴾ أي من الثواب والعقاب والجنة والنار ﴿ لصادق ﴾ أي صدق لا بد من كونه فهو اسم وضع موضع المصدر وقيل معناه ذو صدق كقوله عيشة راضية ﴿ وإن الدين لواقع ﴾ أي إن الجزاء وقيل أن الحساب لكائن يوم القيامة ثم أنشأ قسماً آخر فقال ﴿والسماء ذات الحبك﴾ أي ذات الطرائق الحسنة لكنا لا نرى تلك الحبك لبعدها عنا عن الحسن والضحاك وقيل ذات الخلق الحسن المستوي عن ابن عباس وقتادة وعكرمة والربيع وقيل ذات الحسن والزينة عن علي (ع) وروى علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا (ع) قال قلت له أخبرني عن قول الله تعالى ﴿ والسماء ذات الحبك ﴾ فقال محبوكة إلى الأرض وشبك بين أصابعه فقلت كيف تكون محبوكة إلى الأرض والله تعالى يقول رفع السماء بغير عمد فقال سبحان الله أليس يقول بغير عمد ترونها قلت بلى قال فثم عمد ولكن لا ترى فقلت فكيف ذلك جعلني الله فداك قال فبسط كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال هذه أرض الدنيا والسماء الدنيا فوقها قبة والأرض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة والأرض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة ثم هكذا إلى الأرض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة

(١) وفي المخطوطة : أو بطن .

فوقها قبة وعرش الرحمن فوق السماء السابعة وهو قوله ﴿ **خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن** ﴾ وصاحب الأمر وهو النبي ﷺ والوصي[1] علي بعده وهو على وجه الأرض وإنما يتنزل الأمر إليه من فوق من بين السماوات والأرضين قلت فما تحتنا إلا أرض واحدة قال وما تحتنا إلا أرض واحدة وان الست لفوقنا ﴿ **إنكم لفي قول مختلف** ﴾ هذا جواب القسم أي انكم يا أهل مكة في قول مختلف في قول محمد ﷺ فبعضكم يقول شاعر وبعضكم يقول مجنون وفي القرآن يقولون أنه سحر وكهانة ورجز وما سطره الأولون وقيل معناه منكم مكذب بمحمد ﷺ ومنكم مصدق به ومنكم شاك فيه وفائدته أن دليل الحق ظاهر فاطلبوا الحق بدليله وإلا هلكتم ﴿ **يؤفك عنه من أفك** ﴾ أي يصرف عن الإيمان به من صرف عن الخير أي المصروف عن الخيرات كلها من صرف عن هذا الدين وقيل معناه يؤفك عن الحق والصواب من أفك فدل ذكر القول المختلف على ذكر الحق فجازت الكناية عنه وقيل معناه يصرف عن هذا القول أي بسببه ومن أجله عن الإيمان من صرف فالهاء في عنه تعود إلى القول المختلف عن مجاهد فيكون الصارف لهم أنفسهم كما يقال فلان معجب بنفسه وأعجب بنفسه وكما يقال أين يذهب بك لمن يذهب في شغله وقيل أن الصارف لهم رؤساء البدع وأئمة الضلال لأن العامة تبع لهم ﴿ **قتل الخراصون** ﴾ أي لعن الكذابون يعني الذين يكذبون على الله وعلى رسوله وقيل معناه لعن المرتابون عن ابن عباس قال ابن الأنباري وإنما كان القتل بمعنى اللعنة هنا لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك ثم وصف سبحانه هؤلاء الكفار فقال ﴿ **الذين هم في غمرة** ﴾ أي في شبهة وغفلة غمرهم الجهل ﴿ **ساهون** ﴾ أي لاهون عما يجب عليهم وقيل هم في ضلالتهم متمادون عن ابن عباس وقيل في عمى مترددون عن قتادة وقيل أن أول مراتب الجهل السهو ثمّ الغفلة ثم الغمرة فتكون الغمرة عبارة عن المبالغة في الجهل أي هم في غاية الجهل ساهون عن الحق وعما يراد بهم ﴿ **يسئلون ايان يوم الدين** ﴾ أي متى وقت الجزاء انكاراً واستهزاءاً لا على وجه الاستفادة لمعرفته فأجيبوا بما يسوؤهم من الحق الذي لا محالة أنه نازل بهم فقيل ﴿ **يوم هم على النار يفتنون** ﴾ أي يكون هذا الجزاء في يوم يعذبون فيها ويحرقون بالنار وقال عكرمة ألم تر أن الذهب إذا أدخل النار قيل فتن أي فهؤلاء يفتنون بالإحراق كما يفتن الذهب بإحراق الغش الذي فيه ويقول لهم خزنة النار ﴿ **ذوقوا فتنتكم** ﴾ أي عذابكم وحريقكم ﴿ **هذا الذي كنتم به تستعجلون** ﴾ في الدنيا تكذيباً به واستبعاداً له فقد حصلتم الآن فيه وعرفتم صحته .

(١) وفي نسخة : والولي من بعده وفي نسخة : والوصي من بعده .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ
مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟
قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾
وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ
لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ
رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ
مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير حفص مثل ما بالرفع والباقون بالنصب .

[الحجة] قال أبو علي من رفع مثلاً جعله وصفاً لحق وجاز أن يكون مثل وإن كان مضافاً إلى معرفة صفة للنكرة لأن مثلاً لا يختص بالإضافة لكثرة الأشياء التي يقع التماثل بها بين المتماثلين فلما لم تخصه الإضافة ولم يزل عنه الإبهام والشياع الذي كان فيه قبل الإضافة بقي على تنكره فقالوا مررت برجل مثلك فلذلك في الآية لم يتعرف بالإضافة إلى أنكم تنطقون وان كان قوله انكم تنطقون بمنزلة نطقكم وما في قوله ﴿ مثل ما أنكم تنطقون ﴾ زائدة وأما من نصب فقال مثل ما انكم فيحتمل ثلاثة أضرب (أحدها) أنه لما أضاف مثل إلى مبني وهو قوله ﴿انكم﴾ بناه كما بنى يومئذ في نحو قوله ﴿من عذاب يومئذ﴾ و« على حين عاتبت المشيب على الصبى» وقوله :

لَمْ يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقَتْ حَمَامَةٌ فِي غُصُونٍ ذَاتِ أَوْ قَالِ

فغير في موضع رفع بأنه فاعل يمنع وإنما بنيت هذه الأسماء المبهمة نحو مثل ويوم وحين وغير إذا أضيفت إلى المبني لأنها تكتسي منه البناء لأن المضاف يكتسي من المضاف إليه ما فيه من التعريف والتنكير والجزاء والاستفهام تقول هذا غلام زيد وصاحب القاضي فيتعرف الإسم بالإضافة إلى المعرفة وتقول غلام من يضرب فيكون استفهاماً وتقول صاحب من يضرب أضرب فيكون جزاء فمن بنى هذه المبهمة إذا أضافها إلى مبني جعل البناء أحد ما

يكتسيه من المضاف إليه ولا يجوز على هذا جاءني صاحب الخمسة عشر ولا غلام هذا لأن هذين من الأسماء غير المبهمة والمبهمة في ابهامها وبعدها من الاختصاص كالحروف التي تدل على أمور مبهمة فلما أضيفت إلى المبنية جاز ذلك فيها والبناء على الفتح في مثل قول سيبويه (والقول الثاني) أن تجعل ما مع مثل بمنزلة شيء واحد وبنيته على الفتح وإن كانت ما زائدة وهذا قول أبي عثمان وأنشد في ذلك قول الشاعر :

وَتَـذاعَـى مِـنْـخَـراهُ بِـدَمٍ مِثْلَ مَا أَثْمَرَ حُمَّاضُ الْجَبَلِ[1]

فذهب إلى أن مثل مع ما بمنزلة شيء واحد وينبغي أن يكون أثمر صفة لمثل ما لأنه لا يخلو من أن يكون صفة له أو يكون مثلاً مضافاً إلى الفعل فلا تجوز الإضافة لأنا لم نعلم مثلاً أضيف إلى الفعل في موضع فكذلك لا نضيفه في هذا الموضع إلى الفعل فإذا لم تجز الإضافة كان وصفاً وإذا كان وصفاً وجب أن يعود منه إلى الموصوف ذكر فيحذف كما يحذف الذكر العائد من الصفة إلى الموصوف وقد يجوز أن لا يقدّر مثل مع ما كشيء واحد ولكن تجعله مضافاً إلى ما فيكون التقدير مثل شيء أثمره حماض الجبل فبني مثل على الفتح لإضافتها إلى ما وهو غير متمكن ولا يكون لأبي عثمان حينئذ في البيت حجة على كون مثل مع ما بمنزلة شيء واحد ويجوز أن يكون ما والفعل بمنزلة المصدر فيكون مثل أثمار الحمّاض فيكون كقوله ﴿ **وما كانوا بآياتنا يجحدون** ﴾ وقوله ﴿ **بما كانوا يكذبون** ﴾ (والقول الثالث) هو أن ينصب على الحال من النكرة في النطق وهو قول أبي عمرو الجرمي وذو الحال الذكر المرفوع في قوله لحق والعامل في الحال هو الحق لأنه من المصادر التي وصف بها ويجوز أن يكون الحال من النكرة الذي هو حق في قوله أنه لحق وإلى هذا ذهب أبو عمرو ولم يعلم أنه جعله حالاً من الذكر الذي في حق وهذا لا خلاف في جوازه وقد حمل أبو الحسن قوله تعالى ﴿ **فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا** ﴾ على الحال وذو الحال كل أمر حكيم وهو نكرة فهذه وجوه النصب في مثل ما .

[**الإعراب**] كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون يجوز أن يكون قليلاً خبر كان وفاعله ما يهجعون والتقدير كانوا قليلاً هجوعهم ويجوز أن يكون قليلاً صفة مصدر محذوف على تقدير كانوا يهجعون هجوعاً قليلاً فتكون ما زائدة ويهجعون خبر كان . ومن في قوله من الليل يجوز أن يكون بمعنى الباء كما يكون الباء بمعنى من في قوله عيناً يشرب بها عباد الله أي منها

(١) الحُمَاض : بقلة برّيّة تنبت أيام الربيع في مسايل الماء ولها ثمرة حمراء وهي من ذكور البقول .

فيكون التقدير كانوا يهجعون بالليل قليلاً وقيل ان قوله ما يهجعون بمنزلة هجوعهم وهو بدل من الواو في كانوا وقوله من الليل في موضع الصفة لقليل والتقدير كان هجوعهم قليلاً من الليل وقوله وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم ان رفعت آيات بالابتداء وجعلت في الأرض خبراً كان الضمير في قوله وفي أنفسكم كالضمير في خبر المبتدأ وان قدرت آيات مرتفعة بالظرف كان الضمير في قوله وفي أنفسكم كالضمير في الفعل كقولهم قام زيد وقعد والتقدير وفي أنفسكم آيات وكذا قوله فيما بعد وفي موسى أي وفي موسى آيات وفي هود آيات وفي ثمود آيات وفي قوم نوح آيات وفي عاد آيات .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه ما أعده لأهل الجنة فقال ﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾ مر تفسيره ﴿آخذين ما آتاهم ربهم﴾ أي ما أعطاهم من الخير والكرامة ﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾ يعني في دار التكليف ﴿محسنين﴾ يفعلون الطاعات ويحسنون إلى غيرهم بضروب الاحسان ثم ذكر احسانهم في أعمالهم فقال ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ أي كانوا يهجعون قليلاً من الليل يصلون أكثر الليل عن الزهري وإبراهيم والهجوع النوم بالليل دون النهار وقيل معناه كانوا قلّ ليلة تمر بهم إلا صلّوا فيها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) والمعنى كان الذي ينامون فيه كله قليلاً ويكون الليل اسماً للجنس وقال مجاهد لا ينامون كل الليل وقيل ان الوقف على قوله قليلاً على معنى كانوا من الناس قليلاً ثم ابتدأ فقال من الليل ما يهجعون فيكون ما بمعنى النفي عن الضحاك ومقاتل وهذا على نفي النوم عنهم البتة أي كانوا يحيون الليل بالقيام في الصلاة وقراءة القرآن وأقول ان ما اذا كان نفياً لا يتقدم عليه ما كان في حيزه إلا أن يتعلق قوله من الليل بفعل محذوف يدل عليه قوله يهجعون كما تقوله في قوله ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾ وكانوا فيه من الزاهدين ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ قال الحسن مدّوا الصلاة إلى الاسحار ثم أخذوا بالأسحار في الاستغفار وقال أبو عبد الله (ع) كانوا يستغفرون الله في الوتر سبعين مرة في السحر وقيل ان معناه وبالأسحار هم يصلون وذلك ان صلاتهم بالأسحار طلب منهم للمغفرة عن مجاهد ومقاتل والكلبي ثم ذكر سبحانه صدقاتهم فقال ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ والسائل هو الذي يسأل الناس والمحروم هو المحارَف[1] عن ابن عباس ومجاهد وقيل المحروم المتعفف الذي لا يسأل عن قتادة والزهري وقيل هو الذي لا سهم له في الغنيمة عن إبراهيم النخعي والأصل ان المحروم هو الممنوع الرزق بترك السؤال أو

(١) المحارف: المحروم المحدود اذا طلب فلا يُرزق، خلاف مبارك .

ذهاب المال أو خراب الضيعة أو سقوط السهم من الغنيمة لأن الانسان يصير فقيراً بهذه الوجوه ويريد سبحانه بقوله حق ما يلزمهم لزوم الديون من الزكوات وغير ذلك او ما الزموه أنفسهم من مكارم الاخلاق قال الشعبي اعياني ان اعلم ما المحروم وفرق قوم بين الفقير والمحروم بأنه قد يحرمه الناس بترك الاعطاء وقد يحرم نفسه بترك السؤال فإذا سأل لا يكون ممن حرم نفسه بترك السؤال وإنما حرمه الغير وإذا لم يسأل فقد حرم نفسه ولم يحرمه الناس ﴿وفي الأرض آيات﴾ أي دلالات بينات وحجج نيّرات ﴿للموقنين﴾ الذين يتحققون توحيد الله وإنما خص الموقنين لأنهم ينظرون فيها فيحصل لهم العلم بموجبها وآيات الأرض ما فيها من أنواع المخلوقات من الجبال والبحار والنبات والأشجار كل ذلك دالّ على كمال قدرته وحكمته .

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ وَاحِدٌ

﴿وفي أنفسكم﴾ أي وفي أنفسكم أيضاً آيات دلالات على وحدانيته ﴿أفلا تبصرون﴾ أي أفلا ترون أنها مصرفة من حال إلى حال ومنتقلة من صفة إلى أخرى إذ كنتم نطفاً فصرتم احياء ثم كنتم أطفالاً فصرتم شباباً ثم كهولاً فهلا دلكم ذلك على أن لها صانعاً صنعها ومدبراً دبرها ومصرفاً فاصرفها على مقتضى الحكمة وقيل إن المراد بذلك اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع عن ابن عباس في رواية عطاء وقيل يريد سبيل الخلاء والبول والأكل والشرب من مدخل واحد والمخرج من سبيلين وتم الكلام عند قوله ﴿وفي أنفسكم﴾ ثم عنفهم فقال أفلا تبصرون وقيل يعني انه خلقك سميعاً بصيراً تغضب وترضى وتجوع وتشبع وذلك كلّه من آيات الله تعالى عن الصادق (ع) وقيل إن المعنى أفلا تبصرون بقلوبكم نظر من كأنه يرى الحق بعينه ﴿وفي السماء رزقكم﴾ ينزله الله إليكم بأن يرسل الغيث والمطر عليكم فيخرج به من الأرض انواع ما تقتاتونه وتلبسونه وتنتفعون به ﴿وما توعدون﴾ من الثواب والعقاب عن عطاء وقيل من الجنة والنار عن مجاهد والضحاك وقيل معناه وفي السماء تقدير رزقكم أي ما قسمه لكم مكتوب في أم الكتاب وجميع ما توعدون في السماء أيضاً لأن الملائكة تنزل من السماء لقبض الأرواح ولاستنساخ الاعمال ولإنزال العذاب ويوم القيامة للجزاء والحساب كما قال ويوم تشقّق السماء بالغمام ونزّل الملائكة تنزيلاً ثم قال سبحانه ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق﴾ أقسم سبحانه بنفسه ان ما ذكر من امر الرزق والآيات حق لا شك فيه عن الزجاج وقيل يعني ان ما قضى في الكتاب كائن عن الكلبي ﴿مثل ما انكم تنطقون﴾ أي مثل نطقكم الذي تنطقون به فكما لا تشكون فيما تنطقون فكذلك لا

تشكوا في حصول ما وُعدتم به شبّه الله تعالى تحقق ما أخبر عنه بتحقّق نطق الآدمي ووجوده فأراد أنه لحق كما ان الآدمي ناطق وهذا كما تقول انه لحق كما انك هاهنا وانه لحق كما انك تتكلم والمعنى انه في صدقه وتحقق وجوده كالذي تعرفه ضرورة .

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

[اللغة] الروغ الذهاب إلى الشيء في خفية يقال راغ يروغ روغاً ورَوَغاناً وهو أروغ من ثعلب والصرة شدة الصياح وهو من صرير الباب ويقال للجماعة صرّةٌ أيضاً قال امرؤ القيس :

فَأَلْحَقَنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تُزَيَّلِ (١)

(١) الهاديات : المتقدمات ، الجواحر : المنخلفات ولم تزيل : لم تتفرق .

والصكّ الضرب باعتماد شديد وهو ان تصتك ركبتا الرجل والعقيم العاقر وأصل العقم الشدّ وجاء في الحديث تعقم اصلاب المشركين فلا يستطيعون السجود أي تشد وداء عقام إذا اشتد حتى إذا يأس منه ان يبرأ ومعاقم الفرس مفاصله يشد بعضها ببعض والعقيم والعقمة ثياب معلمة أي شدت بها الأعلام وعقمت المرأة فهي معقومة وعقيم من نساء عقم وعقمت أيضاً ورجل عقيم من قوم عقمى قال الشاعر :

عَقُمَ النِّسَاءُ فَمَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقْمِ

والريح العقيم التي لا تنشيء السحاب للمطر والملك عقيم يقطع الولادة لأن الأب يقتل الابن على الملك والخطب الأمر الجليل ومنه الخطبة لأنها كلام بليغ لعقد امر جليل يستفتح بالتحميد والتمجيد والخطاب اجل من الإبلاغ .

[**المعنى**] لمّا قدّم سبحانه الوعد والوعيد عقب ذلك بذكر بشارة إبراهيم ومهلك قوم لوط تخويفاً للكفار أن ينزل بهم مثل ما أنزل بأولئك فقال ﴿**هل أتاك**﴾ يا محمد وهذا اللفظ يستعمل إذا أخبر الإنسان بخبر ماض فيقال هل اتاك خبر كذا وإن علم انه لم يأته ﴿**حديث ضيف إبراهيم المكرمين**﴾ عند الله وذلك انهم كانوا ملائكة كراماً ونظيره قوله بل عباد مكرمون وقيل اكرمهم ابراهيم فرفع مجالسهم وخدمهم بنفسه عن مجاهد[1] لأن اضياف الكرام مكرمون وكان إبراهيم اكرم الناس وأظهرهم فتوّة وسماهم ضيفاً من غير أن اكلوا من طعامه لأنهم دخلوا مدخل الأضياف واختلف في عددهم فقيل كانوا اثني عشر ملكاً عن ابن عباس ومقاتل وقيل كان جبرائيل ومعه سبعة املاك عن محمد بن كعب وقيل كانوا ثلاثة جبرائيل وميكائيل وملك آخر ﴿**إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً**﴾ أي حين دخلوا على إبراهيم فقالوا له على وجه التحية سلاماً أي اسلم سلاماً فقال لهم جواباً عن ذلك سلام وقرىء سلم وهذا مفسر في سورة هود ﴿**قوم منكرون**﴾ أي قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وذلك انه ظنهم من الانس ولم يعرفهم عن ابن عباس والانكار نفي صحة الأمر ونقيضه الاقرار والاعتراف ﴿**فراغ إلى أهله**﴾ أي ذهب إليهم خفياً وإنما راغ مخافة أن يمنعوه من تكلف مأكول كعادة الظرفاء ﴿**فجاء بعجل سمين**﴾ وكان مشوياً لقوله في آية أخرى حينئذ قال قتادة وكان عامة مال إبراهيم (ع) البقر ﴿**فقرّبه إليهم**﴾ ليأكلوا فلم يأكلوا فلما رآهم لا يأكلون عرض عليهم ﴿**فقال ألا تأكلون**﴾ وفي الكلام حذف كما ترى ﴿**فأوجس منهم خفية**﴾ أي

---

(١) [وقيل]

فلما امتنعوا من الاكل اوجس منهم خيفة والمعنى خاف منهم وظن أنهم يريدون به سوءاً ﴿قالوا﴾ أي قالت الملائكة ﴿لا تخف﴾ يا إبراهيم ﴿وبشّروه بغلام عليم﴾ أي يكون عالماً إذا كبر وبلغ والغلام المبشر به هو إسماعيل عن مجاهد وقيل هو إسحاق لأنه من سارة وهذه القصة لها عن أكثر المفسرين وهذا كله مفسر فيما مضى ﴿فأقبلت امرأته في صرة﴾ أي فلما سمعت البشارة امرأته سارة أقبلت في ضجة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل في جماعة عن الصادق (ع) وقيل في رفقه[1] عن سفيان والمعنى أخذت تصيح وتولول كما قالت يا ويلتي ﴿فصكت وجهها﴾ أي جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجباً عن مقاتل والكلبي وقيل لطمت وجهها عن ابن عباس والصك ضرب الشيء بالشيء العريض ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ أي أنا عجوز عاقر فكيف ألد ﴿قالوا كذلك قال ربك﴾ أي كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاماً فلا تشكي فيه ﴿إنه هو الحكيم العليم﴾ بخفايا الأمور ﴿قال﴾ إبراهيم (ع) لهم ﴿فما خطبكم﴾ أي فما شأنكم ولأي امر جئتم ﴿أيها المرسلون﴾ وكأنه قال قد جئتم لأمر عظيم فما هو ﴿قالوا انا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ أي عاصين لله كافرين لنعمه استحقوا العذاب والهلاك وأصل الجرم القطع فالمجرم القاطع للواجب بالباطل فهؤلاء اجرموا بأن قطعوا الإيمان بالكفر ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك﴾ هذا مفسر في سورة هود ﴿للمسرفين﴾ أي للمكثرين من المعاصي المتجاوزين الحد فيها وقيل أرسلت الحجارة على الغائبين وقلبت القرية بالحاضرين ﴿فأخرجنا من كان فيها﴾ أي في قرى قوم لوط ﴿من المؤمنين﴾ وذلك قوله فأسر بأهلك الآية وذلك أن الله تعالى أمر لوطاً بأن يخرج هو ومن معه من المؤمنين لئلا يصيبهم العذاب ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ أي غير أهل بيت من المسلمين يعني لوطاً وبنتيه وصفهم الله بالإيمان والإسلام جميعاً لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم والإيمان هو التصديق بجميع ما أوجب الله التصديق به والإسلام هو الاستسلام لوجوب عمل الفرض الذي أوجبه الله وألزمه ووجدان الضالة هو ادراكها بعد طلبها ﴿وتركنا فيها﴾ أي وأبقينا في مدينة قوم لوط ﴿آية﴾ أي علامة ﴿الذين يخافون العذاب الأليم﴾ أي تدلهم على أن الله أهلكهم فيخافون مثل عذابهم والترك في الأصل ضد الفعل ينافي الأخذ في محل القدرة عليه والقدرة عليه قدرة على الأخذ وعلى هذا فالترك غير داخل غير داخل في أفعال الله تعالى فالمعنى هنا انا أبقينا فيها عبرة ومثله قوله وتركهم في ظلمات وقيل انه الانقلاب لان الاقتلاع البلدان لا يقدر عليه إلا الله تعالى .

---

(١) وفي نسختين: في رنة

﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ
إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ
سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ
مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن
شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ
لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ
وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾

[القراءة] قرأ الكسائي الصعقة والباقون الصاعقة بالألف وقرأ أبو عمرو وأهل الكوفة غير عاصم وقوم نوح بالجر والباقون قوم نوح بالنصب .

[الحجة] قال أبو علي قال أبو زيد الصاعقة التي تقع من السماء والصاقعة التي تصقع الرؤوس وقال الأصمعي الصاعقة والصاقعة سواء وانشد الأصمعي :

يَحْكُونَ بِالْمَصْقُولَةِ الْقَوَاطِعِ تَشَقُّقَ الْبَرْقِ مِنَ الصَّوَاقِعِ

وأما الصعقة فقيل انها مثل الزجرة وهو الصوت الذي يكون عن الصاعقة قال بعض الرجاز

لاحَ سَحَابٌ فَرَأَيْنَا بَرْقَهُ ثُمَّ تَدَانَى فَسَمِعْنَا صَعْقَهُ

ومن جرّ قوم نوح حمله على قوله وفي موسى أي أي وفي قوم نوح وقوله وفي موسى إذ أرسلناه عطف على أحد شيئين اما ان يكون على وتركنا فيها آية وفي موسى أو على قوله وفي الأرض آيات للموقنين وفي موسى أي وفي ارسال موسى آيات واضحة وفي قوم نوح آية ومن نصب فقال وقومَ نوح جاز في نصبه أيضاً امران كلاهما حمل على المعنى (أحدهما) ان

قوله اخذتهم الصاعقة يدل على اهلكناهم فكأنه قال وأهلكنا قوم نوح (والآخر) ان قوله فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم يدل على اغرقناهم فكأنه قال أغرقناهم وأغرقنا قوم نوح .

[اللغة] الركن الجانب الذي يعتمد عليه يقال رَكِن يركَن ورَكَن يركُن أيضاً مثل نصر ينصر . والمليم الذي أتى بما يلام عليه والملوم الذي وقع به اللوم وفي المثل رب لائم مليم ورب ملوم لا ذنب له والعتو والتجبر والتكبر واحد وجمع الريح ارواح ورياح ومنه راح الرجل إلى منزله أي رجع كالريح والرميم الذي انتفى رمه بانتفاء ملائمة بعضه لبعض وأما رمّه يُرِمّه رمّاً والشيء مرموم اي مصلح بملائمة بعضه لبعض وأصل الرميم السحيق البالي من العظم .

[المعنى] ثم بيّن سبحانه ما نزل بالأمم فقال ﴿وفي موسى﴾ أي وفي موسى أيضاً آية ﴿إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين﴾ أي بحجة ظاهرة وهي العصا ﴿فتولى بركنه﴾ أي فأعرض فرعون عن قبول الحق بما كان يتقوى به من جنده وقومه كالركن الذي يقوى به البنيان والباء في قوله بركنه للتعدية اي جعلهم يتولون ﴿وقال﴾ لموسى ﴿ساحر أو مجنون﴾ أي هو ساحر أو مجنون وفي ذلك دلالة على جهل فرعون لأن الساحر هو اللطيف الحيلة وذلك ينافي صفة المجنون المختلط العقل فكيف يوصف شخص واحد بهاتين الصفتين ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم﴾ أي فطرحناهم في البحر كما يلقى الشيء في البر ﴿وهو مليم﴾ أتى بما يلام عليه من الكفر والجحود والعتوّ ﴿وفي عاد﴾ عطف على ما تقدم أي وفي عاد أيضاً آية أي دلالة فيها عظة وعبرة ﴿إذ أرسلنا عليهم﴾ أي حين اطلقنا عليهم ﴿الريح العقيم﴾ وهي التي عقمت عن أن تأتي بخير من تنشئة سحاب أو تلقيح شجر أو تذرية طعام أو نفع حيوان فهي كالمرأة الممنوعة عن الولادة إذ هي ريح الاهلاك ثم وصفها فقال ﴿ما تذر من شيء أتت عليه﴾ أي لم تترك هذه الريح شيئاً تمر عليه ﴿إلا جعلته كالرميم﴾ أي كالشيء الهالك البالي وهو نبات الأرض إذا يبس وديس وقيل الرميم العظم البالي السحيق ﴿وفي ثمود﴾ أيضاً آية ﴿إذ قيل لهم تمتعوا﴾ وذلك انهم لما عقروا الناقة قال لهم صالح تمتعوا ثلاثة أيام وهو قوله ﴿تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم﴾ أي فخرجوا عن أمر ربهم ترفعاً عنه واستكباراً ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ بعد مضيّ الأيام الثلاثة وهو الموت عن ابن عباس وقيل هو العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك عن مقاتل ﴿وهم ينظرون﴾ اليها جهاراً لا يقدرون على دفعها ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ أي من نهوض والمعنى انهم لم ينهضوا من تلك الصرعة ﴿وما كانوا منتصرين﴾ أي ممتنعين من العذاب وقيل معناه ما كانوا طالبين ناصراً يمنعهم من عذاب الله ﴿وقوم نوح﴾ أي وأهلكنا قوم نوح من ﴿قبل﴾ أي من

قبل عاد وثمود ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ أي خارجين عن طاعة الله إلى معاصيه وعن الإيمان إلى الكفر فاستحقوا لذلك الإهلاك .

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا
بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ
إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم
مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا
قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾
فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾
مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ
ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن
يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة يحيى والأعمش ذو القوة المتين بالخفض .

[الحجة] قال ابن جني هذا يحتمل امرين (أحدهما) أن يكون وصفاً للقوة وذكره على معنى الحبل يريد قوى الحبل كقوله فقد استمسك بالعروة الوثقى (والآخر) أن يكون

المراد الرفع وصفاً للرزاق إلا أنه جاء على لفظ القوة لجوارها إياه على قولهم هذا جحر ضبّ خرب فهذا ضعيف .

[اللغة] ألا يد القوة يقال آد الرجل يأيد ايداً إذا اشتد وقوي والمؤيّد الأمر العظيم والايساع الاكثار من اذهاب الشيء في الجهات والماهد هو الموطيء للشيْء وهو المهيىء لما يصلح الاستقرار عليه يقال مهد يمهد مهداً ومهد تمهيداً مثل وطيء توطئة والتواصي ان يوصي القوم بعضهم الى بعض والوصية التقدمة في الأمر بالأشياء المهمة مع النهي عن المخالفة وأصل الذنوب الدلو الممتليء ماء يؤنث ويذكر قال:

لَنَا ذَنُوبٌ وَلَكُمْ ذَنُوبٌ فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَنَا الْقَلِيبُ(١)

وقال علقمة:

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ فَحَقَّ لِشَاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ(٢)

[المعنى] ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ تقديره وبنينا السماء بنيناها بقوة عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقتادة أي خلقناها ورفعناها على حسن نظامها ﴿وإنا لموسعون﴾ أي قادرون على خلق ما هو أعظم منها عن ابن عباس وقيل معناه وأنا لموسعون الرزق على الخلق بالمطر عن الحسن وقيل معناه وإنا لذو سعة لخلقنا أي قادرون على رزقهم لا نعجز عنه فالموسع ذو الوسع والسعة أي الغنى والجدة ﴿والأرض فرشناها﴾ أي وفرشنا الأرض فرشناها أي بسطناها ﴿فنعم الماهدون﴾ نحن إذ فعلنا ذلك للمنافع ومصالح العباد لا لجر نفع ولا لدفع ضرر ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ أي وخلقنا من كل شيء صنفين مثل الليل والنهار والأرض والسماء والشمس والقمر والجن والإنس والبر والبحر والنور والظلمة عن الحسن ومجاهد وقيل الزوجين الذكر والأنثى عن ابن زيد ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي لكي تعلموا أن خالق الأزواج واحد فرد لا يشبهه شيء ﴿ففروا إلى الله﴾ أي فاهربوا من عقاب الله إلى رحمته وثوابه بإخلاص العبادة له وقيل ففروا إلى الله بترك جميع ما يشغلكم عن طاعته ويقطعكم عما أمركم به وقيل معناه حجوا عن الصادق (ع) ﴿إني لكم منه﴾ أي من الله ﴿نذير﴾ مخوّف من عقابه ﴿مبين﴾ لكم ما أرسلت به ﴿ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر﴾ أي لا تعبدوا معه معبوداً آخر من الأصنام والأوثان ﴿إني لكم منه نذير مبين﴾ والوجه في تكريره أن

(١) يقسم الماء ويقول: لنا دلو منه ولكم دلو فإن لم ترضوا بالقسمة فنقهركم نملك الماء نحن فقط .

(٢) خبط زيد عمراً بخير: اعطاه من غير معرفة بينهما وشاس اخو الشاعر .

الثاني منعقد بغير ما انعقد به الأول إذ تقديره اني لكم منه نذير في الامتناع من جعل إله آخر معه وتقدير الأول إني لكم منه نذير في ترك القرار اليه بطاعته فهو كقولك انذرك ان تكفر بالله أنذرك ان تتعرض لسخط الله والنذير المخبر بما يحذر منه وهو يقتضي المبالغة والمنذر صفة جارية على الفعل والمبين الذي يأتي ببيان الحق من الباطل ثم قال ﴿كذلك﴾ أي الأمر كذلك وهو انه ﴿ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾ أي لم يأت الذين من قبلهم يعني كفار مكة من الأمم رسول إلا قالوا ساحر محتال بالحيل اللطيفة أو مجنون به جنون فهو مغطّى على عقله بما لا يتوجه للادراك به ثم قال سبحانه ﴿اتواصوا به﴾ أي أوصى أولهم آخرهم بالتكذيب والاستفهام للتوبيخ ﴿بل هم قوم طاغون﴾ معناه لم يتواصوا بذلك لكنهم طاغون طغوا في معصية الله وحملهم الطغيان فيما أعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيب أنبيائي ثم قال للنبي ﷺ ﴿فتولّ عنهم﴾ أي فأعرض عنهم يا محمد فقد بلّغت وأنذرت وهو قوله ﴿فما أنت بملوم﴾ أي في كفرهم وجحودهم بل اللائمة والذم عليهم من حيث لا يقبلون ما تدعوهم إليه قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله ﷺ والمؤمنون وظنوا أن الوحي قد انقطع وان العذاب قد حل حتى نزلت الآية الثانية وروي بالإسناد عن مجاهد قال خرج علي بن أبي طالب (ع) مغتماً مشتملاً في قميصه فقال لما نزلت فتول عنهم فما أنت بملوم لم يبق أحد منا إلا أيقن بالهلكة حين قيل للنبي ﷺ فتول عنهم فلما نزل ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ طابت نفوسنا ومعناه عِظْ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكر تنفعهم عن الكلبي ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدوني﴾ أي لم أخلق الجن والإنس إلا لعبادتي والمعنى لعبادتهم إياي عن الربيع فإذا عبدوني استحقوا الثواب وقيل إلا لآمرهم وأنهاهم وأطلب منهم العبادة عن مجاهد واللام لام الغرض والمراد أن الغرض في خلقهم تعريضهم للثواب وذلك لا يحصل إلا بأداء العبادات فصار كأنه سبحانه خلقهم للعبادة انه إذا لم يعبده قوم لم يبطل الغرض ويكون كمن هيّأ طعاماً لقوم ودعاهم ليأكلوه فحضروا ولم يأكله بعضهم فإنه لا ينسب إلى السفه ويصح غرضه فإن الأكل موقوف على اختيار الغير وكذلك المسألة فإن الله إذا أزاح علل المكلفين من القدرة والآلة والالطاف وأمرهم بعبادته فمن خالف فقد أتي من قبل نفسه لا من قبله سبحانه وقيل معناه إلا ليقروا بالعبودية طوعاً وكرهاً عن ابن عباس ﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ هذا نفي الإيهام عن خلقهم لعبادته ان يكون ذلك لعائدة نفع يعود عليه تعالى فبين أنه لعائدة النفع على الخلق دونه تعالى لاستحالة النفع عليه لأنه غني لنفسه فلا يحتاج الى غيره وكل الخلق يحتاج إليه وقيل معناه ما أريد أن يرزقوا أحداً من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم وما أريد

أن يطعموا أحداً من خلقي وانما أسند الإطعام الى نفسه لأن الخلق كلهم عيال الله ومن أطعم عيال احد فقد أطعمه ﴿ان الله هو الرزاق﴾ لعباده وللخلائق كلهم فلا يحتاج الى معين ﴿ذو القوة﴾ أي ذو القدرة ﴿المتين﴾ أي القوي الذي يستحيل عليه العجز والضعف إذ هو القادر لنفسه يقال متُن متانة فهو متين إذا قوي ﴿فإن الذين ظلموا﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿ذنوباً مثل ذنوب اصحابهم﴾ أي نصيباً من العذاب مثل نصيب اصحابهم الذين هلكوا نحو قوم نوح وعاد وثمود ﴿فلا يستعجلون﴾ بإنزال العذاب عليهم فإنهم لا يفوتون ﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾ هذا يدل على أنهم أخّروا إلى يوم القيامة والويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في الهلكة .

[النظم] وجه اتصال قوله ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ بما قبله هو أنه في قوم نوح آية وفي السماء أيضاً آية فهو متصل به في المعنى .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



[عدد آيها]

تسع وأربعون آية كوفي شامي وثمان بصري وسبع حجازي .

[اختلافها] آيتان والطور عراقي شامي دعاً كوفي شامي .

[فضلها] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال ومن قرأ سورة والطور[1] كان حقاً على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بالطور في المغرب وروى محمد بن هشام عن أبي جعفر (ع) قال من قرأ سورة الطور جمع الله له خير الدنيا والآخرة .

[تفسيرها] لما ختم الله سورة الذاريات بالوعيد افتتح هذه السورة بوقوع الوعيد فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ

(١) في بعض النسخ : سورة الطور .

مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾
ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ
دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ
أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ
عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

[اللغة] قال المبرد يقال لكل جبل طور فإذا دخلت الألف واللام للمعرفة فهو لشيء بعينه والرقّ جلد يكتب فيه وأصله من اللمعان يقال ترقرق الشيء إذا لمع والرقراق ترقرق السراب والمسجور المملوء يقال سجرت التنور أي ملأتها ناراً وعين سجراء ممتلئة فيها حمرة كأنها احمرت مما هو حولها كالسجار للتنور قال لبيد:

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيِّ فَصَدَّعَا مَسْجُورَةً مُتَجَاوِراً قُلَّامُهَا(١)

والمور تردد الشيء بالذهاب والمجيء كما يتردد الدخان ثم يضمحل مار يمور موراً فهو مائر وروى بيت الأعشى :

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَوْرُ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ

وقيل مر السحابة والخوض الدخول في الماء بالقدم وشبه به الدخول في القول والدع الدفع يقال دعه يدعّه دعّاً وصكّه يصكّه صكّاً مثله .

[الإعراب] والطور الواو للقسم وما بعده عطف عليه والعامل في قوله ﴿ يوم تمور السماء موراً ﴾ قوله واقع أي يقع في ذلك اليوم ويجوز أن يكون يوم هاهنا على تقدير إذا ويكون العامل فيه جوابه وهو الفاء وما بعده من قوله ﴿ فويل يومئذ للمكذبين ﴾ كما جاء ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ﴾ وقوله ﴿ ويوم يدعّون ﴾ بدل من قوله ﴿ يوم تمور السماء ﴾ وإن شئت كان التقدير فيه يوم يدعّون إلى نار جهنم دعّاً يقال لهم هذه

(١) مر البيت في ج ٦

النار التي كنتم بها تكذبون فيعمل فيه يقال. ﴿ أفسحر هذا ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ أم أنتم ﴾ أي بل أنتم لا تبصرون .

[المعنى] ﴿ والطور ﴾ أقسم الله سبحانه بالجبل الذي كلم عليه موسى (ع) بالأرض المقدسة عن الجبائي وجماعة من المفسرين وقيل هو الجبل أقسم به لما أودع فيه من أنواع نعمه عن مجاهد والكلبي ﴿ وكتاب مسطور ﴾ أي مكتوب وهو الكتاب الذي كتبه الله لملائكته في السماء يقرؤون فيه ما كان وما يكون وقيل هو القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ وهو الرق المنشور وقيل هو صحائف الأعمال التي تخرج إلى بني آدم يوم القيامة فمنهم آخذ كتابه بيمينه وآخذ بشماله وهذا كقوله ﴿ ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ﴾ عن الفراء وقيل هو التوراة كتبها الله لموسى فخص الطور بالذكر لبركتها وكثرة منافعها في الدنيا وذكر الكتاب لعظم موقعها من الدين عن الكلبي وقيل أنه القرآن يكتبه المؤمنون ﴿ في رق منشور ﴾ أي وينشرونه لقراءته والرق ما يكتب فيه وقيل الرق هو الورق عن أبي عبيدة وقيل إنما ذكر الرق لأنه من أحسن ما يكتب فيه وإذا كتبت الحكمة فيما هو على هذه الصفة كان أبهى والمنشور المبسوط ﴿ والبيت المعمور ﴾ وهو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة تعمره الملائكة بما يكون منها فيه من العبادة عن ابن عباس ومجاهد وروي أيضاً عن أمير المؤمنين (ع) قال ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه أبداً وروي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال البيت المعمور في السماء الدنيا وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل كل يوم طلعت فيه الشمس وإذا خرج انتفض انتفاضة جرت منه[1] سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكاً يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلّون فيه فيفعلون ثم لا يعودون إليه أبداً وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ البيت الذي في السماء الدنيا يقال له الضراح وهو بفناء البيت الحرام لو سقط سقط عليه يدخله كل يوم ألف[2] ملك لا يعودون إليه[3] أبداً وقيل البيت المعمور هو الكعبة البيت الحرام معمور بالحج والعمرة عن الحسن وهو أول مسجد وضع للعبادة في الأرض ﴿ والسقف المرفوع ﴾ هو السماء عن علي (ع) ومجاهد وقتادة وابن زيد قالوا هي كالسقف للأرض رفعها الله ﴿ والبحر المسجور ﴾ أي المملوء عن قتادة وقيل هو الموقد المحمى بمنزلة التنور عن مجاهد والضحاك والأخفش وابن زيد ثم قيل أنه تحمى البحار يوم القيامة فتجعل نيراناً ثم تفجر بعضها في بعض ثم تفجر إلى النار ورد به

---

(١) في المخطوطة: عنه . (٢) في نسخة: سبعون ألف ملك . (٣) في بعض النسخ : فيه .

الحديث ﴿ ان عذاب ربك لواقع ﴾ هذا جواب القسم أقسم الله بهذه الأشياء للتنبيه على ما فيها من عظيم القدرة على أن تعذيب المشركين حق واقع لا محالة ﴿ ما له من دافع ﴾ يدفع عنهم ذلك العذاب ثم بين سبحانه أنه متى يقع فقال ﴿ يوم تمور السماء موراً ﴾ أي تدور دوراناً وتضطرب وتموج وتتحرك وتستدير كل هذه من عبارات المفسرين ﴿ وتسير الجبال سيراً ﴾ أي تسير الجبال وتزول من أماكنها حتى تستوي الأرض ﴿ فويل يومئذ للمكذبين ﴾ دخلت الفاء لأن في الكلام معنى المجازاة والتقدير إذا كان هذا فويل لمن يكذب الله ورسوله ﴿ الذين هم في خوض ﴾ أي في حديث باطل يخوضون وهو الحديث الذي كان يخوض فيه الكفار من انكار البعث وتكذيب النبي ﷺ ﴿ يلعبون ﴾ أي يلهون بذكره ﴿ يوم يدعون ﴾ أي يدفعون ﴿ إلى نار جهنم دعا ﴾ أي دفعاً بعنف وجفوة قال مقاتل هو أن تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعون إلى جهنم دفعاً على وجوههم حتى إذا دنوا قال لهم خزنتها ﴿ هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ في الدنيا ثم وبخوهم[1] لما عاينوا بما كانوا يكذبون به وهو قوله ﴿ أفسحر هذا ﴾ الذي ترون أنتم ﴿ أم أنتم لا تبصرون ﴾ وذلك أنهم كانوا ينسبون محمداً ﷺ إلى السحر وإلى أنه يغطي على الأبصار بالسحر فلما شاهدوا ما وعدوا به من العذاب وبخوا بهذا ثم يقال لهم ﴿ اصلوها ﴾ أي قاسوا شدتها ﴿ فاصبروا ﴾ على العذاب ﴿ أولا تصبروا ﴾ عليه ﴿ سواء عليكم ﴾ الصبر والجزع ﴿ إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ في الدنيا من المعاصي بكفركم وتكذيبكم الرسول .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ
وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ
ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ
عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ
عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم

(١) وفي بعض النسخ : وبّخهم .

بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا
وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ
مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا
إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ
ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

[القراءة] قرأ أبو عمرو واتبعناهم بالنون والألف وقطع الهمزة ذرياتهم بالألف وكسر التاء ألحقنا بهم ذرياتهم كذلك وقرأ أهل المدينة واتبعتهم بالتاء ووصل الهمزة ذريتهم بالرفع ألحقنا بهم ذرياتهم على الجمع وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة واتبعتهم ذريتهم ألحقنا بهم ذريتهم كذلك وقرأ ابن عامر ويعقوب وسهل اتبعتهم ذرياتهم جمع[1] ألحقنا بهم ذرياتهم أيضاً وقرأ ابن كثير وما التناهم بكسر اللام والباقون التناهم بفتح اللام وقرأ أهل المدينة والكسائي أنه هو البر الرحيم بالفتح والباقون أنه بالكسر وفي الشواذ قراءة عبد الله وإبراهيم وزوجناهم بعيس عين وقراءة الأعرج وما آلتناهم على أفعلناهم .

[الحجة] قال أبو علي الذرية تقع على الصغير والكبير فالأول نحو قوله ﴿ ذرية طيبة ﴾ والثاني نحو قوله ﴿ ومن ذريته داود وسليمان ﴾ فإن حملت الذرية في الآية على الصغار كان قوله ﴿ بإيمان ﴾ في موضع نصب على الحال من المفعولين أي اتبعتهم بإيمان من الآباء ذريتهم ألحقنا الذرية بهم في أحكام الإسلام فجعلناهم في حكمهم في أنهم يرثون ويورثون ويدفنون في مقابر المسلمين وحكمهم حكم الآباء في أحكامهم إلا فيما كان موضوعاً عن الصغير لصغره وإن جعلت الذرية للكبار كان قوله بإيمان حالاً من الفاعلين الذين هم ذريتهم أي ألحقنا بهم ذريتهم في احكام الدنيا والثواب في الآخرة ﴿ وما ألتناهم من عملهم ﴾ أي من جزاء عملهم من شيء كما قال فلا تظلم نفس شيئاً وكما قال ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ومن قرأ ذريتهم فأفرد فلأن الذرية تقع على الكثرة فاستغنى بذلك عن جمعه وكذا القول في بهم ذريتهم في أنه أفرد ذريتهم

(١) ليس في بعضها لفظة جمع .

والحق التاء في اتبعتهم لتأنيث الإسم ومن جمعه فلأن المجموع قد يجمع نحو أقوام وطرقات وفي الحديث أنكنّ صواحبات يوسف ومن قرأ التناهم بكسر اللام فيشبه أن يكون فعلنا لغة كما قالوا نَقَم ينقِم ونقِم ينقَم ومن قرأ ندعوه أنه بالفتح فالمعنى لأنه هو البر الرحيم ومن كسر قطع الكلام عما قبله واستأنف قال ابن جني المرأة العيساء البيضاء ومثله جمل أعيس وناقة عيساء قال كأنها البكرة العيساء ويقال ألته يألته ألتاً وآلته يولته إيلاتاً ولاته يليته ليتاً وولته يلته ولتاً أي نقصه قال الحطيئة :

أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِي سَعْدٍ مُغَلْغَلَةً ... جَهْدَ الرِّسَالَةِ لَا أَلْتاً وَلَا كَذِباً

[المعنى] لما تقدم وعيد الكفار عقبه سبحانه بالوعد للمؤمنين فقال ﴿ إن المتقين ﴾ الذين يجتنبون معاصي الله خوفاً من عقابه ﴿ في جنات ﴾ أي في بساتين تجنّها الأشجار ﴿ ونعيم ﴾ أي وفي نعيم ﴿ فاكهين بما آتاهم ربهم ﴾ أي متنعّمين بما أعطاهم ربهم من أنواع النعيم وقيل فاكهين معجبين بما آتاهم ربهم عن الزجاج والفراء ﴿ووقاهم﴾ أي وصرف عنهم ﴿ ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا ﴾ أي يقال لهم كلوا واشربوا ﴿ هنيئاً بما كنتم تعملون ﴾ أكلاً وشرباً هنيئاً مأمون العاقبة من التخمة والسقم ثم ذكر حالهم في الأكل والشرب فقال ﴿ متكئين على سرر مصفوفة ﴾ والسرر جمع سرير والمصفوفة المصطفة الموصول بعضها ببعض وقيل إن في الكلام حذفاً تقديره متكئين على نمارق موضوعة على سرر لكنه حذف لأن اللفظ يدل عليه من حيث إن الاتّكاء جلسة راحة ودعة ولا يكون ذلك إلا على الوسائد والنمارق ﴿ وزوجناهم بحور عين ﴾ فالحور البيض النقيات في حسن وكمال والعين الواسعات الأعين في صفاء وبهاء ومعناه قرنّا هؤلاء المتقين بحور عين على وجه التمتيع لهم والتنعيم وعن زيد بن أرقم قال جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ فقال يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون فقال والذي نفسي بيده إن الرجل منهم ليؤتى قوة مائة رجل على الأكل والشرب والجماع قال فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال عرق يفيض مثل ريح المسك فإذا كان ذلك ضمر بطنه ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ﴾ يعني بالذرية أولادهم الصغار والكبار لأن الكبار يتبعون الآباء بإيمان منهم والصغار يتبعون الآباء بإيمان من الآباء فالولد يحكم له بالإسلام تبعاً لوالده واتبع بمعنى تبع ومن قرأ وأتبعناهم فهو منقول من تبع ويتعدى إلى المفعولين وقيل الإتباع إلحاق الثاني بالأول في معنى يكون الأول عليه لأنه لو ألحق به من غير أن يكون في معنى هو عليه لم يكن إتباعاً وكان إلحاقاً والمعنى أنا نلحق الأولاد بالآباء في الجنة والدرجة من أجل

إيمان الآباء لتقرّ أعين الآباء باجتماعهم معهم في الجنّة كما كانت تقرُّ بهم في الدنيا عن ابن عباس والضحاك وابن زيد وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنهم البالغون ألحقوا بدرجات آبائهم وان قصرت أعمالهم تكرمة لآبائهم فإن قيل كيف يلحقون بهم في الثواب ولم يستحقوه فالجواب أنهم يلحقون بهم في الجمع لا في الثواب والمرتبة وروى زاذان عن علي (ع) قال قال رسول الله ﷺ إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ثم قرأ هذه الآية وروي عن الصادق قال أطفال المؤمنين يهدون إلى آبائهم يوم القيامة ﴿ **وما ألتناهم من عملهم من شيء** ﴾ أي لم ننقص الآباء من الثواب حين ألحقنا بهم ذرياتهم عن ابن عباس ومجاهد وتم الكلام ثم ذكر سبحانه أهل النار فقال ﴿ **كل امرىء بما كسب رهين** ﴾ أي كل امرىء كافر مرتهن في النار بما كسب أي عمل من الشرك عن مقاتل والمؤمن من لا يكون[1] مرتهناً لقوله كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين فاستثنى المؤمنين وقيل معناه كل انسان يعامَل بما يستحقه ويجازى بحسب ما عمله إن عمل طاعة أثيب وإن عمل معصية عوقب ولا يؤاخذ أحد بذنب غيره ثم ذكر سبحانه ما يزيدهم من الخير والنعمة فقال ﴿ **وأمددناهم بفاكهة** ﴾ أي أعطيناهم حالاً بعد حال فإن الإمداد هو الإتيان بالشيء بعد الشيء والفاكهة جنس الثمار ﴿ **ولحم مما يشتهون** ﴾ أي وأعطيناهم وأمددناهم بلحم من الجنس الذي يشتهونه ﴿ **يتنازعون فيها كأساً** ﴾ أي يتعاطون كأس الخمر ثم وصف الكأس فقال ﴿ **لا لغو فيها ولا تأثيم** ﴾ أي لا يجري بينهم باطل لأنَّ اللغو ما يلغى ولا ما فيه اثم كما يجري في الدنيا بين شرب الخمر والتأثيم تفعيل من الإثم يقال ثمّه إذا جعله ذا اثم يعني أن تلك الكأس لا تجعلهم آثمين وقيل معناه لا يتسابّون عليها ولا يؤثّم بعضهم بعضاً عن مجاهد ﴿ **ويطوف عليهم** ﴾ للخدمة ﴿ **غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون** ﴾ في الحسن والصباحة والصفاء والبياض والمكنون المصون المخزون وقيل أنه ليس على الغلمان مشقة في خدمة أهل الجنة بل لهم في ذلك اللذة والسرور إذ ليست تلك الدار دار محنة وذكر عن الحسن أنه قال قيل يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ فكيف المخدوم فقال والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ﴿ **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون** ﴾ أي يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا عن ابن عباس وهو قوله ﴿ **قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين** ﴾ أي خائفين في دار الدنيا من العذاب ﴿ **فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم** ﴾ أي عذاب جهنم والسموم من أسماء جهنم عن الحسن وقيل

(١) وبعض النسخ : والمؤمن لا يكون .

أن المعنى يسأل بعضهم بعضاً عما فعلوه في الدنيا فاستحقوا به المصير إلى الثواب والكون في الجنان فيقولون إنا كنا في دار التكليف مشفقين أي خائفين رقيقي القلب فإن الاشفاق رقة القلب عما يكون من الخوف على الشيء والشفقة نقيض الغلظة وأصله الضعف من قولهم ثوب شفق أي ضعيف النسج ومنه الشفق للحمرة عند غروب الشمس لأنها حمرة ضعيفة وقوله في أهلنا مشفقين يريد فيمن يختص به ممن هو أولى بنا والأهل هو المختص بغيره من جهة ما هو أولى به والسموم الحر الذي يدخل في مسام البدن يتألم به وأصله من السم الذي هو مخرج النفس فكل خرق سم أو من السم الذي يقتل قال الزجاج يريد عذاب سموم جهنم وهو ما يوجد من لفحها وحرها ﴿ إنا كنا من قبل ﴾ أي في الدنيا ﴿ ندعوه ﴾ أي ندعو الله تعالى ونوحّده ونعبده ﴿ انه هو البر ﴾ أي اللطيف وأصله اللطف مع عظم الشأن ومنه البرة للطفها مع عظم النفع بها وقيل البر الصادق فيما وعده ﴿ الرحيم ﴾ بعباده .

﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ
يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟
فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ
أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾
فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ
غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ
أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ
مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾
أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير المسيطرون بالسين وفي الغاشية بمصيطر بالصاد وقرأ ابن عامر كليهما بالسين وقرأ بإشمام الزّاء[١] فيهما حمزة إلا العجلي فإنه قرأ بالصاد فيهما وقرأ الباقون بالصاد فيهما .

[الحجة] قال أبو عبيدة المسيطرون الأرباب يقال تسيطرت عليّ اتخذتني خولاً والأصل السين وكل سين بعده طاء يجوز أن تقلب صاداً تقول صطر وسطر وقد مرّ بيانه في سورة الفاتحة .

[اللغة] الكاهن الذي يذكر أنه يخبر عن الحق على طريق العزائم والكهانة صنعة الكاهن والمنون المنية وريبها الحوادث التي تريب عند مجيئها قال :

تَرَبَّصْ بِهَا رَيْبَ الْمَنُونِ لَعَلَّهَا ... سَيَهْلِكُ عَنْهَا بَعْلُهَا أَوْ سَيَجْنَحُ[٢]

والتربص الانتظار بالشيء من انقلاب حال له إلى خلافها والاحلام جمع الحلم وهو الإمهال الذي يدعو إليه العقل والحكمة والمسيطر الملزم غيره أمراً من الأمور قهراً مأخوذ من السطر والمثقل المحمول عليه ما يشق حمله .

[المعنى] ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال ﴿ فذكر ﴾ يا محمد أي فعظ هؤلاء المكلّفين ولا تترك دعوتهم وإن أساءوا قولهم فيك ﴿ فما أنت بنعمة ربك ﴾ أي بإنعام ربك عليك بالنبوة وهذا قسم ﴿ بكاهن ﴾ وهو الذي يوهم أنه يعلم الغيب بطريق خدمة الجن ﴿ ولا مجنون ﴾ وهو الموءوف بما يغطي على عقله وقد علم الكفار أنه ﷺ ليس بكاهن ولا مجنون لكن قالوا ذلك على جهة التكذيب عليه ليستريحوا إلى ذلك كما يستريح السفهاء إلى التكذيب على أعدائهم ﴿ أم يقولون ﴾ أي بل يقولون ﴿ هو شاعر نتربص به ريب المنون ﴾ أي ننتظر به حدثان الموت وحوادث الدهر فيهلك كما هلك من تقدم من الشعراء والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى المنية وأم هذه[٣] المنقطعة بمعنى الترك والتحول كقول علقمة[٤] .

هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتَوْدَعْتَ مَكْتُومُ ... أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مَصْرُومُ

فكأنه قال[٥] حبلها مصروم لأن بعده قوله :

---

(١) وفي نسخة : الزاء .
(٢) أي انتظر بها حوادث الدهر فأما يهلك بعلها أو ينصرف عنها ويتركها فتزوجها .
(٣) وفي المخطوطة : هذه هي المنقطعة .
(٤) وفي نسختين : علقمة بن عبدة .
(٥) وفيهما بل أحمّلها .

أَمْ هَلْ كَبِيرٌ بَكَى لَمْ يَقْضِ عَبْرَتَهُ إِثْرَ الأَحِبَّةِ يَوْمَ الْبَيْنِ مَشْكُومُ[1]

ثم قال سبحانه ﴿ قل ﴾ لهم يا محمد ﴿ تربصوا فإني معكم من المتربصين ﴾ أي انكم إن تربصتم فيَّ حوادث الدهر فإني منتظر مثل ذلك بكم وتربص الكفار بالنبي ﷺ والمؤمنين قبيح وتربص النبي ﷺ والمؤمنين بالكفار وتوقعهم لهلاكهم حسن وقوله فتربصوا وإن كان بصيغة الأمر فالمراد به التهديد ﴿ أم تأمرهم أحلامهم بهذا ﴾ أي بل أتأمرهم عقولهم بما يقولونه لك ويتربصونه بك قال المفسرون كانت عظماء قريش توصف بالأحلام والعقول فأزرى الله سبحانه بعقولهم حيث لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل ثم أخبر سبحانه عن طغيانهم فقال ﴿ أم هم قوم طاغون ﴾ وقرأ مجاهد بل هم قوم طاغون وبل في المعنى قريبة من أم هنا إلا أن ما بعد بل متيقن وما بعد أم مشكوك فيه والمعنى أن عقولهم لم تأمرهم بهذا ولم تدعهم إليه بل حملهم الطغيان على تكذيبك ﴿ أم يقولون تقوله ﴾ أي افتعل القرآن وتكذبه من تلقاء نفسه والتقول تكلف القول ولا يقال ذلك إلا في الكذب ﴿ بل لا يؤمنون ﴾ أي ليس الأمر كما زعموا بل ثبت أنه من عند الله ولكنهم لا يصدقون بذلك عناداً وحسداً واستكباراً ثم ألزمهم سبحانه الحجة تحدّاهم فقال ﴿ فليأتوا بحديث مثله ﴾ أي مثل القرآن وما يقاربه في نظمه وفصاحته وحسن بيانه وبراعته ﴿ إن كانوا صادقين ﴾ في أنه تقوله محمد ﷺ فإذا لم يقدروا على الإتيان بمثله فليعلموا أن محمداً ﷺ لم يتقوله من تلقاء نفسه بل هو من عند الله تعالى ثم احتج عليهم بابتداء الخلق فقال ﴿ أم خلقوا من غير شيء ﴾ أي أم خلقوا لغير شيء أي أخلقوا باطلاً لا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون ونحو هذا عن الزجاج وقيل معناه أم خلقوا عبثاً وتركوا سدى عن ابن كيسان وهذا في المعنى مثل الأول وقيل معناه أخلقوا من غير خالق ومدبّر دبّرهم ﴿ أم هم الخالقون ﴾ أنفسهم فلا يجب عليهم لله أمر عن ابن عباس ﴿ أم خلقوا السماوات والأرض ﴾ واخترعوهما فلذلك لا يقرّون بالله وبأنه خالقهم ﴿ بل لا يوقنون ﴾ بأن لهم إلهاً يستحق العبادة وحده وإنك نبي من جهة الله ﴿ أم عندهم خزائن ربك ﴾ أي بأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤوا عن مقاتل وعكرمة وقيل أراد خزائن المطر والرزق عن الكلبي وابن عباس وقيل خزائنه مقدوراته فلا يأتيهم إلا ما يحبّون عن الجبائي[2] ﴿ أم هم المسيطرون ﴾ أي الأرباب المسلطون على

---

(١) قوله : لم يقض عبرته حال من الضمير في بكى الراجع إلى الكبير وبكى وصف لكبير وإثر الأحبة متعلق ببكى والبين: الفراق ومشكوم ماخوذ من الشكيمة وهي حديدة معترضة في فم الفرس أي مسدود فوه .

(٢) وفي نسخة : بدل الجبائي : ابن عباس .

الناس فليس عليهم مسيطر ولا لهم ملزم ومقوم وقيل معناه أم هم المالكون الناس القاهرون لهم عن الجبائي ﴿ أم لهم سلّم ﴾ أي مرقى ومصعد إلى السماء ﴿ يستمعون فيه ﴾ الوحي من السماء فقد وثقوا بما هم عليه وردّوا ما سواه ﴿فليأت مستمعهم بسلطان مبين﴾ أي بحجة ظاهرة واضحة ان ادعى ذلك والتقدير يستمعون عليه فهو كقوله ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ وإنما قيل لهم ذلك لأن كل من يدعي ما لا يعلم ببداية[1] العقول فعليه إقامة البينة والحجة ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ وهذا تسفيه لأحلامهم إذ أضافوا إلى الله سبحانه ما أنفوا منه وهذا غاية في جهلهم إذ جوزوا عليه سبحانه الولد ثم ادّعوا أنه اختار الأدون على الأعلى ﴿أم تسألهم أجراً﴾ أي ثواباً على أداء الرسالة وعلى ما جئتهم به من الدين والشريعة ﴿فهم من مغرم مثقلون﴾ أثقلهم ذلك الغرم الذي تسألهم فمنعهم ذلك عن الإيمان بك .

﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ
فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ
ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾
وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾
فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ
لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾
وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر وعاصم يصعقون بضم الياء والباقون بفتحها وقرأ زيد عن يعقوب وادبار النجوم بفتح الألف والباقون بكسرها .

(٣) وفي نسخة ببداهة العقول .

[الحجة] يقال صعق الرجل يصعق ومن قرأ يصعقون بضم الياء فإنه على نقل الفعل بالهمزة صعقهم[١] واصعقهم غيرهم وحكى أبو الحسن صعق فعلى هذا يجوز ان يكون يصعقون منه ومن قرأ وأدبار النجوم فإنه يكون كقولهم اعقاب النجوم قال:

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَداة كَنَاظِرٍ مَعَ الصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ[٢]

[اللغة] الكيد هو المكر وقيل هو فعل ما يوجب الغيظ في خفية والكسف جمع كسفة فهو مثل سدرة وسدر والكسفة القطعة من الغيم بقدر ما يكسف ضوء الشمس والمركوم هو الموضوع بعضه على بعض .

[المعنى] ثم قال سبحانه ﴿ام عندهم الغيب فهم يكتبون﴾ أي اعندهم الغيب حتى علموا أنّ محمداً ﷺ يموت قبلهم وهذا جواب لقولهم نتربص به ريب المنون عن قتادة وقيل أعندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ويخبرون به الناس عن ابن عباس وقيل هو جواب لقولهم ان كان أمر الأخرة حقاً كما تدعون فلنا الجنة ومثله ولئن رجعت الى ربي إن لي عنده للحسنى عن الحسن والغيب الذي لا يعلمه إلا الله هو ما لا يعلمه العاقل ضرورة ولا عليه دلالة فالله عالم به لأنه يعلمه لنفسه والعالم لنفسه يعلم جميع المعلومات فلا يخفى عليه شيء منها ﴿أم يريدون كيداً﴾ أي مكراً بك وتدبير سوء في بابك سرّاً على ما دبّروه في دار الندوة ﴿فالذين كفروا هم المكيدون﴾ اي هم المجزيون بكيدهم فإن ضرر ذلك يعود عليهم ويحيق بهم مكرهم كما جزى الله سبحانه اهل دار الندوة بكيدهم ان قتلهم ببدر ﴿أم لهم إله غير الله﴾ يرزقهم ويحفظهم وينصرهم يعني ان الذين اتخذوهم آلهة لا تنفعهم لا تدفع عنهم ثم نزّه سبحانه نفسه فقال ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ به من الآلهة ثم ذكر سبحانه عنادهم وقسوة قلوبهم فقال ﴿وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً﴾ يعني ان عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لن ينتهوا عن كفرهم وقالوا هو قطعة من السحاب وهو قوله ﴿يقولوا سحاب مركوم﴾ بعضه على بعض وكل هذه الأمور المذكورة بعد ام في هذه السورة الزامات لعبدة الأوثان على مخالفة القرآن ثم قال سبحانه يخاطب النبي ﷺ ﴿فذرهم﴾ يا محمد اي اتركهم ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون﴾ اي يهلكون بوقوع الصاعقة عليهم وقيل الصعقة النفخة الاولى التي يهلك عندها جميع الخلائق ثم وصف سبحانه ذلك اليوم فقال ﴿يوم لا

---

(١) في سائر النسخ : صعقوهم.

(٢) يشبّه حاله في وصال الليلى وهجرانها ويأسه من الوصال بمن ينظر في اعقاب النجم عند الصباح وهو آيس منه لانه في حال الغروب.

يغني عنهم كيدهم شيئاً اي لا تنفعهم حيلتهم ولا تدفع عنهم شيئاً **﴿ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا﴾** يعني كفار مكة **﴿عذاباً دون ذلك﴾** اي دون عذاب الآخرة يعني القتل يوم بدر عن ابن عباس وقيل يريد عذاب القبر عن ابن عباس أيضاً والبراء بن عازب وقيل هو الجوع في الدنيا والقحط سبع سنين عن مجاهد وقيل هو مصائب الدنيا عن ابن زيد وقيل هو عام جميع ذلك **﴿ولكن اكثرهم لا يعلمون﴾** ما هو نازل بهم **﴿واصبر﴾** يا محمد **﴿لحكم ربك﴾** الذي حكم به والزمك التسليم له إلى ان يقع عليهم العذاب الذي حكمنا عليهم وقيل واصبر على أذاهم حتى يرد امر الله عليك بتخليصك **﴿فإنك بأعيننا﴾** أي بمرأى منا ندركك ولا يخفى علينا شيء من أمرك ونحفظك لئلا يصلوا الى شيء من امرك ونحفظك لئلا يصلوا الى شيء من مكروهك **﴿وسبّح بحمد ربك حين تقوم﴾** من نومك عن ابي الأحوص وقيل حين تقوم إلى الصلاة المفروضة فقل سبحانك اللهم وبحمدك عن الضحاك وقيل معناه وصلّ بأمر ربك حين تقوم من مقامك عن ابن زيد وقيل الركعتان قبل صلاة الفجر عن ابن عباس والحسن وقيل حين تقوم من نوم القائلة وهي صلاة الظهر عن زيد ابن اسلم وقيل حين تقوم من المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك لا إله الا انت اغفر لي وتب عليّ عن عطا وسعيد بن جبير وقد روي مرفوعاً انه كفارة المجلس وقيل معناه اذكر الله بلسانك حين تقوم الى الصلاة ألى ان تدخل في الصلاة عن الكلبي فهذه سبعة اقوال **﴿من الليل فسبحة﴾** يعني صلاة الليل وروى زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وابي عبد الله (ع) في هذه الآية قالا ان رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل ثلاث مرات فينظر في آفاق السماء ويقرأ الخمس من آل عمران التي آخرها انك لا تخلف الميعاد ثم يفتتح صلاة الليل الخبر بتمامه وقيل معناه صل المغرب والعشاء الآخرة عن مقاتل وادبار النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن أبي جعفر وابي عبد الله (ع) وذلك حين تدبر النجوم أي تغيب بضوء الصبح وقيل يعني صلاة الفجر المفروضة عن الضحاك وقيل إن المعنى لا تفغل عن ذكر ربك صباحاً ومساءً ونزّهه في جميع احوالك ليلاً نهاراً فإنه لا يغفل عنك وعن حفظك وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه قد ضمن حفظه وكلاءته حتى يبلغ رسالته .



المعذل عن ابن عباس وقتادة غير آية منها نزلت بالمدينة ﴿**الذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش**﴾ الآية وعن الحسن قال هي مدنية.

[**عدد آيها**] اثنتان وستون آية كوفي وآية في الباقين .

[**اختلافها**] ثلاث آيات من الحق شيئاً كوفي ممن تولّى شامي الحياة الدنيا غير شامي .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[**فضلها**] أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة النجم اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد ﷺ ومن جحد به. يزيد بن خليفة عن أبي عبد الله (ع) قال من كان يدمن قراءة والنجم في كل يوم او في كل ليلة عاش محموداً بين الناس وكان مفقوداً وكان محبّباً بين الناس .

[**تفسيرها**] افتتح الله سبحانه هذه السورة بذكر النبي ﷺ كما ختم بذكر سورة الطور حتى اتصلت بها اتصال النظير بالنظير فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾

[القراءة] أمال حمزة والكسائي وخلف أواخر آيات هذه السورة كلها وجميع أشباهها وقرأ المدينة وأبو عمرو بين الفتح والكسر إلى الفتح أقرب وكذلك كل سورة آياتها على الياء مثل سورة طه والشمس وضحاها والليل إذا يغشى والضحى وأشباهها وكل ما كان على وزن فعلى أو فُعلى أو فِعلى في جميع القرآن فإن أبا عمرو يقرؤها بين الفتح والكسر أيضاً في رواية شجاع وأكثر الروايات عن اليزيدي والباقون يفتحون ويفخمون وابن كثير وعاصم أشد تفخيماً في ذلك كله.

[الحجة] اما ترك الامالة والتفخيم للألف فهو قول كثير من الناس والإمالة أيضاً قول كثير منهم فمن ترك كان مصيباً ومن أخذ بها كان مصيباً.

[اللغة] الهُويّ والنزول والسقوط نظائر هوى يهوى هَويا أو هُوياً قال الهذلي:

وَإذا رَمَيْتَ بِهِ الْفِجَاجَ رَأَيْتَهُ يَهْوِي مَخَارِمَهَا هُوِيَّ الأَجْدَلِ[1]

ومنه سميت الهاوية لأنها تهوي بأهلها من اعلاها إلى اسفلها والغي الخيبة ومنه الغواية والوحي القاء المعنى إلى النفس في خفية إلا انه صار كالعلم فيما يلقيه الملك إلى النبي من البشر[2] عن الله تعالى ومنه قوله وأوحى ربك إلى النحل أي الهمها مراشدها والقوة القدرة وأصله الشدة وأصل المرة شدة الفتل ثم تجري المرة على القدرة فالمرة والقوة والشدة نظائر والأفق ناحية السماء وجمعه آفاق وقد سمي نواحي الأرض آفاقاً على التشبيه قال الشاعر في المعنى الأول:

أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ

وقال امروء القيس في المعنى الثاني:

لَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الأَفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالإِيَابِ

---

(١) المخارم: افواه الفجاج والفجاج جمع الفج وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين والاجدل: الصقر. يشبه فرساً بالصقر اي إذا سرت به في فجاج الارض رأيته يهوى من افواه الفجاج هُوِيّ الصقر.

(٢) وفي نسخة: السر.

والتدلي الامتداد إلى جهة السفل يقال دلاه صاحبه فتدلى والقاب والقيب والقاد والقيد عبارة عن مقدار الشيء .

[الاعراب] وهو بالأفق الأعلى مبتدأ وخبر في موضع الحال وقال الفراء هو معطوف على الضميرفي استوى أي استوى جبرائيل والنبي ﷺ بالأفق الأعلى والتقدير استوي هو وهو قال وحسن ذلك لئلا يتكرر هو وأنشد :

أَلَمْ تَسَرَ أَنَّ السَّبْسَبَ يَصْلُبُ عُودُهُ وَلَا يَسْتَوِي وَالْخِرْوَعُ الْمُتَقَصِّفُ[1]

قال الزجاج وهذا لا يجوز إلا في الشعر لأنهم يستقبحون استويت وزيد وإنما المعنى فاستوى جبرائيل وهو بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية لأنه كان يتمثل للنبي ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل فأحب رسول الله ﷺ ان يراه على صورته الحقيقية فاستوى في افق المشرق فملأ الأفق :

[المعنى] ﴿والنجم إذا هوى﴾ فقيل في معناه أقوال (أحدها) ان الله أقسم بالقرآن إذ أنزل نجوماً متفرقة على رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة عن الضحاك ومجاهد والكلبي فسمي القرآن نجماً لتفرقه في النزول والعرب تسمي التفريق تنجيماً والمفرق منجماً(وثانيها) انه أراد بالنجم الثريا أقسم بها إذا سقطت وغابت مع الفجر عن ابن عباس ومجاهد والعرب تطلق اسم النجم على الثريا خاصة قال ابو ذؤيب :

فَوَرَدْنَ وَالْعَيُّوقُ مَقْعَدَ رَابِئٍ الضُّرَبَاءِ فَوْقَ النَّجْمِ لَا يَتَتَلَّعُ[2]

قال ابن دريد والثريا سبعة انجم ستة ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس به أبصارهم (وثالثها) ان المراد به جماعة النجوم إذا هوت أي سقطت وغابت وخفيت عن الحسن وأراد به الجنس كما قال الراعي :

وَبَاتَ يَعُدُّ النَّجْمَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ سَرِيعٍ بِأَيْدِي الْآكِلِينَ جُمُودُهَا[3]

---

(١) النبع شجر ينبت في قلة الجبل تتخذ منه القِسّي ومن اغصانه السهام والخروع نبت يعظم قرب المياه ومن ثمره المسهل المعروف بزيت الخِرَوع والمتقصف المزدحم بعضه على بعض مقصود عدم تساويهما في الشدة واللين.

(٢) ربأهم وربألهم اي صار ربيئة لهم اي راقبهم والضرباء جمع الضريبة بمعنى الضارب ولا يتتلع اي لا يشخص للامر ولا يرفع رأسه للنهوض وعن ابن برى صوابه :

(٣) خلف النجم وكذا في رواية سيبويه المستحيرة: الجفنة الدسمة الكبيرة.

ثم[١] قيل اشار بأفول النجم إلى طلوعه لأن ما يأفل يطلع فاستدل بأفوله وطلوعه على وحدانية الله تعالى وحركات النجم وتوصف بالهوي عن الجبائي وقيل ان هويّة سقوطه يوم القيامة فيكون كقوله وإذا الكواكب انتشرت عن الحسن (ورابعها) انه يعني به الرجوم من النجوم وهو ما يرمي به الشياطين عند استراق السمع عن ابن عباس وروت العامة عن جعفر الصادق (ع) انه قال محمد رسول الله[٢] ﷺ نزل من السماء السابعة ليلة المعراج ولما نزلت السورة أخبر بذلك عتبة بن أبي لهب فجاء الى النبي ﷺ وطلق ابنته وتفل في وجهه وقال كفرت بالنجم وبرب النجم فدعا ﷺ عليه وقال اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فخرج عتبة إلى الشام فنزل في بعض الطريق والقى الله عليه الرعب فقال لأصحابه انيموني بينكم ليلاً[٣] ففعلوا فجاء اسد فافترسه من بين الناس وفي ذلك يقول حسان :

سَائِلْ بَنِي الْأَصْفَرِ إِنْ جِئْتَهُمْ ... مَا كَانَ أَنْبَاءُ بَنِي وَاسِعِ
لَا وَسَّعَ اللَّهُ لَهُ قَبْرَهُ ... بَلْ ضَيَّقَ اللَّهُ عَلَى الْقَاطِعِ
رَمَى رَسُولَ اللهِ مِنْ بَيْنِهِمْ ... دُونَ قُرَيْشٍ رَمْيَةَ الْقَاذِعِ[٤]
وَاسْتَوْجَبَ الدَّعْوَةَ مِنْهُ بِمَا ... بُيِّنَ لِلنَّاظِرِ وَالسَّامِعِ
فَسَلَّطَ اللَّهُ بِهِ كَلْبَهُ ... يَمْشِي الْهُوَيْنَا مِشْيَةَ الْخَادِعِ[٥]
وَالْتَقَمَ الرَّأْسَ بِيَافُوخِهِ ... وَالنَّحْرَ مِنْهُ قَفْرَةَ الْجَائِعِ
مَنْ يَرْجِعِ الْغَامَ إِلَى أَهْلِهِ ... فَمَا أَكِيلُ السَّبْعِ بِالرَّاجِعِ
قَدْ كَانَ هَذَا لَكُمُ عِبْرَةً ... لِلسَّيِّدِ الْمَتْبُوعِ وَالتَّابِعِ

﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ يعني النبي أي ما عدل عن الحق وما فارق الهدى الى الضلال وما غوى فيما يؤديه اليكم ومعنى غوى ضل وإنما اعاده تأكيداً وقيل معناه ما خاب عن اصابة الرشد وقيل ما خاب سعيه بل ينال ثواب الله وكرامته ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ اي وليس ينطق بالهوى وهكذا كما يقال رميت بالقوس وعن القوس وقيل معناه ولا يتكلم بالقرآن وما يؤديه اليكم عن الهوى الذي هو ميل الطبع ﴿ان هو إلا وحي يوحى﴾ أي ما القرآن وما ينطق به من الأحكام إلا وحي من الله يوحي اليه أي يأتيه به جبرائيل وهو قوله ﴿علمه شديد القوى﴾ يعني جبرائيل (ع) أي القوي في نفسه وخلقته عن ابن عباس

(١) وفي نسخة: وقيل. (٢) وفي المخطوطة ليس لفظة رسول الله. (٣) وليس فيها ايضاً.
(٤) قذعه: رماه بالفحش وسوء القول.
(٥) وفي المخطوطة بعدهذا : حتى اتاه وسط اصحابه وقد علاهم سنة الهاجع.

والربيع وقتادة والقوي جمع القوة ﴿ذو مرة﴾ أي ذو قوة وشدة في خلقه عن الكلبي قال ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود فرفعها إلى السماء ثم قلبها ومن شدته صيحته لقوم ثمود حتى هلكوا وقيل معناه ذو صحة وخلق حسن عن ابن عباس وقتادة وقيل شديد القوى في ذات الله ذو مرة اي صحة في الجسم سليم من الآفات والعيوب وقيل ذو مرة اي ذو مرور في الهواء ذاهباً وجائياً ونازلاً وصاعداً عن الجبائي ﴿فاستوى﴾ جبرائيل على صورته التي خلق عليها بعد انحداره إلى محمد ﷺ ﴿وهو﴾ كناية عن جبرائيل (ع) أيضاً ﴿بالأفق الأعلى﴾ يعني افق المشرق والمراد بالأعلى جانب المشرق وهو فوق جانب المغرب في صعيد الأرض لا في الهواء قالوا ان جبرائيل كان يأتي النبي ﷺ في صورة الآدميين فسأله النبي ﷺ ان يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء اما في الأرض ففي الأفق الأعلى وذلك ان محمداً ﷺ كان بحراء فطلع له جبرائيل (ع) من المشرق فسدّ الأفق إلى المغرب فخر النبي ﷺ مغشياً عليه فنزل جبرائيل (ع) في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه وهو قوله ﴿ثم دنا فتدلى﴾ وتقديره ثم تدلى اي قرب بعد بعده وعلوه في الأفق الأعلى فدنا من محمد ﷺ قال الحسن وقتادة ثم دنا جبرائيل (ع) بعد استوائه بالافق الأعلى من الأرض فنزل إلى محمد ﷺ وقال الزجاج معنى دنا وتدلى واحد لأن معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب كما تقول قد دنا مني فلان وقرب ولو قلت قرب مني ودنا جاز وقيل ان المعنى استوى جبرائيل (ع) أي ارتفع وعلا إلى السماء بعد ان علّم محمداً ﷺ عن سعيد بن المسيب وقيل استوى اي اعتدل واقفاً في الهواء بعد ان كان ينزل بسرعة ليراه النبي ﷺ عن الجبائي وقيل معناه استوى جبرائيل (ع) ومحمد ﷺ بالافق الأعلى يعني السماء الدنيا ليلة المعراج عن الفراء ﴿فكان قاب قوسين﴾ اي كان ما بين جبرائيل ورسول الله قاب قوسين والقوس ما يرمي به عن مجاهد وعكرمة وعطا عن ابن عباس وخصت بالذكر على عادتهم يقال قاب قوس وقيب قوس وقيد قوس وقاد قوس وهو اختيار الزجاج وقيل معناه وكان قدر ذراعين عن عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير وشقيق ابن سلمة وروي مرفوعاً عن انس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ في قوله فكان قاب قوسين او ادنى قال قدر ذراعين او ادنى من ذراعين فعلى هذا يكون معنى القوس ما يقاس به الشيء والذراع يقاس به قال ابن السكيت قاس الشيء يقوسه قوساً لغة في قاسه يقيسه إذا قدره وقوله ﴿أو أدنى﴾ قال الزجاج ان العباد قد خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وقيل لهم في هذا ما يقال للذي يحدد فالمعنى فكان على ما تقدرونه انتم قدر قوسين او أقل من ذلك وهو كقوله أو يزيدون وقد مر القول فيه وقال عبد الله بن مسعود ان رسول الله ﷺ رأى جبرائيل

(ع) وله ستمائة جناح اورده البخاري ومسلم في الصحيح ﴿ فأوحى إلى عبده ما اوحى﴾ أي فأوحى الله على لسان جبرائيل الى محمد ﷺ ما اوحى وما يحتمل ان تكون مصدرية ويحتمل ان تكون بمعنى الذي وقيل معناه فأوحى جبرائيل (ع) إلى عبد الله محمد ﷺ ما اوحى الله تعالى اليه عن الحسن والربيع وابن زيد وهو رواية عطا عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيماً فآوى إلى قوله ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها انت وعلى الأمم حتى تدخلها امتك وقيل اوحى الله اليه سراً بسرّ وفي ذلك يقول القائل :

بَيْنَ الْمُحِبِّينَ سِرٌّ لَيْسَ يُفْشِيهِ ... قَوْلٌ وَلَا قَلَمٌ لِلْخَلْقِ يَحْكِيهِ
سِرٌّ يُمَازِجُهُ أُنْسٌ يُقَابِلُهُ ... نُورٌ تَحَيَّرَ فِي بَحْرٍ مِنَ التِّيهِ

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر وهشام ما كذب بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أهل الكوفة غير عاصم ويعقوب افتمرونه بغير الف والباقون افتمارونه وقرأ ابن كثير والشموني عن الاعمش وابي بكر ومنآة بالمد والهمزة والباقون ومناة بغير همزة ولا مد وروي عن علي (ع) وابي هريرة وابي الدرداء وزر بن حبيش جنه المأوى بالهاء وعن ابن عباس ومجاهد واللات بتشديد التاء .

[الحجة] من قرأ كذب بتشديد الذال فمعناه ما كذب قلب محمد ﷺ ما رآه بعينه تلك الليلة بل صدّقه وحققه ومن قرأ بالتخفيف فمعناه ما كذب فؤاده فيما رأى وقال ابو علي

كذب فعل يتعدى إلى مفعول بدلالة قوله :

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامِ مِنَ الرُّبَابِ خَيَالا

ومعنى كذبتك عينك ارتك ما لا حقيقة له فعلى هذا يكون المعنى لم يكذب فؤاده ما ادركه بصره اي كانت رؤيته صحيحة غير كاذبة وإدراكاً على الحقيقة ويشبه ان يكون الذي شدد اراد هذا المعنى واكده. افتمارونه على ما يرى اي اترومون إزالته عن حقيقة ما ادركه وعلمه بمجادلتكم او اتجحدونه ما قد علمه ولم يعترض عليه فيه شك فإن معنى قوله افتمارونه اتجادلونه جدالاً تريدون به دفعه عما علمه وشاهده من الآيات الكبرى ومن قرأ افتمرونه فمعناه افتجحدونه ومناة صنم من حجارة واللات والعزى كانتا من حجارة ايضاً ولعل منائة بالمد لغة ومن قرأ جنة المأوى يعني فعله يريد جن عليه فأجنه الله والمأوى وهو الفاعل والمعنى ستره وقال الاخفش ادركه وعن ابن عباس قال كان رجل يسوق عكاظ يلتّ السويق والسمن عند صخرة فإذا باع السويق والسمن صبّ على الصخرة ثم بلتّ فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة إعظاماً لذلك الرجل .

[المعنى] ثم بين سبحانه ما رآه النبي ﷺ ليلة الأسرى وحقق رؤيته فقال ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ اي لم يكذب فؤاد محمد ما رآه بعينه فقوله ما رأى مصدر في موضع نصب لأنه مفعول كذب والمعنى أنه ما أوهمه الفؤاد أنه رأى ولم يربل صدقه الفؤاد رؤيته قال المبرد معنى الآية انه رأى شيئاً فصدق فيه قال ابن عباس رأى محمد ﷺ ربه بفؤاده وروي ذلك عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي (ع) وهذا يكون بمعنى العلم اي علمه علماً يقيناً بما رآه من الآيات الباهرات كقول ابراهيم (ع) ولكن ليطمئن قلبي وان كان عالماً قبل ذلك وقيل ان الذي رآه هو جبرائيل على صورته التي خلقه الله عليها عن ابن عباس مسعود وعائشة وقتادة وقيل ان الذي رآه هو ما رآه من ملكوت الله تعالى واجناس مقدوراته عن الحسن قال وعرج بروح محمد ﷺ الى السماء وجسده في الأرض وقال الأكثرون وهو الظاهر من مذهب اصحابنا والمشهور في اخبارهم ان الله تعالى صعد بجسمه الى السماء حياً سليماً حتى رأى ما رأى من ملكوت السماوات بعينه ولم يكن ذلك في المنام وهذا المعنى ذكرناه في سورة بني إسرائيل والفرق بين الرؤية في اليقظة وبين الرؤية في المنام ان رؤية الشيء في اليقظة هو ادراكه بالبصر على الحقيقة ورؤيته في المنام تصوره بالقلب على توهم الادراك بحاسة البصر من غير ان يكون كذلك وعن ابي العالية قال سُئل رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ليلة المعراج قال رأيت نهراً ورأيت وراء النهر حجاباً ورأيت وراء الحجاب نوراً لم أر غير ذلك

وروي عن أبي ذر وابي سعيد الخدري ان النبي ﷺ سُئل عن قوله ما كذب الفؤاد ما رأى قال رأيت نوراً وروي ذلك عن مجاهد وعكرمة وذكر الشعبي عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس انه قال إن محمداً ﷺ رأي ربه قال الشعبي واخبرني مسروق قال سألت عائشة عن ذلك فقالت انك لتقول قولاً انه ليقف شعري منه قال مسروق قلت رويداً يا أم المؤمنين وقرأت عليها والنجم إذا هوى حتى انتهيت الى قوله قاب قوسين او ادنى فقالت رويداً أنّى يذهب بك إنما رأى جبرائيل في صورة من حدثك ان محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب والله تعالى يقول لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ومن حدثك ان محمداً ﷺ يعلم الحس من الغيب فقد كذب والله تعالى يقول ان الله عنده علم الساعة الى آخره ومن حدثك ان محمداً ﷺ كتم شيئاً من الوحي فقد كذب والله تعالى يقول بلغ ما انزل اليك من ربك ولقد بين الله سبحانه ما رآه النبي ﷺ بياناً شافياً فقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴿افتمارونه﴾ اي افتجادلونه ﴿على ما يرى﴾ وذلك انهم جادلوه حين اسري به فقالوا له صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا في طريق الشام وغير ذلك مما جادلوه به ومن قرأ أفتمرونه فالمعنى أفتجحدونه يقال مريت الرجل حقه إذا جحدته وقيل معناه أفتدفعونه عما يرى وعلى في موضع عن عن المبرد والمعنيان متقاربان لأن كل مجادل جاحد ﴿ولقد رآه نزلة اخرى﴾ اي رأى جبرائيل في صورته التي خلق عليها نازلاً من السماء نزلة اخرى وذلك انه رآه مرتين في صورته على ما مر ذكره ﴿عند سدرة المنتهى﴾ اي رآه محمد ﷺ وهو عند سدرة المنتهى وهي شجرة عن يمين العرش فوق السماء السابعة انتهى اليها علم كل ملك عن الكلبي ومقاتل وقيل اليها ينتهي ما يعرج إلى السماء وما يهبط من فوقها من امر الله عن ابن مسعود والضحاك وقيل اليها تنتهي ارواح الشهداء وقيل اليها ينتهي ما يهبط به من فوقها ويقبض منها واليها ينتهي ما يعرج من الأرواح ويقبض منها والمنتهى موضع الانتهاء وهذه الشجرة حيث انتهى اليه الملائكة فاضيفت اليه وقيل هي شجرة طوبى عن مقاتل والسدرة هي شجرة النبوة ﴿عندها جنة المأوى﴾ اي عند سدرة المنتهى جنة المقام وهي جنة الخلد وهي في السماء السابعة وقيل في السماء السادسة وقيل هي الجنة التي كان اوى اليها آدم وتصير اليها ارواح الشهداء عن الجبائي وقتادة وقيل هي التي يصير اليها اهل الجنة عن الحسن وقيل هي التي يأوي اليها جبرائيل والملائكة عن عطا عن ابن عباس ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ قيل يغشاها الملائكة امثال الغربان حين يقعن على الشجر عن الحسن ومقاتل وروي أن النبي ﷺ قال رأيت على كل ورقة من اوراقها ملكاً قائماً يسبح الله تعالى وقيل يغشاها من النور والبهاء والحسن والصفاء الذي يروق الأبصار ما ليس لوصفه منتهى عن الحسن وقيل

يغشاها فراش من ذهب عن ابن عباس ومجاهد وكأنها ملائكة على صورة الفراش يعبدون الله تعالى والمعنى انه رأى جبرائيل (ع) على ما صورته في الحال التي يغشى فيها السدرة من امر الله ومن العجائب المنبهة على كمال قدرة الله تعالى ما يغشاها وإنما ابهم الأمر فيما يغشى لتعظيم ذلك وتفخيمه كما قال ﴿فأوحى الى عبده ما أوحى﴾ وقوله ما يغشى ابلغ لفظ في هذا المعنى ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ اي ما زاغ بصر محمد ﷺ ولم يمل يميناً ولا شمالاً وما طغى اي ما جاوزالقصد ولا الحد الذي حدد له وهذا وصف ادبه صلوات الله عليه وآله في ذلك المقام إذا لم يلتفت جانباً ولم يمل بصره ولم يمده امامه الى حيث ينتهي ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ وهي الآيات العظام التي رآها تلك الليلة مثل سدرة المنتهى وصورة جبرائيل (ع) ورؤيته وله ستمائة جناح قد سدّ الأفق بأجنحته عن مقاتل وابن زيد والجبائي ومن للتبعيض اي رأى بعض آيات ربه وقيل انه رأى رفرفاً اخضر من رفارف الجنة قد سد الأفق عن ابن مسعود وقيل انه قد رأى ربه بقلبه عن ابن عباس فعلى هذا فيمكن ان يكون المراد انه رأى من الآيات ما ازداد به يقيناً الى يقينه والكبرى تأنيث الأكبر وهو الذي يصغر مقدار غيره عنده في معنى صفته ولما قصّ الله سبحانه هذه الأقاصيص عقبها سبحانه بأن خاطب المشركين فقال ﴿افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ اي اخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله وتعبدون معها الملائكة وتزعمون ان الملائكة بنات الله وقيل معناه افرأيتم ايها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله لأنه كان منهم من يقول إنما نعبد هؤلاء لأنهم بنات الله عن الجبائي وقيل انهم زعموا ان الملائكة بنات الله وصوروا اصنامهم على صورهم وعبدوها من دون الله واشتقوا لها اسماء من اسماء الله فقالوا اللات من الله والعزى من العزيز وكان الكسائي يختار الوقف على اللات بالتاء لإتباع المصحف لأنها كتبت بالتاء والعزى تأنيث الأعز وهي بمعنى العزيزة وقيل ان اللات صنم كانت ثقيف تعبده والعزى صنم ايضاً عن الحسن وقتادة وقيل انها كانت شجرة سمرة عظيمة لغطفان يعبدونها فبعث اليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها وقال:

يَا عُزُّ كُفْرَانَكِ لاَ سُبْحَانَكِ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكِ

عن مجاهد وقال قتادة كانت مناة صنماً بقديد بين مكة والمدينة وقال الضحاك والكلبي كانت لهذيل وخزاعة يعبدها اهل مكة وقيل ان اللات والعزى ومناة اصنام من حجارة كانت في الكعبة يعبدونها والثالثة نعت لمناة والأخرى نعت لها أيضاً ومعنى الآية اخبروني عن هذه الاصنام هل ضرت أو نفعت أو فعلت ما يوجب ان تعدل بالله فحذف لدلالة الكلام عليه .

﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ
ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم
مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى
ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ
مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ * وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ
لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ
إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ
عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ
مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير غير ابن فليح[1] ضئزى بالهمز والباقون بغير همز .

[الحجة] قال أبو علي قوله تلك إذا قسمة ضيزى أي ما نسبتموه إلى الله سبحانه من اتخاذ البنات قسمة جائرة وقولهم قسمة ضيزى ومشية حيكى حمله النحويون على انه في الأصل فعلى بالضم وان كان اللفظ على فعلى كما ان البيوت والعصى في الأصل فعول وان كانت الفاء مكسورة وإنما حملوها على انها فعلى لأنهم لم يجدوا شيئاً من الصفات على

(١) وفي المخطوطة : الخمس .

فعلى كما وجدوا الفُعلى والفَعلى وقال ابو عبيدة ضزته حقه وضزته اضوزه اي نقصته ومنعته فمن جعل العين منه واواً فالقياس ان يقول ضوزى وقد حكي ذلك فأما من جعله ياء من قولك ضزته فكان القياس أيضاً ان يقول ضوزى ولا يحتفل بانقلاب الياء إلى الواو لأن ذلك إنما ذكره في بيض وعين جمع بيضاء وعيناء لقربة من الطرف وقد بعد من الطرف هاهنا بحرف التأنيث وليست هذه العلامة في تقدير الانفصال كالتاء فكان القياس ان لا يحفل بانقلابها إلى الواو .

[المعنى] ثم قال سبحانه منكراً على كفار قريش قولهم الملائكة بنات الله والاصنام كذلك ﴿الكم الذكر وله الأنثى﴾ اي كيف يكون ذلك كذلك وانتم لو خيرتم لاخترتم الذكر على الأنثى فكيف اضفتم اليه تعالى ما لا ترضونه لأنفسكم ﴿تلك إذاً قسمة ضيزى﴾ اي جائرة غير معتدلة بمعنى ان القسمة التي قسمتم من نسبة الأناث إلى الله تعالى وايثاركم بالبنين قسمة غير عادلة ﴿ان هي إلا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم﴾ أي ليس تسميتكم لهذه الأصنام بأنها آلهة وانها بنات الله إلا اسامي لا معاني تحتها لأنه لا ضر عندها ولا نفع فهي تسميات القيت على جمادات ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ اي لم ينزل الله كتاباً لكم فيه حجة بما تقولونه عن مقاتل ثم رجع إلى الاخبار عنهم بعد المخاطبة فقال ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ الذي ليس بعلم ﴿وما تهوى الأنفس﴾ أي وما تميل اليه نفوسهم ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ أي البيان والرشاد بالكتاب والرسول عجب سبحانه من حالهم حيث لم يتركوا عبادتها مع وضوح البيان ثم انكر عليهم تمنيهم شفاعة الأوثان فقال لهم ﴿أم للانسان﴾ اي للكافر ﴿ما تمنى﴾ من شفاعة الاصنام ﴿فلله الآخرة والاولى﴾ فلا يملك فيهما أحد شيئاً إلا بإذنه وقيل معناه بل للانسان ما تمنى من غير جزاء لا ليس الأمر كذلك لأن لله الآخرة والأولى يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء وقيل معناه ليس للانسان ما تمنى من نعيم الدنيا والآخرة بل يفعله الله تعالى بحسب المصلحة ويعطي الآخرة للمؤمنين دون الكافرين عن الجبائي وهذا هو الوجه الأوجه لأنه اعم فيدخل تحته الجميع ثم أكد ذلك بقوله ﴿وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً﴾ جمع الكنايةلأن المراد بقوله وكم من ملك الكثرة ﴿إلا من بعد أن يأذن الله﴾ لهم في الشفاعة ﴿لمن يشاء ويرضى﴾ لهم ان يشفعوا فيه أي من اهل الإيمان والتوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه كما قال ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ثم ذم سبحانه مقالتهم فقال ﴿ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ أي

لا يصدقون بالبعث والثواب والعقاب ﴿ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾ حين زعموا انهم بنات الله ﴿وما لهم به﴾ اي بذلك التسمية ﴿من علم﴾ أي ما يستيقنون أنهم اناث وليسوا عالمين[1] ﴿ان يتبعون إلا الظن﴾ الذي يجوز أن يخطىء ويصيب في قولهم ذلك ﴿وان الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ الحق هنا معناه العلم اي الظن لا يغني عن العلم شيئاً ولا يقوم مقام العلم ثم خاطب نبيه ﷺ فقال ﴿فأعرض﴾ يا محمد ﴿عن من تولى عن ذكرنا﴾ ولم يقر بتوحيدنا ﴿ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾ فمال إلى الدنيا ومنافعها أي لا تقابلهم على افعالهم واحتملهم ولا تدع مع هذا وعظمهم ودعاءهم إلى الحق ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ اي الاعراض عن التدبر في أمور الآخرة وصرف الهمة إلى التمتع باللذات العاجلة منتهى علمهم وهو مبلغ خسيس لا يرضى به لنفسه عاقل لأنه من طباع البهائم ان يأكل في الحال ولا ينتظر العواقب وفي الدعاء اللهم لا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا ﴿ان ربك﴾ يا محمد ﴿هو اعلم﴾ منك ومن جميع الخلق ﴿بمن ضل عن سبيله﴾ اي بمن جار وعدل عن سبيل الحق الذي هو سبيله ﴿وهو اعلم بمن اهتدى﴾ اليها فيجازي كلا منهم على حسب اعمالهم .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

(١) وفي نسخة : عالمين بذلك .

أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾

[اللغة] قال الفراء اللمم ان يفعل الإنسان الشيء في الحين ولا يكون له عادة ومنه المام الخيال وإالمام الزيادة التي لا تمتد وكذلك اللمام قال امية :

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمّاً وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمّا

وقد روي ان النبي ﷺ كان ينشدهما ويقولهما اي لم يلم بمعصية وقال أعشى باهلة :

تَكْفِيهِ حُزَّةُ فِلْذَانٍ أَلَمَّ بِهَا مِنَ الشِّوَاءِ وَيَرْوِي شُرْبَهُ الْغُمْرُ[1]

أجنة جمع جنين قال رؤبة «أَجِنَّةٌ في مُسْتَكِنَّاتِ الْحَلَقِ»[2] وقال عمرو بن كلثوم :

وَلا شَمْطاءُ لَمْ يَتْرُكْ شَقاهَا لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إِلَّا جَنِينا[3]

اي دفيناً في قبره واكدى اي قطع العطاء كما تقطع البئر الماء واشتقاقه من كدية الركية وهي صلابة تمنع الماء إذا بلغ الحافر اليها يئس من الماء فيقال اكدى إذا بلغ الكُدية ويقال كديت أصابعه إذا كلت فلم تعمل شيئاً وكديت أظفاره إذا غلظت وكدى النبت إذا قل ريعه والاصل واحد فيها :

[الاعراب] إلا اللمم منصوب على الاستثناء من الأثم والفواحش لأن اللمم دونهما الا انه منهما. إذ أنشأكم العامل في إذ قوله اعلم بكم في بطون امهاتكم يجوز ان يتعلق بنفس اجنة وتقديره إذ انتم مستترون في بطون امهاتكم ويجوز ان يتعلق بمحذوف فيكون صفة لأجنة وقوله الا تزر وازرة وزر أخرى تقديره أنه لا تزر وهو في موضع جر بدلاً من قوله ما في صحف موسى وما اسم موصول .

[النزول] نزلت الآيات السبع أفرأيت الذي تولى في عثمان بن عفان كان يتصدق وينفق ماله فقال له اخوه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن ابي سرح ما هذا الذي تصنع يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان ليَ ذنوباً وإني اطلب بما اصنع رضى الله وارجو

(١) الحُزّة: القطعة من اللحم والفلذان جمع الفلذة وهي قطعة الكبد. والغمر: القدح الصغير.

(٢) مستكنات الحلق اي بواطن الرحم.

(٣) الشمطاء: التي خالط بياض رأسها سواد.

عفوه فقال له عبد الله اعطني ناقتك وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها فأعطاه وأشهد عليه وامسك عن الصدقة فنزلت أفرأيت الذي تولى اي يوم احد حين ترك المركز واعطى قليلاً ثم قطع نفقته إلى قوله وان سعيه سوف يرى فعاد عثمان إلى ما كان عليه عن ابن عباس والسدّي والكلبي وجماعة من المفسرين وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه فعيره بعض المشركين وقالوا تركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت انهم في النار قال اني خشيت عذاب الله فضمن له الذي عاتبه ان هو اعطاه شيئاً من ماله ورجع إلى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه تمام ما ضمن له فنزلت أفرأيت الذي تولى عن الإيمان واعطى صاحبه الضامن قليلاً واكدى اي بخل بالباقي عن مجاهد وابن زيد وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه ربما كان يوافق رسول الله ﷺ في بعض الأمور عن السدي وقيل نزلت في رجل قال لأهله جهزوني حتى انطلق إلى هذا الرجل يريد النبي ﷺ فتجهز وخرج فلقيه رجل من الكفار فقال له اين تريد فقال محمداً لعلي اصيب من خيره قال له الرجل اعطني جهازك واحمل عنك اثمك عن عطاء بن يسار وقيل نزلت في ابي جهل وذلك انه قال والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق فذلك قوله اعطى قليلاً واكدى اي لم يؤمن به عن محمد بن كعب القرظي .

[المعنى] ثم اخبر سبحانه عن كمال قدرته وسعة ملكه فقال ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ وهذا اعتراض بين الآية الاولى وبين قوله ﴿ليجزي الذين اساؤوا بما عملوا﴾ واللام في ليجزي تتعلق بمعنى الآية الاولى لأنه إذا كان اعلم بهم جازى كلا منهم بما يستحقه وذلك لام العاقبة وذلك ان علمه بالفريقين أدى إلى جزائهم باستحقاقهم وإنما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير الملك ولذلك اخبر به في قوله ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي في الآخرة الذين أساؤوا أي أشركوا بما عملوا من الشرك ﴿ويجزي الذين احسنوا﴾ اي وحدوا ربهم ﴿بالحسنى﴾ اي بالجنة وقيل ان اللام في ليجزي يتعلق بما في قوله ولله ما في السموات وما في الارض لأن المعنى في ذلك انه خلقهم ليتعبدهم[1] فمنهم المحسن ومنهم المسيء وإنما كلفهم ليجزي كلا منهم بعلمه[2] عمله فتكون اللام للغرض ثم وصف سبحانه الذين احسنوا فقال ﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم﴾ اي عظائم الذنوب ﴿والفواحش﴾ جمع فاحشة وهي اقبح الذنوب وافحشها وقد بينا اختلاف الناس في الكبائر في سورة النساء وقد قيل ان الكبيرة كل ذنب ختم بالنار والفاحشة كل ذنب

(١) وفي نسخة : ليستعبدهم .

(٢) ليس في النسخ لفظة بعلمه .

فيه الحد ومن قرأ كبير الأثم فلأنه يضاف الى واحد في اللفظ وإن كان يراد به الكثرة ﴿الا اللمم﴾ اختلف في معناه فقيل هو صغار الذنوب كالنظر والقبلة وما كان دون الزنا عن ابن مسعود وابي هريرة والشعبي وقيل هو ما الّموا به في الجاهلية من الأثم فهو معفو عنه في الإسلام عن زيد بن ثابت وعلى هذا فيكون الاستثناء منقطعاً وقيل هو ان يلم بالذنب مرة ثم يتوب ولا يعود عن الحسن والسدي وهو اختيار الزجاج لأنه قال اللمم هو ان يكون الإنسان قد الم بالمعصية ولم يقم على ذلك ويدل على ذلك قوله ﴿ان ربك واسع المغفرة﴾ قال ابن عباس لمن فعل ذلك وتاب ومعناه ان رحمته تسع[1] جميع الذنوب لا تضيق عنه وتم الكلام هنا ثم قال ﴿هو اعلم بكم﴾ يعني قبل ان خلقكم ﴿إذ أنشأكم من الأرض﴾ اي انشأ اباكم آدم من اديم الأرض وقال البلخي يجوز ان يكون المراد به جميع الخلق اي خلقكم من الأرض عند تناول الأغذية المخصوصة التي خلقها من الأرض واجرى العادة بخلق الأشياء عند ضرب من تركيبها فكأنه سبحانه انشأهم منها ﴿وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم﴾ أي في وقت كونكم اجنة في الأرحام اي علم من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة عن الحسن وقيل معناه انه سبحانه علم ضعفكم وميل طباعكم إلى اللمم وعلم حين كنتم في الارحام ما تفعلون إذا خرجتم وإذا علم ذلك منكم قبل وجوده فكيف لا يعلم ما حصل منكم ﴿فلا تزكوا انفسكم﴾ اي لا تعظموها ولا تمدحوها بما ليس لها فاني اعلم بها وقيل معناه لا تزكوها بما فيها من الخير ليكون اقرب إلى النسك والخشوع وابعد من الرياء ﴿هو اعلم بمن اتقى﴾ اي اتقى الشرك والكبائر وقيل هو اعلم بمن بر واطاع واخلص العمل ﴿أفرأيت الذي تولى﴾ اي ادبر عن الحق ﴿واعطى قليلاً واكدى﴾ أي امسك عن العطية وقطع عن الفراء وقيل منع منعاً شديداً عن المبرد ﴿اعنده علم الغيب﴾ اي ما غاب عنه من أمر العذاب ﴿فهو يرى﴾ اي يعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه ﴿ام لم ينبأ بما في صحف موسى﴾ اي بل ألم يخبر ولم يحدث بما في اسفار التوراة ﴿وإبراهيم﴾ أي وفي صحف ابراهيم ﴿الذي وفّى﴾ اي تمم واكمل ما أمر به وقيل بلغ قومه وادى ما أمر به اليهم وقيل أكمل ما أوجب الله عليه من كل ما أمر وامتحن به ثم بين ما في صحفهما فقال ﴿الا تزر وازرة وزر اخرى﴾ أي لا تحمل نفس حاملة حمل اخرى والمعنى لا تؤخذ نفس باثم غيرها ﴿وان ليس للانسان إلا ما سعى﴾ عطف على قوله الا تزر وهذا ايضاً ما في صحف إبراهيم وموسى اي ليس له من الجزاء الا جزاء ما عمله دون ما عمله غيره ومتى دعا غيره إلى الإيمان فأجابه اليه فهو محمود

(١) وفي المخطوطة: واسعة تسع.

على ذلك على طريق التبع وكأنه من اجل عمله صار له الحمد على هذا ولو لم يعمل شيئاً لما استحق جزاء لا ثواباً ولا عقاباً[1] عن ابن عباس في رواية الوالبي قال ان هذا منسوخ الحكم في شريعتنا لأنه سبحانه يقول الحقنا بهم ذرياتهم رفع درجة الذرية وان لم يستحقوها بأعمالهم ونحو هذا قال عكرمة ان ذلك لقوم إبراهيم وموسى فأما هذه الأمة فلهم ما سعى غيرهم نيابة عنهم ومن قال انه غير منسوخ الحكم قال الآية تدل على منع النيابة في الطاعات إلا ما قام عليه الدليل كالحج وهو ان امرأة قالت يا رسول الله ان ابي لم يحج قال فحجي عنه ﴿وان سعيه سوف يرى﴾ يعني ان ما يفعله الإنسان ويسعى فيه لابد ان يرى فيما بعد بمعنى انه يجازي عليه وبين ذلك بقوله ﴿ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ اي يجازي على الطاعات بأوفى ما يستحقه من الثواب الدائم والهاء في يجزاه عائدة إلى السعي والمعنى انّه يرى العبد سعيه يوم القيامة ثم يجزى سعيه اوفى الجزاء .

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ
ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ
وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ
إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ
وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا
ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا
غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ
ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾

(١) وفي نسخة : وعن ابن عباس .

أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾
وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾ ۩

[القراءة] قرأ أهل المدينة والبصرة غير سهل عادًلُولىٰ مدغمة غير منونة ولا مهموزة إلا في رواية قالون عن نافع فإنه روي عنه عاد لُؤلى مهموزة ساكنة وقرأ الباقون عاداً الأولى منونة مهموزة غير مدغمة وقرأ عاصم وحمزة ويعقوب وثمود فما أبقى بغير تنوين والباقون وثمودا بالتنوين .

[الحجة] قال أبو علي قال أبو عثمان أساء عندي أبو عمرو في قراءته لأنه أدغم النون في لام المعرفة واللام إنما تحركت بحركة الهمزة وليست بحركة لازمة والدليل على ذلك أنك تقول الحَمَر فإذا طرحت حركة الهمزة على اللام لم يحذف ألف الوصل لأنها ليست بحركة لازمة قال أبو عثمان ولكن كان أبو الحسن روى عن بعض العرب أنه كان يقول هذا لحَمر قد جاء فيحذف ألف الوصل لحركة اللام وقال أبو علي القول في عادا الأولى أن من حقق الهمزة في الأولى سكن لام المعرفة وإذا سكنت لام المعرفة والتنوين من قولك عاداً المنصوب ساكنٌ التقى ساكنان النون في عاداً ولام المعرفةفحركت التنوين بالكسرلالتقاء الساكنين أن يحذفه هنا قول من لم يدغم وقياس قول من قال أحد الله فحذف التنوين لإلتقاء الساكنين أن يحذفه هنا أيضاً كما حذفه في أحد الله وكما حذفه في قوله ﴿ ولا ذاكراً الله﴾ إلا أن ذا لا يدخل في القراءة وإن كان قياساًوجاء في الشعر كثيراً وجاء في بعض القراءة ويجوز في قول من خفف الهمزة من الأولى على قول من قال الحَمر فلم يحذف الهمزة التي للوصل أن يحرك التنوين فيقول عادنِ الولى[1] كما يقول ذلك إذا حقق الهمزة لأن اللام على هذا في تقدير السكون فكما تكسر التنوين لإلتقاء الساكنين كذا تكسره في هذا القول لأن التنوين في تقدير الإلتقاء مع الساكن ومن حرك لام المعرفة وحذف همزة الوصل فقياسه أن يسكن النون من عادنِ فيقول عادن لولى لأن اللام[2] ليس في تقدير السكون كما كان في الوجه الأول كذلك ألا ترى أنه حذف همزة الوصل فإذا كان كذلك ترك النون على سكونها كما تتركه في نحو عاد ذاهب فأما قول أبي عمرو عاد لولى فإنه لما خفف الهمزة التي هي منقلبة عن الفاء لاجتماع الواوين أولا ألقى حركتها على اللام الساكنة وقبل اللام نون ساكنة فأدغمها في اللام كما يدغمها في الراء في نحو من رّاشد وذلك بعد أن يقلبها لاما أو راءاً فإذا ادغمها فيها صار عاد

(١) وفي نسختين : عادن لولى .
(٢) وفيهما: لأن اللام الان .

لُولى وخرج عن الاساءة التي نسبها إليه أبو عثمان من وجهين (أحدهما) أن يكون تخفيف الهمزة من قوله الأولى على قول من قال لحْمَر كأنه يقول في التخفيف للهمزة قبل الادغام لولى فخرجت اللام من حكم السكون بدلالة حذف همزة الوصل معه فحسن الإدغام فيه (والوجه الآخر) أن يكون أدغم على قول من قال الوُلى الحَمَر فلم يحذف الهمزة التي للوصل مع القاء الحركة على لام المعرفة لأنه في تقدير السكون فلا يمتنع أن يدغم فيه كما لا يمتنع أن يدغم في نحو رد وفر وعض وإن كانت لاماتهن سواكن وتحركها للإدغام كما تحركت السواكن التي ذكرنا للإدغام وأما ما روي عن نافع من أنه همز فقال عاد لؤلى فإنه كما روي عن ابن كثير من قوله على سؤقه فوجهه أن الضمة لقربها من الواو وأنه لم يحجز بينهما شيء صارت كأنها عليها فهمزها كما تهمز الواوات إذا كانت مضمومة نحو ادؤر والغوؤر وهذه لغة قد رويت وحكيت وإن لم تكن بتلك الفاشية .

[اللغة] المنى التقدير يقال منى يمني فهو مان قال الشاعر « حتى تبين ما يمني لك الماني » ومنه المنية لأنها المقدرة والنشأة الصنعة المخترعة خلاف المشيئة واقنى من القنية وهي أصل المال وما يقتنى والإقتناء جعل الشيء للنفس على الدوام ومنه القناة لأنها مما تقتنى والشعرى النجم الذي خلف الجوزاء وهو أحد كوكبي ذراع الأسد وقسم[1] المرزم وكانوا يعبدونها في الجاهلية والمؤتفكة المنقلبة وهي التي صار أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها ائتفكت بهم تأتفك ائتفاكاً ومنه الإفك الكذب لأنه قلب المعنى عن جهته وأهوى أي أنزل بها في الهواء ومنه أهوى بيده ليأخذ كذا وهوى يهوى نزل في الهوى[2] فأما إذا نزل في سلم أو درج فلا يقال أهوى ولا هوى وأزفت الأزفة أي دنت الدانية قال النابغة :

أزِفَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أنَّ رِكَابَنَا لَمَّا تَزُلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنْ قَدِ

وقال كعب بن زهير :

بَانَ الشَّبَابُ وَأَمْسَى الشَّيبُ قَدْ أزِفَا وَلاَ أرَى لِشَبَابٍ ذَاهِبٍ خَلَفَا

والسمود اللهو والسامد اللاهي يقال سمد يسمُد قال :

رَمَى الْحَدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حِرْبٍ بِمِقْدَارٍ سَمَدْنَ لَهُ سُمُودا
فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضاً وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ البِيضَ سُودا

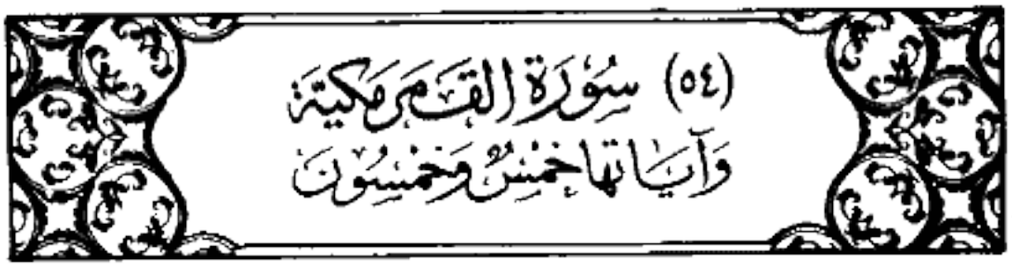
(١) في سائر النسخ : فم المرزم .
(٢) وفي نسختين الهواء .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال ﴿ وإن إلى ربك المنتهى ﴾ يعني وإن إلى ثواب ربك وعقابه آخر الأمر والمنتهى والآخر واحد وهو المصير إلى حيث ينقطع العمل عنده ﴿ وأنه هو أضحك وأبكى ﴾ أي فعل سبب الضحك والبكاء من السرور والحزن كما يقال أضحكني فلان وأبكاني عن عطاء والجبائي وقيل أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار عن مجاهد والضحك والبكاء من فعل الإنسان قال الله تعالى ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً ﴾ وقال تعجبون وتضحكون فنسب الضحك إليهم وقال الحسن أن الله سبحانه هو الخالق للضحك والبكاء والضحك تفتح أسرار الوجه عن سرور وعجب في القلب فإذا هجم على الإنسان منه ما لا يمكنه دفعه فهو من فعل الله والبكاء جريان الدمع على الخد عن غمّ في القلب وربما كان عن فرح يمازجه تذكر حزن فكأنه عن رقة في القلب وقيل معنى الآية أضحك الأشجار بالأنوار وأبكى السحاب بالأمطار وقيل أضحك المطيع بالرحمة وأبكى العاصي بالسخطة ﴿ وأنه هو أمات وأحيا ﴾ أي خلق الموت فأمات به الأحياء لا يقدر على ذلك غيره لأنه لو قدر على الموت لقدر على الحياة فإن القادر على الشيء قادر على ضده ولا يقدر أحد على الحياة إلا الله تعالى وخلق الحياة التي يحيا بها الحيوان فأمات الخلق في الدنيا وأحياهم في العقبى للجزاء ﴿ وأنه خلق الزوجين ﴾ أي الصنفين ﴿ الذكر والأنثى ﴾ من كل حيوان ﴿ من نطفة إذا تمنى ﴾ أي إذا خرجت منهما وتنصب في الرحم والنطفة ماء الرجل والمرأة التي يخلق منها الولد عن عطاء والضحاك والجبائي وقيل تمنى أي تقدر وهو أصله فالمعنى تلقى على تقدير في رحم الأنثى ﴿ وإن عليه النشأة الأخرى ﴾ أي الخلق الثاني للبعث يوم القيامة يعني عليه أن يبعث الناس إحياء للجزاء فإن قيل إن لفظة على كلمة إيجاب فكيف يجب على الله سبحانه ذلك فالجواب أنه سبحانه إذا كلف الخلق فقد ضمن الثواب فإذا فعل فيهم الآلام فقد ضمن العوض فإذا لم يعوض في الدنيا وخلى بين المظلوم والظالم فلا بد من دار أخرى يقع فيها الجزاء والإنصاف والانتصاف وقد وعد سبحانه بذلك فيجب الوفاء به ﴿ وأنه هو أغنى وأقنى ﴾ أي أغنى الناس بالأموال وإعطاء القنية وأصول المال وما يدّخرونه بعد الكفاية عن أبي صالح وقيل أقنى أي أخدم عن الحسن ومجاهد وقتادة وقيل أغنى مؤل وأقنى أرضى بما أعطى عن ابن عباس وقيل أغنى بالقناعة وأقنى بالرضا عن سفيان وقيل أغنى بالكفاية وأقنى بالزيادة وقيل أغنى من شاء وأقنى أي أفقر وحرم من شاء عن ابن زيد ﴿ وأنه هو رب الشعرى ﴾ أى خالق الشعرى ومخترعها ومالكها أي فلا تتخذوا المربوب المملوك إلهاً وقيل إن خزاعة كانت تعبدها وأول من عبدها أبو كبشة أحد أجداد النبي ﷺ من قبل أمهاته وكان المشركون يسمونه ﷺ ابن أبي

كبشة لمخالفته إياهم في الدين كما خالف أبو كبشة غيره في عبادة الشعرى ﴿ **وأنه أهلك عاداً الأولى** ﴾ وهو عاد بن أرم وهم قوم هود أهلكهم الله بريح صرصر عاتية وكان لهم عقب فكانوا عاداً الأخرى قال ابن إسحاق أهلكوا ببغي بعضهم على بعض فتفانوا بالقتل ﴿ **وثمود** ﴾ أي وأهلك ثمود ﴿ **فما أبقى** ﴾ ولا يجوز أن يكون منصوباً بأبقى لأن ما لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا يقال زيداً ما ضربت لأنها تجري مجرى الإستفهام في أن لها صدر الكلام وإنما فتحت أن في هذه المواضع كلها لأن جميعها في صحف إبراهيم وموسى فكأنه قال أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى بأنه لا تزر وازرة وزر أخرى وبأنه كذا وكذا ﴿ **وقوم نوح من قبل** ﴾ أي وأهلكنا قوم نوح من قبل عاد وثمود ﴿ **أنهم كانوا هم أظلم وأطغى** ﴾ من غيرهم لطول دعوة نوح وعتوهم على الله في الكفر والتكذيب ﴿ **والمؤتفكة** ﴾ يعني قرى قوم لوط المخسوفة ﴿ **أهوى** ﴾ أي أسقط أهواها جبرائيل بعد أن رفعها واتبعهم الله بالحجارة وذلك قوله ﴿**فغشاها ما غشى** ﴾ أي ألبسها من العذاب ما ألبس يعني الحجارة المسومة التي رموا بها من السماء عن قتادة وابن زيد وقيل أنه تفخيم لشأن العذاب الذي نالها من جهة أبهامه في قوله ﴿ **ما غشى** ﴾ فكأنه قال قد حل بهم من العذاب والتنكيل ما يجل عن البيان والتفصيل ﴿ **فبأي آلاء ربك تتمارى** ﴾ أي بأي نعم ربك ترتاب وتشك أيها الإنسان فيما أولاك أو فيما كفاك عن قتادة وقيل لما عد الله سبحانه ما فعله مما يدل على وحدانيته قال فبأي نعم ربك التي تدل على وحدانيته تتشكك وإنما ذكّره بالنعم بعد تعديد النقم لأن النقم التي عددت هي نعم علينا لما لنا فيها من اللطف في الانزجار عن القبيح إذ نالهم تلك النقم بكفرانهم النعم ﴿ **هذا نذير من النذر الأولى** ﴾ أشار إلى رسول الله ﷺ عن قتادة والنذر الأولى الرسل قبله وقيل هو إشارة إلى القرآن والنذر الأولى صحف إبراهيم وموسى عن أبي مالك وقيل معناه هذه الأخبار التي أخبر بها عن إهلاك الأمم الأولى نذير لكم عن الجبائي ﴿ **أزفت الآزفة** ﴾ أي دنت القيامة واقتربت الساعة وإنما سميت القيامة أزفة أي دانية لأن كل ما هو آت قريب ﴿ **ليس لها من دون الله كاشفة** ﴾ أي إذا غشيت الخلق شدائدها وأهوالها لم يكشف عنهم أحد ولم يردّها عن عطاء والضحاك وقتادة وتأنيث كاشفة على تقدير نفس كاشفة أو جماعة كاشفة ويجوز أن يكون مصدراً كالعافية والعاقبة والواقية والخائنة فيكون المعنى ليس لها من دون الله كشف أي لا يكشف عنها غيره ولا يظهرها سواه كقوله ﴿ **لا يجليها لوقتها** ﴾ إلا هو ﴿ **أفمن هذا الحديث** ﴾ يعني بالحديث ما قدم من الإخبار عن الصادق (ع) وقيل معناه أفمن هذا القرآن ونزوله من عند الله على محمد ﷺ وكونه معجزاً ﴿ **تعجبون** ﴾ أيها المشركون ﴿ **وتضحكون** ﴾ إستهزاء ﴿ **ولا**

﴿ تبكون ﴾ إنزجاراً لما فيه من الوعيد ﴿ وأنتم سامدون ﴾ أي غافلون لاهون معرضون عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو الغناء كانوا إذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه عن عكرمة ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ أمرهم سبحانه بالسجود له والعبادة خالصاً مخلصاً وفي الآية دلالة على أن السجود هاهنا واجب على ما ذهب إليه أصحابنا لأن ظاهر الأمر يقتضي الوجوب .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



وهي خمس وخمسون آية بالإجماع.

[**فضلها**] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة اقتربت الساعة في كل غب بعث يوم القيامة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر ومن قرأها كل ليلة كان أفضل وجاء يوم القيامة ووجهه مسفر على وجوه الخلائق وروى يزيد بن خليفة عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة اقتربت الساعة أخرجه الله من قبره على ناقة من نوق الجنة.

[**تفسيرها**] ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر أزوف الآزفة وافتتح هذه السورة بمثله فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا
سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ
مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾
حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ
إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ
جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ

عَسِرٌ ﴿٨﴾ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر وكل أمر مستقر بالجر والباقون بالرفع وقرأ ابن كثير ونافع يوم يدع الداع بغير ياء ومهطعين إلى الداعي بياء في الوصل وروي عن ورش يوم يدع الداعي بياء في الوصل وقرأهما أبو جعفر وأبو عمرو بإثبات الياء في الوصل والباقون بغير ياء في وصل ولا وقف وقد تقدم القول في هذا النحو وقرأ ابن كثير إلى شيء نكر بالتخفيف والباقون نكر بضمتين وقرأ أهل العراق غير عاصم خاشعاً أبصارهم والباقون خشعاً وفي الشواذ قراءة حذيفة وقد إنشق القمر وقراءة مجاهد والجحدري وأبي قلابة إلى شيء نكر .

[الحجة] من قرأ مستقر بالجر جعله صفة لأمر ومن قرأه بالرفع جعله خبراً لكل أمر وأما قراءة نكر فإنه على فُعُل وهو أحد الحروف التي جاءت صفة على هذه الزنة ومثله ناقة أجد ومشية سجُعُ صفة قال :

دَعُوا التَّحاجُزَ وَامْشُوا مَشْيَةً سُجُحاً إنَّ الرِّجالَ ذَوُو عَضْبٍ وَتَذْكِيرِ[1]

ومن قرأ نكر خففه مثل رسل وكتب والضمة في تقدير الثبات ومن قرأ خاشعاً أبصارهم فإنه كما لم يلحق علامة التأنيث لم يجمع وحسن أن لا يؤنث لأن التأنيث ليس بحقيقي ومن قال خشعاً فقد أثبت ما يدل على الجمع وهو على لفظ الأفراد ودل لفظ الجمع على لفظ ما يدل عليه التأنيث الذي ثبت في نحو قوله في الآية الأخرى ﴿ خاشعة أبصارهم وخشعت الأصوات للرحمن ﴾ قال الزجاج ولك في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد نحو قوله ﴿ خاشعاً أبصارهم ﴾ ولك التوحيد والتأنيث نحو خاشعة أبصارهم ولك الجمع نحو خشعاً أبصارهم تقول مررت بشباب حسن أوجههم وحسان وجوههم وحسنة أوجههم قال :

وَشَبَابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ مِنْ أَيَادِ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَعَدّْ

قال ابن جني قراءة حذيفة وقد انشق القمر يجري مجرى الموافقة على إسقاط العذر ورفع التشكك أي قد كان انشقاق القمر متوقعاً دلالة على قرب الساعة فإذا كان قد انشق

(١) التحاجز : التمانع والسَجْع : اللين السهل والعضب : السيف القاطع وذكّر الفاس وغيره جعل على رأسه القطعة من الفولاذ .

وانشقاقه من أشراطها وقد يوكد الأمر في قرب وقوعها وذلك أنّ قد إنما هو جواب وقوع أمر كان متوقعاً .

[اللغة] في إقتربت زيادة مبالغة على قرب كما أن في اقتدر زيادة مبالغة على قدر لأن أصلّ افتعل اعداد المعنى بالمبالغة نحو اشتوى إذا اتخذ شواء بالمبالغة في أعداده والأهواء جمع الهوى وهو رقة القلب بميل الطباع كرقة هواء الجو يقال هوي يهوى هوىً فهو هوٍ إذا مال طبعه إلى الشيء والمزدجر المتعظ مفتعل من الزجر إلا أن التاء أبدلت دالاً لتوافق الزاي بالجهر ويقال أنكرت الشيء فهو منكر ونكرته فهو منكور وقد جمع الأعشى بين اللغتين فقال :

وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيبَ وَالصَّلَعا[1]

والنكر والمنكر الشيء الذي تأباه النفس ولا تقبله من جهة نفور الطبع عنه وأصله من الإنكار الذي هو نقيض الإقرار والإجداث القبور جمع جدث والجدف بالفاء لغة فيه والإهطاع الإسراع في المشي .

[الإعراب] فما تُغني النذر يجوز أن يكون ما للجحد فيكون حرفاً ويجوز أن يكون إستفهاماً فيكون إسماً والتقدير في الأول فلا تغني النذر وفي الثاني فأي شيء تغني النذر قال الزجاج قوله فتولَّ عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر وقف التمام فتول عنهم ويوم منصوب بقوله ﴿ يخرجون من الأجداث ﴾ وأما حذف الواو من يدعو في الكتاب فلأنها تحذف في اللفظ لالتقاء الساكنين فأجريت في الكتاب على ما يلفظ بها وأما الداعي فإثبات الياء فيه أجود ويجوز حذفها لأن الكسرة تدل عليها وقوله ﴿ خشعاً أبصارهم ﴾ منصوب على الحال من الواو في يخرجون وفيه تقديم وتأخير تقديره يخرجون خشعاً أبصارهم من الأجداث وإن شئت كان حالاً من الضمير المجرور في قوله فتول عنهم ومهطعين أيضاً منصوب على الحال وإني مغلوب تقديره دعا ربه بأني مغلوب وقرأ عيسى بن عمر أني بالكسر على إرادة القول أي فدعا ربه قال إني مغلوب ومثله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا التقدير قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا .

[المعنى] ﴿ إقتربت الساعة ﴾ أي قربت الساعة التي تموت فيها الخلائق وتكون القيامة والمراد فاستعدوا لها قبل هجومها ﴿ وانشق القمر ﴾ قال ابن عباس اجتمع المشركون

(١) الصَلَع انحسار شعر مقدّم الرأس .

إلى رسول الله ﷺ فقالوا إن كنت صادقاً فشقّ لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله ﷺ إن فعلت تؤمنون قالوا نعم وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله ينادي يا فلان يا فلان أشهدوا وقال ابن مسعود انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال لنا رسول الله ﷺ اشهدوا اشهدوا وروي أيضاً عن ابن مسعود أنه قال والذي نفسي بيده لقد رأيت حراء بين فلقي القمر وعن جبير بن مطعم قال إنشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقال ناس سحرنا محمد فقال رجل إن كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم وقد روى حديث إنشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة منهم عبد الله بن مسعود وأنس بن مالك وحذيفة بن اليمان وابن عمر وابن عباس وجبير بن مطعم وعبد الله بن عمر وعليه جماعة المفسرين إلا ما روي عن عثمان بن عطاء عن أبيه أنه قال معناه وسينشق القمر وروي ذلك عن الحسن وأنكره أيضاً البلخي وهذا لا يصح لأن المسلمين أجمعوا على ذلك فلا يعتد بخلاف من خالف فيه ولأن إشتهاره بين الصحابة يمنع من القول بخلافه ومن طعن في ذلك بأنه لو وقع انشقاق القمر في عهد رسول الله ﷺ لما كان يخفى على أحد من أهل الإقطار فقوله باطل لأنه يجوز أن يكون الله تعالى قد حجبه عن أكثرهم بغيم وما يجري مجراه ولأنه قد وقع ذلك ليلاً فيجوز أن يكون الناس كانوا نياماً فلم يعلموا بذلك على أن الناس ليس كلهم يتأملون ما يحدث في السماء وفي الجو من آية وعلامة فيكون مثل إنقضاض الكواكب وغيره مما يغفل الناس عنه وإنما ذكر سبحانه إقتراب الساعة مع إنشقاق القمر لأن إنشقاقه من علامة نبوة نبينا ﷺ ونبوته وزمانه من إشراط اقتراب الساعة ﴿ وأن يروا آية يعرضوا ﴾ هذا إخبار من الله تعالى عن عناد كفار قريش وأنهم إذا رأوا آية معجزة أعرضوا عن تأملها والإنقياد لصحتها عناداً وحسداً ﴿ ويقولوا سحر مستمر ﴾ أي قوي شديد يعلو كل سحر عن الضحاك وأبي العالية وقتادة وهو من امرار الحبل وهو شدّة فتله واستمر الشيء إذا قوي واستحكم وقيل معناه سحر ذاهب مضمحلّ لا يبقى عن مجاهد وهو من المرور وقال المفسرون لما انشق القمر قال مشركو قريش سحرنا محمد فقال الله سبحانه ﴿ وأن يروا آية يعرضوا عن التصديق والإيمان بها ﴾ قال الزجاج وفي هذا دلالة على أن ذلك قد كان ووقع وأقول ولأنه تعالى قد بين أن يكون آية على وجه الأعجاز وإنما يحتاج إلى الآيةالمعجزة في الدنيا ليستدل الناس بها على صحةالنبوة ويعرف صدق الصادق لا في حال إنقطاع التكليف والوقت الذي يكون الناس فيه ملجئين إلى.المعرفة ولأنه سبحانه قال ويقولوا سحر مستمر وفي وقت الإلجاء لا يقولون للمعجز أنه سحر ﴿ وكذبوا ﴾ أي بالآية التي شاهدوها ﴿ واتبعوا أهواءهم ﴾ في التكذيب وما زين لهم الشيطان من الباطل الذي هم عليه

﴿ وكل أمر مستقر ﴾ فالخير يستقر بأهل الخير والشر يستقر بأهل الشر عن قتادة والمعنى أن كل أمر من خير وشر مستقر ثابت حتى يجازى به صاحبه أما في الجنة أو في النار وقيل معناه لكل أمر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف عن الكلبي ﴿ ولقد جاءهم ﴾ أي ولقد جاء هؤلاء الكفار ﴿ من الأنباء ﴾ يعني الأخبار العظيمة في القرآن بكفر من تقدم من الأمم وإهلاكنا إياهم ﴿ ما فيه مزدجر ﴾ أي متعظ وهو بمعنى المصدر أي وازدجار عن الكفر وتكذيب الرسل ﴿ حكمة بالغة ﴾ يعني القرآن حكمة[1] تامة قد بلغت الغاية والنهاية ﴿فما تُغني النذر ﴾ أي أي شيء تنفع النذر مع تكذيب هؤلاء وأعراضهم وهو جمع النذير وقيل معناه فلا تغني النذر شيئاً أي أن الأنبياء الذين بعثوا إليهم لا يغنون عنهم شيئاً من عذاب الله الذي استحقوه بكفرهم لأنهم خالفوهم ولم يقبلوا منهم عن الجبائي وقيل النذر هي الزواجر المخوفة وآيات الوعيد ثم أمره سبحانه بالإعراض عنهم فقال ﴿ فتول عنهم ﴾ أي أعرض عنهم ولا تقابلهم على سفههم وهاهنا وقف تام ﴿ يوم يدع الداع إلى شيء نكر ﴾ أي منكر غير معتاد ولا معروف بل أمر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاماً واختلف في الداعي فقيل هو إسرافيل يدعو الناس إلى المحشر قائماً على صخرة بيت المقدس عن مقاتل وقيل بل الداعي يدعوهم إلى النار ويوم ظرف ليخرجون أي في هذا اليوم يخرجون من الأجداث ويجوز أن يكون التقدير في هذا اليوم يقول الكافرون وقوله ﴿ خشعاً أبصارهم ﴾ يعني خاشعة أبصارهم أي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب وإنما وصف الأبصار بالخشوع لأن ذلة الذليل أو عزة العزيز تتبين في نظره وتظهر في عينه ﴿ يخرجون من الأجداث ﴾ أي من القبور ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ والمعنى أنهم يخرجون فزعين يدخل بعضهم في بعض ويختلط بعضهم ببعض لا جهة لأحد منهم فيقصدها كما أن الجراد لا جهة لها فتكون أبداً متفرقة في كل جهة قال الحسن الجراد يتلبد حتى إذا طلعت عليها الشمس إنتشرت فالمعنى أنهم يكونون ساكنين في قبورهم فإذا دعوا خرجوا وانتشروا وقيل إنما شبههم بالجراد لكثرتهم وفي هذه الآية دلالة على أن البعث إنما يكون لهذه البنية لأنها الكائنة في الأجداث خلافاً لمن زعم أن البعث يكون للأرواح ﴿مهطعين إلى الداعي﴾ أي مقبلين إلى صوت الداعي عن قتادة وقيل مسرعين إلى إجابة الداعي عن أبي عبيدة وقيل ناظرين قبل الداعي قائلين هذا يوم عسر عن الفراء وأبي علي الجبائي وهو قوله ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ أي صعب شديد وقد قيل أيضاً في قوله ﴿فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر ﴾ أقوال أخر (أ-ندها) أن المعنى فأعرض عنهم إذا تعرضوا لشفاعتك

(١) [بالغة].

يوم يدع الداعي وهو يوم القيامة فلا تشفع لهم ذلك اليوم كما لم يقبلوا منك اليوم (وثانيها) أن معناه فتول عنهم فإنهم يرون ما ينزل بهم من العذاب يوم يدع الداعي وهو يوم القيامة فحذف الفاء من جواب الأمر (وثالثها) أن معناه فتول عنهم فإنهم يوم يدعو الداعي صفتهم كذا وكذا وهي ما بينه إلى قوله يوم عسر (ورابعها) فتول عنهم واذكر يوم يدع الداعي إلى آخره عن الحسن ﴿ **كذبت قبلهم** ﴾ أي قبل كفار مكة ﴿ **قوم نوح فكذبوا عبدنا**﴾ نوحاً كما كذبك يا محمد هؤلاء الكفار وجحدوا نبوتك ﴿ **وقالوا مجنون** ﴾ أي هو مجنون قد غطي على عقله ﴿ **وازدجر** ﴾ أي زجر بالشتم والرمي بالقبيح عن ابن زيد وقيل معناه زجر بالوعيد وتوعد بالقتل فهو مثل قوله ﴿ **لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين** ﴾ ﴿ **فدعا ربه أني مغلوب فانتصر** ﴾ أي فقال يا رب قد غلبني هؤلاء الكفار بالقهر لا بالحجة فانتصر أي فانتقم لي منهم بالإهلاك والدمار نصرة لدينك ونبيك وفي هذا دلالة على وجوب الإنقطاع إلى الله تعالى عند سماع الكلام القبيح من أهل الباطل.

﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا
فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ
﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً
فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ
مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾
فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد والباقون بالتخفيف .

[**الحجة**] وجه التخفيف أن فعلنا بالتخفيف يدل على القليل والكثير ووجه التثقيل أنه

يخص الكثير[١] ويقويه قوله ﴿ مفتّحة لهم الأبواب ﴾ .

[اللغة] الهمر صب الدمع والماء بشدة والإنهمار الإنصباب قال امرؤ القيس :

رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا ثُمَّ انْتَحَىٰ فِيهِ شُؤْبُوبُ جَنُوبٍ مُنْهَمِرْ[٢]

والتفجير تشقيق الأرض عن الماء والعيون جمع عين الماء وهو ما يفور من الأرض مستديراً كاستدارة عين الحيوان فالعين مشتركة بين عين الحيوان وعين الماء وعين الذهب[٣] وعين السحاب وعين الركبة والدسر المسامير التي تشد بها السفينة وأحدها دسار ودسير ودسرت السفينة أدسرها دسراً إذا شددتها وقيل إن أصل الباب الدفع يقال دسره بالرمح إذا دفعه بشدة والدسر صدر السفينة لأنه يدسر به الماء أي يدفع ومنه الحديث في العنبر هو شيء دسره البحر ومذكر أصله مذتكر فقلبت التاء دالاً لتواخي الذال بالجهر ثم أدغمت الذال فيها والنذر إسم من الإنذار يقوم مقام المصدر يقال أنذره نذراً بمعنى إنذاراً ومثله أنزله نزلاً بمعنى إنزالاً ويجوز أن يكون جمع نذير والصرصر الريح الشديدة الهبوب حتى يسمع صوتها وهو مضاعف صر يقال صرّ وصرصر وكبّ وكبكب ونهْ ونهنه والمستمر الجاري على طريقة واحدة وإعجاز النخل اسافله والنخل يذكر ويؤنث والمنقعر المنقلع عن أصله لأن قعر الشيء قراره وتقعّر في كلامه تقعّراً إذا تعمّق .

[الإعراب] عيوناً نصب على التمييز أو الحال والأصل وفجرنا عيون الأرض والمعنى وفجرنا جميع الأرض عيوناً ويجوز أن يكون تقديره بعيون فحذف الجار ويجوز أن يكون التقدير وفجرنا من الأرض عيوناً وقوله على أمر[٤] في موضع نصب على الحال وقوله ﴿ بأعيننا ﴾ في موضع نصب بأنه ظرف مكان جزاء منصوب بأنه مفعول له ويجوز أن يكون مصدراً وضع موضع الحال والمعنى فعلنا ذلك مجازين جزاء وآية منصوبة على الحال من الهاء في تركناها .

[المعنى] ثم بين سبحانه إجابته لدعاء نوح (ع) فقال ﴿ ففتحنا أبواب السماء ﴾ هاهنا حذف معناه فاستجبنا لنوح دعاءه ففتحنا أبواب السماء أي أجرينا الماء من السماء

(١) في نسختين: الكثير بالكثير . وفي نسخة الكثير بالتكثير .

(٢) مرتِ الريح السحاب : استدرته واستخرج ما فيها من الماء وانتحى البعير : اعتمد في سيره على أيسره والشؤبوب : الدفعة من المطر وشدّة دفع الشيء والجنوب يحتمل ريح الجنوب أو نقطة الجنوب .

(٣) في نسخة: عين الذهب وعين الميزان وفي نسخة: الميزاب.

(٤) في المخطوطة: على أمر قد قدر .

كجريانه إذا فتح عنه باب كان مانعاً له وذلك من صنع الله الذي لا يقدر عليه سواه وجاز ذلك على طريق البلاغة ﴿ بماء منهمر ﴾ أي منصب إنصباباً شديداً لا ينقطع ﴿ وفجرنا الأرض عيوناً ﴾ أي شققنا الأرض بالماء عيوناً حتى جرى الماء على وجه الأرض ﴿ فالتقى الماء ﴾ يعني فالتقى الماءان : ماء السماء وماء الأرض وإنما لم يثن لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير ﴿ على أمر قد قدر ﴾ فيه هلاك القوم أي على أمر قد قدره الله تعالى وهو هلاكهم وقيل على أمر قد قدره الله تعالى وعرف مقداره فلا زيادة فيه ولا نقصان وقيل معناه أنه كان قدر ماء السماء مثل[1] ما قدر ماء الأرض عن مقاتل وقيل معناه على أمر قدر عليهم في اللوح المحفوظ ﴿ وحملناه على ذات ألواح ﴾ أي وحملنا نوحاً على سفينة ذات ألواح مركبة[2] بعضها إلى بعض وألواحها خشباتها التي منها جمعت ﴿ ودسر ﴾ أي مسامير شدّت بها السفينة عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وقيل هو صدر السفينة يدسر بها الماء عن الحسن وجماعة وقيل هي اضلاع السفينة عن مجاهد وقيل الدسر طرفاها وأصلها والألواح جانباها عن الضحاك ﴿ تجري ﴾ السفينة في الماء ﴿ بأعيننا ﴾ أي بحفظنا وحراستنا وبمرأىً منا ومنه قولهم عين الله عليك وقيل معناه بأعين أولياؤنا ومن وكلناهم بها من الملائكة وقيل معناه تجري بأعين الماء التي اتبعناها ﴿ جزاء لمن كان كفر ﴾ أي فعلنا به وبهم ما فعلنا من إنجائه وإغراقهم ثواباً لمن كان قد كفر به وجحد أمره وهو نوح (ع) والتقدير لمن جحد نبوته وأنكر حقه وكفر بالله فيه ﴿ ولقد تركناها ﴾ أي تركنا هذه الفعلة التي فعلناها ﴿ آية ﴾ أي علامة يعتبر بها وقيل معناه تركنا السفينة ونجاة من فيها وإهلاك الباقين دلالة باهرة على وحدانية الله تعالى وعبرة لمن إتعظ بها وكانت السفينة باقية حتى رآها أوائل هذه الأمة عن قتادة وقيل في كونها آية أنها كانت تجري بين ماء السماء وماء الأرض وقد كان غطاها على ما أمر الله تعالى ﴿ فهل من مدّكر ﴾ أي متذكر يعلم أن ذلك حق فيعتبر به ويخاف وقيل معناه فهل من طالب علم فيعان عليه عن قتادة ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ هذا استفهام عن تلك الحالة ومعناه التعظيم لذلك العذاب أي كيف رأيتم إنتقامي منهم وإنذاري إياهم وقال الحسن النذر جمع نذير وإنما كرر سبحانه هذا القول في هذه السورة لأنه سبحانه لما ذكر أنواع الأنذار والعذاب عقد التذكير بشيء شيء منه على التفصيل ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾ أي سهلناه للحفظ والقراءة حتى يقرأ كله ظاهراً وليس من كتب الله المنزلة كتاب يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن عن سعيد بن جبير والتيسير للشيء هو تسهيله بما ليس فيه كثير مشقة على النفس فمن سهل له

(١) ليس في ساير النسخ لفظة « ما ».
(٢) في ساير النسخ : جمع بعضها .

طريق العلم فهو حقيق بأخذ الحظ الجزيل منه لأن التسهيل أكبر داع إليه وتسهيل القرآن للذكر هو خفة ذلك على النفس بحسن البيان وظهور البرهان في الحِكَم السنية والمعاني الصحيحة الموثوق بها لمجيئها من قبل الله تعالى وإنما صار الذكر من أجل ما يدعى إليه ويحث عليه لأنه طريق العلم لأن الساهي عن الشيء أو عن دليله لا يجوز أن يعلمه في حال سهوه فإذا تذكر الدلائل عليه والطرق المؤدية إليه تعرض لعلمه من الوجه الذي ينبغي له ﴿ فهل من مدَّكر ﴾ أي متعظ معتبر به ناظر فيه ثم قال سبحانه ﴿ كذبت عاد ﴾ أي بالرسول الذي بعثه الله إليهم وهو هود (ع) فاستحقوا الهلال فأهلكهم ﴿ فكيف كان عذابي ﴾ لهم ﴿ ونذر ﴾ أي وإنذاري إياهم ثم بين كيفية إهلاكهم فقال ﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً ﴾ أي شديدة الهبوب عن ابن زيد وقيل باردة عن ابن عباس وقتادة من الصر وهو البرد ﴿ في يوم نحس ﴾ أي في يوم شؤم ﴿ مستمر ﴾ أي دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسته سبع ليال وثمانية أيام حتى أتت عليهم ومستمر من صفة اليوم أي يوم مستمر ضرره عام هلاكه وقيل هو نعت للنحس أي استمر بهم العذاب والنحس في الدنيا حتى إتصل بالعقبى قال[1] الزجاج وقيل أنه كان في يوم الأربعاء في آخر الشهر لا تدور رواه العياشي بالإسناد عن أبي جعفر (ع) ﴿ تنزع الناس ﴾ أي تقتلع هذه الريح الناس ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم فيصيرون ﴿ كأنهم إعجاز نخل منقعر ﴾ أي أسافل نخل منقلع لأن رؤوسهم سقطت عن أبدانهم عن مجاهد وقيل معناه تنزع الناس من حفر حفروها ليمتنعوا بها عن الريح وقيل معناه تنزع أرواح الناس عن الحسن ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ وهو تعظيم للعذاب النازل بهم وتخويف لكفار مكة .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا
وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ
مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ
ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

(١) في نسخة: قاله.

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا
صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾
إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر وحمزة ستعلمون بالتاء والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة أبي السماك أبشر منا بالرفع واحداً نتبعه بالنصب وقراءة أبي قلابة الكذاب الأشرّ بالتشديد وقراءة مجاهد الأشر بضم الشين خفيفة وقراءة الحسن كهشيم المحتظر بفتح الظاء .

[الحجة] قال أبو علي وجه الياء أن قبله غيبة وهو قوله فقالوا أبشرا منا[1] سيعلمون ووجه التاء على أنه قيل لهم ستعلمون وقال ابن جني قوله أبشر عندي مرفوع بفعل يدل عليه قوله ﴿ القي الذكر عليه ﴾ فكأنه قال أيبعث بشر منا فأما إنتصاب واحداً فإن شئت جعلته حالاً من الضمير في قوله ﴿ منا ﴾ اي ينبأ بشر كائن منا والناصب لهذه الحال الظرف كقولك زيد في الدار جالساً وإن شئت جعلته حالاً من الضمير في قوله ﴿ نتبعه ﴾ أي نتبعه واحداً أي منفرداً لا ناصر له وقوله ﴿ الأشر ﴾ بتشديد الراء هو الأصل المرفوض لأن أصل قولهم هذا خير منه[2] وشر منه هذا أخير منه وهذا أشر منه فكثر إستعمال هاتين الكلمتين فحذفت الهمزة منهما وأما الأشر فإنه مما جاء على فعل وفعل من الصفات كحذِر وحذُر ويقِظ ويُقظ ووطِف ووطُف وعجِز وعجُز وأما المحتظر فإنه مصدر أي كهشيم الإحتظار كقولك كآجر البناء وخشب النجارة ويجوز أن يكون المحتظر الشجر أي كهشيم الشجر المتخذة منه الحظيرة أي كما تتهافت من الشجر المجعول حظيرة والهشيم ما تهشم منه وانتثر .

[اللغة] السعر جمع سعير وهو النار المسعرة والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة إذا كانت كأن بها جنوناً وسُعر[3] فلان جنوناً وأصله إلتهاب الشيء والتعاطي التناول والمحتظر الذي يعمل الحظيرة على بستانه أو غنمه[4] وهو المنع من الفعل .

[الإعراب] أبشرا منصوب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره وتقديره إنتبع بشراً منا وقوله ﴿ منا ﴾ صفة أي ابشرا كائناً منا وواحداً صفة بعد صفة والبشر يقع على الواحد والجمع وقوله ﴿ من بيننا ﴾ في محل النصب على الظرف وفتنة منصوب بأنه مفعول له ويجوز أن

(١) في نسخة : فقيل . (٢) [هذا] . (٣) وفي نسختين : واستعر . (٤) [وهو من الحظر] .

يكون مصدراً وضع موضع الحال أي فاتنين لهم .

[المعنى] ثم أقسم سبحانه فقال ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر ﴾ قد فسرناه وقيل أنه سبحانه إنما أعاد ذكر التيسير لينبيء أنه يسرّه على كل حال وكل وجه من وجوه التيسير فمن الوجوه التي يسر الله تعالى بها القرآن هو أن أبان عن الحكم الذي يعمل عليه والمواعظ التي يرتدع بها والمعاني التي تحتاج إلى التنبيه عليها والحجج التي يميز بها بين الحق والباطل عن علي بن عيسى ﴿ كذبت ثمود بالنذر ﴾ أي بالإنذار الذي جاءهم به صالح ومن قال إن النذر جمع نذير قال معناه أنهم كذبوا الرسل بتكذيبهم صالحاً لأن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الجميع لأنهم متفقون في الدعاء إلى التوحيد وإن اختلفوا في الشرائع ﴿ فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه ﴾ أي أنتبع آدمياً مثلنا وهو واحد ﴿ أنا إذاً لفي ضلال ﴾ أي نحن إن فعلنا ذلك في خطأ وذهاب عن الحق ﴿ وسعر ﴾ أي وفي عناء وشدة عذاب فيما يلزمنا من طاعته عن قتادة وقيل في جنون عن ابن عباس في رواية عطاء والفائدة في الآية بيان شبهتهم الركيكة التي حملوا أنفسهم على تكذيب الأنبياء من أجلها وهي أن الأنبياء ينبغي أن يكونوا جماعة وذهب عليهم أن الواحد من الخلق يصلح لتحمل أعباء الرسالة وإن لم يصلح له غيره من جهة معرفته بربه وسلامة ظاهره وباطنه وقيامه بما كلف من الرسالة ﴿ أألقى الذكر عليه من بيننا ﴾ هذا استفهام إنكار وجحود أي كيف ألقي الوحي عليه وخص بالنبوة من بيننا وهو واحد منا ﴿ بل هو كذاب ﴾ فيما يقول ﴿ أشر ﴾ أي بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بالنبوة ثم قال سبحانه ﴿ سيعلمون غداً من الكذاب الأشر ﴾ وهذا وعيد لهم أي سيعلمون يوم القيامة إذا نزل بهم العذاب أهو الكذاب أم هم في تكذيبه وهو الأشر البطر أم هم فذكر مثل لفظهم مبالغة في توبيخهم وتهديدهم وإنما قال غداً على وجه التقريب على عادة الناس في ذكرهم الغد والمراد به العاقبة قالوا إن مع اليوم غداً ﴿ إنا مرسلو الناقة فتنة لهم ﴾ أي نحن باعثو الناقة بإنشائها على ما طلبوها معجزة لصالح وقطعاً لعذرهم وامتحاناً واختباراً لهم وهاهنا حذف وهو أنهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء تضع ثم ترد ماءهم فتشربه ثم تعود عليهم بمثله لبناً فقال سبحانه أنا باعثوها كما سألوها فتنة لهم عن ابن عباس ﴿ فارتقبهم ﴾ أي انتظر أمر الله فيهم وقيل فارتقبهم أي انتظر ما يصنعون ﴿ واصطبر ﴾ على ما يصيبك من الأذى حتى يأتي أمر الله فيهم ﴿ ونبئهم ﴾ أي أخبرهم ﴿ إن الماء قسمة بينهم ﴾ يوم للناقة ويوم لهم ﴿ كل شرب محتضر ﴾ أي كل نصيب من الماء يحضره أهله لا يحضر آخر معه ففي يوم الناقة تحضره الناقة وفي يومهم يحضرونه هم وحضر واحتضر بمعنى واحد وإنما قال قسمة بينهم تغليباً لمن

يعقل والمعنى يوم لهم ويوم لها وقيل إنهم كانوا يحضرون الماء إذا غابت الناقة ويشربونه وإذا حضرت حضروا اللبن وتركوا الماء لها عن مجاهد ﴿ فنادوا صاحبهم ﴾ أي دبّروا في أمر الناقة بالقتل فدعوا واحداً من أشرارهم وهو قدار بن سالف عاقر الناقة ﴿ فتعاطى فعقر ﴾ أي تناول الناقة بالعقر فعقرها وقيل أنه كمن لها في أصل صخرة فرماها بسهم فانتظم[1] به عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها وكان يقال له أحمر ثمود وأحيمر ثمود قال الزجاج والعرب تغلط فتجعله أحمر عاد فتضرب به المثل في الشؤم قال زهير :

وَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ أي فانظر كيف أهلكتهم وكيف كان عذابي لهم وإنذاري إياهم ﴿ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة ﴾ يريد صيحة جبرائيل (ع) عن عطاء وقيل الصيحة العذاب ﴿ فكانوا كهشيم المحتظر ﴾ أي فصاروا كهشيم وهو حطام الشجر المنقطع بالكسر والرض الذي يجمعه صاحب الحظيرة الذي يتخذ لغنمه حظيرة تمنعها من برد الريح والمعنى أنهم بادوا وهلكوا فصاروا كيبيس الشجر المفتت[2] إذا تحطم عن ابن عباس وقيل معناه صاروا كالتراب الذي يتناثر من الحائط فتصيبه الرياح فيتحظر مستديراً عن سعيد بن جبير .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ
لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾
وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن
ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم
بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ

(١) انتظم الصيد : طعنه أو رماه حتى ينفذه .
(٢) وفي نسخة : المتفتت .

ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾

[الإعراب] سحر إذا كان نكرة يراد به سحر من الأسحار يقال رأيت زيداً سحراً من الأسحار فإذا أردت سحر يومك قلت أتيته بسحرَ وأتيته سحرَ وقوله ﴿ نعمة ﴾ مفعول له وقوله ﴿ بكرة ﴾ ظرف زمان فإذا كان معرفة بأن تريد بكرة يومك تقول أتيته بكرةَ وغدوةَ لم تصرفهما فبكرة هنا نكرة .

[المعنى] ثم أقسم سبحانه فقال ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدَّكر ﴾ قال قتادة أي فهل من طالب علم يتعلم ﴿ كذبت قوم لوط بالنذر ﴾ أي بالإنذار وقيل بالرسل على ما فسّرناه ﴿ أنا أرسلنا عليهم حاصباً ﴾ أي ريحاً حصبتهم أي رمتهم بالحجارة والحصباء قال ابن عباس يريد ما حصبوا به من السماء من الحجارة في الريح قال الفرزدق :

مُسْتَقْبِلِينَ شِمَـالَ الشَّـامِ تَضْـرِبُنَـا ... بِحَاصِبٍ كَنَـدِيفِ الْقُـطْنِ مَنْثُورِ[1]

ثم إستثنى آل لوط فقال ﴿ إلا آل لوط نجيناهم ﴾ أي خلصناهم ﴿ بسحر ﴾ من ذلك العذاب الذي أصاب قومه ﴿ نعمة من عندنا ﴾ أي إنعاماً فيكون مفعولاً له ويجوز أن يكون مصدراً وتقديره أنعمنا عليهم بذلك نعمة ﴿ كذلك ﴾ أي كما أنعمنا عليهم ﴿ نجزي من شكر ﴾ قال مقاتل يريد من وحد الله تعالى لم يعذب مع المشركين ﴿ ولقد أنذرهم ﴾ لوط ﴿ بطشتنا ﴾ أي أخذنا إياهم بالعذاب ﴿ فتماروا بالنذر ﴾ أي تدافعوا بالإنذار على وجه الجدال بالباطل وقيل معناه فشكوا ولم يصدقوه وقالوا كيف يهلكنا وهو واحد منا وهو تفاعلوا من المرية ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه ﴾ أي طلبوا منه أن يسلّم إليهم أضيافه ﴿ فطمسنا أعينهم ﴾ أي محوناها والمعنى عميت أبصارهم عن الحسن وقتادة وقيل معناه أزلنا تخطيط وجوههم حتى صارت ممسوحة لا يرى أثر عين وذلك أن جبرائيل (ع) صفق أعينهم بجناحه صفقة فاذهبها والقصة مذكورة فيما مضى وتم الكلام ثم قال ﴿ فذوقوا عذابي ونذر ﴾ أي فقلنا لقوم لوط لما أرسلنا عليهم العذاب ذوقوا عذابي ونذري ﴿ ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ﴾ أي أتاهم صباحاً عذاب نازل بهم حتى هلكوا جميعاً ﴿ فذوقوا عذابي ونذر ﴾ ووجه التكرار أن الأول عند الطمس والثاني عند الإئتفاك[2] فكلما تجدد العذاب تجدد

---

(١) الضمير في تضربنا راجع إلى الشمال والمراد ريح الشمال أي كانت ريح الشمال تضربنا بالعرض منثورة فيها كالقطن المندوف ومر البيت في ج ٦

(٢) ائتفكت البلدة بأهلها : إنقلبت .

التقريع ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ مر معناه ﴿ ولقد جاء آل فرعون ﴾ النذر أي متابعي فرعون بالقرابة والدين ﴿ النذر ﴾ أي الإنذار وقيل هو جمع نذير يعني الآيات التي أنذرهم بها موسى ﴿ كذبوا بآياتنا كلها ﴾ وهي الآيات التسع التي جاءهم بها موسى وقيل بجميع الآيات لأن التكذيب بالبعض تكذيب بالكل ﴿فأخذناهم﴾ بالعذاب ﴿ أخذ عزيز ﴾ أي قادر لا يمتنع عليه شيء فيما يريد ﴿ مقتدر ﴾ على ما يشاء .

﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

[القراءة] قرأ يعقوب عن[1] رويس سنهزم الجمع والباقون سيهزم الجمع وفي الشواذ قراءة أبي السماك أنا كل شيء بالرفع وقراءة زهير[2] والقرقني والأعمش ونهر بضتين .

[الحجة] قال ابن جنى الرفع في قوله ﴿ أنا كل شيء خلقناه ﴾ أقوى من النصب وإن كانت الجماعة على النصب وذلك أنه من مواضع الإبتداء فهو كقولك زيد ضربته وهو مذهب

(١) وفي نسختين*: غير رويس بدل عن رويس . (٢) وفي نسختين: زهير الفرقني وفي نسخة: والقرقبي .

صاحب الكتاب لأنها جملة وقعت في الأصل خبراً عن المبتدأ في قولك نحن كل شيء خلقناه بقدر فهو كقولك زيد هند ضربها ثم دخلت أنّ فنصبت الإسم وبقي الخبر على تركيبه الذي كان عليه واختيار محمد بن يزيد النصب لأن تقديره أنا فعلنا كذا قال والفعل منتظر بعد أنا فلما دل عليه ما قبله حسن إضماره قال ابن جني وهذا ليس بشيء لأن الأصل في خبر المبتدأ أن يكون إسماً لا فعلاً جزاء[1] منفرداً فما معنى توقع الفعل هنا وخبر إن وأخواتها كأخبار المبتدأ وقوله نُهُر جمع نَهَر فيكون كأسد وأُسَد ووُثُن ووَثَن ويجوز أن يكون جمع نَهْر كسُقُف وسَقْف ورُهُن ورَهْن .

[المعنى] ثم خوّف سبحانه كفار مكة فقال ﴿اكفاركم خير﴾ وأشد وأقوى ﴿من اولئكم﴾ الذين ذكرناهم وقد اهلكناهم وهذا استفهام انكار اي لستم افضل من قوم نوح وعاد وثمود لا في القوة ولا في الثروة ولا في كثرة العدد والعدة والمراد بالخير ما يتعلق بأسباب الدنيا لا أسباب الدين والمعنى انه إذا هلك أولئك الكفار فما الذي يؤمّنكم ان ينزل بكم ما نزل بهم ﴿أم لكم براءة في الزبر﴾ أي ألكم براءة من العذاب في الكتب السالفة أنه لن يصيبكم ما اصاب الأمم الخالية ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر﴾ أي أم يقول هؤلاء الكفار نحن جميع امرنا ننتصر من اعدائنا عن الكبي والمعنى انهم يقولون نحن يد واحدة على من خالفنا ننتصر ممن عادانا فيدلون بقوتهم واجتماعهم ووحد منتصر للفظ الجميع فإنه واحد في اللفظ وان كان اسماً للجماعة كالرهط والجيش أي كما انهم ليسوا بخير من أولئك ولا لهم براءة فكذلك لاجمع لهم يمنع عنهم عذاب الله وينصرهم وان قالوا نحن مجتمعون متناصرون فلا نرام ولا نقصد ولا يطمع احد في غلبتنا ثم قال سبحانه ﴿سيهزم الجمع﴾ اي جمع كفار مكة ﴿ويولون الدبر﴾ اي ينهزمون فيولونكم أدبارهم في الهزيمة ثم اخبر سبحانه نبيه ﷺ انه سيظهره عليهم ويهزمهم فكانت هذه الهزيمة يوم بدر فكان موافقة الخبر للمخبر من معجزاته ثم قال سبحانه ﴿بل الساعة موعدهم﴾ أي ان موعد الجميع للعذاب يوم القيامة ﴿والساعة أدهى وأمر﴾ فالأدهى الأعظم في الدهاء والدهاء عظم سبب الضرر مع شدة انزعاج النفس وهو من الداهية اي البلية التي ليس في ازالتها حيلة والمعنى ان ما يجري عليهم من القتل والاسر يوم بدر وغيره لا يخلصهم من عقاب الآخرة بل عذاب الآخرة اعظم في الضرر واقطع وأمرّ أي أشد مرارة من القتل والأسر في الدنيا وقيل الأمرّ الأشد في استمرار البلاء لأن اصل المر النفوذ ثم بيّن سبحانه حال القيامة فقال ﴿ان المجرمين في ضلال وسعر﴾ اي في ذهاب

(١) وفي نسخة : خبراً منفرداً وفي اخرى لا خبراً منفرداً.

عن وجه النجاة وطريق الجنة في نار مسعرة عن الجبائي وقيل في ضلال أي في هلاك وذهاب عن الحق وسعر أي عناء وعذاب ﴿يوم يسحبون﴾ اي يجرّون ﴿في النار على وجوههم﴾ يعني ان هذا العذاب يكون لهم في يوم يجرهم الملائكة فيه على وجوههم في النار ويقال لهم ﴿ذوقوا مس سقر﴾ يعني اصابتها اياهم بعذابها وحرّها وهو كقولهم وجدت مس الحمى وسقر جهنم وقيل هي باب من أبوابها واصل السقر التلويح يقال سقرته الشمس وصقرته إذا لوحته وإنما لم ينصرف للتعريف والتأنيث ﴿انا كل شيء خلقناه بقدر﴾ اي خلقنا كل شيء خلقناه مقدراً بمقدار توجبه الحكمة لم نخلقه جزافاً ولا تخبيتاً[1] فخلقنا العذاب أيضاً على قدر الاستحقاق وكذلك كل شيء في الدنيا والآخرة خلقناه مقدراً بمقدار معلوم عن الجبائي وقيل معناه خلقنا كل شيء على قدر معلوم فخلقنا اللسان للكلام واليد للبطش والرجل للمشي والعين للنظر والاذن للسماع والمعدة للطعام ولو زاد أو نقص عما قدرناه لما تم الغرض عن الحسن وقيل معناه جعلنا لكل شيء شكلاً يوافقه ويصلح له كالمرأة للرجل والأتان للحمار وثياب الرجال للرجال وثياب النساء للنساء عن ابن عباس وقيل خلقنا كل شيء بقدر مقدر وقضاء محتوم في اللوح المحفوظ ﴿وما امرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ أي واما امرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كطرف البصر عن ابن عباس والكلبي ومعنى اللمح النظر بالعجلة وهو خطف البصر والمعنى إذا أردنا قيام الساعة اعدنا الخلق وجميع المخلوقات[2] في قدر لمح البصر في السرعة وقيل معناه وما امرنا إذا اردنا ان نكون شيئاً إلا مرة واحدة لم نحتج فيه إلى ثانية وإنما نقول له كن فيكون كلمح البصر في سرعته من غير ابطاء ولا تأخير عن الجبائي ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أي اشباهكم ونظائركم ففي الكفر من الأمم الماضية عن الحسن وسماهم اشياعهم لما وافقوهم في الكفر وتكذيب الأنبياء ﴿فهل من مدكر﴾ اي فهل من متذكر لما يوجبه هذا الوعظ من الانزجار عن مثل ما سلف من اعمال الكفار لئلا يقع به ما وقع بهم من الإهلاك ﴿وكل شيء فعلوه في الزبر﴾ اي في الكتب التي كتبها الحفظة وهذه إشارة الى انهم غير مغفول عنهم عن الجبائي وقيل معناه ان جميع ذلك مكتوب عليهم في الكتاب المحفوظ لأنه من أعظم العبرة في علم ما يكون قبل ان يكون على التفصيل ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ اي وما قدموه من اعمالهم من صغير وكبير مكتوب عليهم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل معناه كل صغير وكبير من الأرزاق والآجال والموت

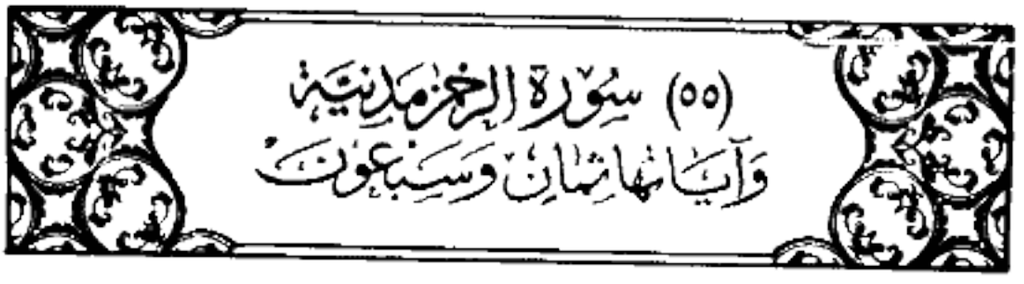
(١) وفي نسخة : تنحيتاً ولا معنى مناسب لهما وفي نسخة : تعبثاً ولعله يناسب المورد.

(٢) وفي المخطوطة : الحيوانات.

والحياة ونحوها مكتوب في اللوح المحفوظ ﴿ان المتقين في جنات ونهر﴾ أي أنهار يعني انهار الجنة من الماء والخمر والعسل[1] وضع نهر في موضع انهار لأنه اسم جنس يقع على الكثير والقليل والاولى ان يكون إنما وحّد لوفاق الفواصل والنهر هو المجرى الواسع من مجاري الماء ﴿في مقعد صدق﴾ أي في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وقيل وصفه بالصدق لكونه رفيعاً مرضياً وقيل لدوام النعيم به وقيل لأن الله صدق وعد أوليائه فيه ﴿عند مليك مقتدر﴾ اي عند الله سبحانه فهو المالك القادر الذي لا يعجزه شيء وليس المراد قرب المكان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً بل المراد انهم في كنفه وجواره وكفايته حيث تنالهم غواشي رحمته وفضله .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) في المخطوطة : الخمر واللبن والعسل.



وقيل مكية غير آية نزلت بالمدينة يسأله من في السماوات والأرض عن عطاء وقتادة وعكرمة واحدى الروايتين عن ابن عباس وقيل مدنية عن الحسن وهمام عن قتادة وأبي حاتم.

[عدد آيها] ثمان وسبعون آية كوفي شامي سبع حجازي ست بصري .

[اختلافها] خمس آيات الرحمن كوفي شامي خلق الإنسان الاول غير المدني وضعها للأنام غير المكي المجرمون غير البصري شواظ من نار حجازي .

[فضلها] ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة الرحمن رحم الله ضعفه وادى شكر ما انعم الله عليه وروي عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام عن النبي ﷺ قال لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن جل ذكره . ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال لا تدعوا قراءة الرحمن والقيام بها فإنها لا تقر في قلوب المنافقين وتأتي ربها يوم القيامة في صورة آدمي في أحسن صورة واطيب ريح حتى تقف من الله موقفاً لا يكون احد أقرب إلى الله سبحانه منها فيقول لها من الذي كان يقوم بك في الحياة الدنيا ويدمن قراءتك فتقول يا رب فلان وفلان فتبيض وجوههم فيقول لهم اشفعوا فيمن أحببتم فيشفعون حتى لا يبقى لهم غاية ولا احد يشفعون له فيقول لهم ادخلوا الجنة واسكنوا فيها حيث شئتم. حماد بن عثمان قال قال الصادق (ع) يجب ان يقرأ الرجل سورة الرحمن يوم الجمعة فكلما قرأ فبأي آلاء ربكما تكذبان قال لا بشيء من آلائك يا رب[1] اكذب وعنه (ع) قال من قرأ سورة الرحمن ليلاً يقول عند كل فبأي آلاء ربكما تكذبان لا بشيء من آلائك يا رب اكذب وكل الله به ملكاً ان قرأها في أول الليل يحفظه حتى يصبح وان قرأها حين

(١) وفي نسختين: ربنا نكذب.

يصبح وكل الله به ملكاً يحفظه حتى يمسي .

[تفسيرها] ختم الله سبحانه سورة القمر باسمه وافتتح هذه السورة ايضاً باسمه فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان بالنصب فيهما جميعاً وقرأ حمزة والكسائي وخلف والحب ذو العصف بالرفع والريحان بالجر والباقون بالرفع في الجميع وفي الشواذ قراءة ابي السماك والسماء رفعها بالرفع وقرأ بلال بن ابي بردة ولا تخسروا بفتح التاء والسين وبكسر السين أيضاً .

[الحجة] قال ابو علي قال أبو عبيدة العصف الذي يعصف فيؤكل من الزرع وهي العصيفة قال علقمة بن عبدة .

تَسْقِي مَذَانِبَ قَدْ مَالَتْ عَصِيفَتُهَا حُدُودُهَا مِنْ أَتِيِّ الْمَاءِ مَطْمُومُ (١)

(١) المذنب : مسيل الماء الى الأرض ومسيل في الحضيض اذا لم يكن واسعاً وطمّ الماء غمر وطمّ فلان الاناء : ملأه والأتي : السيل الغريب ويضم الالف مصدراً في يصف عبرته وكثرة بكائه .

والريحان الحب الذي يؤكل يقال سبحانك وريحانك اي ورزقك قال النمر بن تغلب[١].

سَلامُ الإلَهِ وَرَيْحانُهُ وَرَحْمَتُهُ وَسَماءٌ دَرِرُ

وقيل العصف والعصيفة ورق الزرع وعن قتادة العصف التبن ومن قرأ والحب ذا العصف حمله على وخلق الحب وخلق والريحان وهو الرزق ويقوي ذلك قوله فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى ومن رفع الريحان فالتقدير فيها فاكهة والريحان والحب ذو العصف ومن جر فالتقدير فالحب ذو العصف وذو الريحان أي من الحب الرزق فإن قلت فإنَّ العصف والعصيفة رزق ايضاً فكأنه قال ذو الرزق وذو الرزق قيل هذا لا يمتنع لأن العصيفة رزق غير الرزق الذي اوقع الريحان عليه وكأن الريحان اريد به الحب إذا خلص من لفائفه فاوقع عليه الرزق لعموم المنفعة به وانه رزق للناس وغيرهم ويبعد ان يكون الريحان المشموم في هذا الموضع إنما هو قوت الناس والأنعام كما قال فأخرجنا به ازواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم وقوله والسماء رفعها قال ابن جني الرفع هنا اظهر من قراءة الجماعة وذلك انه صرفه إلى الابتداء لأنه عطفه على الجملة المركبة من المبتدأ والخبر وهي قوله والنجم والشجر يسجدان فأما قراءة العامة بالنصب فإنها معطوفة على يسجدان وحدها وهي جملة من فعل وفاعل والعطف يقتضي التماثل في تركيب الجمل فيصير تقديره يسجدان ورَفَعَ السماء فلما اضمر رفع فسره بقوله رفعها كقولك قام زيد وعمراً ضربته اي وضربت عمراً لتعطف جملة من فعل وفاعل على أخرى مثلها واما قوله تخسروا بفتح التاء فإنه على حذف حرف الجر أي لا تخسروا في الميزان فلما حذف حرف الجر أفضى اليه الفعل فنصبه كقوله واقعدوا لهم كل مرصد أي في كل مرصد أو على كل مرصد وأما تخسروا بفتح التاء وكسر السين فعلى خسرت الميزان وإنما المشهور اخسرته تقول خسر الميزان واخسرته ويشبه ان يكون خسرته لغة في اخسرته نحو اجبرت الرجل وجبرته واهلكته وهلكته .

[اللغة] الرحمن هو الذي وسعت رحمته كل شيء فلذلك لا يوصف به إلا الله تعالى وأما راحم ورحيم فيجوز أن يوصف بهما العباد والبيان هو الأدلة الموصلة إلى العلم وقيل البيان اظهار المعنى للنفس بما يتميز به من غيره كتميز معنى رجل من معنى فرس ومعنى قادر من معنى عاجز ومعنى عام من معنى خاص والحسبان مصدر حسبته احسبه حساباً وحسباناً نحو السكران والكفران وقيل هو جمع حساب كشهاب وشهبان والنجم من النبات ما

(١)وفي نسخة : التولب.

لم يقم على ساق نحو العشب والبقل والشجر ما قام على ساق واصله الطلوع يقال نجم القرن والنبات إذا طلعا وبه سمي نجم السماء لطلوعه والأكمام جمع كم وهو وعاء ثمرة النخل تكمم في وعائه إذا اشتمل عليه والآلاء النعم واحدها إلى على وزن معى وإلى على وزن قفا عن أبي عبيدة .

[الاعراب] الرحمن آية مع انه ليس بجملة لأنه في تقدير الله الرحمن حتى تصح الفاصلة فهو خبر مبتدأ محذوف نحو قوله سورة انزلناها أي هذه سورة الا تطغوا تقديره لأن لا تطغوا فهو في محل نصب بأنه مفعول له ولفظه نفي ومعناه نهي ولذلك عطف عليه بقوله واقيموا الوزن وقوله فيها فاكهة مبتدأ وخبر في موضع نصب على الحال.

[المعنى] ﴿الرحمن﴾ افتتح سبحانه هذه السورة بهذا الاسم ليعلم العباد ان جميع ما وصفه يعد من افعاله الحسنى إنما صدرت من الرحمة التي تشمل جميع خلقه وكأنه جواب لقولهم وما الرحمن في قوله وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن وقد روي انه لما نزل قوله قل ادعوا الله أو أدعوا الرحمن قالوا ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة فقيل لهم الرحمن ﴿علم القرآن﴾ اي علم محمداً ﷺ القرآن وعلّمه محمد ﷺ أمته عن الكلبي وقيل هو جواب لأهل مكة حين قالوا إنما يعلمه بشر فبين سبحانه ان الذي علمه القرآن هو الرحمن والتعليم هو تبيين ما به يصير من لم يعلم عالماً والاعلام ايجاد ما به يصير عالماً ذكر سبحانه النعمة فيما علم من الحكمة بالقرآن الذي احتاج اليه الناس في دينهم ليؤدوا ما يجب عليهم ويستوجبوا الثواب بطاعة ربهم قال الزجاج معنى علم القرآن يسّره لأن يذكر ﴿خلق الإنسان﴾ اي اخرجه من العدم إلى الوجود والمراد بالإنسان هنا آدم (ع) عن ابن عباس وقتادة ﴿علمه البيان﴾ اي اسماء كل شيء واللغات كلها قال الصادق (ع) البيان الاسم الاعظم الذي به علم كل شيء وقيل الإنسان اسم الجنس وقيل[1] معناه الناس جميعاً. علمه البيان اي النطق والكتابة والخط والفهم والافهام حتى يعرف ما يقول وما يقال له عن الحسن وابي العالية وابن زيد والسدي وهذا هو الاظهر الأعم وقيل البيان هو الكلام الذي يبين به عن مراده وبه يتميز من سائر الحيوانات عن الجبائي وقيل خلق الإنسان يعني محمداً ﷺ علمه البيان يعني ما كان وما يكون عن ابن كيسان ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ اي يجريان بحسبان ومنازل لا يعدوانها وهما يدلان على عدد الشهور والسنين والأوقات عن ابن عباس وقتادة فأضمر يجريان وحذفه لدلالة الكلام عليه وتحقيق معناه انهما يجريان على وتيرة واحدة

(١) ليس في المخطوطة لفظة قيل.

وحساب متفق على الدوام لا يقع فيه تفاوت فالشمس تقطع بروج الفلك في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وشيء والقمر في ثمانية وعشرين يوماً فيجريان ابداً على هذا الوجه وإنما خصهما بالذكر لما فيهما من المنافع الكثيرة للناس من النور والضياء ومعرفة الليل والنهار ونضج الثمار إلى غير ذلك فذكرهما لبيان النعمة بهما على الخلق ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ يعني بالنجم نبت الأرض الذي ليس له ساق وبالشجر ما كان له ساق يبقى في الشتاء عن ابن عباس وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وقيل اراد بالنجم نجم السماء وهو موحد والمراد به جميع النجوم والشجر يسجدان لله بكرة وعشياً كما قال في موضع آخر والشجر والدواب عن مجاهد وقتادة وقال اهل التحقيق ان المعنى في سجودهما هو ما فيهما من الآية الدالة على حدوثهما وعلى أن لهما صانعاً انشأهما وما فيهما من الصنعة والقدرة التي توجب السجود وقيل سجودهما سجود ظلالهما كقوله يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون عن الضحاك وسعيد بن جبير والمعنى فيه ان كل جسم له ظل فهو يقتضي الخضوع بما فيه من دليل الحدوث واثبات المحدث المدبر وقيل معنى سجودهما انه سبحانه يصرفهما على ما يريده من غير امتناع فجعل ذلك خضوعاً ومعنى السجود الخضوع كما في قوله ﴿ترى الاكم فيها سجداً للحوافر﴾ عن الجبائي ﴿والسماء رفعها﴾ اي ورفع السماء رفعها فوق الارض دل سبحانه بذلك على كمال قدرته ﴿ووضع الميزان﴾ يعني آلة الوزن للتوصل الى الإنصاف والإنتصاف عن الحسن وقتادة قال قتادة هو الميزان المعهود ذو اللسانين وقيل المراد بالميزان العدل والمعنى انه امرنا بالعدل عن الزجاج ويدل عليه قوله ﴿الا تطغوا في الميزان﴾ اي لا تتجاوزوا فيه العدل والحق إلى البخس والباطل تقديره فعلت ذلك لئلا تطغوا ويحتمل أيضاً ان يكون لا تطغوا نهياً منفرداً وتكون ان مفسرة بمعنى اي وقيل ان المراد بالميزان القرآن الذي هو أصل الدين فكأنه تعالى بين ادلة العقل وأدلة السمع وإنما اعاد سبحانه ذكر الميزان من غير اضمار ليكون الثاني قائماً بنفسه في النهي عنه إذا قيل لهم لا تطغوا في الميزان ﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾ اي اقيموا لسان الميزان بالعدل إذا اردتم الأخذ والاعطاء ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ اي لا تنقصوه بالبخس والجور بل سووه بالانصاف والعدل قال سفيان بن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب ﴿والأرض وضعها للأنام﴾ لما ذكر السماء الأرض في مقابلتها اي وبسط الأرض ووطأها للناس وقيل الأنام كل شيء فيه روح عن ابن عباس وقيل الأنام الجن والانس عن الحسن وقيل جميع الخلق من كل ذي روح عن مجاهد وعبر عن الأرض بالوضع لما عبر عن السماء بالرفع وفي ذلك بيان النعمة على الخلق وبيان وحدانية الله تعالى كما في رفع السماء ﴿فيها فاكهة﴾ اي في الأرض ما يتفكه به من الوان

الثمار المأخوذة من الاشجار ﴿والنخل ذات الاكمام﴾ اي الأوعية والغلف وثمر النخل يكون في غلف ما لم ينشق وقيل الاكمام ليف النخل الذي تكم فيه عن الحسن وقيل معناه ذات الطلع لأنه الذي يتغطى بالاكمام عن ابن زيد ﴿والحب﴾ يريد جميع الحبوب مما يحرث في الأرض من الحنطة والشعير وغيرهما ﴿ذو العصف﴾ اي ذو الورق فإذا يبس وديس صار تبناً عن مجاهد والجبائي وقيل العصف التبن لأن الريح تعصفه اي تطيره عن ابن باس وقتادة والضحاك وقيل هو بقل الزرع وهو أول ما ينبت منه عن السدي والفراء ﴿والريحان﴾ يعني الرزق في قول الاكثرين وقال الحسن وابن زيد هو ريحانكم الذي يشم وقال الضحاك الريحان الحب المأكول والعصف الورق الذي لا يؤكل فهو رزق الدواب والريحان رزق الناس فذكر سبحانه قوت الناس والانعام ثم خاطب الانس والجن بقوله ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أي فبأي نعم ربكما من هذه الأشياء المذكورة تكذبان لأنها كلها منعم عليكم بها والمعنى انه لا يمكن جحد شيء من هذه النعم فأما الوجه لتكرار هذه الآية في هذه السورة فإنما هو التقرير بالنعم المعدودة والتأكيد في التذكير بها فكلما ذكر سبحانه نعمة انعم بها قرر عليها ووبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره اما احسنت اليك حين اطلقت لك مالاً اما أحسنت اليك حين ملكتك عقاراً اما احسنت اليك حين بنيت لك داراً فيحسن فيه التكرار لاختلاف ما يقرره به ومثله كثير في كلام العرب واشعارهم قال مهلهل بن ربيعة يرثي اخاه كليباً .

عَلىٰ أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إذا طُرِدَ الْيَتِيمُ عَنِ الْجَزُورِ
عَلىٰ أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إذا مَا ضِيمَ جِيرَانُ الْمُجِيرِ
عَلىٰ أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إذا رُجِفَ الْعِضَاةُ مِنَ الدُّبُورِ
عَلىٰ أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إذا خَرَجَتْ مُخَبَّأَةُ الْخُدُورِ
عَلىٰ أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إذا مَا أُعْلِنَتْ نَجْوى الصُّدُورِ

وقالت ليلى الاخيية ترثي توبة بن الحمير .

لَنِعْمَ الْفَتىٰ يَا تَوْبَ كُنْتَ وَلَمْ تَكُنْ ... لِتُسْبَقَ يَوْماً كُنْتَ فِيهِ تُجَاوِلُ
وَنِعْمَ الْفَتىٰ يَا تَوْبَ كُنْتَ إذا الْتَقَتْ ... صُدُورُ الْعَوالِي وَاسْتَشالَ[1] الأَسافِلُ
وَنِعْمَ الْفَتىٰ يَا تَوْبَ كُنْتَ لِخائِفٍ ... أَتاكَ لِكَيْ تَحْمي وَنِعْمَ الْمُجامِلُ

(١) استشال: ارتفع .

وَنِعْمَ الْفَتَىٰ يَا تَوْبَ جَاراً وَصَاحِباً ... وَنِعْمَ الْفَتَىٰ يَا تَوْبَ حِينَ تُنَاضِلُ
لَعَمْرِي لأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْكِي لِفَقْدِهِ ... وَلَوْ لاَمَ فِيهِ نَاقِصُ الرَّأْيِ جَاهِلُ
لَعَمْرِي لأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْكِي لِفَقْدِهِ ... إِذَا كَثُرَتْ بِالْمُلْجِمِينَ التَّلاَتِلُ[1]
أَبَىٰ لَكَ ذَمُّ النَّاسِ يَا تَوْبَ كُلَّمَا ... ذُكِرْتَ أُمُورٌ مُحْكَمَاتٌ كَوَامِلُ
أَبَىٰ لَكَ ذَمُّ النَّاسِ يَا تَوْبَ كُلَّمَا ... ذُكِرْتَ سَمَاحٌ حِينَ تَأْوِي الأَرَامِلُ
فَلاَ يُبْعِدَنْكَ اللَّهُ يَا تَوْبَ إِنَّمَا ... كَذَاكَ الْمَنَايَا عَاجِلاَتٌ وَآجِلُ
وَلاَ يُبْعِدَنْكَ اللَّهُ يَا تَوْبُ إِنَّمَا ... لَقِيتَ حِمَامَ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ عَاجِلُ

فخرجت في هذه الأبيات من تكرار إلى تكرار لاختلاف المعاني التي عددتها وقال الحارث بن عباد :

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي ... لَقِحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ[2]

وكرر هذه اللفظة قرباً مربط النعامة مني في أبيات كثيرة وفي أمثال هذا كثرة وهذا هو الجواب بعينه عن التكرار لقوله ويل يومئذ للمكذبين في المرسلات .

﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾
وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾
بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾
يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾
وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا

(١) التلاتل : الشدائد .

(٢) النعامة اسم فرسه ولقحت الناقة عن حيال اي بعدان لم تكن تلقح .

تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو
الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾
يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة والبصرة يخرج منهما بضم الياء وفتح الراء والباقون يخرج بفتح الياء وضم الراء وقرأ حمزة ويحيى عن أبي بكر المنشئات بكسر الشين والباقون بفتح الشين .

[الحجة] قال أبو علي من قرأ يُخرج كان قوله بيّناً لأن ذلك إنما يُخرج ولا يخرج بنفسه ومن قرأ يخرج جعل الفعل للؤلؤ والمرجان وهو اتساع لأنه إذا أخرج ذلك فقد خرج وقال يخرج منهما اللؤلؤ ولم يقل من أحدهما على حذف المضاف كما قال على رجل من القريتين عظيم على ذلك وقال أبو الحسن زعم قوم أنه يخرج من العذاب[1] أيضاً والمرجان صغار اللؤلؤ واحدها مرجانة قال ذو الرمة :

كَأَنَّ عُرَى الْمَرْجَانِ مِنْهَا تَعَلَّقَتْ عَلَىٰ أُمِّ خَشْفٍ مِنْ ظِبَاءِ الْمَشَاقِرِ[2]

والمنشآت المجردات المرفوعات فمن فتح الشين فلأنها أنشئت وأجريت ولم تفعل ذلك انفسها ومن قرأ المنشئات نسب الفعل اليها على الاتساع كما يقال مات زيد ومرض عمرو ونحو ذلك مما يضاف الفعل إليه إذا وجد فيه وهو في الحقيقة لغيره وكان المعنى المنشئات السير فحذف المفعول للعلم به واضافة السير اليها اتساع أيضاً لأن سيرها إنما يكون في الحقيقة بهبوب الريح أو دفع الصراري[3] .

[اللغة] الصلصال الطين اليابس الذي يسمع منه صلصلة والفخار الطين الذي طبخ

(١) وفي نسخة : العذب .

(٢) يصف امرأة وعُرى المرجان اي أطواقها والخشف ولد الظباء . المشاقر من الرمل : المنصوب في الارض . واسم موضع .

(٣) الصراري الميلاح .

بالنار حتى صار خزفاً والمارج المضطرب المتحرك وقيل المختلط يقال مرج الأمر أي اختلط ومرجت عهود القوم وأماناتهم قال الشاعر :

مَرَجَ الدِّينُ فأَعْدَدْتُ لَهُ مُشْرِفَ الحارِكِ مَحْبُوكَ الْكَتَدا[1]

ومرج الدابة في المرعى إذا خلاها لترعى والبرزخ الحاجز بين الشيئين والجواري السفن لأنها تجري في الماء واحدتها جارية ومنه الجارية للمرأة الشابة لأنها يجري فيها ماء الشباب والأعلام الجبال واحدها علم قالت الخنساء :

وإنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رَأْسِهِ نَارُ

وقال جرير « إذا قطعن علماً بدا[2] علما » والفناء انتفاء الأجسام والصحيح أنه معنى يضاد الجواهر[3] باق لا ينتفي الا بضد أو ما يجري مجرى الضد وضده الفناء .

[**المعنى**] ثم قال سبحانه عاطفاً على ما تقدم من الأدلة على وحدانيته والإبانة عن نعمه على خلقه فقال ﴿**خلق الإنسان**﴾ يعني به آدم وقيل جميع البشر لأن اصلهم آدم (ع) ﴿**من صلصال**﴾ أي طين يابس وقيل حمأ منتن ويحتمل الوجهين جميعاً لأنه كان حماً مسنوناً ثم صار يابساً ﴿**كالفخار**﴾ أي كالآجر والخزف ﴿**وخلق الجان**﴾ أي أبا الجن قال الحسن هو إبليس أبو الجن وهو مخلوق من لهب النار كما أن آدم (ع) مخلوق من طين ﴿**من مارج من نار**﴾ أي من نار مختلط أحمر وأسود وأبيض عن مجاهد وقيل المارج الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ فبأي نعمه تكذبان أيها الثقلان أي أبأن خلقكما من نفس واحدة ونقلكما من التراب والنار إلى الصورة التي أنتم عليها تكذبان ﴿**رب المشرقين ورب المغربين**﴾ يعني مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل المراد بالمشرقين مشرق الشمس والقمر وبالمغربين مغرب الشمس والقمر بين سبحانه قدرته على تصريف الشمس والقمر ومن قدر على ذلك قدر على كل شيء ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان**﴾ ذكر سبحانه عظيم قدرته حيث خلق البحرين العذب والمالح يلتقيان ثم لا يختلط أحدهما بالآخر وهو قوله بينهما برزخ أي حاجز من قدرة الله فلا يبغي الملح على العذب فيفسده ولا العذب على الملح فيفسده ويختلط به ومعنى مرج أرسل عن ابن عباس وقيل المراد بالبحرين بحر السماء وبحر

---

(١) الحارك : اعلى الكاهل والمحبوك : المحكم الخلق والصنعة والكَتِد مجتمع الكتفين من الإنسان والفرس.

(٢) وفي المخطوطة : ابدا علم وفي أخرى: علم بدا علم . (٣) [لأن الجوهر] .

الأرض فإن في السماء بحراً يمسكه الله بقدرته ينزل منه المطر فيلتقيان في كل سنة وبينهما حاجز يمنع بحر السماء من النزول وبحر الأرض من الصعود عن ابن عباس والضحاك ومجاهد وقيل انهما بحر فارس وبحر الروم عن الحسن وقتادة فإن آخر طرف هذا يتصل بآخر طرف ذلك والبرزخ بينهما الجزائر وقيل مرج البحرين خلط طرفيهما عند التقائهما من غير أن يختلط جملتهما لا يبغيان أي لا يطلبان أن لا يختلطا[1] ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك وقيل المرجان خرز أحمر كالقضبان يخرج من البحر وهو السد عن عطاء الخراساني وأبي مالك وبه قال ابن مسعود لأنه قال حجر وإنما قال منهما وإنما يخرج من الملح دون العذب لأن الله سبحانه ذكرهما وجمعهما وهما بحر واحد فإذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما عن الزجاج قال الكلبي وهو مثل قوله ﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾ وإنما هو واحدة منهن وقوله ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ والرسل من الانس دون الجن وقيل يخرج منهما أي من ماء السماء ومن ماء البحر فإن القطر إذا جاء من السماء تفتحت الأصداف فكان من ذلك القطر اللؤلؤ عن ابن عباس ولذلك حمل البحرين على بحر السماء وبحر الأرض وقيل ان العذب والملح يلتقيان فيكون العذب كاللقاح للملح ولا يخرج اللؤلؤ إلا من الموضع الذي يلتقي فيه الملح والعذب وذلك معروف عند الغواصين وقد روي عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبير وسفيان الثوري ان البحرين علي وفاطمة عليهما السلام بينهما برزخ محمد ﷺ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين عليهما السلام ولا غرو أن يكونا بحرين لسعة فضلهما وكثرة خيرهما فإن البحر إنما يسمى بحراً لسعته وقد قال النبي ﷺ لفرس ركبه وأجراه فأحمده وجدته بحر اي كثير المعاني الحميدة ﴿وله الجوار﴾ أي السفن الجارية في الماء تجري بأمر الله ﴿المنشئات في البحر﴾ أي المرفوعات وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض وركب حتى ارتفعت وطالت وقيل هي المبتدآت للسير مرفعة القلاع قال مجاهد ما رفع له القلاع فهو منشأ وما لم ترفع قلاعه فليس بمنشأ والقلاع جمع قلع وهو شراع السفينة ﴿كالأعلام﴾ أي كالجبال قال مقاتل شبه السفن في البحر بالجبال في البر وقيل المنشئات بكسر الشين وهي أن ينشىء الموج بصدرها حيث تجري فيكون الأمواج كالأعلام من الله سبحانه على عباده بأن علمهم اتخاذ السفن ليركبوها وان جعل الماء على صفة تجري السفن عليه لأجلها ﴿كل من عليها فان﴾ أي كل من على الأرض من حيوان فهو هالك يفنون ويخرجون من الوجود إلى العدم كنى عن الأرض وان لم يجر لها ذكر كقول أهل المدينة ما بين لابتيها أي لابتي

(١) وفي نسختين: إن يختلطا .

المدينة وانما جاز ذلك لكونه معلوماً ﴿ويبقى وجه ربك﴾ أي ويبقى ربك الظاهر بأدلته ظهور الإنسان بوجهه ﴿ذو الجلال﴾ أي العظمة والكبرياء واستحقاق الحمد والمدح بإحسانه الذي هو في أعلى مراتب الإحسان وانعامه الذي هو أصل كل انعام ﴿والإكرام﴾ يكرم أنبياءه وأولياءه بألطافه وأفضاله مع عظمته وجلاله وقيل معناه أنه أهل أن يعظم وينزه عما لا يليق بصفاته كما يقول الإنسان لغيره أنا أكرمك عن كذا وأجلّك عنه كقوله أهل التقوى أي أهل ان يتقى وتقول العرب هذا وجه الرأي وهذا وجه التدبير بمعنى أنه الرأي والتدبير قال الأعشى :

وَأَوَّلِ الْحُكْمَ عَلَىٰ وَجْهِهِ لَيْسَ قَضَائي بِالْهَوَىٰ الْجَائِرِ

أي قرر الحكم كما هو وقيل ان المراد بالوجه ما يتقرب به إلى الله تعالى وأنشد :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

ومتى قيل وأي نعمة في الفناء فالجواب ان النعمة فيه التسوية بين الخلق فيه وأيضاً فإنه وصلة إلى الثواب وتنبيه على أنّ الدنيا لا تدوم وأيضاً فإنه لطف للمكلف لأنه لو عجل الثواب لصار ملجأ إلى العمل ولم يستحق الثواب ففصل بين الثواب والعمل ليفعل الطاعة لحسنها فيستحق الثواب ﴿يسأله من في السماوات والأرض﴾ أي لا يستغني عنه أهل السماوات والأرض فيسألونه حوائجهم عن قتادة وقيل يسأله أهل الأرض الرزق والمغفرة وتسأل الملائكة لهم أيضاً الرزق والمغفرة عن مقاتل ﴿كل يوم هو في شأن﴾ اختلف في معناه فقيل إن شأنه سبحانه إحياء قوم وإماتة آخرين وعافية قوم ومرض آخرين وغير ذلك من الإهلاك والإنجاء والحرمان والإعطاء والأمور الأخر التي لا تحصى وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله كل يوم هو في شأن قال من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرّج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين وعن ابن عباس انه قال إن مما خلق الله تعالى لوحاً من درة بيضاء دواته ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله كل يوم هو في شأن وقال مقاتل نزلت في اليهود حين قالوا إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً وقيل ان الدهر كله عند الله يومان احدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة فالشأن الذي هو فيه في اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب عن سفيان بن عيينة وقيل شأنه جل ذكره أن يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكراً من أصلاب الآباء الى الأرحام وعسكراً من الأرحام الى الدنيا وعسكراً من الدنيا إلى القبر ثم يرتحلون جميعاً إلى

الله تعالى وقيل شأنه إيصال المنافع إليك ودفع المضار عنك فلا تغفل عن طاعة من لا يغفل عن برك عن أبي سليمان الداراني .

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ
ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟
لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾
يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً
كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ
عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾
يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم سيفرغ بالياء والباقون بالنون وقرأ ابن كثير شواظ بكسر الشين والباقون بضمها وقرأ ابن كثير وأهل البصرة غير يعقوب ونحاس بالجر والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة قتادة والأعمش سنفرغ بفتح النون والراء وقراءة الأعرج سيفرغ بفتح الياء والراء ورواية أبي حاتم عن الأعمش سيفرغ وقراءة عيسى الثقفي سنفرغ

بكسر النون وفتح الراء وروي عن أبي عبد الله (ع) هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان اصلياها فلا تموتان فيها ولا تحييان .

[الحجة] قال أبو علي وجه الياء في سيفرغ ان الغيبة قد تقدم في قوله وله الجوار وقوله هو في شأن ويقال فرغ يفرغ وفرغ يفرغ وليس الفراغ هنا فراغاً عن شغل ولكن تأويله القصد كما قال جرير :

الآنَ فَقَدْ فَرَغْتُ إلىٰ نُمَيْرٍ فَهذا حِينَ صِرْتُ لَهُمْ عَذابا

وقرأ ابن عامر ايه الثقلان بضم الهاء وقد مضى الوجه فيه والشواظ والشواظ فيه لغتان. ابو عبيدة هو اللهب لا دخان فيه قال رؤبة :

إنَّ لَهُمْ مِنْ حَرْبِنا أَيْقاظاً[1] وَنارَ حَرْبٍ تَسْعَرُ الشُّواظَا

والنحاس الدخان قال الجَعْدي :

تُضِيءُ كَضَوْءِ سِراجِ السَّلِيطِ[2] لَمْ يَجْعَلِ اللّٰهُ فِيهِ نُحاسا

قال أبو علي إذا كان الشواظ اللهب لا دخان فيه ضعفت قراءة من قرأ ونحاس بالجر ولا يكون على تفسير أبي عبيدة إلا الرفع في نحاس على تقدير يرسل عليكما شواظ ويرسل نحاس أي يرسل هذا مرة وهذا اخرى وقد يجوز من وجه آخر على أن تقديره يرسل عليكما شواظ من نار وشيء من نحاس فتحذف الموصوف وتقيم الصفة مقامه كقوله ومن آياته يريكم البرق ومن الذين هادوا يحرفون الكلم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به ومن أهل المدينة مردوا على النفاق فحذف الموصوف في ذلك كله فكذلك في الآية فإن قلت هذا فاعل والفاعل لا يحذف فقد جاء :

فَما راعَنا إلّا يَسِيرُ بِشُرْطَةٍ وَعَهدي بِه قَيناً يَفُشُّ بِكِيرِ[3]

على ان هذا الحذف قد جاء في المبتدأ في الآية التي تلونا[4] أو بعضها وقد قالوا تسمع بالمعيدي لا أن تراه فإذا حذف الموصوف بقي بعده من نحاس الذي هو صفة لشيء

(١) وفي بعض النسخ : اقياظاً .
(٢) السليط : الزيت وكل دهن عصر من حبّ جيّد .
(٣) فشّ الوطب أخرج ما فيه من الريح وذلك بأن يحل وكائه ويفتح فاه فتخرج منه الريح التي كان قد نفخها فيه .
(٤) في نسخة تها .

محذوف وحذف من لأن ذكره قد تقدم في قوله من نار فحسن لذلك حذفها كما حسن حذف الجار من قولهم على من تنزل انزل وكما أنشده أبو زيد من قول الشاعر :

وَأَصْبَحَ مِنْ أَسْمَاءَ قَيْسٌ كَقَابِضٍ عَلَى الْمَاءِ لَا يَدْرِي بِمَا هُوَ قَابِضُ

أي بما هو قابض عليه فحذف لدلالة الكلام المتقدم عليه وكما حذف الجار عند الخليل في قوله « ان لم يجد يوماً على من يتكل » يريد عنده من يتكل عليه فحذف الجار لأنه جرى ذكره قبل فيكون انجرار نحاس على هذا بمن المضمرة لا بالإشراك في من التي جرت في قوله من نار فإذا إنجر بمن لم يكن للشواظ الذي هو اللهب قسط من الدخان .

[اللغة] الثقلان اصله من الثقل وكل شيء له وزن وقدر فهو ثقل ومنه قيل لبيض النعامة ثقل قال :

فَتَذَكَّرَا ثَقَلاً رَثِيداً بَعْدَ مَا أَلْقَتْ ذُكَاءُ يَمِينَهَا فِي كَافِرِ[1]

وإنما سميت الإنس والجن ثقلين لعظم خطرهما وجلالة شأنهما بالإضافة إلى ما في الأرض من الحيوانات ولثقل وزنهما بالعقل والتمييز ومنه قول النبي ﷺ إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي سماهما ثقلين لعظم خطرهما وجلالة قدرهما وقيل ان الجن والانس سميا ثقلين لثقلهما على الأرض أحياء وأمواتاً ومنه قوله وأخرجت الأرض أثقالها أي أخرجت ما فيها من الموتى والعرب تجعل السيد الشجاع ثقلاً على الأرض قالت الخنساء :

أَبَعْدَ ابْنِ عَمْرِو مِنْ آلِ الشَّرِيدِ حَلَلْتُ بِهِ الأَرْضُ أَثْقَالُهَا

والمعنى أنه لما مات حل عنها ثقل بموته لسؤدده ومجده وقيل ان المعنى زينت موتاها به من التحلية والأقطار جمع القطر وهو الناحية يقال طعنه فقطره إذا ألقاه على أحد قطريه وهما جانباه والسيما مشتق من السوم وهو رفع الثمن عن مقداره والعلامة ترفع باظهارها لتقع المعرفة بها والناصية شعر مقدم الرأس وأصله الاتصال من قول الشاعر « قيٌّ تناصيها بلادقيّ »[2] أي تتصل بها فالناصية متصلة بالرأس والاقدام جمع قدم وهو العضو الذي يقدم صاحبه للوطء به على الأرض والآتي الذي بلغ نهاية حرّه انى يأني انيا .

---

(١) فتذكرا أي الظليم والنعامة والرثيد ما رثد أي نضد ووضع بعضه فوق بعض.

(٢) القيّ بالكسر: قفر الأرض .

[**المعنى**] لما ذكر سبحانه الفناء والإعادة عقب ذلك بذكر الوعيد والتهديد فقال ﴿ **سنفرغ لكم ايه الثقلان** ﴾ أي سنقصد لحسابكم أيها الجن والإنس عن الزجاج قال والفراغ في اللغة على ضربين (أحدهما) القصد للشيء يقال سأفرغ لفلان أي سأجعله قصدي (والآخر) الفراغ من شغل والله عز وجل لا يشغله شأن عن شأن وقيل معناه سنعمل عمل من يفرغ للعمل فيجوده من غير تضجيع فيه وقيل سنفرغ لكم من الوعيد بتقضي أيامكم المتوعد فيها فشبه ذلك بمن فرغ من شيء وأخذ في آخر والشغل والفراغ من صفات الأجسام التي تحلها الأعراض وتشغلها عن الأضداد في تلك الحال ولذلك وجب أن يكون في صفة القديم تعالى مجازاً ويدل على أن الثقلين المراد بهما الجن والانس قوله ﴿ **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا** ﴾ أي تخرجوا هاربين من الموت يقال نفذ الشيء من الشيء إذا خلص منه كالسهم ينفذ من الرمية ﴿ **من أقطار السماوات والأرض** ﴾ أي جوانبهما ونواحيهما والمعنى حيث ما كنتم أدرككم الموت ﴿ **فانفذوا** ﴾ أي فاخرجوا فلن تستطيعوا أن تهربوا منه ﴿ **لا تنفذون إلا بسلطان** ﴾ أي حيث توجهتم فثم ملكي ولا تخرجون من سلطاني فأنا آخذكم بالموت عن عطاء ومعنى السلطان القوة التي سلط[1] بها على الأمر ثم الملك والقدرة والحجة كلها سلطان وقيل لا تنفذون إلا بسلطان أي لا تخرجون إلا بقدرة من الله وقوة يعطيكموها بأن يخلق لكم مكاناً آخر سوى السماوات والأرض ويجعل لكم قوة تخرجون بها إليه فبين سبحانه بذلك أنهم في حبسه وأنه مقتدر عليهم لا يفوتونه وجعل ذلك دلالة على توحيده وقدرته وزجراً لهم عن معصيته ومخالفته وقيل إن المعنى في الآية إن استطعتم أن تعلموا ما في السماوات والأرض فاعلموا فإنه لا يمكنكم ذلك لا تنفذون إلا بسلطان أي لا تعلمونه إلا بحجة وبيان عن ابن عباس وقيل لا تنفذون إلا بسلطان معناه حيث ما شاهدتم حجة الله وسلطانه الذي يدل على توحيده عن الزجاج ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ أي بأي نعمة تكذبان أبإخباره عن تحيركم لتحتالوا له بعمل الطاعة واجتناب المعصية أو بإخباره عنكم إنكم لا تنفذون إلا بحجة لتستعدوا لذلك اليوم ﴿ **يرسل عليكما شواظ من نار** ﴾ وهو اللهب الأخضر المنقطع من النار ﴿ **ونحاس** ﴾ وهو الصفر المذاب للعذاب عن مجاهد وابن عباس وسفيان وقتادة وقيل النحاس الدخان عن ابن عباس في رواية أخرى وسعيد بن جبير وقيل النحاس المهل عن ابن مسعود والضحاك والمعنى لا تنفذون ولو جاز أن تنفذوا وقدرتم عليه لأرسل عليكم العذاب من النار المحرقة وقيل معناه أنه يقال لهم

---

(١) في المخطوطة : يتسلط .

ذلك يوم القيامة ﴿ يرسل عليكما ﴾ أي يرسل على من أشرك منكما وقد جاء في الخبر يحاط على الخلق بالملائكة[١] بلسان من نار ينادون يا معشر الجن والإنس إن إستطعتم أن تنفذوا من إلى قوله ﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ﴾ وروى مسعدة بن صدقة عن كليب قال كنا عند أبي عبد الله (ع) فأنشأ يحدثنا فقال إذا كان يوم القيامة جمع الله العباد في صعيد واحد وذلك أنه يوحي إلى السماء الدنيا أن أهبطي بمن[٢] فيك فيهبط أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجن والإنس والملائكة ثم يهبط أهل السماء الثانية بمثل الجميع مرتين فلا يزالون كذلك حتى يهبط أهل سبع سماوات فيصير الجن والإنس في سبع سرادقات من الملائكة ثم ينادي منادٍ ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم ﴾ الآية فينظرون فإذا قد أحاط بهم سبعة أطواق من الملائكة وقوله ﴿ فلا تنتصران ﴾ أي فلا تقدران على دفع ذلك عنكما وعن غيركما وعلى هذا فيكون فائدة الآية إن عجز الثقلين عن الهرب من الجزاء كعجزهم عن النفوذ من الأقطار وفي ذلك اليأس من رفع الجزاء بوجه من الوجوه ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ أي بإخباره إياكم عن هذه الحالة لتحرزوا عنها أم بغيره من النعم فإن وجه النعمة في إرسال الشواظ من النار والنحاس على الثقلين هو ما في ذلك لهم من الزجر في دار التكليف عن مواقعة القبيح وذلك نعمة جزيلة ﴿ فإذا إنشقت السماء ﴾ يعني يوم القيامة إذا تصدعت السماء وإنفك بعضها من بعض ﴿ فكانت وردة ﴾ أي فصارت حمراء كلون الفرس الورد وهو الأبيض الذي يضرب إلى الحمرة أو الصفرة فيكون في الشتاء أحمر وفي الربيع اصفر وفي اشتداد البرد أغبر سبحان خالقها والمصرف لها كيف يشاء والوردة واحدة الورد فشبه السماء يوم القيامة في إختلاف ألوانها بذلك وقيل أراد به وردة النبات وهي حمراء وقد تختلف ألوانها ولكن الأغلب في ألوانها الحمرة فتصير السماء كالوردة في الإحمرار ثم تجري ﴿ كالدهان ﴾ وهو جمع الدهن عند إنقضاء الأمر وتناهي المدة قال الحسن هي كالدهان التي يصب بعضها على بعض بألوان مختلفة قال الفراء شبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل وشبه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه وهو قول مجاهد والضحاك وقتادة وقيل الدهان الأديم الأحمر وجمعه أدهنة عن الكلبي وقيل هو عكر الزيت يتلون ألواناً عن عطاء بن أبي رباح ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ وجه النعمة في انشقاق السماء حتى وقع التقرير بها هو ما في الإخبار به من الزجر والتخويف في دار الدنيا ﴿ فيومئذ ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾ أي لا يسأل المجرم عن جرمه في ذلك الموطن

---

(١) في نسختين : وبلسان .

(٢) في نسخة : « بما ».

لما يلحقه من الذهول الذي تحار له العقول وإن وقعت المسألة في غير ذلك الوقت بدلالة قوله ﴿ وقفوهم أنهم مسؤولون ﴾ وتقدير الآية فيومئذ لا يسأل أنس عن ذنبه ولا جان عن ذنبه وقيل معناه فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان سؤال استفهام ليعرف ذلك بالمسألة من جهته لأن الله تعالى قد أحصى الأعمال وحفظها على العباد وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ للمحاسبة وقيل إن أهل الجنة حسان الوجوه وأهل النار سود الوجوه فلا يسألون من أي الحزبين هم ولكن يسألون عن أعمالهم سؤال تقريع وروي عن الرضا (ع) أنه قال فيومئذ لا يسأل منكم عن ذنبه أنس ولا جان والمعنى أن من اعتقد الحق ثم أذنب ولم يتب في الدنيا عذب عليه في البزرخ ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسأل عنه ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم ﴾ أي بعلامتهم وهي سواد الوجوه وزرقة العيون عن الحسن وقتادة وقيل بإمارات الخزي ﴿ فيؤخذ بالنواصي والأقدام ﴾ فتأخذهم الزبانية فتجمع بين نواصيهم وأقدامهم بالغل ثم يسحبون في النار ويقذفون فيها عن الحسن وقتادة وقيل تأخذهم الزبانية بنواصيهم وبأقدامهم فتسوقهم إلى النار والله أعلم ﴿ هذه جهنم ﴾ أي ويقال لهم هذه جهنم ﴿ التي يكذب بها المجرمون ﴾ الكافرون في الدنيا قد أظهرها الله تعالى حتى زالت الشكوك فأدخلوها ويمكن أنه لما أخبر الله سبحانه أنهم يؤخذون بالنواصي والأقدام قال للنبي ﷺ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون من قومك فسيردونها فليهن عليك أمرهم ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ أي يطوفون مرة بين الجحيم وسرة بين الحميم فالجحيم النار والحميم الشراب عن قتادة وقيل معناه أنهم يعذبون بالنار مرة ويتجرعون من الحميم يصب عليهم ليس لهم من العذاب أبداً فرج عن ابن عباس والآني الذي إنتهت حرارته وقيل الآني الحاضر ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ الوجه في ذلك أن التذكير بفعل العقاب والإنذار به من أكبر النعم لأن في ذلك زجراً عما يستحق به العذاب وحثاً وبعثاً على فعل ما يستحق به الثواب .

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى

ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ
ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾

[القراءة] قرأ الكسائي وحده لم يطمثهن بكسر الميم في إحداهما وضمها في الأخرى والباقون بكسر الميم في الحرفين معاً .

[الحجة] قال أبو علي يطمث ويطمث لغتان وقال أبو عبيدة لم يطمثهن أي لم يمسهن يقال ما طمث هذا البعير حبل قط أي ما مسه قال رؤبة « كالبيض لم يطمث بهن طامث » .

[اللغة] الإفنان جمع فنن وهو الغصن الغض الورق ومنه قولهم هذا فن آخر أي نوع آخر ويجوز أن يكون جمع فن والإتكاء الإستناد للتكرمة والإمتاع والتكأة تطرح للإنسان في مجالس الملوك للإكرام والإجلال وهو من وكأت السقاء إذا شددته ومنه قولهم العين وكأ السته والفرش جمع فراش وهو الموطأ الممهد للنوم عليه والبطائن جمع بطانة وهو باطن الظهارة والجنى الثمرة التي قد أدركت على الشجرة وهو صلح أن يجنى ومنه قول عمرو بن عدي :

هٰذا جَنَايَ وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جانٍ يَدُهُ إِلى فِيهِ

وتمثل به علي (ع) وأصل الطمث الدم يقال طمثت المرأة إذا حاضت وطمثت إذا دميت بالاقتضاض وبعير لم يطمث إذا لم يمسه حبل ولا رحل قال الفرزدق :

دُفِعْنَ إِلَيَّ لَمْ يُطْمَثْنَ قَبْلِي وَهُنَّ أَصَحُّ مِنْ بِيضِ النَّعَامِ

[الإعراب] متكئين حال من المجرورة باللام أي لهم جنتان في هذه الحالة وما بين قوله ﴿ جنتان ﴾ إلى قوله ﴿ متكئين ﴾ صفات لجنتين بطائنها من استبرق إبتداء وخبر في

موضع الجر وصف لفرش وقوله ﴿ وجنى الجنتين ﴾ دانٍ إعتراض وقوله ﴿ فيهن قاصرات ﴾ الطرف صفة أخرى لفرش وقوله ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ حال لقاصرات الطرف أي مشابهات لليـاقوت والمـرجان وقـوله ﴿ هـل جزاء الإحسـان إلا الإحسان ﴾ إعتـراض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ولهم من دونهما جنتان .

[المعنى] ثم عقب سبحانه الوعيد بالوعد فقال ﴿ ولمن خاف مقام ربه ﴾ أي مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية والشهوة قال مجاهد وهو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله تعالى فيدعها وقيل هذا لمن راقب الله تعالى في السر والعلانية جملة فما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عرض له من خير عمله وأفضى به إلى الله تعالى لا يطلع عليه أحد وقال الصادق (ع) من علم أن الله يراه ويسمع ما يقول من خير وشر فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال فله ﴿ جنتان ﴾ أي جنة عدن وجنة النعيم عن مقاتل وقيل بستانان من بساتين الجنة إحداهما داخل القصر والأخرى خارج القصر كما يشتهي الإنسان في الدنيا وقيل إحدى الجنتين منزله والأخرى منزل أزواجه وخدمه عن الجبائي وقيل جنة من ذهب وجنة من فضة ثم وصف الجنتين فقال ﴿ ذواتا أفنان ﴾ أي ذواتا ألوان من النعيم عن ابن عباس وقيل ذواتا ألوان من الفواكه عن الضحاك وقيل ذواتا أغصان عن الأخفش والجبائي ومجاهد أي ذواتا أشجار لأن الأغصان لا تكون إلا من الشجر فدل بكثرة أغصانها على كثرة أشجارها وبكثرة أشجارها على تمام حالها وكثرة ثمارها لأن البستان إنما يكمل بكثرة الأشجار والأشجار لا تحسن إلا بكثرة الأغصان ﴿ فيهما عينان تجريان ﴾ أي في الجنتين عينان من الماء تجريان بين أشجارهما وقيل عينان إحداهما السلسبيل والأخرى التسنيم عن الحسن وقيل إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين عن عطية العوفي ﴿ فيهما من كل فاكهة زوجان ﴾ أي في كلتا الجنتين من كل ثمرة نوعان وضربان متشاكلان كتشاكل الذكر والأنثى فلذلك سماهما زوجين وذلك كالرطب واليابس من العنب والزبيب والرطب واليابس من التين وكذلك سائر الأنواع لا يقصر يابسه عن رطبه في الفضل والطيب وقيل معناه فيهما من كل نوع من الفاكهة ضربان ضرب معروف وضرب من شكله غريب لم يعرفوه في الدنيا ﴿ متكئين ﴾ حال ممّن ذكروا في قوله ﴿ ولمن خاف مقام ربه ﴾ أي قاعدين كالملوك ﴿ على فرش بطائنها من استبرق ﴾ أي من ديباج غليظ ذكر البطانة ولم يذكر الظهارة لأن البطانة تدل على أن لها ظهارة والبطانة دون الظهارة فدلّ على أن الظهارة فوق الاستبرق وقيل إن الظهائر من سندس وهو الديباج الرقيق والبطانة من استبرق وقيل الاستبرق الحرير الصيني

وهو بين الغليظ والدقيق وروي عن ابن مسعود أنه قال هذه البطائن فما ظنكم بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظهائر قال هذا مما قال الله تعالى ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين** ﴾ ﴿ **وجنى الجنتين دانٍ** ﴾ الجنى الثمر المجتنى أي تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً عن ابن عباس وقيل ثمار الجنتين دانية إلى أفواه أربابها فيتناولونها متكئين فإذا اضطجعوا نزلت بإزاء أفواههم فيتناولونها مضطجعين لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك عن مجاهد ﴿ **فيهن** ﴾ أي في الفرش التي ذكرها ويجوز أن يريد في الجنان لأنها معلومة وإن لم تذكر ﴿ **قاصرات الطرف** ﴾ قصرن طرفهن على أزواجهن لم يردن غيرهم عن قتادة وقال أبو[1] ذر أنها تقول لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك فالحمد لله الذي جعلني زوجتك وجعلك زوجي والطرف جفن العين لأنه طرف لها ينطبق عليها تارة وينفتح تارة ﴿ **لم يطمثهن** ﴾ أي لم يفتضهن والإفتضاض النكاح بالتدمية والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن ﴿ **أنس قبلهم ولا جان** ﴾ فهن أبكار لأنهن خلقن في الجنة فعلى هذا القول هؤلاء من حور الجنة وقيل هن من نساء الدنيا لم يمسسهن منذ أنشئن خلق عن الشعبي والكلبي أي لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه إنس ولا جان قال الزجاج وفي هذه الآية دليل على أن الجني يغشى كما يغشى الأنسي وقال ضمرة بن حبيب وفيها دليل على أن للجن ثواباً وأزواجاً من الحور فالأنسيات للإنس والجنيات للجن قال البلخي المعنى إن ما يهب الله لمؤمني الأنس من الحور لم يطمثهن أنس وما يهب الله لمؤمني الجن من الحور لم يطمثهن جان ﴿ **كأنهن الياقوت والمرجان** ﴾ أي هن على صفاء الياقوت في بياض المرجان عن الحسن وقتادة وقال الحسن المرجان أشد اللؤلؤ بياضاً وهو صغاره وفي الحديث أن المرأة من أهل الجنة يرى مخ ساقها[2] من وراء سبعين حلة من حرير عن ابن مسعود كما يرى السلك من وراء الياقوت ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ أي ليس جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة وقيل هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة عن ابن عباس وجاءت الرواية عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقال هل تدرون ما يقول ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن ربكم يقول هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلا الجنة وقيل معناه هل جزاء من أحسن إليكم بهذه النعم إلا أن تحسنوا في شكره وعبادته وروى العياشي بإسناده عن الحسين بن سعيد عن عثمان بن عيسى عن علي بن سالم قال سمعت أبا عبد الله

---

(١) وفي نسخة : ابن زيد بدل أبو ذر .

(٢) وفي نسخة : ساقيها .

(ع) يقول آية في[1] كتاب الله مسجلة قلت ما هي قال قول الله تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان جرت في الكافر والمؤمن والبر والفاجر ومن صنع إليه معروف فعليه أن يكافىء به وليس المكافأة أن تصنع كما صنع حتى يربي فإن صنعت كما صنع كان له الفضل بالإبتداء .

﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا
جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ
خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾
تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر ذو الجلال بالرفع والباقون بالجر وفي الشواذ قراءة النبي ﷺ والجحدري ومالك بن دينار وابن محيصن والحسن وزهير القرقبي على رفارف خضر وعباقري حسان وقراءة الأعرج خضر بضمتين .

قال أبو علي من قرأ ذي الجلال فجر جعله صفة لربك وزعموا أن ابن مسعود قرأ ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام بالياء في كلتيهما وقال الأصمعي لا يقال الجلال إلا

---

[1] في نسخة : هـ

في الله تعالى فهذا يقوي الجر إلا أن الجلال قد جاء في غير الله قال :

فَلا ذا جَلالٍ هِبْنَهُ لِجَلالِهِ وَلا ذا ضِياعٍ هُنَّ يَتْرُكْنَ لِلْفَقْرِ

ومن رفع أجراه على الإسم قال ابن جني روى قطرب عباقري بكسر القاف غير مصروف ورويناه عن أبي حاتم عباقري بفتح القاف غير مصروف أيضاً قال أبو حاتم ولا يشبه إلا أن يكون عباقر بفتح[1] القاف على ما تتكلم به العرب قال ولو قالوا عباقري بكسر القاف وصرفوا لكان أشبه بكلام العرب كالنسب إلى مداين مدايني والرفارف رياض الجنة عن سعيد بن جبير وعبقر موضع قال امرؤ القيس :

كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرْوِحِينَ تَشُدُّهُ صَلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بِعَبْقَرَا[2]

وقال زهير :

بِخَبْلٍ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ[3] جَدِيرُونَ يَوْماً أَنْ يَنَالُوا أَوْ يَسْتَعْلُوا

وأما ترك صرف عباقري فشاذ في القياس ولا يستنكر شذوذه في القياس مع استمراره في الإستعمال كما جاء عن الجماعة إستحوذ عليهم الشيطان فهو شاذ في القياس مطرد في الإستعمال وليس لنا أن نتلقى قراءة رسول الله ﷺ إلا بقبولها وأما خضر بضم الضاد فقليل وهو من مواضع الشعر كما قال طرفة « وراد أو شقر ».

[اللغة] الدهمة السواد وإدهام الزرع إذا علاه السواد رِيّا ومنه الدهماء وتصغيره الدهيماء للداهية سميت بذلك لظلامها والدهماء القدر والنضخ بالخاء المعجمة أكثر من النضح بالحاء غير المعجمة لأن النضح الرّش وبالخاء كالبزل والنضّاخة الفوارة التي ترمي بالماء صعداً والرمان مشتقّ من رمَّ يرم رمّاً لأن من شأنه أن يرمّ الفؤاد بجلائه له والخيرات جمع خيرة والرجل خير والرجال خيار وأخيار قال :

وَلَقَدْ طَعَنْتُ مَجَامِعَ الرَّبَلاتِ رَبَلاتِ هِنْدٍ خَيرةَ الْمَلِكَاتِ[4]

---

(١) وفي نسختين : بكسر القاف.

(٢) الصليل : صوت وقع الحديد بعضه على بعض والمرو : الحجارة الصلبة والزيف : الدرهم الردي : وانتقد الدرهم أخرج منه الزيف يصف فرسه بأنّ وقع الحجارة بعضها على بعض حين شدة عَدْوه بمنزلة وقع الدراهم الزائفة بعضه على بعض حين ينتقدها النقاد في قرية بعبقر .

(٣) المراد من عبقر في هذا البيت هو الموضع الذي كانت العرب تزعم أنه كثير الجن .

(٤) الرَبلة والرَبَلة كل لحمة غليظة وقيل : أصول الأفخاذ والمراد من مجامع الربلات الفرج ومن الطعن الجماع .

وقال الزجاج أصل خيرات خيّرات فخفف والخيام جمع خيمة وهي بيت من الثياب على الأعمدة والأوتاد مما يتخذ للاصحار والرفوف رياض الجنة من قولهم رفّ النبات يرفّ أي صار غضاً نضراً وقيل الرفوف المجالس وقيل الوسائد وقيل إن كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف قال ابن مقبل:

وَإِنَّا لَنَنَزَّالُونَ تَغْشىٰ نِعَالَنَا سَوَاقِطُ مِنْ أَصْنَافِ رَيْطٍ وَرَفْرَفِ[1]

والعبقري عتاق الزرابي والطنافس المخملة الموشمة وهو اسم الجنس واحدته عبقرية قال أبو عبيدة كل شيء من البُسُط عبقري وكل ما بولغ في وصفه بالجودة نسب إلى عبقر وهو بلد كان يوشى فيه البُسُط وغيرها .

[المعنى] ثم قال سبحانه ﴿ومن دونهما جنتان﴾ أي ومن دون الجنتين اللتين ذكرناهما لمن خاف مقام ربه جنتان أخريان دون الجنتين الأوليين فإنهما اقرب الى قصره ومجالسه في قصره ليتضاعف له السرور بالتنقل من جنة إلى جنة على ما هو معروف من طبع البشر من شهوة مثل ذلك ومعنى دون هنا مكان قريب من الشيء بالإضافة الى غيره مما ليس له مثل قربه وهو ظرف مكان وإنما كان التنقل من جنة إلى جنة أخرى أنفع لأنه أبعد من الملل الذي طبع عليه البشر وقيل ان المعنى انهما دون الجنتين الاوليين في الفضل فقد روي عن النبي ﷺ انه قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وروى العياشي بالإسناد عن أبي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال قلت له جعلت فداك اخبرني عن الرجل المؤمن تكون امرأة مؤمنة يدخلان الجنة يتزوج احدهما الآخر فقال يا ابا محمد ان الله حكم عدل إذا كان هو افضل منها خيره فإن اختارها كانت من ازواجه وان كانت هي خيراً منه خيرّها فإن اختارته كان زوجاً لها قال وقال ابو عبد الله (ع) لا تقولن الجنة واحدة ان الله يقول ومن دونهما جنتان ولا تقولن درجة واحدة ان الله يقول درجات بعضها فوق بعض إنما تفاضل القوم بالأعمال قال وقلت له ان المؤمنين يدخلان الجنة فيكون احدهما ارفع مكاناً من الآخر فيشتهي ان يلقى صاحبه قال من كان فوقه فله ان يهبط ومن كان تحته لم يكن له ان يصعد لأنه لا يبلغ ذلك المكان ولكنهم إذا احبوا ذلك واشتهوه التقوا على الاسرة وعن العلاء بن سيابة عن ابي عبد الله (ع) قال قلت له ان الناس يتعجبون منا إذا قلنا يخرج قوم من جهنم[2] فيدخلون الجنة فيقولون لنا فيكونون مع اولياء الله في الجنة فقال يا علاء ان الله

(١) الرَيط جمع الريطة وهي كل ملاءة ليست ذات قطعتين متشامّتين بل كلها نسج واحد وقطعة واحدة.

(٢) وفي نسخة: من النار .

يقول ومن دونهما جنتان لا والله لا يكونون مع اولياء الله قلت كانوا كافرين قال (ع) لا والله لو كانوا ما دخلوا الجنة قلت كانوا مؤمنين قال لا والله لو كانوا مؤمنين ما دخلوا النار ولكن بين ذلك وتأويل هذا لو صح الخبر انهم لم يكونوا من افاضل المؤمنين واخيارهم ثم وصف الجنتين فقال ﴿مدهامتان﴾ اي من خضرتهما قد اسودتا من الري وكل نبت اخضر فتمام خضرته ان يضرب الى السواد وهو على أتم ما يكون من الحسن وهذا على قول من قال ان الجنات الأربع لمن خاف مقام ربه وهو قول ابن عباس وقيل الأوليان للسابقين والآخريان للتابعين عن الحسن ﴿فيهما عينان نضاختان﴾ اي فوارتان بالماء ينبع من اصلهما ثم يجريان عن الحسن قال ابن عباس تنضخ على اولياء الله بالمسك والعنبر والكافور وقيل تنضخان بأنواع الخبرات ﴿فيهما فاكهة﴾ يعني ألوان الفاكهة ﴿ونخل ورمان﴾ وحكى الزجاج عن يونس النحوي وهو من قدماء النحويين أن النخل والرمان من افضل الفواكه وإنما فصلا بالواو لفضلهما قال الأزهري ما علمت ان احداً من العرب قال في النخل والكرم وثمارها انها ليست من الفاكهة وإنما قال ذلك من قال لقلة علمه بكلام العرب وتأويل القرآن العربي المبين والعرب تذكر الأشياء جملة ثم تختص شيئاً منها بالتسمية تنبيهاً على فضل فيه كما قال سبحانه من كان عدواً لله وملائكته وكتبه ورسله وجبرائيل وميكائيل ﴿فيهن﴾ يعني في الجنات الأربع ﴿خيرات حسان﴾ اي نساء خيرات الأخلاق حسان الوجوه روته أم سلمة عن النبي ﷺ وقيل خيرات فاضلات في الصلاح والجمال عن الحسن حسان في المناظر والألوان وقيل انهن نساء الدنيا ترد عليهم في الجنة وهن اجل من الحور العين وقيل خيرات مختارات عن جرير بن عبد الله وقيل لسن بذربات ولا زفرات ولا بَخِرات ولا متطلعات ولا متسوفات[1] ولا متسلطات ولا طماخات ولا طوّافات في الطرق ولا يَغِرن ولا يؤذين وقال عقبة بن عبد الغفار ونساء اهل الجنة يأخذ بعضهن بأيدي بعض ويتغنين باصوات لم يسمع الخلائق مثلها : نحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن ونحن خيرات حسان حبيبات الازواج كرام وقالت عائشة ان الحور العين إذا قلن هذه المقالة اجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتوضئات وما توضأتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن فغلبتهن والله ﴿حور﴾ اي بيض حسان البياض عن ابن عباس ومجاهد ومنه الدقيق الحواري لشدة بياضه والعين الحوراء إذا كانت شديدة بياض البياض شديدة سواد السواد وبذلك يتم حسن العين ﴿مقصورات في الخيام﴾ اي محبوسات

(١) وفي المخطوطة : المتشوقات والمتشوق من يظهر الشوق تكلفاً.

في الحجال مستورات في القباب عن ابن عباس وابي العالية والحسن والمعنى انهن مصونات مخدرات لا يبتذلن[١] وقيل مقصورات اي قصرن على ازواجهن فلا يردن بدلاً منهم عن مجاهد والربيع وقيل إن لكل زوجة خيمة طولها ستون ميلاً عن ابن مسعود وروي عن النبي ﷺ انه قال الخيمة درة واحدة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها اهلا (؟) للمؤمن لا يراه الآخرون وعن ابن عباس قال الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ فيها اربعة آلاف مصراع عن وهب[٢] وعن انس عن النبي ﷺ قال مررت ليلة أسري بي بنهر حافتاه قباب المرجان فنوديت منه السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء جوارٍ[٣] من الحور العين استأذنّ ربهن عز وجل ان يسلّمن عليك فأذن لهن فقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نيأس[٤] ازواج رجال كرام ثم قرأ ﷺ حور مقصورات في الخيام ﴿لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان﴾ مر معناه والوجه في التكرير الإبانة عن ان صفة الحور المقصورات في الخيام كصفة القاصرات الطرف ﴿متكئين على رفرف خضر﴾ اي على فرش مرتفعة عن الجبائي وقيل الرفرف رياض الجنة والواحدة رفرفة عن سعيد بن جبير وقيل هي المجالس عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل هي المرافق يعني الوسائد عن الحسن ﴿وعبقري حسان﴾ اي وزرابي حسان عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وهي الطنافس وقيل العبقري الديباج عن مجاهد وقيل هي البسط عن الحسن قال القتيبي كل ثوب موشى فهو عبقري وهو جمع ولذلك قال حسان ثم ختم السورة بما ينبغي أن يبجل به ويعظم فقال ﴿تبارك اسم ربك﴾ اي تعاظم وتعالى اسم ربك لأنه استحق ان يوصف بما لا يوصف به غيره من كونه قديماً وإلهاً وقادراً لنفسه وعالماً لنفسه وحياً لنفسه وغير ذلك ﴿ذي الجلال﴾ اي ذي العظمة والكبرياء ﴿والاكرام﴾ يكرم اهل دينه وولايته عن الحسن وقيل معناه عظمة البركة في اسم ربك فاطلبوا البركة في كل شيء بذكر اسمه وقيل ان اسم صلة لمعنى تبارك ربك قال لبيد :

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرَ

وقيل ان المعنى ان اسمه منزّه عن كل سوء له الاسماء الحسنى وقد صح عن النبي ﷺ انه قال انطقوا بياذا الجلال والإكرام اي داوموا عليه .

---

(١) وفي المخطوطة : لا يتبدلن .

(٢) في نسخة حور .

(٣) وفي سائر النسخ عن ذهب .

(٤) وفي نسخة : لانبئس وفي اخرى : لا نيس .

(٥٦) سورة الواقعة مكية وآياتها ست وتسعون

وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها نزلت بالمدينة وهي ﴿وتجعلون رزقكم انكم تكذبون﴾ وقيل إلا قوله ثلة من الأولين وقوله افبهذا الحديث انتم مدهنون نزلت في سفره إلى المدينة .

[عدد آيها] تسع وتسعون اية حجازي شامي سبع بصري ست كوفي .

[اختلافها] اربع عشرة آية فأصحاب الميمنة واصحاب المشئمة واصحاب الشمال ثلثهن غير الكوفي والمدني الاخير انشأناهن غير البصري في سموم وحميم غير المكي وكانوا يقولون مكي واباريق مكي والمدني الأخير موضونة حجازي كوفي وحور عين كوفي والمدني الأول تأثيماً عراقي شامي والمدني الأخير والآخرين غير شامي والمدني الأخير لمجموعون شامي والمدني الأخير فروح وريحان شامي .

[فضلها] ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة الواقعة كتب ليس من الغافلين وعن مسروق قال من اراد ان يعلم نبأ الأولين[1] ونبأ اهل الجنة ونبأ اهل النار ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة فليقرأ سورة الواقعة وروي ان عثمان بن عفان دخل على عبد الله بن مسعود يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال له ما تشتكي قال ذنوبي قال ما تشتهي قال رحمة ربي قال افلا ندعو الطبيب قال الطبيب امرضني قال افلا نأمر بعطائك قال منعتنيه وانا محتاج اليه وتعطينيه وانا مستغن عنه قال يكون لبناتك قال لا حاجة لهن فيه فقد امرتهن ان يقرأن سورة الواقعة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابداً وروى العياشي بالإسناد عن زيد الشحام عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ سورة الواقعة قبل

(١) [والاخرين]

ان ينام لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر وعن ابي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ في كل ليلة جمعة الواقعة أحبه الله وحببه إلى الناس أجمعين ولم ير في الدنيا بؤساً أبداً ولا فقراً ولا آفة من آفات الدنيا وكان من رفقاء أمير المؤمنين تمام الخبر .

[تفسيرها] ختم الله سبحانه سورة الرحمن بصفة الجنة وافتتح هذه السورة أيضاً بصفة القيامة والجنة فاتصلت أحداهما بالأخرى اتصال النظير للنظير فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة الحسن والثقفي وابي حيوة خافضة رافعة بالنصب .

[الحجة] هذا منصوب على الحال قال ابن جني وقوله ليس لوقعتها كاذبة حال اخرى قبلها اي إذا وقعت الواقعة صادقة الوقعة خافضة رافعة فهذه ثلاثة احوال ومثله مررت بزيد جالساً متكأً ضاحكاً وان شئت ان تأتي باضعاف ذلك جاز وحسن كما ان لك ان تأتي للمبتدأ من الأخبار بما شئت فتقول زيد عالم جميل فارس كوفي بزاز ونحو ذلك الا ترى ان الحال زيادة في الخبر وضرب منه .

[اللغة] الكاذبة مصدر مثل العافية والعاقبة والرج التحريك باضطراب واهتزاز ومنه

قولهم ارتج السهم عند خروجه من القوس والبس الفت كما يبس السويق اي يلت قال الشاعر: « لا تخبزا خبزاً وبسّابسا »والبسيس السويق أو الدقيق يتخذ زاداً وبست أيضاً سيقت عن الزجاج قال الشاعر «وانبس حبّات الكثيب الأهيل» والهباء غبار كالشعاع في الرقة وكثيراً ما يخرج مع شعاع الشمس من الكوة النافذة والانثباث افتراق الاجزاء الكثيرة في الجهات المختلفة والازواج الاصناف التي بعضها مع بعض كما يقال للخفين زوجان والثلاثة الجماعة واصله القطعة من قولهم ثل عرشه إذا قطع ملكه بهدم سريره والثلة القطعة من الناس والموضوثة المنسوجة المتداخلة كصفة الدرع المضاعفة قال الأعشى :

وَمِنْ نَسْجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةً تُسَاقُ إِلَى الْحَيِّ عِيراً فَعِيرا

ومنه وضين الناقة وهو البطان من السيور[1] إذا نسج بعضه على بعض مضاعفاً .

[الاعراب] إذا وقعت الواقعة ظرف من معنى ليس لأن التقدير لا يكون لوقعتها كاذبة وليس نفي الحال فلا يكون إذا ظرفا منه ويجوز ان يكون العامل في إذا محذوفاً لدلالة الموضع عليه كأنه قال إذا وقعت الواقعة كذلك فاز المؤمنون وخسر الكافرون وقال ابو علي تقديره فهي خافضة رافعة فاضمر المبتدأ مع الفاء وجعلها جواب إذا أي خفضت قوماً ورفعت قوماً إذ ذاك فخافضة رافعة خبر المبتدأ المحذوف وقوله إذا رجت الأرض رجاً بدل من قوله إذا وقعت الواقعة ويجوز ان يكون ظرفاً من يقع أي يقع في ذلك الوقت ويجوز ان يكون خبراً عن إذا الاولى ونظيره إذا تزورني إذا ازور زيداً أي وقت زيارتك اياي وقت زيارتي زيداً قال ابن جني ويجوز ان يفارق إذا الظرفية كقول لبيد :

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَداً فِي كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا

وقوله سبحانه حتى إذا كنتم في الفلك فإذا مجرورة عند ابي الحسن بحتى وذلك يخرجها من الظرفية واقول فعلى هذا لا يكون قوله إذا ظرفا في الموضعين بل كل واحد منهما في موضع الرفع لكونهما مبتدأ وخبراً بخلاف ما ظنه بعض المجودين من محققي زماننا في النحو فإنه قال قال عثمان يعني ابن جني العامل في إذا وقعت قوله إذا رجت وهذا خطأ فاحش فاصحاب الميمنة رفع بالابتداء والتقدير فأصحاب الميمنة ما هم أي أيُّ شيء هم واصحاب المشئمة اي أي شيء هم وهذه اللفظة مجراة مجرى التعجب ومتكئين ومتقابلين نصب على الحال .

(١) السيور جمع السير وهو كل مدة . (ثلة) مستقبلة من جلد غير مدبوغ يخصف به النعل .

[المعنى] ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ اي إذا قامت القيامة عن ابن عباس والواقعة اسم القيامة كالآزفة وغيرها والمعنى إذا حدثت الحادثة وهي الصيحة عند النفخة الأخيرة لقيام الساعة وقيل سميت بها لكثرة ما يقع فيها من الشدة أو لشدة وقعها وتقديره إذكروا إذا وقعت الواقعة وهذا حث على الاستعداد لها ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ أي ليس لمجيئها وظهورها كذب ومعناه انها تقع صدقاً وحقاً فليس فيها ولا في الإخبار عنها ووقوعها كذب وقيل معناه ليس لوقوعها قضية كاذبة اي ثبت وقوعها بالسمع والعقل ﴿خافضة رافعة﴾ اي تخفض ناساً وترفع آخرين عن ابن عباس وقيل تخفض اقواماً الى النار وترفع اقواماً إلى الجنة عن الحسن والجبائي والمعنى الجامع للقولين انها تخفض رجالاً كانوا في الدنيا مرتفعين وتجعلهم اذلة بإدخالهم النار وترفع رجالاً كانوا في الدنيا أذلة وتجعلهم اعزة بإدخالهم الجنة ﴿إذا رجت الارض رجاً﴾ اي حركت حركة شديدة وقيل زلزلت زلزالاً شديداً عن ابن عباس وقتادة ومجاهد أي رجفت بإماتة من على ظهرها من الأحياء وقيل معناه رجت بما فيها كما يرج الغربال بما فيه فيكون المراد ترج باخراج من في بطنها من الموتى ﴿وبست الجبال بساً﴾ أي فتّت[1] فتاً عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقيل معناه كسرت كسراً عن السدي[2] عن سعيد ابن المسيب وقيل قلعت من اصلها عن الحسن وقيل سيرت عن وجه الأرض تسييراً عن الكلبي وقيل بسطت بسطاً كالرمل والتراب عن ابن عطية وقيل جعلت كثيباً مهيلاً بعد ان كانت شامخة طويلة عن ابن كيسان ﴿فكانت هباء منبثاً﴾ اي غباراً متفرقاً كالذي يرى في شعاع الشمس إذ دخل من الكوة ثم وصف سبحانه احوال الناس بأن قال ﴿وكنتم ازواجاً ثلاثة﴾ أي اصنافاً ثلاثة ثم فسرها فقال ﴿فاصحاب الميمنة﴾ يعني اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم عن الضحاك والجبائي وقيل هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنةوقيل هم اصحاب اليمن والبركة على انفسهم والثواب من الله سبحانه بما سعوا من الطاعة وهم التابعون بإحسان عن الحسن والربيع ثم عجب سبحانه رسوله من حالهم تفخيماً لشأنهم فقال ﴿ما أصحاب الميمنة﴾ أي أيّ شيء هم كما يقال هم ما هم ﴿وأصحاب المشئمة﴾ وهم الذين يعطون كتبهم بشمالهم وقيل هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار وقيل هم المشائيم على انفسهم بما عملوا من المعصية ثم عجب سبحانه رسوله من حالهم تفخيماً لشأنهم في العذاب فقال ﴿ما أصحاب المشئمة﴾ ثم بين سبحانه الصنف الثالث فقال ﴿والسابقون السابقون﴾ اي والسابقون إلى اتباع الأنبياء الذين صاروا ائمة الهدى فهم

(١) فتّ الشيء دقه وكسره.

(٢) في المخطوطة : وسعيد بن المسيب.

السابقون الى جزيل الثواب عند الله عن الجبائي وقيل معناه السابقون الى طاعة الله وهم السابقون إلى رحمته والسابق الى الخير إنما كان أفضل لأنه يقتدى به في الخير وسبق إلى اعلى المراتب قبل من يجيء بعده فلهذا يميز[1] بين التابعين فعلى هذا يكون السابقون الثاني خبراً عن الأول ويجوز أن يكون الثاني تأكيداً للأول والخبر ﴿أولئك المقربون﴾ اي والسابقون إلى الطاعات يقربون إلى رحمة الله في اعلى المراتب وإلى جزيل ثواب الله في اعظم الكرامة ثم اخبر تعالى اين محلهم فقال ﴿في جنات النعيم﴾ لئلا يتوهم متوهم ان التقريب يخرجهم إلى دار أخرى فأعلم سبحانه انهم مقربون من كرامة الله في الجنة لأن الجنة درجات ومنازل بعضها ارفع من بعض وقد قيل في السابقين انهم السابقون إلى الإيمان عن مقاتل وعكرمة وقيل السابقون إلى الهجرة عن ابن عباس وقيل إلى الصلوات الخمس عن علي (ع) وقيل إلى الجهاد عن الضحاك وقيل إلى التوبة واعمال البر عن سعيد بن جبير وقيل إلى كل ما دعا الله اليه عن ابن كيسان وهذا اولى لأنه يعم الجميع وكان عروة بن الزبير يقول تقدموا تقدموا وعن أبي جعفر (ع) قال السابقون اربعة ابن آدم المقتول وسابق في[2] امة موسى (ع) وهو مؤمن آل فرعون وسابق في أمة عيسى (ع) وهو حبيب النجار والسابق في امة محمد ﷺ علي ابن ابي طالب (ع) ﴿ثلة من الأولين﴾ أي هم ثلة يعني جماعة كثيرة العدد من الأولين من الأمم الماضية ﴿وقليل من الآخرين﴾ من امة محمد لأن من سبق الى اجابة نبينا ﷺ قليل بالاضافة إلى من سبق إلى اجابة النبيين قبله عن جماعة من المفسرين وقيل معناه جماعة من اوائل هذه الأمة وقليل من اواخرهم ممن قرب حالهم من حال اولئك قال مقاتل يعني سابقي الأمم وقليل من الآخرين من هذه الأمة ﴿على سرر موضونة﴾ اي منسوجة كما يوضن حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض قال المفسرون منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والجواهر ﴿متكئين عليها﴾ اي مستندين جالسين جلوس الملوك ﴿متقابلين﴾ اي متحاذين كل واحد منهم بإزاء الآخر وذلك اعظم في باب السرور والمعنى أن بعضهم ينظر الى وجه بعض لا ينظر في قفاه لحسن معاشرتهم وتهذب اخلاقهم .

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾

(١) في المخطوطة : من التابعين .

(٢) فيها ايضاً سابق امة . . . . بدون لفظة في .

وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُوِ
الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ
فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾

[القراءة] قرأ ابو جعفر وحمزة والكسائي وحور عين بالجر والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة ابن أبي اسحاق ولا ينزفون بفتح الياء وكسر الزاي وقراءة ابي بن كعب وابن مسعود وحوراً عيناً

[الحجة] قال ابو علي وجه الرفع في وحور عين انه لما قال يطوف عليهم ولدان مخلدون دل هذا الكلام وما ذكر بعد على أن لهم فيها كذا وكذا ولهم فيها حور عين وكذلك من نصب حمل على المعنى لأن الكلام دل على يمنحون ويملكون وهذا مذهب سيبويه ويجوز ان يحمل الرفع على قوله على سرر موضونة والتقدير وعلى سرر موضونة حور عين أو وحور عين على سرر موضونة لأن الوصف قد جرى عليهن فاختصصن فجاز ان يرفع بالابتداء ولم يكن كالنكرة إذا لم يوصف نحو فيها عين وقوله على سرر موضونة خبر لقوله تعالى ثلة من الأولين وقليل من الآخرين فكذلك يجوز ان يكون خبراً عنهن ويجوز في ارتفاع وحور عين ان يكون عطفاً على الضمير في متكئين ولم يؤكد لكون طول الكلام بدلاً من التأكيد ويجوز أيضاً ان يعطفه على الضمير في متقابلين ولم يؤكد لطول الكلام أيضاً وقد جاء ما اشركنا ولا آباؤنا فهذا اجدر وقال الزجاج الرفع أحسن الوجهين لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بهذه الاشياء انه قد ثبت لهم ذلك فكأنه قال ولهم حور عين ومثله مما حمل على هذا[1] المعنى قول الشاعر :

بَادَتْ وَغَيَّرَ آيَهُنَّ مَعَ الْبِلَى إِلَّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ

ثم قال بعده :

وَمُشَجَّجٌ أَمَّا سَوَاءُ قَذَالِهِ فَبَدَا وَغَيَّرَ سَارَهُ الْمِعْزَاءُ[2]

لأنه لما قال إلا رواكد كان المعنى بها رواكد فحمل ومشجج على المعنى وقال غيره

(١) ليس في المخطوطة لفظة هذا.

(٢) مر البيت ومعناه في ص١٤١ من هذا الجزء.

تقديره وهناك حور عين قال أبو علي وجه الجرأن يكون يحمله على قوله اولئك المقربون في جنات النعيم التقدير أولئك المقربون في جنات النعيم وفي حور عين اي وفي مقاربة حور عين أو معاشرة حور عين فحذف المضاف فإن قلت فلم لا تحمله على الجار في قوله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون بكذا وبحور عين فهذا يمكن ان يقال إلا ان ابا الحسن قال في ذا بعض الوحشة قال ابن جني[1] نزف البئر ينزفها نزفاً إذا استقى ماؤها وانزفت الشيء إذا افنيته قال الشاعر.

لَعَمْرِيَ لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أَوْ صَحَوْتُمُ لَبِئْسَ النَّدامَى كُنْتُمُ آلَ أَبْجَرَا[2]

[المعنى] ثم اخبر سبحانه ان ﴿يطوف عليهم ولدان﴾ اي وُصَفاء وغلمان للخدمة ﴿مخلدون﴾ اي باقون لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون عن مجاهد وقيل مقرطون والخلَدَ القرط يقال خلَّد جاريته إذا حلاها بالقرطة عن سعيد بن جبير والفراء واختلف في هذه الولدان فقيل انهم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا[3] فأنزلوا هذه المنزلة عن علي(ع) والحسن وقد روي عن النبي ﷺ انه سأل عن اطفال المشركين فقال هم خدم أهل الجنة وقيل بل هم من خدم الجنة على صورة الولدان خلقوا لخدمة اهل الجنة ﴿بأكواب﴾ وهي القداح الواسعة الرؤوس لا خراطيم لها عن قتادة ﴿وأباريق﴾ وهي التي لها خراطيم وعرى وهو الذي يبرق من صفاء لونه ﴿وكأس من معين﴾ اي ويطوفون ايضاً عليهم بكأس خمر معين اي ظاهر للعيون جار ﴿لا يصدعون عنها﴾ اي لا يأخذهم من شربها صداع وقيل لا يتفرقون عنها ﴿ولا ينزفون﴾ أي لا تنزف عقولهم بمعنى لا تذهب بالسكر عن مجاهد وقتادة والضحاك ومن قرأ ينزفون حمله على انه لا تفنى خمرهم ﴿وفاكهة ما يتخيرون﴾ اي ويطوفون عليهم بفاكهة مما يختارونه ويشتهونه يقال تخيرت الشيء اخذت خيره ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ اي وبلحم طير مما يتمنون فإن اهل الجنة إذا اشتهوا لحم الطير خلق الله سبحانه لهم الطير نضيجاً حتى لا يحتاج إلى ذبح الطير وايلامه قال ابن عباس يخطر على قلبه الطير فيصير[4] ممثلاً بين يديه على ما اشتهى ﴿وحور عين﴾ قد مر بيانه ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ أي الدر المصون المخزون في الصدف لم تمسه الأيدي قال عمر ابن أبي ربيعة:

---

(١) في المخطوطة: قال ابن جني يقال..

(٢) الندامى جمع نديمان وهو المنادم على الشرب أي بئس المصاحبون انتم في حال السكر والصحو.

(٣) في نسخة فيعاقبوا عليها وفي.

(٤) وفي نسختين: فيطير.

وَهْيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ الْغَوَّا ص مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ

﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ اي نفعل ذلك الجزاء اعمالهم وطاعاتهم التي عملوها في دار التكليف الدنيا ﴿لا يسمعون فيها﴾ اي في الجنة ﴿لغواً﴾ اي ما لا فائدة فيه من الكلام لأن كل ما يتكلمون به فيه فائدة ﴿ولا تأثيماً﴾ اي لا يقول بعضهم لبعض أثمت لأنهم لا يتكلمون بما فيه اثم عن ابن عباس وقيل معناه لا يتخالفون على شرب الخمر كما يتخالفون في الدنيا ولا يأثمون بشربها كما يأثمون في الدنيا ﴿إلا قيلاً سلاماً سلاماً﴾ اي لا يسمعون إلا قول بعضهم لبعض على وجه التحية سلاماً سلاماً والمعنى انهم يتداعون بالسلام على حسن الآداب وكريم الأخلاق اللذين يوجبان التواد ونصب سلاماً على تقدير سلمك الله سلاماً بدوام النعمة وكمال الغبطة[1] ويجوز ان يعمل سلام في سلاماً لأنه يدل على عامله كما يدل قوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتاً على العامل في نبات فإن المعنى انبتكم فنبتم نباتاً ويجوز ان يكون سلاماً نعتاً لقوله قيلا ويجوز ان يكون مفعول قيل فالوجوه الثلاثة تحتملها الآية :

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾

[القراءة] قرأ إسماعيل وحمزة وحماد ويحيى عن أبي بكر وخلف عرباً ساكنة الراء والباقون عرباً بضمتين.

[الحجة] العروب الحسنة التبعل قال لبيد :

وَفِي الْحُدُوجِ عَرُوبٌ غَيْرُ فَاحِشَةٍ رَيَّا الرَّوَادِفِ يَعْشَى دُونَهَا الْبَصَرُ[2]

---

(١) في نسخة : العطية.

(٢) الحدج : مركب من مراكب النساء. نحو الهودج والمحفّة والريّا مؤنث الريان وهو. الاخضر الناعم من الاغصان =

والفعول يجمع على فُعُل وفعل فمن التثقيل قوله «فاصبري انك من قوم صبر» والتخفيف في ذلك شائع مطرد

[اللغة] السدر شجر النبق وأصل الخضد عطف العود اللين فمن هاهنا المخضود الذي لا شوك له لأن الغالب ان الرطب اللين لا شوك له والطلح قال أبو عبيدة هو كل شجر عظيم كثير الشوك قال بعض الحداة.

بَشَّرَهَا دليلُهَا وَقَالاْ غَداً تَرَيْنَ الطَّلْحَ وَالجِبَالاْ

وقال الزجاج الطلح شجر ام غيلان فقد يكون على احسن حال والمنضود من نضدت المتاع إذا جعلت بعضه على بعض والبكر التي لم يفترعها الرجل فهي على خلقتها الأولى من حال الإنشاء ومنه البكرة لأول النهار والباكورة لأول الفاكهة والبكر الفتي من الابل وجمعه بكار وبكارة وجاء القوم على بكرتهم وبكرة أبيهم عن الأزهري والاتراب جمع ترب وهو الُلدة الذي ينشأ مع مثله في حال الصبا وهو مأخوذ من لعب الصبي بالتراب أي هم كالصبيان الذين هم على سن واحد قال ابن[1] ابي ربيعة :

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تُهَادِي بَيْنَ عَشْرٍ كَوَاعِبٍ أَتْرَابِ[2]

[المعنى] ثم ذكر سبحانه اصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾ هو مثل قوله ما أصحاب الميمنة وقد مر معناه ﴿في سدر مخضود﴾ أي[3] في نبق مخضود أي منزوع الشوكة قد خضد شوكة أي قطع عن ابن عباس وعكرمة وقتادة وقيل هو الذي خضد بكثرة حمله وذهاب شوكه وقيل هو الموقر حملاً عن الضحاك ومجاهد ومقاتل بن حيان وقال الضحاك نظر المسلمون إلى وج وهو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدره وقالوا يا ليت لنا مثل هذا فنزلت هذه الآية ﴿وطلح منضود﴾ قال ابن عباس وغيره هو شجر الموز وقيل ليس بالموز ولكنه شجرله ظل بارد رطب عن الحسن وقيل هو شجر يكون باليمن وبالحجاز من احسن الشجر منظراً وإنما ذكر هاتين الشجرتين لأن

= وغيرها ووجه ريان : كثير اللحم والروادف الاعجاز اعلم جمع ردف او الرادفة والردف هو. . .

(١) في المخطوطة : عمرو بن أبي ربيعة.

(٢) المهاة: الشمس. . . والبقرة الوحشية وقيل نوع من البقر الوحشي وهي اشبه بالمعز الاهلية وقرونها صلاب جداً تشبه بها المرثة في سمنها وجمالها وحسن عينيها وفلان يهادي بين اثنين اي يتمايل أو بالبناء للمفعول اي يمشي بينهما معتمداً عليهما لضعفه والمراد مشية المتبختر.

(٣) وفي المخطوطة : (فسدر) اي في نبق (مخضود) اى منزوع. .

العرب كانوا يعرفون ذلك فإن عامة أشجارهم أم غيلان ذات انوار ورائحة طيبة وروت العامة عن علي (ع) انه قرأ عنده رجل وطلح منضود فقال ما شأن الطلح إنما هو وطلع كقوله ونخل طلعها هضيم فقيل له ألا تغيره فقال إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحرك رواه عنه إبنه الحسن وقيس بن سعد[1] ورواه اصحابنا عن يعقوب بن شعيب قال قلت لأبي عبد الله (ع) وطلح منضود قال لا وطلع منضود والمنضود الذي نضد بعضه على بعض نضد بالحمل من أوله إلى آخره فليست له سوق بارزة فمن عروقه إلى افنانه ثمر كله ﴿وظل ممدود﴾ اي دائم لا تنسخه الشمس فهو باق لا يزول والعرب تقول لكل شيء طويل لا ينقطع ممدود قال لبيد :

غَلَبَ الْبَقَاءَ وَكَانَ غَيْرَ مُغَلَّبٍ دَهْرٌ طَوِيلٌ دَائِمٌ مَمْدُودُ

وقد ورد في الخبر ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود وروي ايضاً ان اوقات الجنة كغدوات الصيف لا يكون فيه حر ولا برد ﴿وماء مسكوب﴾ اي مصبوب يجري الليل والنهار ولا ينقطع عنهم فهو مسكوب بسكب الله إياه في مجاريه وقيل مسكوب مصبوب على الخمر ليشرب بالمزاج وقيل مسكوب يجري دائماً في غير اخدود عن سفيان وجماعة وقيل مسكوب ليشرب على ما يرى من حسنه وصفائه لا يحتاجون إلى تعب في استقائه ﴿وفاكهة كثيرة﴾ اي وثمار مختلفة كثيرة غير قليلة والوجه في تكرير ذكر الفاكهة البيان عن اختلاف صفاتها فذكرت اولاً بأنها متخيرة وذكرت هنا بأنها كثيرة ثم وصفت بقوله ﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ اي لا تنقطع كما تنقطع فواكه الدنيا في الشتاء وفي اوقات مخصوصة ولا تمتنع ببعد متناول أو شوك يؤذي اليد كما يكون ذلك في الدنيا وقيل انها غير مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان لا يتوصل اليها إلا بالثمن ﴿وفرش مرفوعة﴾ اي بسط عالية كما يقال بناء مرفوع وقيل مرفوع بعضها فوق بعض عن الحسن والفراء وقيل معناه ونساء مرتفعات القدر في عقولهن وحسنهن وكمالهن عن الجبائي قال ولذلك عقبه بقوله انا انشأناهن انشاءاً ويقال لامرأة الرجل هي فراشه ومنه قول النبي ﷺ الولد للفراش وللعاهر الحجر ﴿إنا أنشأناهن إنشاءاً﴾ أي خلقناهن خلقاً جديداً قال ابن عباس يعني النساء الآدميات والعجز الشمط يقول خلقتهن بعد الكبر والهرم في الدنيا خلقاً آخر وقيل معناه انشأنا الحور العين كما هن عليه على هيئاتهن لم ينتقلن من حال إلى حال كما يكون في الدنيا ﴿فجعلناهن ابكاراً﴾ أي عذارى عن الضحاك وقيل لا يأتيهن ازواجهن إلا وجدوهن ابكاراً ﴿عرباً﴾ اي متحننات على ازواجهن متحببات اليهم وقيل عاشقات

(١) قيل أيضاً: قيس بن سعيد.

لأزواجهن عن ابن عباس وقيل العروب اللعوب مع زوجها انساً به كأنس العرب بكلام العربي ﴿اتراباً﴾ اي متشابهات مستويات في السن عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقيل امثال ازواجهن في السن ﴿لأصحاب اليمين﴾ اي هذا الذي ذكرناه لأصحاب اليمين جزاءاً وثواباً على طاعاتهم ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ أي جماعة من الأمم الماضية التي كانت قبل هذه الأمة وجماعة من مؤمني هذه الأمة قال الحسن سابقو الأمم الماضية اكثر من سابقي هذه الأمة وتابعو الأمم الماضية مثل تابعي هذه الأمة ان اصحاب اليمين منهم مثل اصحاب اليمين منا وإنما نكر سبحانه الثلة ليدل على أنه ليس لجميع الأولين والآخرين وإنما هو لجماعة منهم كما يقال رجل من جملة الرجال وهذا الذي ذكرناه قول مقاتل وعطاء وجماعة من المفسرين وذهب جماعة منهم ان الثلتين جميعاً من هذه الأمة وهو قول مجاهد والضحاك واختيار الزجاج وروي ذلك مرفوعاً عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال جميع الثلتين من امتي ومما يؤيد القول الأول ويعضده من طريق الرواية ما رواه نقلة الاخبار بالإسناد عن ابن مسعود قال تحدثنا عند رسول الله ﷺ ليلة حتى اكثرنا الحديث ثم رجعنا إلى اهلنا فلما اصبحنا غدونا إلى رسول الله ﷺ فقال عرضت علي الأنبياء الليلة بأتباعها من امهها فكان النبي تجيء معه الثلة من امته والنبي معه العصابة من امته والنبي معه النفر من امته والنبي معه الرجل[1] من أمته والنبي ما معه من امته أحد حتى إذا اتى اخي موسى في كبكبة من بني إسرائيل فلما رأيتهم اعجبوني فقلت اي رب من هؤلاء فقال هذا اخوك موسى بن عمران ومن معه من بني إسرائيل فقلت رب فأين امتي قال انظر عن يمينك فإذا ظراب[2] مكة قد سدت بوجوه الرجال فقلت[3] من هؤلاء فقيل هؤلاء امتك أرضيت قلت رب رضيت وقال[4] انظر عن يسارك فإذا الافق قد انسد[5] بوجوهه الرجال فقلت رب من هؤلاء قيل هؤلاء امتك أرضيت قلت رب رضيت فقيل ان مع هؤلاء سبعين الفاً من امتك يدخلون الجنة لا حساب عليهم قال فأنشأ عكاشة بن محصن من بني اسد[6] من خزيمة فقال يا نبي الله ادع ربك ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم ثم انشأ رجل آخر فقال يا نبي الله ادع ربك ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة فقال نبي الله فداكم ابي وامي ان استطعتم ان تكونوا من السبعين فكونوا وان عجزتم وقصرتم فكونوا من اهل الظراب فإن عجزتم[7] وقصرتم فكونوا من اهل الافق واني قد رأيت ثم ناساً كثيراً يتهاوشون كثيراً فقلت هؤلاء السبعون الفاً فاتفق

---

(١) وفي المخطوطة: رجل. (٢) الظراب. (٣) في المخطوطة: رب من. . . . (٤) فيها قيل.
(٥) فيها أيضاً: سد. (٦) فيها ايضاً. ابن خزيمة. (٧) فيها: فقصرتم.

رأينا على انهم ناس ولدوا في الإسلام فلم يزالوا يعملون به حتى ماتوا عليه فانتهى[1] حديثهم إلى رسول الله ﷺ فقال ليس كذلك ولكنهم الذين لا يسرقون ولا يتكبرون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ثم قال اني لارجو ان يكون من تبعني ربع اهل الجنة قال فكبرنا ثم قال إني لارجو ان يكونوا ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال اني لارجو ان يكونوا شطر أهل الجنة ثم تلا رسول الله ﷺ ثلة من الأولين وثلة من الآخرين .

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر ءإذا متنا بهمزتين أئنا لمبعوثون بهمزتين ايضاً ولم يجمع بين استفهامين إلا في هذا الموضع من القرآن وقد ذكرنا مذهب غيره من القراء فيما تقدم ومذهبه ايضاً في امثاله وقرأ اهل المدينة وعاصم وحمزة شرب الهيم بضم الشين والباقون بفتحها .

[الحجة] قال ابو علي إن الحق الف الاستفهام في قوله أئنا أو لم تلحق كان إذا متعلقاً بشيء دل عليه قوله أإنا لمبعوثون ألا ترى ان إذا ظرف من الزمان فلا بد له من فعل أو

(١) في نسختين: فانهى.

معنى فعل يتعلق به ولا يجوز ان يتعلق بقوله متنا لأنه مضاف اليه والمضاف اليه لا يعمل في المضاف وإذا لم يجز حمله على هذا الفعل ولا على ما بعد ان من حيث لم يعمل ما بعد ان فيما قبلها كما لا يعمل ما بعد لا فيما قبلها فكذلك لا يجوز ان يعمل ما بعد الاستفهام فيما قبله علمت انه يتعلق بشيء دل عليه قوله أئنا لمبعوثون وذلك نحشر أو نبعث ونحوهما مما يدل عليه هذا الكلام واما الشرب فهو نحو الأكل والضرب والشرب كالشغل والنكر واما الشرب فالمشروب كالطحن ونحوه وقد يكون الشرب جمع شارب مثل راكب ورَكْب وتاجر وتَجْر وراجل ورجل .

[اللغة] السموم الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن ومسام البدن خروقه ومنه اخذ السم الذي يدخل في المسام واليحموم الأسود الشديد السواد باحتراق النار وهو يفعول من الحم وهو الشحم المسود باحتراق النار يقال حممت الرجل إذا سخمت وجهه بالفحم والمترف الممتنع من اداء الواجبات طلباً للترفه وهي الرفاهية والنعمة والحنث نقض العهد المؤكد بالحلف والهيم الابل العطاش التي لا تروى من الماء لداء يصيبها والواحد اهيم والأنثى هيماء .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه أصحاب الشمال فقال ﴿ **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال** ﴾ وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى جهنم أو الذين يأخذون كتبهم بشمالهم أو الذين يلزمهم حال الشؤم والنكد ﴿ **في سموم وحميم** ﴾ أي في ريح حارة تدخل مسامهم وخروقهم وفي ماء مغلي حار انتهت حرارته ﴿ **وظل من يحموم** ﴾ أي دخان أسود شديد السواد عن ابن عباس وأبي مالك ومجاهد وقتادة وقيل اليحموم جبل في جهنم يستغيث أهل النار إلى ظله ثم نعت ذلك الظل فقال ﴿ **لا بارد ولا كريم** ﴾ أي لا بارد المنزل ولا كريم المنظر عن قتادة وقيل لا بارد يستراح إليه لأنه دخان جهنم ولا كريم فيشتهى مثله وقيل ولا كريم أي ولا منفعة فيه بوجه من الوجوه والعرب إذا أرادت نفي صفة الحمد عن شيء نفت عنه الكرم وقال الفراء العرب تجعل الكريم تابعاً لكل شيء نفت عنه وصفاً تنوي به الذم تقول ما هو بسمين ولا كريم وما هذه الدار بواسعة ولا كريمة ثم ذكر سبحانه أعمالهم التي أوجبت لهم هذا فقال ﴿ **انهم كانوا قبل ذلك مترفين** ﴾ أي كانوا في الدنيا متنعمين عن ابن عباس وذلك أن عذاب المترف أشد ألماً وبين سبحانه أن الترف ألهاهم عن الانزجار وشغلهم عن الاعتبار وكانوا[1] يتركون الواجبات طلباً لراحة أبدانهم ﴿ **وكانوا يصرون على الحنث**

(١) في بعض النسخ : فكانوا .

﴿ العظيم ﴾ أي الذنب العظيم عن مجاهد وقتادة والإصرار أن يقيم عليه فلا يقلع عنه ولا يتوب منه وقيل الحنث العظيم الشرك أي لا يتوبون عنه عن الحسن والضحاك وابن زيد وقيل كانوا يحلفون لا يبعث الله من يموت وإن الأصنام أنداد الله عن الشعبي والأصم ﴿ وكانوا يقولون ءإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون ﴾ أي ينكرون البعث والنشور والثواب والعقاب فيقولون مستبعدين لذلك منكرين له ءإذا خرجنا من كوننا أحياء وصرنا تراباً أنبعث ﴿ أو آباؤنا الأولون ﴾ أي أو يبعث آباؤنا الذين ماتوا قبلنا ويحشرون إن هذا البعيد ومن قرأ أو آباؤنا بفتح الواو فإنها واو العطف دخل عليها ألف الاستفهام ﴿ قل ﴾ يا محمد لهم ﴿ إن الأولين والآخرين ﴾ أي الذين تقدموكم من آبائكم وغير آبائكم والذين يتأخرون عن زمانكم ﴿ لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ﴾ يجمعهم الله ويبعثهم ويحشرهم إلى وقت يوم معلوم عنده وهو يوم القيامة ﴿ ثم إنكم أيها الضالون ﴾ الذين ضللتم عن طريق الحق وجزتم عن الهدى ﴿ المكذبون ﴾ بتوحيد الله وإخلاص العبادة له ونبوة نبيه ﴿ لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون ﴾ مفسر في سورة الصافات ﴿ فشاربون عليه من الحميم ﴾ الشجر يؤنث ويذكر فلذلك قال منها ثم قال عليه وكذلك الثمر يؤنث ويذكر ﴿ فشاربون شرب الهيم ﴾ أي كشرب الهيم وهي الإبل التي أصابها الهيام وهو شدة العطش فلا تزال تشرب الماء حتى تموت عن ابن عباس وعكرمة وقتادة وقيل هي الأرض الرملية التي لا تروى بالماء عن الضحاك وابن عيينة ﴿ هذا نزلهم يوم الدين ﴾ النزل الأمر الذي ينزل عليه صاحبه والمعنى هذا طعامهم وشرابهم يوم الجزاء في جهنم .

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ

فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ
ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾
ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا

فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾
أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ
ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ
بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير نحن قدرنا بالتخفيف والباقون قدرنا بالتشديد وقرأ أبو بكر ءانا لمغرمون بهمزتين والباقون بهمزة واحدة .

[الحجة] قال أبو علي قدرنا في معنى قدرنا ويدل عليه قوله :

وَمُفْرِهَةٍ عَنْسٍ قَدَرْتُ لِسَاقِهَا فَخَرَّتْ كَمَا تَتَابَعُ الرِّيحُ بِالقَفْلِ[1]

والمعنى قدرت ضربي لساقها فضربتها فخرت ومثله في المعنى :

فَإِنْ تَعْتَذِرْ بِالْمَحْلِ مِنْ ذي ضُرُوعِهَا عَلَى الضَّيْفِ نَجْرَحُ في عَرَاقِيبِهَا نَصْلي[2]

[اللغة] يقال أمنى يمني ومنى يمني بمعنى ومنه قراءة أبي السماك تمنون بفتح التاء والأصل من المنى وهو التقدير قال الشاعر :

لَا تَأْمَنَنَّ وإِنْ أَمْسَيْتَ في حَرَمٍ حَتَّى تُلَاقِيَ مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي

ومنه المنية لأنها مقدرة تأتي على مقدار والحطام الهشيم الذي لا ينتفع به في مطعم

---

(١) أفرهت الناقة : إذا كانت تنتج الفره أي النوق الخفيفات في السير والعنس الناقة الصلبة القوية واتابع الريح بورق الشجر فأذهبت به والقفل ما يبس من الشجر .

(٢) المحل : الجدب . الكيد . السعاية . العرقوب : عصب غليظ موتر فوق عقب الانسان ومن الدابة في رجلها ومنزلة الركبة في يدها والنصل حديدة السهم والسيف والرمح والسكين يقول ان تعتذر للضيف بأن ليس في ضروعها لبن نشقّ عراقيبها بالنصل ونجرحها .

ولا غذاء وأصل الحطم الكسر والحطم السواق بعنف يحطم بعضها على بعض قال « قد لَفَّهَا اللَّيْلَ بِسَوّاقٍ حُطَم » والتفكه أصله تناول ضروب الفواكه للأكل والفكاهة المزاح ومنه حديث زيد كان من أفكه الناس مع أهله ورجل فكه طيب النفس والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض وأصل الباب اللزوم والغرام العذاب اللازم قال الأعشى :

إِنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَرَاماً وَإِذن يُعْـ ـطِ جَزِيلاً فَإِنَّهُ لا يُبَالِي

والنار مأخوذة من النور قال الحارث :

فَتَنَوَّرْتُ نَارَهَا مِنْ بَعِيدٍ بِخَزَازَى هَيْهَاتَ مِنْكِ الصَّلاءُ[1]

والإيراء إظهار النار بالقدح يقال أورى يوري ووريت بك زنادي أي أضاء بك أمري ويقال قدح فأورى إذا أظهر النار فإذا لم يور قيل قدح فأكبى والمقوي النازل بالقواء من الأرض ليس بها أحد وأقوت الدار خلت من أهلها قال النابغة :

أَقْوَى وَأَقْفَرَ مِنْ نُعْمٍ وَغَيَّرَهَا هُوجُ الرِّيَاحِ بِهَا التُّرْبِ مَوَّارُ[2]

وقال عنترة :

حُيِيتُ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَمِ[3]

[المعنى] ثم احتج سبحانه عليهم في البعث بقوله ﴿ نحن خلقناكم ﴾ أي نحن خلقناكم ولم تكونوا شيئاً وأنتم تعلمون ذلك عن مقاتل ﴿ فلولا تصدقون ﴾ أي فهلا تصدقون ولم لا تصدقون بالبعث لأن من قدر على الإنشاء والابتداء قدر على الإعادة ثم نبههم سبحانه على وجه الاستدلال على صحة ما ذكره فقال ﴿ أفرأيتم ما تمنون ﴾ أي ما تقذفون وتصبّون في أرحام النساء من النطف فيصير ولداً ﴿ ءانتم تخلقونه ﴾ أي ءأنتم تخلقون ما تمنون بشراً ﴿ أم نحن الخالقون ﴾ فإذا لم تقدروا أنتم وأمثالكم على ذلك فاعلموا أن الله سبحانه الخالق لذلك وإذا ثبت أنه قادر على خلق الولد من النطفة وجب أن

---

(١) تنور النار من بعيد: تبصرها وخزازى جبل كانوا يوقدون عليه غداة الغارة والصلاء: الشواء. والوقود. والعظيم من النار.

(٢) الهوج جمع الهوجاء وهي الريح التي لا تستوي في هبوبها وتقلع البيوت والهابي من هبا الغبار أي سطع وموضع هابي التراب أي كأن ترابه هباء في الرقة وتراب هابٍ أي منتشر في الجو ومَوّار مبالغة من مار الشيء أي تحرّك بسرعة وجاء وذهب.

(٣) مر البيت في ج ٣

يكون قادراً على إعادته بعد موته لأنه ليس بأبعد منه ثم بين سبحانه أنه كما بدأ الخلق فإنه يميتهم فقال ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت ﴾ التقدير ترتيب الأمر على مقدار أي نحن أجرينا الموت بين العباد على مقدار كما تقتضيه الحكمة فمنهم من يموت صبياً ومنهم من يموت شاباً ومنهم من يموت كهلاً وشيخاً وهرماً عن مقاتل وقيل معناه قدرناه بأن سوينا فيه بين المطيع والعاصي وبين أهل السماء والأرض عن الضحاك ﴿ وما نحن بمسبوقين ﴾ قيل أنه من تمام ما قبله أي لا يسبقنا أحد منكم على ما قدرناه من الموت حتى يزيد في مقدار حياته وقيل أنه ابتداء كلام يتصل به ما بعده والمعنى وما نحن بمغلوبين ﴿ على أن نبدل أمثالكم ﴾ أي نأتي بخلق مثلكم بدلاً منكم وتقديره نبدلكم بأمثالكم فحذف المفعول الأول والجار من المفعول الثاني قال الزجاج معناه أن أردنا أن نخلق خلقاً غيركم لم يسبقنا سابق ولا يفوتنا ﴿ وننشئكم فيما لا تعلمون ﴾ من الصور أي إن أردنا أن نجعل منكم القردة والخنازير لم نسبق ولا فاتنا ذلك وتقديره كما لم نعجز عن تغيير أحوالكم بعد خلقكم لا نعجز عن أحوالكم بعد موتكم وقيل أراد النشأة الثانية أي ننشئكم فيما لا تعلمون من الهيئات المختلفة فإن المؤمن يخلق على أحسن هيئة وأجمل صورة والكافر على أقبح صورة وقيل إنما قال ذلك لأنهم علموا حال النشأة الأولى كيف كانت في بطون الأمهات وليست الثانية كذلك لأنه تكون في وقت لا يعلمه العباد ﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى ﴾ أي المرة الأولى من الإنشاء وهو ابتداء الخلق حين خلقتم[1] من نطفة وعلقة ومضغة ﴿ فلولا تذكرون ﴾ أي فهلا تعتبرون وتستدلون بالقدرة عليها على الثانية ﴿ أفرأيتم ما تحرثون ﴾ أي ما تعملون في الأرض وتلقون فيها من البذر ﴿ ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ أي ءأنتم تنبتونه وتجعلونه زرعاً أم نحن المنبتون فإن من قدر على إنبات الزرع من الحبة الصغيرة وإن يجعلها حبوباً كثيرة قدر على إعادة الخلق إلى ما كانوا عليه وروي عن النبي ﷺ أنه قال لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت ﴿ لو نشاء لجعلناه ﴾ أي جعلنا ذلك الزرع ﴿ حطاماً ﴾ أي هشيماً لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء وقيل تبنا لا قمح فيه عن عطاء ﴿ فظلتم تفكهون ﴾ أي تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم عن عطاء والكلبي ومقاتل وقيل معناه تندمون وتتأسفون على ما أنفقتم فيه عن عكرمة وقتادة والحسن وأصله من التفكه بالحديث وهو التلهي به فكأنه قال فظلتم تتروحون إلى التندم كما يتروح الفكه إلى الحديث بما يزيل الهم وقيل معناه يتلاومون عن عكرمة أي يلوم بعضكم بعضاً على التفريط في طاعة الله ﴿ إنا لمغرمون ﴾ أي

(١) في بعض النسخ : خلقهم .

تقولون إنا لمغرمون والمعنى أنا قد ذهب مالنا كله ونفقتنا وضاع وقتنا ولم نحصل على شيء وقيل معناه انا لمعذبون مجدودون[١] عن الحظ عن مجاهد وفي رواية أخرى عنه أنا لمولع بنا وفي رواية أخرى منه انا لملقون في الشر وقيل محارفون عن قتادة ومن قرأ ءانا على الاستفهام حمله على أنهم يقومون فيقولون منكرين لذلك ومن قرأ انا على الخبر حمله على أنهم مخبرون بذلك عن أنفسهم ثم يستدركون فيقولون ﴿ بل نحن محرومون ﴾ أي مبخوسو[٢] الحظ محارفون ممنوعون من الرزق والخير ثم قال سبحانه منبهاً على دلالة أخرى ﴿ أفرأيتم الماء الذي تشربون ءأنتم أنزلتموه من المزن ﴾ أي من السحاب ﴿ أم نحن المنزلون ﴾ نعمة منا عليكم ورحمة بكم ثم قال ﴿ لو نشاء جعلناه اجاجاً ﴾ أي مرّاً شديد المرارة وقيل هو الذي اشتدت ملوحته ﴿ فلولا تشكرون ﴾ أي فهلا تشكرون على هذه النعمة السنية التي لا يقدر عليها أحد غير الله ثم نبه سبحانه على دلالة أخرى فقال ﴿ أفرأيتم النار التي تورون ﴾ أي تستخرجونها وتقدحونها بزنادكم من الشجر ﴿ ءأنتم أنشأتم شجرتها ﴾ التي تنقدح النار منها أي ءانتم أنبتّموها وابتدأتموها ﴿ أم نحن المنشئون ﴾ لها فلا يمكن أحداً أن يقول أنه أنشأ تلك الشجرة غير الله تعالى والعرب تقدح بالزند والزندة وهو خشب يحك بعضه ببعض فتخرج منه النار وفي المثل « في كل شجر نار واستمجد[٣] المرخ والعفار» ﴿ نحن جعلناها تذكرة ﴾ أي نحن جعلنا هذه النار تذكرة للنار الأخرى الكبرى فإذا رآها الرائي ذكر جهنم واستعاذ بالله منها عن عكرمة ومجاهد وقتادة وقيل معناه تذكرة يتذكر بها ويتفكر فيها فيعلم أن من قدر عليها وعلى إخراجها من الشجر الرطب قدر على النشأة الثانية ﴿ ومتاعاً للمقوين ﴾ أي وجعلناها بلغة ومنفعة للمسافرين عن ابن عباس والضحاك وقتادة يعني الذين نزلوا الأرض القِيّ وهو القفر وقيل للمستمتعين بها من الناس أجمعين المسافرين والحاضرين عن عكرمة ومجاهد والمعنى أن جميعهم يستصيتون بها من في الظلمة ويصطلون من البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز وعلى هذا فيكون المقوي من الأضداد فيكون المقوي الذي صار ذا قوة من المال والنعمة والمقوي أيضاً الذاهب ماله النازل بالقواء من الأرض فالمعنى ومتاعاً للأغنياء والفقراء ولما ذكر سبحانه ما يدل على توحيده وانعامه على عبيده قال ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ أي فبرّىء الله تعالى مما يقولونه في وصفه ونزهه عما لا يليق بصفاة وقيل معناه قل

---

(١) وفي سائر النسخ محدودون بالمهملة وجدّ النخل بالجيم أي صرمه وقطعه وحدّ الله عنا الشر أي كفّه وصرفه .

(٢) وفي نسخة : محبوسو الحظ .

(٣) أي استكثرا من النار ومعنى المثل: كأنهما أخذا من النار ما هو حسبهما يقال شبّها بمن يكثر العطاء طلباً للمجد يضرب في تفضيل بعض الشيء على بعض .

سبحان ربي العظيم فقد صح عن النبي ﷺ أنه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها في ركوعكم .

﴿ * فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم بموقع النجوم بغير ألف والباقون بمواقع النجوم على الجمع وروى بعضهم عن عاصم أنكم تكذبون بالتخفيف والقراءة المشهورة بالتشديد وفي الشواذ قراءة الحسن والثقفي فلا قسم بخير ألف وقراءة علي (ع) وابن عباس ورويت عن النبي ﷺ وتجعلون شكركم .

[الحجة] قال أبو عبيدة فلا أقسم بمواقع النجوم أي فاقسم ومواقعها مساقطها حيث تغيب وقال غيره أنه مواقع القرآن حين نزل على النبي ﷺ نجوماً فأما الجمع في ذلك وإن كان مصدراً فلاختلاف ذلك فإن المصادر وسائر أسماء الأجناس إذا اختلفت جاز جمعها ومن قرأ بموقع فافرد فلأنه اسم جنس ومن قرأ تكذبون فالمعنى تجعلون رزقكم الذي رزقكموه الله فيما قال ﴿ وأنزلنا من السماء ماء مباركاً ﴾ إلى قوله ﴿ رزقاً للعباد ﴾ وقال وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم/انكم تكذبون في أن تنسبوا هذا الرزق إلى غير الله تعالى فتقولون مطرنا بنوء كذا فهذا وجه التخفيف ومن قرأ تكذّبون فالمعنى انكم تكذبون

بالقرآن لأن الله تعالى هو الذي رزقكم ذلك على ما جاء في قوله تعالى ﴿ رزقاً للعباد ﴾ فتنسبونه أنتم إلى غيره فهذا تكذيبكم بما جاء به التنزيل وأما ما روي من قوله وتجعلون شكركم فالمعنى تجعلون مكان الشكر الذي يجب عليكم التكذيب وقد يكون المعنى وتجعلون شكر رزقكم التكذيب فحذف المضاف وقال ابن جني هو على وتجعلون بدل شكركم ومثله قول العجاج :

رَبَّيْتُهُ حَتَّى إِذَا تَمَعْدَدَا[1] كَانَ جَزَائِي بِالْعَصَا أَنْ أُجْلَدَا

أي كان بدل جزائي الجلد بالعصا وأما قوله فلأقسم فالتقدير لأنا أقسم وهو فعل الحال يدل على ذلك أن جميع ما في القرآن من الأقسام إنما هو حاضر الحال لا وَعْدُ الإقسام كقوله ﴿ والتين والزيتون والشمس وضحاها ﴾ ولذلك حملت لا على الزيادة في قوله ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ ونحوه نعم ولو أريد به الفعل المستقبل للزمت منه النون فقيل لأقسمن .

[اللغة] القسم جملة من الكلام يؤكد بها الخبر بما يجعله في قسم الصواب دون الخطأ والعظيم هو الذي يقصر مقدار ما يكون من غيره عما يكون منه وهو ضربان عظيم الشخص وعظيم الشأن والكريم هو الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير فلما كان القرآن من شأنه أن يعطي الخير الكثير بأدلته المؤدية إلى الحق كان كريماً على حقيقة معنى الكريم لا على التشبيه بطريق المجاز والكريم في صفات الله تعالى من الصفات النفسية التي يجوز أن يقال فيها لم يزل كريماً لأن حقيقته تقتضي ذلك من جهة أن الكريم هو الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير فلما كان القادر على الكرم الذي لا يمنعه مانع من شأنه أن يعطي الخير الكثير صح أن يقال أنه لم يزل كريماً والمدهن الذي يجري في الباطن على خلاف الظاهر كالدهن في سهولة ذلك عليه والاسراع فيه يقال ادهن يدهن وداهن يداهن مثل نافق والدين هو الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان أي كما تجزي تجزى والدين العمل الذي يستحق به الجزاء .

[الإعراب] فلولا إذا بلغت الحلقوم العامل في إذا محذوف يدل عليه الفعل الواقع بعد لولا وهو ترجعونها في فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها وجواب الشرط أيضاً هو مدلول قوله فلولا ترجعونها ولولا هذه للتحضيض بمعن هلا ولا يقع بعدها إلا الفعل ويكون التقدير فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم فلولا ان كنتم فكرر لولا ثانياً لطول الكلام .

---

(١) تَمَعْدَدَا الغلام : شبّ وغلظ وذهبت عنه رطوبة الصبا .

[المعنى] ثم أكّد سبحانه ما تقدم ذكره بقوله ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ ولا زائدة والمعنى فأقسم عن سعيد بن جبير ويجوز أن يكون لا ردّاً لما يقوله الكفار في القرآن من أنه سحر وشعر وكهانة ثم استأنف القسم فقال اقسم وقيل أن لا تزاد في القسم فيقال لا والله لا أفعل وقال امرؤ القيس :

لا وَأبيكِ ابْنَةَ الْعَامِرِيّ لا يَدَّعي الْقَوْمُ أَنّي أفِرُّ

والمعنى وأبيك وقيل أن المعنى لا أقسم على هذه الأشياء فإن أمرها أظهر وآكد من أن يحتاج فيه إلى اليمين عن أبي مسلم واختلف في معنى مواقع النجوم فقيل هي مطالع النجوم ومساقطها عن مجاهد وقتادة وقيل انكدارها وهو انتشارها يوم القيامة عن الحسن وقيل هي الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا فيكون المعنى فلا أقسم بها وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أن مواقع النجوم رجومها للشياطين وكان المشركون يقسمون بها فقال سبحانه ﴿ فلا أقسم بها ﴾ وقيل معناه أقسم بنزول القرآن فإنه نزل متفرقاً قِطَعا نجوماً عن ابن عباس ﴿ وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ قال الزجاج والفراء وهذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والضمير في إنه يعود إلى القسم ودل عليه قوله أقسم والمعنى أن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون ففصل بين الصفة والموصوف بالجملة ثم ذكر المقسم به فقال ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾ معناه إن الذي تلوناه عليك لقرآن كريم أي عام المنافع كثير الخير ينال الأجر العظيم بتلاوته والعمل بما فيه وقيل كريم عند الله تعالى أكرمه الله تعالى وأعزه لأنه كلامه عن مقاتل وقيل كريم لأنه كلام رب العزة ولأنه محفوظ عن التغيير والتبديل ولأنه معجز ولأنه يشتمل على الأحكام والمواعظ وكل جليل خطير وعزيز فهو كريم ﴿ في كتاب مكنون ﴾ أي مستور من خلقه عند الله وهو اللوح المحفوظ أثبت الله فيه القرآن عن ابن عباس وقيل هو المصحف الذي في أيدينا عن مجاهد ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ معناه في القول الأول لا يمسه إلا الملائكة الذين وصفوا بالطهارة من الذنوب وفي القول الثاني إلا المطهرون من الشرك عن ابن عباس وقيل المطهرون من الاحداث والجنابات وقالوا[1] لا يجوز للجنب والحائض والمحدث مس المصحف عن محمد بن علي الباقر (ع) وطاووس وعطاء وسالم وهو مذهب مالك والشافعي فيكون خبراً بمعنى النهي وعندنا أن الضمير يعود إلى القرآن فلا يجوز لغير الطاهر مس كتابة القرآن ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾ أي هذا القرآن منزل من عند الله تعالى الذي

(١) وفي نسخة : وقيل بدل قالوا .

خلق العباد ودبّرهم على ما أراد على نبيه محمد ﷺ ثم خاطب سبحانه أهل مكة فقال ﴿ أفبهذا الحديث ﴾ الذي حدثناكم به وأخبرناكم فيه عن حوادث الأمور وهو القرآن ﴿ أنتم مدهنون ﴾ أي مكذبون عن ابن عباس وقيل مدهنون ممالئون للكفار على الكفر به عن مجاهد وقيل منافقون على التصديق به أي تقولون آمنا به وتدهنون فيما بينكم وبين المشركين إذا خلوتم فقلتم إنا معكم قال مؤرج هو الذي يلين جانبه ليخفي كفره وأصله من الدهن ﴿ وتجعلون رزقكم انكم تكذبون ﴾ أي وتجعلون حظكم من الخير الذي هو كالرزق لكم انكم تكذبون به وقيل وتجعلون شكر رزقكم التكذيب عن ابن عباس قال أصاب الناس عطش في بعض أسفاره فدعا ﷺ فسقوا فسمع رجلاً يقول مطرنا بنوء كذا فنزلت الآية وقيل معناه وتجعلون حظكم من القرآن الذي رزقكم الله التكذيب به عن الحسن ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم ﴾ أي فهلا إذا بلغت النفس الحلقوم عند الموت ﴿ وأنتم ﴾ يا أهل الميت ﴿ حينئذ تنظرون ﴾ أي ترون تلك الحال وقد صار إلى أن تخرج نفسه وقيل معناه تنظرون لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئاً ﴿ ونحن أقرب إليه منكم ﴾ بالعلم والقدرة ﴿ ولكن لا تبصرون ﴾ ذلك ولا تعلمونه وقيل معناه ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون رسلنا القابضين روحه ﴿ فلولا أن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾ يعني فهلا ترجعونها أي فهلا ترجعون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم وتردونها إلى موضعها إن كنتم غير مجزيين بثواب وعقاب وغير محاسبين وقيل غير مدينين معناه غير مملوكين وقيل غير مبعوثين عن الحسن والمراد أن الأمر إن كان كما تقولونه من أنه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا إله يحاسب ويجازي فهلا رددتم الأرواح والنفوس من حلوقكم إلى أبدانكم إن كنتم صادقين في قولكم فإذا لم تقدروا على ذلك فاعلموا أنه من تقدير مقدر حكيم وتدبير مدبر عليم .

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

[القراءة] قرأ يعقوب فروح بضم الراء وهو قراءة النبي ﷺ وابن عباس وأبي جعفر الباقر وقتادة والحسن والضحاك وجماعة والباقون فروح بفتح الراء .

[الحجة] قال ابن جني هو راجع إلى معنى الروح فكأنه قال فتمسك روح وممسكها هو الروح وكما تقول هذا الهواء هو الحياة وهذا السماع هو العيش وهو الروح .

[الإعراب] وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين قال علي ابن عيسى دخلت كاف الخطاب كما تدخل في ناهيك به شرفاً وحسبك به كرماً أي لا تطلب زيادة على جلالة حاله فكذلك سلام لك منهم أي لا تطلب زيادة على سلامهم جلالة وعظم منزلة قال ابن جني في الكلام تقديم وتأخير والتقدير مهما يكن من شيء فسلام لك من أصحاب اليمين ان كان من أصحاب اليمين ولا ينبغي أن يكون موضع ان كان إلا هذا الموضع لأنه لو كان موضعه بعد الفاء يليها لكان قوله فسلام لك جواباً له في اللفظ لا في المعنى ولو كان جواباً في اللفظ لوجب ادخال الفاء عليه لأنه لا يجوز في سعة الكلام ان كان من أصحاب اليمين سلام له فلما وجد[1] الفاء فيه ثبت انه ليس بجواب لقوله ان كان في اللفظ واذا ثبت انه ليس بجواب له في اللفظ ثبت أن موقع ان كان بعده لا قبله قال فإن قيل إنما يدل الفاء التي تكون جواباً لقوله ان كان لأجل الفاء التي تدخل جواباً لأما لأنه لا يدخل حرف معنى على مثله قيل إنما تدخل الفاء التي لأما عليه لأنه ليس بجواب لقوله إن كان فلو كان جواباً له لما دخلت عليه هذه الفاء في قوله فأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك على أن فاء اما قد يكون موقعه بعد الفاء لا يليها وأما لها موضعان من الكلام (أحدهما) أن يكون لتفصيل الجمل نحو قولك جاءني القوم فأما زيد فأكرمته وأما عمرو فأهنته ومنه ما في الآية (والثاني) أن تكون مركبة من أن وما ويكون ما عوضاً من كان وذلك قولك اما أنت منطلقاً انطلقت معك والمعنى إن كنت منطلقاً إنطلقت معك فموضع ان نصب لأنه مفعول له وأنشد سيبويه :

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِيَ لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

أي من أجل ان كنت والضبع السنة الشديدة .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه صفات الخلق عند الموت فقال ﴿فأما إن كان من المقربين﴾ أي فإن كان ذلك المحتضر الذي بلغت روحه الحلقوم من المقربين عند الله وهم

(١) في نسخة هكذا: علما وجد (لم يوجد خ) .

السابقون الذين ذكروا في أول السورة ﴿وفروح﴾ أي فله روح وهو الراحة والاستراحة عن ابن عباس ومجاهد يعني من تكاليف الدنيا ومشاقها وقيل الروح الهواء الذي تستلذه النفس ويزيل عنها الهم ﴿وريحان﴾ يعني الرزق في الجنة وقيل هو الريحان المشموم من ريحان الجنة يؤتى به عند الموت فيشمه عن الحسن وأبي العالية وقتادة وقيل الروح الرحمة والريحان كل نباهة وشرف وقيل الروح النجاة من النار والريحان الدخول في دار القرار وقيل روح في القبر وريحان في الجنة وقيل روح في القبر وريحان في القيامة ﴿وجنة نعيم﴾ يدخلونها ﴿واما إن كان من أصحاب اليمين﴾ أي ان كان المتوفى من أصحاب اليمين ﴿فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ أي فترى فيهم ما تحب لهم من السلامة من المكاره والخوف وقيل معناه فسلام لك أيها الإنسان الذي هو من أصحاب اليمين من عذاب الله وسلمت عليك ملائكة الله عن قتادة قال الفراء فسلام لك إنك من أصحاب اليمين فحذف انك وقيل معناه فسلام لك منهم في الجنة لأنهم يكونون معك ويكون لك بمعنى عليك (سؤال) يقال لمَ يتبرك باليمين (والجواب) إن العمل ميسر بها لأن الشمال معسر العمل بها من نحو الكتابة والأعمال الدقيقة ﴿واما إن كان من المكذبين﴾ بالبعث والرسل وآيات الله ﴿الضالين﴾ عن الهدى الذاهبين عن الصواب والحق ﴿فنزل من حميم﴾ أي فنزلهم الذي أعد لهم من الطعام والشراب من حميم جهنم ﴿وتصلية جحيم﴾ أي ادخال نار عظيمة كما قال ويصلى سعيراً في قراءة من شدد ﴿إن هذا لهو حق اليقين﴾ أضاف الحق إلى اليقين وهما واحد للتأكيد أي هذا الذي أخبرتك به من منازل هؤلاء الأصناف الثلاثة هو الحق الذي لا شك فيه واليقين الذي لا شبهة معه وقيل تقديره حق الأمر اليقين ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي نزه الله سبحانه عن السوء والشرك وعظمه بحسن الثناء عليه وقيل معناه نزه اسمه عما لا يليق به فلا تضف اليه صفة نقص أو عملاً قبيحاً وقيل معناه قولوا سبحان ربي العظيم والعظيم في صفة الله تعالى معناه ان كل شيء سواه يقصر عنه فإنه القادر العالم الغني الذي لا يساويه شيء ولا يخفى عليه شيء جلت آلاؤه وتقدست اسماؤه .

(٥٧) سورة الحديد مدنية وآياتها تسع وعشرون

[عدد آيها]

تسع وعشرون آية عراقي وثمان في الباقين .

[اختلافها] آيتان من قبله العذاب كوفي والانجيل بصري .

[فضلها] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله العرباض بن سارية قال إن النبي ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ويقول إن فيهن آيةأفضل من ألف آيةوروى عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن أبي جعفر (ع) قال من قرأ المسبحات كلها قبل ان ينام لم يمت حتى يدرك القائم عليه السلام وإن مات كان في جوار رسول الله ﷺ الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الحديد والمجادلة في صلاة فريضة ادمنها لم يعذبه الله حتى يموت أبداً ولا يرى في نفسه ولا في أهله سوء أبداً ولا خصاصة في بدنه .

[تفسيرها] لما ختم الله سبحانه سورة الواقعة بالتسبيح افتتح هذه السورة بالتسبيح وعقبه بالدلائل الموجبة للتسبيح فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾
لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾

[المعنى] ﴿سبح لله﴾ أي نزهه وأثنى عليه بما هو أهله وبرّأه من كل سوء ﴿ما في السماوات والأرض﴾ قال مقاتل يعني كل شيء من ذي الروح وغيره وكل خلق فيهما ولكن لا تفقهون تسبيحهم وتحقيقه ان العقلاء يسبحونه قولاً واعتقاداً ولفظاً ومعنى وما ليس بعاقل من سائر الحيوانات والجمادات فتسبيحه ما فيه من الادلة الدالة على وحدانيته وعلى الصفات التي باين بها جميع خلقه وما فيه من الحجج على أنه لا يشبه خلقه وان خلقه لا يشبهه فعبر سبحانه عن ذلك بالتسبيح ويجوز أن تكون ما هاهنا بمعنى من كما حكى أبو زيد عن أهل الحجاز أنهم كانوا إذا سمعوا الرعد قالوا سبحان ما سبحت له فيكون واقعاً على العقلاء من الملائكة والجن والانس ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ أي القادر الذي لا يمتنع عليه شيء المحكم لأفعاله العليم بوجوه الصواب في التدبير ﴿له ملك السماوات والأرض﴾ أي له التصرف في جميع ما في السماوات والأرض من الموجودات بما يشاء من التصرف وليس لأحد منعه منه وذلك هو الملك الأعظم فإن كل ما يملكه من عداه فإنه سبحانه هو الذي ملكه إياه وله منعه منه ﴿يحيي ويميت﴾ أي يحيي الأموات للبعث ويميت الأحياء في الدنيا وقيل يحيي الأموات بأن يجعل النطفة وهي جماد حيواناً ويميت الاحياء إذا بلغوا آجالهم التي قدرها لهم ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ يقدر على المعدومات بإيجادها وانشائها وعلى الموجودات بتغييرها وافنائها وعلى أفعال العباد ومقدوراتهم بالإقدار عليها وسلبهم القدرة عليها ﴿هو الأول﴾ أي أول الموجودات وتحقيقه أنه سابق لجميع الموجودات بما لا يتناهى من تقدير الأوقات لأنه قديم وما عداه محدث والقديم يسبق المحدث بما لا يتناهى من تقدير الاوقات ﴿والآخر﴾ بعد فناء كل شيء لأنه يفني الأجسام كلها وما فيها من الاعراض ويبقى

وحده ففي هذا دلالة على فناء الأجسام وقيل الأول قبل كل شيء بلا ابتداء والآخر بعد كل شيء بلا انتهاء فهو الكائن لم يزل والباقي لا يزال ﴿والظاهر﴾ وهو الغالب العالي على كل شيء فكل شيء دونه ﴿والباطن﴾ العالم بكل شيء فلا أحد أعلم منه عن ابن عباس وقيل الظاهر بالأدلة والشواهد والباطن الخبير العالم بكل شيء وقيل معنى الظاهر والباطن أنه العالم بما ظهر والعالم بما بطن وقيل الظاهر بأدلته والباطن من احساس خلقه وقيل الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء والظاهر بلا اقتراب والباطن بلا احتجاب وقيل الأول ببره إذ هداك والآخر بعفوه إذ قبل توبتك والظاهر بإحسانه وتوفيقه إذا أطعته والباطن بستره إذا عصيته عن السديّ وقيل الأول بالخلق والآخر بالرزق والظاهر بالإحياء والباطن بالإماتة عن ابن عمر وقيل هو الذي أوّل الأول وأخّر الآخر وأظهر الظاهر وأبطن الباطن عن الضحاك وقيل الأول بالازلية والآخر بالأبدية والظاهر بالأحدية والباطن بالصمدية عن أبي بكر الوراق وقيل إن الواوات مقحمة والمعنى هو الأول الآخر الظاهر والباطن لأن كل من كان منا أولاً لا يكون آخراً ومن كان منّا ظاهراً لا يكون باطناً عن عبد العزيز بن يحيى وقيل هو الأول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم عن يمان وقال البلخي هو كقول القائل فلان أول هذا الأمر وآخره وظاهره وباطنه أي عليه يدور الأمر وبه يتم ﴿وهو بكل شيء﴾ يصح أن يكون معلوماً ﴿عليم﴾ لأنه عالم لذاته ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾ لما في ذلك من اعتبار الملائكة بظهور شيء بعد شيء من جهته ولما في الاخبار به من المصلحة للمكلفين ولولا ذلك لكان يخلقهما في لحظة واحدة لأنه القادر لذاته ﴿ثم استوى على العرش﴾ المعروف في السماء وقيل استوى على الملك فمن قال بالأول قال استواؤه عليه كونه قادراً على خلقه وافنائه وتصريفه قال البعيث :

ثُمَّ اسْتَوىٰ بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

وبشر هذا هو بشر بن مروان ولّاه اخوه عبد الملك العراق وقيل معناه ثم عمد وقصد إلى خلق العرش وقد مر بيانه ﴿يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها﴾ أي يعلم ما يدخل في الأرض ويستتر فيها ويعلم ما يخرج من الأرض من سائر انواع النبات والحيوان والجماد لا يخفى عليه شيء منها ﴿وما ينزل من السماء وما يعرج فيها﴾ أي ويعلم ما ينزل من السماء من مطر وغير ذلك من أنواع ما ينزل منها ويعلم ما يعرج في السماء من الملائكة وما يرفع إليها من أعمال الخلق ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ بالعلم الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وأحوالكم ﴿والله بما تعملون﴾ من خير وشر ﴿بصير﴾ أي عليم ﴿له ملك

السماوات والأرض﴾ يتصرف فيهما كيف يشاء ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ يوم القيامة يعني أن جميع من ملكه شيئاً في الدنيا يزول ملكه عنه وينفرد سبحانه بالملك كما كان كذلك قبل أن خلق الخلق ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ أي يدخل ما نقص من الليل في النهار وما نقص من النهار في الليل أي حسب ما دبّره فيه من مصالح عباده عن عكرمة وابراهيم ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾ أي هو عالم بأسرار خلقه وما يخفونه من الضمائر والاعتقادات والارادات والكراهات والعزائم في قلوبهم لا يخفى عليه شيء منها وفي هذا تحذير من المعاصي .

﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾

[القراءة] قرأ أبو عمرو وحده وقد أخذ بضم الهمزة ميثاقكم بالرفع والباقون اخذ بفتح الهمزة ميثاقكم بالنصب وقرأ ابن عامر وكلّ وعد الله الحسنى بالرفع والباقون كلاً بالنصب .

[الحجة] قال أبو على حجة من قرأ وقد أخذ أنه قد تقدم وما لكم لا تؤمنون بالله

والضمير يعود إلى اسم الله تعالى وحجة من قرأ وقد أُخذ أنه على هذا المعنى وانه قد عرف اخذ الميثاق وأن الله قد أخذه وحجة النصب في كلا وعد الله الحسنى بيّن لأنه بمنزلة زيداً وعدت خيراً وحجة ابن عامر أن الفعل إذا تقدم عليه مفعوله لم يقو عمله في قوّته إذا تأخر ألا ترى انهم قالوا في الشعر[1] زيد ضربت ولو تأخر المفعول فوقع بعد الفاعل لم يجز ذلك فيه ومما جاء من ذلك في الشعر قوله:

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الْخِيَارِ تَدَّعِي عَلَيَّ ذَنْباً كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعِ

فرووه بالرفع لتقدمه على الفعل وإن لم يكن شيء يمنع من تسلط الفعل عليه فكذلك قوله وكلٌّ وعد الله الحسنى يكون على إرادة الهاء وحذفها كما يحذف من الصفات والصلات .

[**المعنى**] ثم خاطب سبحانه المكلفين فقال ﴿**آمنوا بالله**﴾ معاشر العقلاء أي صدّقوا الله وأقرّوا بوحدانيته واخلاص العبادة له ﴿**ورسوله**﴾ أي وصدقوا رسوله واعترفوا بنبوته ﴿**وأنفقوا**﴾ في طاعة الله والوجوه التي أمركم بالإنفاق فيها ﴿**مما جعلكم مستخلفين فيه**﴾ أي من المال الذي استخلفكم الله فيه بوراثتكم إياه عمن قبلكم عن الحسن ونبه سبحانه بهذا على أن ما في أيدينا يصير لغيرنا كما صار الينا ممّن قبلنا وحثنا على استيفاء الحظ منه قبل أن يصير[2] لغيرنا ثم بين سبحانه ما يكافيهم على ذلك إذا فعلوه فقال ﴿**فالذين آمنوا منكم**﴾ بالله ورسوله ﴿**وأنفقوا**﴾ في سبيله ﴿**لهم أجر كبير**﴾ أي جزاء وثواب عظيم دائم لا يشوبه كدر ولا تنغيص ثم وبّخهم سبحانه فقال ﴿**وما لكم لا تؤمنون بالله**﴾ أي وأيّ شيء يمنعكم من الإيمان بالله مع وضوح الدلائل على وحدانيته ﴿**والرسول يدعوكم**﴾ إلى ما ركب الله في عقولكم من معرفة الصانع وصفاته ﴿**لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم**﴾ بما أودع الله في قلوبكم من دلالات العقل الموصلة إلى الإيمان به فإن الميثاق هو الأمر المؤكد الذي يجب العمل به ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾ أي ان كنتم مصدقين بحق فالآن فقد ظهرت اعلامه ووضحت براهينه والمعنى أي عذر لكم في ترك الإيمان وقد أزاحت[3] العلل وارتفعت الشبه ولزمتكم الحجج العقلية والسمعية فالعقلية ما في فطرة العقول والسمعية دعوة الرسول المؤيدة بالأدلة المؤدية إلى المدلول والذي يبين هذا قوله ﴿**هو الذي ينزل على عبده**﴾ يعني محمداً ﷺ

---

(١) ليس في بعض النسخ لفظة: في الشعر.

(٢) في نسخة: يصير الامر لغيرنا .

(٣) في نسختين: وقد انزاحت .

﴿آيات بينات﴾ أي حججاً منيرة وبراهين واضحة ﴿ليخرجكم الله﴾ بالقرآن والأدلة وقيل ليخرجكم الرسول بالدعوة وقيل ليخرجكم المنزلَ والأول أوجه ﴿من الظلمات إلى النور﴾ أي من الكفر إلى الإيمان بالتوفيق والهداية والألطاف والأدلة ﴿وان الله بكم لرؤوف رحيم﴾ حين بعث الرسول ونصب الأدلة والرأفة والرحمة واحد وإنما جمع بينهما للتأكيد وقيل الرأفة النعمة على المضرور والرحمة النعمة على المحتاج وفي هذا دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر فإنه بيّن ان الغرض في انزال القرآن الإيمان به ثم حثهم سبحانه على الإنفاق فقال ﴿وما لكم ألاّ تنفقوا في سبيل الله﴾ أي أيّ شيء لكم في ترك الإنفاق فيما يقرّب إلى الله تعالى ﴿ولله ميراث السماوات والأرض﴾ يعني يفني الخلق ويبقى هو والمعنى فيه أن الدنيا وأموالها ترجع إلى الله فلا يبقى لأحد فيها ملك ولا أمر كما يرجع الميراث الى مستحقّيه فاستوفوا حظكم من أموالكم قبل أن تخرج من أيديكم ثم بين سبحانه فضل من سبق بالإنفاق في سبيل الله فقال ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ بين سبحانه ان الانفاق قبل فتح مكة إذا انضم إليه الجهاد أكثر ثواباً عند الله من النفقة والجهاد بعد ذلك وذلك أن القتال قبل الفتح كان اشد والحاجة الى النفقة وإلى الجهاد كان أكثر وأمسّ وفي الكلام حذف تقديره لا يستوي هؤلاء مع الذين انفقوا بعد الفتح فحذف لدلالة الكلام عليه وقال الشعبي أراد فتح الحديبية ثم سوّى سبحانه بين الجميع في الوعد بالخير والثواب في الجنة فقال ﴿وكلاً وعد الله الحسنى﴾ أي الجنة والثواب فيها وان تفاضلوا في مقادير ذلك ﴿والله بما تعملون خبير﴾ أي لا يخفى عليه شيء من إنفاقكم وجهادكم فيجازيكم بحسب نياتكم وبصائركم واخلاصكم في سرائركم .

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ
وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ
نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ
يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ
مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم

بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ *

[القراءة] القراءة[1] في فيضاعفه والاختلاف فيه قد مضى ذكره في سورة البقرة وقرأ حمزة انظرونا بقطع الهمزة وفتحها وكسر الظاء والباقون انظرونا بهمزة الوصل وضم الظاء وقرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب لا تؤخذ منكم بالتاء والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة سهل بن شعيب وبإيمانهم بكسر الهمزة وقراءة سماك بن حرب وغركم بالله الغرور بضم الغين .

[الحجة] قال أبو علي النظر هو تقليب العين إلى الجهة التي فيها المرئي والمراد رؤيته[2] ومما يدل على ذلك قوله

فَيَا مَيَّ هَلْ يُجْزِي بُكَائِي بِمِثْلِهِ ... مِزَاراً وَأَنْفَاسِي إِلَيْكِ الزَّوَافِرُ
وَإِنِّي مَتَىٰ أُشْرِفْ عَلَى الْجَانِبِ الَّذِي ... بِهِ أَنْتِ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِبِ نَاظِرُ

فلو كان النظر الرؤية لم يطلب عليه الجزاء لأن المحب لا يستثيب من النظر إلى محبوبه شيئاً بل يريد ذلك ويتمناه ويدل على ذلك قول الآخر :

وَنَظْرَةِ ذِي شَجَنٍ وَامِقٍ ... إِذَا مَا الرِّكَابُ جَاوَزْنَ مِيلا

وأما قوله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة فالمعنى أنه سبحانه لا ينيلهم رحمته وقد تقول نظر إليّ فلان إذا كان ينيلك شيئاً ويقول القائل انظر اليّ نظر الله اليك يريد أنلني خيراً أنالك الله ونظرت فعل يستعمل وما تصرف منه على ضروب (أحدها) أن تريد به نظرت إلى الشيء فتحذف الجار وتوصل الفعل ومن ذلك ما أنشده أبو الحسن :

---

(١) ليس في نسخة : القراءة في .

(٢) اي مقصود الناظر رؤيته في تلك الجهة من بين الجوانب أي يقلّب الحدقة .

ظَـاهِـرَاتِ الْجَمَـالِ وَالْـحُسْـنِ يَنْـظُرْنَ كَـمَـا يَـنْـظُرُ الأَرَاكَ الـظِّبَـاءُ

والمعنى ينظرن إلى الأراك فحذف الجار والآخر أن تريد به تأملت وتدبرت وهو فعل غير متعد فمن ذلك قولهم اذهب فانظر زيداً أبو من هو فهذا يراد به التأمل ومن ذلك قوله انظر كيف ضربوا لك الأمثال وانظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وقد يتعدى هذا بالجار كقوله أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت فهذا خص على التأمل وقد يتعدى هذا يعني نحو قوله أفلم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض .

فأما قول امرىء القيس :

فَـلَمَّـا بَـدَا حَـوْرَانُ وَالآلُ دُونَـهُ[1] نَـظَرْتَ فَـلَمْ تَـنْـظُرْ بِـعَـيْـنِـكَ مَـنْـظَـرا

فيجوز أن يكون نظرت[2] لم تر بعينك منظراً إلى الآل[3] وقد جوز ان يعني بالنظر الرؤية على الاتساع لأن تقليب البصر نحو المبصر تتبعه الرؤية وقد يجري على الشيء لفظ ما يتبعه ويقترن به كقولهم للمزادة راوية وللقناء عُذرة[4] وقد يكون نظرت فلم تنظر مثل تكلمت ولم تتكلم أي لم تأت بكلام على حسب ما يراد فكذلك نظرت فلم تنظر بعينك منظراً كما تريد أولم ترَ منظراً يروق وضرب آخر من نظرت هو ان تريد به انتظرته من ذلك قوله غير ناظرين إناه ومثله قول الفرزدق :

نَـظَرْتُ كَـمَـا انْـتَـظَرْتُ اللَّهَ حَـتَّـى كَـفَـاكَ الْـمَـاحِـلِـيـنَ لَـكَ الْـمِـحَـالاَ[5]

يريد انتظرت كما انتظرت وقد يكون انظرت في معنى انتظرت تطلب بقولك انظرني التنفيس الذي يطلب بالانتظار فمن ذلك قوله :

أَبَـا هِـنْـدٍ فَـلا تَـعْـجَـلْ عَـلَيْـنَـا وَانْـظُرْنَـا نُـخَـبِّـرْكَ الْـيَـقِـيـنَـا

ومن ذلك قوله فأنظرني الى يوم يبعثون إنما هو طلب الإمهال والتسويف فالمطلوب بقوله وانظرنا نخبرك اليقينا تنفيس وفي قوله فانظرني الى يوم يبعثون تسويف وتأخير وكذلك ما

(١) حوران موضع بالشام والآل : هو الذي تراه في أول النهار وآخره كأنه يرفع الشخوص وقيل هو والسراب واحد .

(٢) في نسخة : بمعنى نظرت .

(٣) في نسخة منظراً تعرف به الآل وفي أخرى تعرفه في الآل .

(٤) العذرة فناء لدار سميت بذلك لان العذرة كانت تلقى في الافنية وفي أصل النسخة ، (ط صيدا) للقناء غدرة والقناء : الجانب يفيء عليه الفيء والغدرة : الليلة المظلمة ولا يبعد صحته أيضاً .

(٥) محل به إلى السلطان : كاده بسعاية إليه .

جاء في الحديث من انظار المعسر وكذلك قوله انظرونا نقتبس من نوركم أي نفسونا نقتبس وانتظروا علينا وليس تسرع من تسرع إلى تخطئة من قال انظرونا بشيء ولا ينبغي ان يقال فيما لطف انه خطأ وقوله فاليوم لا تؤخذ منكم فدية حسن التاء لتأنيث الفاعل ويحسن الياء للفصل الواقع بين الفعل والفاعل ولأن التأنيث غير حقيقي وأما قوله بأيمانهم فقد قال ابن جني هو معطوف على قوله بين أيديهم ويكون الظرف الذي هو بين أيديهم معناه الحال فيتعلق بمحذوف أي يسعى كائناً بين أيديهم وإذا كان كذلك جاز أن يعطف عليه الباء وما جرته اي كائناً بإيمانهم كقوله ذلك بما قدمت يداك وقوله الغرور معناه الاغترار وهو مقدر على حذف المضاف اي وغركم بالله سلامة الاغترار اي سلامتكم مع اغترارركم وقال الزجاج الغرور كل ما غر من متاع الدنيا .

[اللغة] القرض ما تعطيه غيرك ليقضيكه واصله القطع فهو قطعه عن مالكه باذنه على ضمان رد مثله والعرب تقول لي عندك قرض صدق وقرض سوء اذا فعل به خيراً أو شراً قال الشاعر:

وَيَقْضِيّ[1] سَلاَمَانُ بْنُ مَفْرَجَ قَرْضَهَا ... بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمُ وَأَزَلَّتِ

والمضاعفة الزيادة على المقدار مثله أو أمثاله والاقتباس اخذ النار ويقال قبسته ناراً واقتبسته علماً والتربص الترقب والانتظار .

[الإعراب] من ذا قال الفراء ذا صلة لمن قال ورأيتها في مصحف عبد الله منذ الذي والنون موصولة بالذال والذي[2] قيل إن المعنى من هذا الذي ومن في موضع رفع بالابتداء والذي خبره على القول الأول وعلى القول الثاني يكون ذا مبتدأ والذي خبره والجملة خبر من كذا ذكره ابن فضال وأقول إن الصحيح ان يكون ذا مبتدأ والذي يقرض الله صفته ومن خبر المبتدأ قدم عليه لما فيه من معنى الاستفهام . يو م ترى المؤمنين يتعلق بقوله ولهم أجر كريم ويوم يقول المنافقون يتعلق بقوله ذلك هو الفوز العظيم ويجوز أن يكون التقدير واذكر يوم يقول ويجوز ان يكون بدلاً من يوم ترى له باب في موضع جر صفة لسور باطنه فيه الرحمة صفة لباب .

[المعنى] ثم حث سبحانه على الإنفاق فقال ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾

(١) وفي ثلاث نسخ : ويجزى.

(٢) ليس في نسختين لفظة : الذي.

أي طيبة به نفسه عن مقاتل وقد تقدم تفسيره في سورة البقرة ﴿ فيضاعفه له ﴾ أي يضاعف له لجزاء من بين سبع إلى سبعين إلى سبعماية وقال أهل التحقيق القرض الحسن أن يجمع عشرة أوصاف أن يكون من الحلال لأن النبي ﷺ قال إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا الطيب وأن يكون من أكرم ما يملكه دون أن يقصد الرديء بالإنفاق لقوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وإن يتصدق وهو يحب المال ويرجو الحياة لقوله لما سئل عن[1] الصدقة أفضل الصدقة أن تعطيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت النفس التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا وأن يضعه في الأخلّ الأحوج الأولى بأخذه ولذلك خص الله أقواماً بأخذ الصدقات وهم أهل السهمان وأن يكتمه ما أمكن لقوله وأن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وأن لا يتبعه المن والأذى لقوله ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾ وأن يقصد به وجه الله ولا يرائي بذلك لأن الرياء مذموم وأن يستحقر ما يعطي وإن كثر لأن متاع الدنيا قليل وأن يكون من أحب ماله إليه لقوله ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ فهذه الأوصاف العشرة إذا استكملتها الصدقة كان ذلك قرضاً حسناً ﴿ وله أجر كريم ﴾ أي جزاء خالص لا يشوبه صفة نقص فالكريم الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير فلما كان ذلك الأجر يعطي النفع العظيم وصف بالكريم والأجر الكريم هو الجنة ﴿ يوم ترى ﴾ يا محمد ﴿ المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ على الصراط يوم القيامة وهو دليلهم إلى الجنة ويريد بالنور الضياء الذي يرونه ويمرّون فيه عن قتادة وقيل نورهم هديهم عن الضحاك وقال قتادة أن المؤمن يضيء له نور كما بين عدن إلى صنعاء ودون ذلك حتى أن من المؤمنين من لا يضيء له نوره إلا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود ويؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من نوره مثل الجبل وأدناهم نوراً نوره على أبهامه يطفأ مرة ويقد أخرى وقال الضحاك وبأيمانهم يعني كتبهم التي أعطوها ونورهم بين أيديهم وتقول لهم الملائكة ﴿ بشراكم اليوم جنات ﴾ أي الذي تبشرون به اليوم جنات ﴿ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ أي مؤبدين دائمين لا تفنون ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ أي الظفر بالمطلوب ثم ذكر حال المنافقين في ذلك اليوم فقال ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا ﴾ ظاهراً وباطناً ﴿انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ قال الكلبي يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون قالوا أنظرونا نقتبس من نوركم أي نستضيء بنوركم ونبصر الطريق فنتخلص من هذه الظلمات وقيل إنهم إذا

(١) في نسختين: عن أفضل.

خرجوا من قبورهم اختلطوا فيسعى المنافقون في نور المؤمنين فإذا ميّزوا[1] بقوا في الظلمة فيستغيثون ويقولون هذا القول ﴿ قيل ﴾ أي فيقال للمنافقين ﴿ ارجعوا وراءكم ﴾ أي ارجعوا إلى المحشر حيث أعطينا النور ﴿ فالتمسوا نوراً ﴾ فيرجعون فلا يجدون نوراً عن ابن عباس وذلك أنه قال تغشى الجميع ظلمة شديدة ثم يقسم النور ويعطى المؤمن نوراً ويترك الكافر والمنافق وقيل معنى قوله ارجعوا وراءكم ارجعوا إلى الدنيا إن أمكنكم فاطلبوا النور منها فإنا حملنا النور منها بالإيمان والطاعات وعند ذلك يقول المؤمنون ربنا اتمم لنا نورنا ﴿ فضرب بينهم بسور ﴾ أي ضرب بين المؤمنين والمنافقين سور والباء مزيدة لأن المعنى حيل بينهم وبينهم بسور وهو حائط بين الجنة والنار عن قتادة وقيل هو سور على الحقيقة ﴿ له باب ﴾ أي لذلك السور باب ﴿ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله ﴾ أي من قبل ذلك الظاهر ﴿ العذاب ﴾ وهو النار وقيل باطنه أي باطن ذلك السور فيه الرحمة أي الجنة التي فيها المؤمنون وظاهره أي وخارج السور من قبله يأتيهم العذاب يعني أن المؤمنين يسبقونهم ويدخلون الجنة والمنافقون يجعلون في النار والعذاب وبينهم السور الذي ذكره الله ﴿ ينادونهم ﴾ أي ينادي المنافقون المؤمنين ﴿ ألم نكن معكم ﴾ في الدنيا نصوم ونصلي كما تصومون وتصلون ونعمل كما تعملون ﴿ قالوا بلى ﴾ أي يقول المؤمنون لهم بلى كنتم معنا ﴿ ولكنكم فتنتم أنفسكم ﴾ أي استعملتموها في الكفر والنفاق وكلها فتنة وقيل معناه تعرضتم للفتنة بالكفر والرجوع عن الإسلام وقيل معناه أهلكتم أنفسكم بالنفاق ﴿ وتربصتم ﴾ بمحمد ﷺ الموت وقلتم يوشك أن يموت فنستريح منه عن مقاتل وقيل تربصتم بالمؤمنين الدوائر ﴿ وارتبتم ﴾ أي شككتم في الدين ﴿ وغرتكم الأماني ﴾ التي تمنيتموها بأن تعود الدائرة على المؤمنين ﴿ حتى جاء أمر الله ﴾ أي الموت وقيل القاؤهم في النار عن قتادة وقيل جاء أمر الله في نصرة دينه ونبيه وغلبته إياكم ﴿ وغركم بالله الغرور ﴾ يعني الشيطان غركم بحلم الله وإمهاله وقيل الغرور الدنيا ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ﴾ أيها المنافقون أي بدل بأن تفدوا أنفسكم من العذاب ﴿ ولا من الذي كفروا ﴾ أي ولا من سائر الكفار الذين أظهروا الكفر ﴿مأواكم النار ﴾ أي مقركم وموضعكم الذي تأوون إليه النار ﴿ هي مولاكم﴾ أي هي أولى بكم لما أسلفتم من الذنوب والمعنى أنها هي التي تلي عليكم لأنها قد ملكت أمركم فهي أولى بكم من كل شيء ﴿ وبئس المصير ﴾ أي بئس المأوى والمرجع الذي تصيرون إليه .

---

(١) في نسخة: تميزوا .

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ
وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ
ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ
أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ
بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ
نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا
مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾

[القراءة] قرأ نافع وحفص وما نزل من الحق خفيفة الزاي والباقون نزل بالتشديد وقرأ رويس ولا تكونوا بالتاء والباقون بالياء وقرأ ابن كثير وأبو بكر إن المصدقين والمصدقات بتخفيف الصاد والباقون بالتشديد .

[الحجة] قال أبو علي من خفف ما نزل ففي نزل ذكر مرفوع بأنه الفاعل يعود إلى الموصول ويقوّي التخفيف قوله ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ﴾ ومن شدد ففاعل الفعل

الضمير العائد إلى اسم الله تعالى والعائد إلى الموصول الضمير المحذوف من الصلة ومن قرأ ولا تكونوا فإنه على الخطاب والنهي ومن قرأ ولا يكونوا بالياء فإنه عطف على تخشع وهو منصوب ويجوز أن يكون مجزوماً على النهي للغائب ومن خفف المصدقين والمصدقات فإن معناه أن المؤمنين والمؤمنات وأما قوله ﴿ وأقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾ فهو في المعنى كقوله ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ لأن أقراض الله من الأعمال الصالحة وحجة من خفف أنه أعم من المصدقين ألا ترى أن المصّدّقين مقصور على الصدقة والمصدقين يعم التصديق والصدقة فهو اذهب في باب المدح ومن حجة من ثقّل أنهم زعموا أن في قراءة أبيّ أن المتصدقين والمتصدقات ومن حجتهم أن قوله ﴿ وأقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾ إعتراض بين الخبر والمخبر عنه والاعتراض بمنزلة الصفة فهو للصدقة أشدّ ملائمة منه للتصديق وليس التخفيف كذلك ومن حجة من خفف أن يقول لا نحمل قوله ﴿ واقرضوا الله ﴾ على الاعتراض ولكنا نعطفه على المعنى ألا ترى أن قوله إن المصدقين والمصدقات معناه إن الذين صدقوا فكأنه في المعنى إن المصدقين وأقرضوا فحمل وأقرضوا الله على المعنى لما كان من معنى المصدقين الذين صدقوا فكأنه قال إن الذين صدقوا وأقرضوا .

[اللغة] يقال أنى يأني أنى إذا حان والخشوع لين القلب للحق والانقياد له ومثله الخضوع والحق ما دعا إليه العقل وهو الذي من عمل به نجا ومن عمل بخلافه هلك والحق مطلوب كل عاقل في نظره وإن أخطأ طريقه والقسوة غلظ القلب بالجفاء عن قبول الحق والأمد الوقت الممتد وهو والمدة واحد والهيج جفاف النبت .

[النزول] قيل إن قوله ﴿ ألم يأن للذين آمنوا ﴾ الآية نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا حدثنا عما في التوراة فإن فيها العجائب فنزلت الر تلك آيات الكتاب المبين إلى قوله ﴿ لمن الغافلين ﴾ فخبّرهم أن هذا القرآن أحسن القصص وأنفع لهم من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزلت آية الله نزّل أحسن الحديث كتاباً ﴿ فكفوا عن سؤال ﴾ سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسألوا سلمان فنزلت هذه الآية عن الكلبي ومقاتل وقيل نزلت بالمؤمنين قال ابن مسعود ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً وقيل إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن بهذه الآية عن ابن عباس وقيل كانت الصحابة بمكة مجدبين فلما هاجروا أصابوا الريف والنعمة فتغيروا عما كانوا عليه فقست قلوبهم والواجب أن يزدادوا الإيمان

واليقين والإخلاص في طول صحبة الكتاب عن محمد بن كعب .

[المعنى] ثم دعاهم سبحانه إلى الطاعة بقوله ﴿ ألم يأن للذين آمنوا ﴾ أي أما حان للمؤمنين ﴿ أن تخشع قلوبهم ﴾ أي ترقّ وتلين قلوبهم ﴿ لذكر الله ﴾ أي لما يذكّرهم الله به من مواعظه ﴿ وما نزل من الحق ﴾ يعني القرآن ومن شدد فالمراد وما نزّله الله من الحق ﴿ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب ﴾ من اليهود والنصارى ﴿ من قبل فطال عليهم الأمد ﴾ أي طال الزمان بينهم وبين أنبيائهم وقيل طال عليهم الأمد للجزاء أي لم يعاجلوا بالجزاء فاغتروا بذلك ﴿ فقست قلوبهم ﴾ أي فغلظت قلوبهم وزال خشوعها ومرنوا على المعاصي واعتادوها وقيل طالت أعمارهم وساءت أعمالهم فقست قلوبهم وينبغي أن يكون هذا متوجهاً إلى جماعة مخصوصة لم يوجد منهم الخشوع التام فحثّوا على الرقة والخشوع فأما من وصفهم الله تعالى بالخشوع والرقة والرحمة فطبقة من المؤمنين فوق هؤلاء عن الزجاج ومن كلام عيسى (ع) لا تكثروا والكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم فإن القلب القاسي بعيد من الله ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد والناس رجلان مبتلىً ومعافى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ أي خارجون عن طاعة الله تعالى إلى معصيته أي فلا تكونوا مثلهم فيحكم الله فيكم بمثل ما حكم فيهم ثم قال ﴿ اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها ﴾ أي يحييها بالنبات بعد اليبس والجدوبة أي فكذلك يحيي الكافر بالهدى إلى الإيمان بعد موته بالضلال والكفر بأن يلطف له ما يؤمن عنده وقيل معناه[1] أن الله يلين القلوب بعد قسوتها بالإلطاف والتوفيقات ﴿ قد بينا لكم الآيات ﴾ أي الحجج الواضحات والدلائل الباهرات ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ فترجعون إلى طاعتنا وتعملون بما أمرناكم به ﴿ إن المصدقين والمصدقات ﴾ قد مضى الوجه في اختلاف القراءتين ومعناهما ﴿ واقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾ أي وانفقوا في وجوه الخير ﴿ يضاعف لهم ﴾ ذلك القرض الحسن أي يجازون أمثال ذلك ﴿ ولهم أجر كريم ﴾ مر معناه ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله ﴾ أي صدقوا بتوحيد الله وأقرّوا بنبوة رسله ﴿ أولئك هم الصديقون ﴾ قال مجاهد كل من آمن بالله ورسله فهو صديق وشهيد وقرأ هذه الآية والصديق الكثير الصدق المبالغ فيه وهو اسم مدح وتعظيم ﴿ والشهداء عند ربهم ﴾ أي واولئك الشهداء عند ربهم والتقدير أولئك الصديقون عند ربهم والشهداء عند ربهم ثم قال ﴿ لهم أجرهم ونورهم ﴾ أي لهم ثواب طاعاتهم ونور إيمانهم الذي يهتدون به إلى طريق الجنة وهذا قول عبد الله بن

(١) في نسختين : أعلموا أن.

مسعود ورواه البراء بن عازب عن النبي ﷺ وروى العياشي بالإسناد عن منهال القصاب قال قلت لأبي عبد الله (ع) إدع الله أن يرزقني الشهادة فقال إن المؤمن شهيد وقرأ هذه الآية وعن الحرث بن المغيرة قال كنا عند أبي جعفر (ع) فقال العارف منكم هذا الأمر المنتظر له المحتسب فيه الخير كمن جاهد[1] والله مع قائم آل محمد (ع) بسيفه ثم قال بل والله كمن جاهد مع رسول الله ﷺ بسيفه ثم قال الثالثة بل والله كمن استشهد مع رسول الله ﷺ في فسطاطه وفيكم آية من كتاب الله وقلت وأيّ آية جعلت فداك قال قول الله ﴿ عز وجل ﴾ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم ثم قال صرتم والله صادقين شهداء عند ربكم وقيل إن الشهداء منفصل مما قبله مستأنف والمراد بالشهداء الأنبياء (ع) الذين يشهدون للأمم وعليهم وهو قول ابن عباس ومسروق ومقاتل بن حيان واختاره الفراء والزجاج وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله عن مقاتل بن سليمان وابن جرير ﴿ **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم** ﴾ يبقون فيها دائمين ثم زهد سبحانه المؤمنين في الدنيا والركون إلى لذاتها فقال ﴿ **اعلموا أنما الحياة الدنيا** ﴾ يعني أن الحياة في هذه الدار الدنيا ﴿ **لعب ولهو** ﴾ أي بمنزلة اللهو واللعب إذ لا بقاء لذلك ولا دوام ويزول عن وشيك كما يزول اللهو واللعب قال مجاهد كل لعب لهو وقيل اللعب ما رغب في الدنيا واللهو ما ألهى عن الآخرة ﴿ **وزينة** ﴾ تتزينون بها في الدنيا وقيل أراد بذلك أنها تتحلى في أعين أهلها ثم تتلاشى ﴿ **وتفاخر بينكم** ﴾ أي يفاخر الرجل بها قرينه وجاره عن ابن عباس ﴿ **وتكاثر في الأموال والأولاد** ﴾ قال يجمع ما لا يحل له تكاثراً به ويتطاول على أولياء الله بماله وولده وخدمه والمعنى أنه يفني عمره في هذه الأشياء ثم بيّن سبحانه لهذه الحياة شبهاً فقال ﴿ **كمثل غيث** ﴾ أي مطر ﴿ **أعجب الكفار نباته** ﴾ أي أعجب الزُرّاع ما ينبت من ذاك الغيث قال الزجاج ويجوز أن يكون المراد الكفار بالله لأن الكافر أشد إعجاباً بالدنيا من غيره ﴿ **ثم يهيج** ﴾ أي ييبس ﴿ **فتريه مصفّراً** ﴾ وهو إذا قارب اليبس ﴿ **ثم يكون حطاماً** ﴾ يتحطم ويتكسر بعد يبسه وشرح هذا المثل قد تقدم في سورة يونس ﴿ **وفي الآخرة عذاب شديد** ﴾ لأعداء الله عن مقاتل ﴿ **ومغفرة من الله ورضوان** ﴾ لأوليائه وأهل طاعته ﴿ **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾ لمن اغتر بها ولم يعمل لآخرته قال سعيد بن جبير متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة ومن اشتغل بطلبها فهي له متاع بلاغ إلى ما هو خير منه وقيل معناه والعمل للحياة الدنيا متاع الغرور وأنه كهذه الأشياء التي مثل بها في الزوال والفناء .

---

(١) في المخطوطة: كمن جالد .

﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا
كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ
ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾
مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ
مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا
فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ
فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن
يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا
بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ
بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ
وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾

[القراءة] قرأ أبو عمرو بما أتيكم مقصوراً والباقون بالمد وقرأ أهل المدينة والشام فإن الله الغني الحميد لأنهم وجدوا في مصاحفهم كذلك والباقون فإن الله هو الغني بإثبات هو وكذلك هو في مصاحفهم .

[الحجة] قال أبو علي حجة من قصر اتيكم أنه معادل به فاتكم فكما أن الفعل للفائت في قوله ﴿ فاتكم ﴾ فكذلك[1] للآتي في قوله بما آتيكم قال الشاعر :

وَلَا فَرِحٌ بِخَيۡرٍ إِنۡ أَتَاهُ وَلَا جَزِعٌ مِنَ الْحَدَثَانِ لَاعِ[2]

(١) في نسخة : فكذلك يكون الفعل .

(٢) اللاعي : من يفزع من أدنى شيء .

وحجة من مدّ أن الخير الذي يأتيهم هو من عند الله وهو المعطي لذلك وفاعل آتاكم هو الضمير العائد إلى اسم الله والهاء محذوفة من الصلة تقديره بما آتاكموه وقوله ﴿ إن الله هو الغنّي الحميد ﴾ ينبغي أن يكون هو فصلاً ولا يكون مبتدأ لأن الفصل حذفه أسهل ألا ترى أنه لا موضع للفصل من الإعراب وقد يحذف فلا يخلّ بالمعنى .

[اللغة] أعدت مشتقة من العدد والأعداد وضع الشيء لما يكون في المستقبل على ما يقتضيه من عدد الأمر الذي له . الفضل والأفضال واحد وهو النفع الذي كان للقادر أن يفعله بغيره وله أن لا يفعله والأسى الحزن والتآسي تخفيف الحزن بالمشاركة في حاله .

[الإعراب] في كتاب يتعلق بمحذوف تقديره إلا هي كائنة في كتاب فهو في محل الرفع بأنه خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يتعلق بفعل محذوف تقديره ألا قد كتبت في كتاب فيكون الجار والمجرور في موضع نصب على الحال أي لا مكتوبة لكيلا تأسوا تأسوا منصوب بنفس كي واللام هي اللام الجارة ، الذين يبخلون في موضع جر على البدل من مختال فخور فعلى هذا لا يجوز الوقف على فخور ويجوز أن يكون محله رفعاً على الابتداء ويكون خبره محذوفاً كما حذف جواب لو من قوله ولو أنّ قرآناً سيّرت به الجبال ويكون التقدير الذين يبخلون فإنهم يستحقّون العذاب ويجوز أن يكون محله رفعاً أو نصباً على الذم .

[المعنى] ثم رغب سبحانه في المسابقة لطلب الجنة فقال ﴿ سابقوا ﴾ أي بادروا العوارض القاطعة عن الأعمال الصالحة وسارعوا إلى ما يوجب الفوز في الآخرة ﴿ إلى مغفرة من ربكم ﴾ قال الكلبي إلى التوبة وقيل إلى الصف الأول وقيل إلى النبي ﷺ ﴿ وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ﴾ أي وسابقوا إلى استحقاق ثواب جنة هذه صفتها وذكر في ذكر العرض دون الطول وجوه (أحدها) أن عظم العرض يدل على عظم الطول (والآخر) أن الطول قد يكون بلا عرض ولا يكون عرض بلا طول (وثالثها) أن المراد به أن العرض مثل السماوات والأرض وطولها لا يعلمه إلا الله تعالى قال الحسن أن الله يفني الجنة ثم يعيدها على ما وصفه فلذلك صح وصفها بأن عرضها كعرض السماء والأرض وقال غيره إن الله قال عرضها كعرض السماء والأرض والجنة المخلوقة في السماء السابعة فلا تنافي ﴿ أعدت للذين آمنوا ﴾ أي ادّخرت وهيئت للمؤمنين ﴿ بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ معناه أنه يجزي الدائم الباقي على القليل الفاني ولو اقتصر في الجزاء على قدر ما يستحق بالأعمال كان عدلاً منه لكنه تفضل بالزيادة وقيل معناه أن أحداً لا ينال خيراً في الدنيا

والآخرة إلا بفضل الله فإنه سبحانه لو ولم يدعنا إلى الطاعة ولم يبين لنا الطريق ولم يوفقنا للعمل الصالح لما إهتدينا إليه وذلك كله من فضل الله وأيضاً فإنه سبحانه تفضل بالأسباب التي يفعل بها الطاعة من التمكين والإلطاف وكمال العقل وعرض المكلف للثواب فالتكليف أيضاً تفضل وهو السبب الموصل إلى الثواب وقال أبو القاسم البلخي والبغداديون من أهل العدل إن الله سبحانه وتعالى لو اقتصر لعباده في طاعاتهم على مجرد إحساناته السالفة إليهم لكان عدلاً فلهذا جعل سبحانه الثواب والجنة فضلاً وفي هذه الآية أعظم رجاء لأهل الإيمان لأنه ذكر أن الجنة معدّة للمؤمنين ولم يذكر مع الإيمان شيئاً آخر ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ أي ذو الإفضال العميم والإحسان الجسيم إلى عباده ثم قال ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ﴾ مثل قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمرات ﴿ ولا في أنفسكم ﴾ من الأمراض والثكل بالأولاد ﴿إلا في كتاب﴾ يعني إلا وهو مثبت مذكور في اللوح المحفوظ ﴿من قبل أن نبرأها﴾ قبل أن أي من يخلق الأنفس ليستدل ملائكته به على أنه عالم لذاته يعلم الأشياء بحقائقها ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ أي إثبات ذلك على كثرته هيّن على الله يسير سهل غير عسير ثمّ بين سبحانه لم فعل لذلك فقال ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ﴾ أي فعلنا ذلك لئلا تحزنوا على ما يفوتكم من نعم الدنيا ﴿ ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ أي بما أعطاكم الله منها والذي يوجب نفي الأسى والفرح من هذا أن الإنسان إذا علم أن ما فات منها ضمن الله تعالى عليه العوض[1] في الآخرة فلا ينبغي أن يحزن لذلك وإذا علم أن ما ناله منها كلف الشكر عليه والحقوق الواجبة فيه فلا ينبغي أن يفرح به وأيضاً فإذا علم أن شيئاً منها لا يبقى فلا ينبغي أن يهتم له بل يجب أن يهتم لأمر الآخرة التي تدوم ولا تبيد وفي هذه الآية إشارة إلى أربعة أشياء (الأول) حسن الخلق لأن من استوى عنده وجود الدنيا وعدمها لا يحسد ولا يعادي ولا يشاحّ فإن هذه من أسباب سوء الخلق وهي من نتائج حب الدنيا (وثانيها) استحقار الدنيا وأهلها إذا لم يفرح بوجودها ولم يحزن لعدمها (وثالثها) تعظيم الآخرة لما ينال فيها من الثواب الدائم الخالص من الشوائب (ورابعها) الإفتخار بالله دون أسباب الدنيا ويروى أن علي بن الحسين (ع) جاءه رجل فقال له ما الزهد فقال الزهد عشرة أجزاء فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا وإن الزهد كله في آية من كتاب الله لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وقيل لبزرجمهر مالك أيها الحكيم لا تأسف على ما فات ولا تفرح بما هو آت فقال إن الفائت لا يتلافى بالعبرة

(١) في المخطوطة بدل عليه العوض في الآخرة: العوض في غيره .

والآتي لا يستدام بالخبرة وعن عبد الله بن مسعود قال لئن[1] جمرة الحسرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلي من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ أي متكبر بما أوتي فخور على الناس بالدنيا ﴿ الذين يبخلون ﴾ بمنع الواجبات ﴿ ويأمرون الناس بالبخل ﴾ وفي الحديث أن النبي ﷺ سأل عن سيّد بني عوف فقالوا جد بن قيس على أنه يُزنّ[2] بالبخل فقال ﷺ وأيّ داء أدوى من البخل سيدكم البراء بن معرور ومعنى يزن يتهم ويقرف ﴿ ومن يتول ﴾ أي يعرض عما دعاه الله إليه ﴿ فإن الله هو الغني ﴾ عنه وعن طاعته وصدقته ﴿ الحميد ﴾ في جميع أفعاله ثم اقسم سبحانه فقال ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ﴾ أي بالدلائل والمعجزات ﴿ وأنزلنا معهم الكتاب ﴾ المكتوب الذي يتضمن الأحكام وما يحتاج إليه الخلق من الحلال والحرام كالتوراة والإنجيل والقرآن ﴿ والميزان ﴾ أي وأنزلنا معهم من السماء الميزان ذا الكفتين الذي يوزن به عن ابن زيد والجبائي ومقاتل بن سليمان وقيل معناه أنزلنا صفة الميزان ﴿ ليقوم الناس ﴾ في معاملاتهم ﴿ بالقسط ﴾ أي بالعدل والمراد وأمرنا بالعدل كقوله ﴿ الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ﴾ عن قتادة ومقاتل ابن حيان ﴿ وأنزلنا الحديد ﴾ روي عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل الحديد والنار والماء والملح وقال أهل المعاني معنى أنزلنا الحديد أنشأناه وأحدثناه كقوله ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴾ وإلى هذا ذهب مقاتل فقال معناه بأمرنا كان الحديد وقال قطرب معنى أنزلنا هنا هيّأنا وخلقنا من النُزُل وهو ما يهيأ للضيف أي أنعمنا بالحديد وهيأناه لكم وقيل أنزل مع آدم من الحديد العلاة وهي السندان والكلبتان والمطرقة عن ابن عباس ﴿ فيه بأس شديد ﴾ أي يمتنع به ويحارب به عن الزجاج والمعنى أنه يتخذ منه آلتان آلة للدفع وآلة للضرب كما قال مجاهد فيه جنّة وسلاح ﴿ ومنافع للناس ﴾ يعني ما ينتفعون به في معاشهم مثل السكين والفأس والإبرة وغيرها مما يتخذ من الحديد من الآلات وقوله ﴿ وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ﴾ معطوف على قوله ليقوم الناس بالقسط أي ليعاملوا بالعدل وليعلم الله نصرة من ينصره موجودة وجهاد من جاهد مع رسوله موجوداً وقوله ﴿ بالغيب ﴾ أي بالعلم الواقع بالاستدلال والنظر من غير مشاهدة بالبصر ﴿ إن الله قوي ﴾ على الإنتقام من أعدائه ﴿ عزيز ﴾ أي منيع من أن يعترض عليه في أرضه وسمائه .

---

(١) في نسخة لأن الحَسَ جمرة . . وفي اخرى: لأن الحَسَنَ جمرات حرقت وفي اخرى أيضاً لأن الحَسَنَ جمرة احرقت.

(٢) زنّ فلاناً بخير أو شر أي ظنه به .

[النظم] وجه اتصال قوله ﴿ وما أصاب من مصيبة ﴾ الآية بما قبلها أنه سبحانه لما بيّن الثواب على الطاعات عقبه ببيان الأعواض على مقاساة المصائب والملمّات فقال لا يذهب علينا عوض من أصابته مصيبة مّا فإن كانت من فعلنا نعوضه بالأضعاف من جزائنا وإن كان من فعل عبادنا فباستيفائنا ذلك منهم ثم أكّد ذلك بقوله ﴿ لكيلا تأسوا ﴾ الآية لأن المصيبة لو كانت بغير عوض في العاقبة لازداد الأسى والحزن فإن الحزن كل الحزن في الخسران الذي ليس له جبران ثم عقب ذلك بقوله ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ﴾ الآية فبين أنه سبحانه لطف لعباده بما يدعو إلى الخشوع والخضوع وترك الخيلاء .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

[اللغة] التقفية جعل الشيء في أثر شيء على الإستمرار فيه ولهذا قيل لمقاطع الشعر

قوافٍ إذ كانت تتبع البيت على أثره مستمرة في غيره على منهاجه والرهبانية أصلها من الرهبة وهي الخوف إلا أنها عبادة مختصة بالنصارى لقول النبي ﷺ لا رهبانية في الإسلام والابتداع ابتداء أمر لم يحتذ فيه على مثال ومنه البدعة إذ هي إحداث أمر على خلاف السنة والكفل الحظ ومنه الكفل الذي يتكفل به الراكب وهو كساء أو نحوه يحويها على الإبل إذا أراد أن يرقد فيه فيحفظه من السقوط ففيه حظ من التحرز من الوقوع .

[الإعراب] ورهبانية منصوب بفعل مضمر يفسره قوله ﴿ ابتدعوها ﴾ التقدير وابتدعوا رهبانية ابتدعوها وقوله ﴿ ما كتبناها عليهم ﴾ في محل النصب لأنه صفة لرهبانية . ابتغاء رضوان الله نصب لأنه بدل من ها في كتبناها والتقدير كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله أي إتباع أوامره ولم نكتب عليهم الرهبانية ولا في لئلا يعلم زائدة وأن في أن لا يقدرون مخففة من الثقيلة واسمه محذوف وتقديره أنّهم لا يقدرون ولا هنا يدل على الإضمار في أن مع تخفيف أن .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم من ذكر الأنبياء بقصة إبراهيم (ع) ونوح (ع) فقال سبحانه ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم ﴾ وإنما خصهما بالذكر لفضلهما ولأنهما أبوا الأنبياء ﴿ وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ﴾ يعني أن الأنبياء كلهم من نسلهما وذريتهما وعليهم أنزل الكتاب ثم أخبر عن حال ذريتهما فقال ﴿ فمنهم مهتدٍ ﴾ إلى طريق الحق ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ أي خارجون عن طاعة الله إلى معصيته ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا ﴾ أي ثم إتبعنا بالإرسال على آثار من ذكرناهم من الأنبياء برسل آخرين إلى قوم آخرين وأنفذناهم رسولاً بعد رسول ﴿ وقفينا بعيسى بن مريم ﴾ بعدهم فأرسلناه رسولاً ﴿ وآتيناه الإنجيل ﴾ أي وأعطينا عيسى بن مريم الإنجيل ﴿ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه ﴾ في دينه يعني الحواريين وأتباعهم اتبعوا عيسى ﴿ رأفة ﴾ وهي أشد الرقة[1] ﴿ ورحمة ﴾ وإنما أضاف الرأفة والرحمة إلى نفسه لأنه سبحانه جعل في قلوبهم الرأفة والرحمة بالأمر به والترغيب فيه ووعد الثواب عليه وقيل لأنه خلق في قلوبهم الرأفة والرحمة وإنما مدحهم على ذلك وإن كان من فعله لأنهم تعرضوا لهما ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾ وهي الخصلة من العبادة يظهر فيها معنى الرهبة أما في كنيسة أو إنفراد عن الجماعة أو غير ذلك من الأمور التي يظهر فيها نسك صاحبه والمعنى ابتدعوا رهبانية لم نكتبها عليهم وقيل إن الرهبانية التي ابتدعوها هي رفض النساء واتخاذ الصوامع عن قتادة قال[2] وتقديره

(١) في نسخة : أشدّ الرقة والرحمة .

(٢) ليس في أكثر النسخ : لفظة قال .

ورهبانية ما كتبناها عليهم ﴿ إلا ﴾ إنهم اتبعوها ﴿ ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ﴾ وقيل إن الرهبانية التي ابتدعوها لحاقهم بالبراري والجبال في خبر مرفوع عن النبيّ ﷺ فما رعاها الذين بعدهم حق رعايتها وذلك لتكذيبهم بمحمد ﷺ عن ابن عباس وقيل إن الرهبانية هي الإنقطاع عن الناس للإنفراد بالعبادة ما كتبناها أي ما فرضناها عليهم وقال الزجاج إن تقديره ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله إتباع ما أمر به فهذا وجه قال وفيها وجه آخر جاء في التفسير أنهم كانوا يرون من ملوكهم ما لا يصبرون عليه فاتخذوا أسراباً وصوامع وابتدعوا ذلك فلما ألزموا أنفسهم ذلك التطوع ودخلوا عليه لزمهم تمامه كما أن الإنسان إذا جعل على نفسه صوماً لم يفرض عليه لزمه أن يتمّه قال وقوله ﴿ فما رعوها حق رعايتها ﴾ على ضربين (أحدهما) أن يكونوا قصروا فيما ألزموه أنفسهم (والآخر) وهو الأجود أن يكونوا حين بعث النبي ﷺ فلم يؤمنوا به كانوا تاركين لطاعة الله فما رعوا تلك الرهبانية حق رعايتها ودليل ذلك قوله ﴿ فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ﴾ يعني الذين آمنوا بالنبي ﷺ ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ أي كافرون انتهى كلام الزجاج ويعضد هذا ما جاءت به الرواية عن ابن مسعود قال كنت رديف رسول الله ﷺ على حمار فقال يا ابن أم عبد هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانية فقلت الله ورسوله أعلم فقال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بمعاصي الله فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو إليه فتعالوا نتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى (ع) يعنون محمّداً ﷺ فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا رهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾ إلى آخرها ثم قال يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي قلت الله ورسوله أعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة وعن ابن مسعود قال دخلت على النبي ﷺ فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها إثنتان وهلك سائرهن فرقة قاتلوا الملوك على دين عيسى (ع) فقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة لموازاة الملوك ولا أن يقيموا بين ظهرانيّهم يدعونهم إلى دين الله تعالى ودين عيسى (ع) فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله لهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ثم قال النبي ﷺ من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون ثم قال سبحانه ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ أي اعترفوا بتوحيد الله وصدّقوا بموسى وعيسى (ع) ﴿ اتقوا الله وآمنوا برسوله ﴾ محمد ﷺ عن ابن عباس وقيل معناه يا أيها الذين آمنوا ظاهراً آمنوا باطناً ﴿ يؤتكم كفلين ﴾ أي يؤتكم

نصيبين ﴿ من رحمته ﴾ نصيباً لإيمانكم بمن تقدم من الأنبياء ونصيباً لإيمانكم بمحمد ﷺ عن ابن عباس ﴿ ويجعل لكم نوراً تمشون به ﴾ أي هدى تهتدون به عن مجاهد وقيل النور القرآن وفيه الأدلة على كل حق والبيان لكل خير وبه يستحق الضياء الذي يمشي به يوم القيامة عن ابن عباس ﴿ ويغفر لكم ﴾ أي ويستر عليكم ذنوبكم ﴿ والله غفور رحيم ﴾ قال سعيد بن جبير بعث رسول الله ﷺ جعفراً في سبعين راكباً إلى النجاشي يدعوه فقدم عليه ودعاه فاستجاب له وآمن به فلما كان عند إنصرافه قال ناس ممن آمن به من أهل مملكته وهم أربعون رجلاً إئذن لنا فنأتي هذا النبي فنسلم[1] به فقدموا مع جعفر فلما رأوا ما بالمسلمين من الخَصاصة استأذنوا رسول الله ﷺ وقالوا يا نبي الله إن لنا اموالاً ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة فإن أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فأنزل الله فيهم ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ إلى قوله ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ فكانت النفقة التي واسوا بها المسلمين فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن به قوله ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين ﴾ بما صبروا فخروا على المسلمين فقالوا يا معشر المسلمين أما من آمن بكتابكم وكتابنا فله أجران ومن آمن منا بكتابنا فله أجر كأجوركم فما فضلكم علينا فنزل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله وآمنوا برسوله ﴾ الآية فجعل لهم أجرين وزادهم النور والمغفرة ثم قال ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ﴾ وقال الكلبي كان هؤلاء أربعة وعشرين رجلاً قدموا من اليمن على رسول الله ﷺ وهو بمكة لم يكونوا يهودا ولا نصارى وكانوا على دين الأنبياء فأسلموا فقال لهم أبو جهل بئس القوم أنتم والوفد لقومكم فردوا عليه وما لنا لا نؤمن بالله الآية فجعل الله لهم ولمؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه أجرين إثنين فجعلوا يفخرون على أصحاب رسول الله ﷺ ويقولون نحن أفضل منكم لنا أجران ولكم أجر واحد فنزل ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ﴾ إلى آخر السورة وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال من كانت له أمة فعلمها[2] فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها واعتقها وتزوجها فله أجران وأيما رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه (ع) وآمن بمحمد ﷺ فله أجران وأيما مملوك أدّى حق الله وحق مواليه فله أجران أورده البخاري ومسلم في الصحيح ﴿ لئلا يعلم ﴾ أي لأن يعلم ولا مزيدة ﴿ أهل الكتاب﴾ يعني الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وحسدوا المؤمنين منهم ﴿ ألا يقدرون على شيء من فضل الله ﴾ وإن هذه

---

(١) وفي نسخة: فنلمّ به بدل فنسلم به.

(٢) في نسختين: يعلّمها بدل فعلّمها.

هي المخففة من الثقيلة والتقدير أنهم لا يقدرون ومعناه جعلنا الأجرين لمن آمن بمحمد ﷺ ليعلم الذين لم يؤمنوا أنهم لا أجر لهم ولا نصيب لهم في فضل الله ﴿ **وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء** ﴾ فآتى المؤمنين منهم أجرين ﴿ **والله ذو الفضل العظيم** ﴾ يتفضل على من يشاء من عباده المؤمنين وقيل إن المراد بفضل الله هنا النبوة أي لا يقدرون على نبوة الأنبياء ولا على صرفها عمن شاء الله أن يخصه بها فيصرفونها عن محمد ﷺ إلى من يحبونه بل هي بيد الله يعطيها من يشاء ممن هو أهلها ويعلم أنه يصلح لها وقيل إنما تدخل لا صلة في كل كلام دخل في أواخره أو أوائله جحد وإن لم يكن مصرحاً بـه نحو قـوله ﴿ **مـا منعك أن لا تسجد إذ أمرتك وما يشعركم إنها إذا جاءت لا يؤمنون وحرام على قرية أهلكناهـا أنهم لا يرجعون** ﴾ عن الفراء وقيل أن لا هنا في حكم الثبات والمعنى لأن لا يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون أن يؤمنوا لأن من لا يعلم أنه لا يقدر يعلم أنه يقدر فعلى هذا يكون المراد لكي يعلموا أنهم يقدرون على أن يؤمنوا فيحوزوا الفضل والثواب وقيل إن معناه لئلا يعلم اليهود والنصارى أن النبي ﷺ والمؤمنين لا يقدرون على ذلك فقد علموا أنهم لا[1] يقدرون عليه أي إن آمنتم كمـا أمركم الله آتـاكم الله من فضله فعلم أهل الكتـاب[2] خلافـه وعلى هـذا فالضمير في يقدرون ليس لأهل[3] وقال أبو سعيـد السيرا في معنـاه أن الله يفعل بكم هـذه الأشياء لئلا يعلم أي ليتبين جهل أهل الكتاب وأنهم لا يعلمون أن ما يؤتيكم الله من فضله لا يقدرون على تغييره وإزالته عنكم ففي هذه الوجوه لا يحتاج إلى زيادة لا .

(١) وفي نسختين : يقدرون .

(٢) [ذلك ولم يعلموا] .

(٣) [الكتاب] .

(٥٨) سورة المجادلة مدنية وآياتها اثنتان وعشرون

[عدد آيها] إحدى وعشرون آية مكي والمدني الأخير وآيتان في الباقين .

[إختلافها] آية في الأذلين غير المكي والمدني الأخير .

[فضلها] أبيّ بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة .

[تفسيرها] لما ختم الله سورة الحديد بذكر فضله على من يشاء من عباده افتتح هذه السورة بذكر بيان فضله في إجابة الدعوة كما أجاب دعاء تلك المرأة فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ

وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ
مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ
ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا ۚ كَمَا كُبِتَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾

[القراءة] قرأ عاصم يظاهرون بضم الياء وتخفيف الظاء وقرأ أهل البصرة وابن كثير يَظَّهَّرون بتشديد الظاء والهاء وفتح الياء وقرأ الباقون يظّاهرون بفتح الياء وتشديد الظاء وروي عن بعضهم ما هن أمهاتهم برفع التاء .

[الحجة] قال أبو علي ظاهر من امرأته وظهر مثل ضاعف وضعف وتدخل التاء على كل واحد منهما فيصير تظاهر وتظهر ويدخل حرف المضارعة فيصير يتظاهر ويتظهر ثم تدغم الطاء في الظاء لمقاربتها لها فتصير يظاهر ويظهر بفتح الياء التي هي حرف المضارعة لأنها للمطاوعة كما تفتحها في يتدحرج الذي هو مطاوع دحرجته فتدحرج ووجه الرفع في قوله ﴿ ما هن أمهاتهم ﴾ أنه لغة بني تميم قال سيبويه وهو أقيس الوجهين وذلك أن النفي كالاستفهام فكما لا يغيّر الاستفهام الكلام عما كان عليه في الواجب ينبغي أن لا يغيره النفي عما كان عليه في الواجب ووجه النصب أنه لغة أهل الحجاز والأخذ بلغتهم في القرآن أولى وعليها جاء ما هذا بشراً .

[اللغة] الإشتكاء إظهار ما بالإنسان من مكروه والشكاية إظهار ما يصنعه به غيره من المكروه والتحاور التراجع وهي المحاورة يقال حاوره محاورة أي راجعه الكلام وتحاورا قال عنترة :

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمُحَاوَرَةُ اشْتَكَى وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ مُكَلِّمِي

والمحادّة المخالفة وأصله من الحد وهو المنع ومنه الحد الحاجز بين الشيئين قال النابغة :

إلاَّ سُلَيْمَانَ إذْ قَالَ الْمَلِيكُ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ

الكبت مصدر كبت الله العدو أي أذله وأخزاه .

[النزول] نزلت الآيات في امرأة من الأنصار ثم من الخزرج واسمها خولة بنت خويلد عن ابن عباس وقيل خولة بنت ثعلبة عن قتادة ومقاتلين وزوجها أوس بن الصامت وذلك أنها كانت حسنة الجسم فرآها زوجها ساجدة في صلاتها فلما انصرفت أرادها فأبت عليه فغضب عليها وكان امرءاً فيه سرعة ولمم فقال لها أنت عليّ كظهر أميّ ثم ندم على ما قال وكان الظهار من طلاق أهل الجاهلية فقال لها ما أظنكِ إلا وقد حرمتِ عليّ فقالت لا تقل ذلك وأت رسول الله ﷺ فاسأله فقال إني أجد أني أستحيي منه أن اسأله عن هذا قالت فدعني اسأله فقال سليه فأتت النبي ﷺ وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غانية ذات مال وأهل حتى إذا كل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبرت سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني وإياه فتنعشني به فقال ﷺ ما أراك إلا حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً وأنه أبو ولدي وأحب الناس إلى فقال ﷺ ما أراك إلا حرمت عليه ولم أؤمر في شأنك بشيء فجعلت تراجع رسول الله ﷺ وإذا قال لها رسول الله ﷺ حرمت عليه هتفت وقالت أشكو إلى الله فاقتي وحاجتي وشدة حالي اللهم فأنزل على لسان نبيك وكان هذا أول ظهار في الإسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت أنظر في أمري جعلني الله فداك يا نبي الله فقالت عائشة أقصري حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله ﷺ وكان ﷺ إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي زوجك فتلا عليه رسول الله ﷺ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها إلى تمام الآيات قالت عائشة تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها إن المرأة لتحاور رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت اسمع بعض كلامها ويخفى عليّ بعضه إذ أنزل الله قد سمع فلما تلا عليه هذه الآيات قال له هل تستطيع أن تعتق رقبة قال إذاً يذهب مالي كله والرقبة غالية وأني قليل المال فقال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين فقال والله يا رسول الله أني إذا لم آكل ثلاث مرات كلَّ بصري وخشيت أن تغشى عيني قال فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً قال لا والله إلا أن تعينني على ذلك يا رسول الله فقال أني معينك بخمسة عشر صاعاً وأنا داع لك بالبركة فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعاً فدعا له البركة فاجتمع لهما أمرهما .

[المعنى] ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾ أي تراجعك في أمر زوجها

عن أبي العالية ﴿ وتشتكي إلى الله ﴾ وتظهر شكواها وما بها من المكروه فتقول اللهم أنك تعلم حالي فارحمني فإن لي صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليّ جاعوا ﴿ والله يسمع تحاوركما ﴾ أي تخاطبكما ومراجعتكما الكلام ﴿ إن الله سميع بصير ﴾ أي يسمع المسموعات ويرى المرئيات والسميع البصير من هو على حالة يجب لأجلها أن يسمع المسموعات ويبصر المبصرات إذا وجدتا وذلك يرجع إلى كونه حياً لا آفة به ثم قال سبحانه يذم الظهار ﴿ الذين يظاهرون منكم من نسائهم ﴾ أي يقولون لهن أنتن كظهور أمهاتنا ﴿ ما هن أمهاتهم ﴾ أي ما اللواتي تجعلونهن من الزوجات كالأمهات بأمهات أي لسن بأمهاتهم ﴿ إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم ﴾ أي ما أمهاتهم إلا الوالدات ﴿ وإنهم ﴾ يعني المظاهرين ﴿ ليقولون منكراً من القول ﴾ لا يعرف في الشرع ﴿ وزوراً ﴾ أي كذباً لأن المظاهر إذا جعل ظهر امرأته كظهر أمه وليست كذلك كان كاذباً ﴿ وإن الله لعفو غفور ﴾ عفا عنهم وغفر لهم وأمرهم بالكفارة ثم بيّن سبحانه حكم الظهار فقال ﴿ والذين يظاهرون من نسائهم ﴾ يعني الذين يقولون القول الذي حكيناه ﴿ ثم يعودون لما قالوا ﴾ إختلف المفسرون والفقهاء في معنى العود هنا فقيل إنه العزم على وطئها عن قتادة وهو مذهب مالك وأبي حنيفة وقيل العود هو أن يمسكها بالعقد ولا يتبع الظهار بطلاق وذلك أنه إذا ظاهر منها فقد قصد التحريم فإن وصل ذلك بالطلاق فقد جرى على ما ابتدأه ولا كفارة وإذا سكت عن الطلاق بعد الظهار زماناً يمكنه أن يطلق فيه فذلك الندم منه على ما ابتدأه وهو عود إلى ما كان عليه فحينئذ تجب الكفارة وهو مذهب الشافعي واستدل على ذلك بما روي عن ابن عباس أنه فسر العود في الآية بالندم فقال يندمون ويرجعون إلى الألفة وقال الفراء يعودون لما قالوا وإلى ما قالوا وفيما قالوا معناه يرجعون عما قالوا يقال عاد لما فعل أي نقض ما فعل ويجوز أن يقال عاد لما فعل يريد فعله مرة أخرى وقيل إن العود هو أن يكرر لفظ الظهار عن أبي العالية وهو مذهب أهل الظاهر واحتجوا بأن ظاهر لفظ العود يدل على تكرير القول قال أبو علي الفارسي ليس في هذا ظاهر كما ادّعوا لأن العود قد يكون إلى شيء عليه قبل وقد سميت الآخرة معاداً ولم يكن فيها أحد ثم صار إليها وقال الأخفش تقدير الآية والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة لما قالوا ثم يعودون إلى نسائهم أي فعليهم تحرير رقبة لما نطقوا به من ذكر التحريم. والتقديم والتأخير كثير في التنزيل وأما ما ذهب إليه أئمة الهدى من آل محمد ﷺ فهو أن المراد بالعود إرادة الوطء ونقض القول الذي قاله فإن الوطء لا يجوز له إلا بعد الكفارة ولا يبطل حكم قوله الأول إلا بعد الكفارة ﴿ فتحرير رقبة ﴾ أي فعليهم تحرير رقبة ﴿ من قبل أن يتماسّا ﴾ أي من قبل أن يجامعها فيتماسّا والتحرير هو أن يجعل الرقبة المملوكة حرة بالعتق بأن يقول

المالك لمن يملكه أنت حر ﴿ ذلكم توعظون به ﴾ أي ذلكم التغليظ في الكفارة توعظون به أي أن غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار قاله الزجاج ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ أي عليم بأعمالكم فلا تدعوا ما وعظكم به من الكفارة قبل الوطء فيعاقبكم عليه ﴿ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسّا ﴾ أي فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين قبل الجماع والتتابع عند أكثر الفقهاء أن يوالي بين أيام الشهرين الهلاليين أو يصوم ستين يوماً وقال أصحابنا أنه إذا صام شهراً ومن الثاني شيئاً ولو يوماً واحداً ثم أفطر لغير عذر فقد أخطأ إلا أنه يبني عليه ولا يلزمه الإستئناف وإن أفطر قبل ذلك استأنف ومتى بدأ بالصوم وصام بعض ذلك ثم وجد الرقبة لا يلزمه الرجوع إليها وإن رجع كان أفضل وقال قوم أنه يلزمه الرجوع إلى العتق وقوله ﴿ فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً ﴾ أي فمن لم يطق الصوم لعلة أو كبر فإطعام ستين مسكيناً فعليه إطعام ستين فقيراً لكل مسكين نصف صاع عند أصحابنا فإن لم يقدر فمد ﴿ذلك﴾ أي افترض ذلك الذي وصفناه ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ أي لتصدقوا بما أتى به الرسول وتصدقوا بأن الله أمر به ﴿وتلك حدود الله﴾ يعني ما وصفه من الكفارات في الظهار أي هي شرائع الله وأحكامه ﴿وللكافرين عذاب أليم﴾ أي وللجاحدين المتعدين حدود الله عذاب مؤلم في الآخرة ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ أي يخالفون أمر الله ويعادون رسوله ﴿كبتوا﴾ أي أذلوا وأخزوا ﴿كما كبت الذين من قبلهم﴾ أي كما أخزي الذين من قبلهم من أهل الشرك ﴿وقد أنزلنا آيات بينات﴾ أي حججاً واضحات من القرآن وما فيه من الأدلة والبيان ﴿وللكافرين﴾ الجاحدين لما أنزلناه ﴿عذاب مهين﴾ يهينهم ويخزيهم فأما الكلام في مسائل الظهار وفروعها فموضعه كتب الفقه .

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ

ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَـٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ
وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ
وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ
يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ
فَلَا تَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ
وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ
مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا
بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر وحده ما تكون بالتاء والباقون بالياء وقرأ يعقوب وسهل ولا أكثر بالرفع والباقون بالنصب وقرأ حمزة ورويس عن يعقوب ينتجون والباقون يتناجون وقرأ رويس أيضاً فلا تنتجوا .

[الحجة]قال ابن جني التذكير في قوله ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة﴾ هو الوجه لما هناك من الشياع وعموم الجنسية كقولك ما جاءني من امرأة وما حضرني من جارية وأما تكون بالتاء فلاعتزام لفظ التأنيث حتى كأنه قال ما تكون نجوى ثلاثة وقوله ولا أكثر بالرفع معطوف على محل الكلام قبل دخول من فإن قوله من نجوى في محل رفع بأنه فاعل يكون ومن زائدة والقراءة الظاهرة أكثر بالفتح في موضع الجر وقوله ﴿ ينتجون يفتعلون من النجوى ﴾ والنجوى مصدر كالدعوى والعدوى ومثل ذلك في أنه على فعلى التقوى إلا أن الواو فيها مبدلة وليست بلام ولما كان مصدراً وقع للجمع على لفظ الواحد في قوله تعالى : ﴿ إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى ﴾ أي هم ذوو نجوى وقوله ﴿ ما يكون من نجوى ﴾ ثلاثة قال أبو علي : ثلاثة يحتمل جره أمرين (أحدهما) أن يكون مجروراً بإضافة نجوى إليه كأنه ما يكون من أسرار ثلاثة إلا هو رابعهم أي لا يخفى عليه ذلك كما قال ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم ويجوز أن يكون ثلاثة جرا على الصفة على قياس قوله تعالى ﴿ وإذ هم

نجوى ﴾ فيكون المعنى ما يكون من متناجين ثلاثة وأما النجي فصفة تقع على الكثرة كالصديق والرفيق والحميم ومثله الغري وفي التنزيل خلصوا نجياً وأما قول حمزة ينتجون وقول سائرهم متناجون فإن يفتعلون ويتفاعلون قد يجريان مجرى واحد ومن ثم قالوا ازدوجوا واعتوروا فصححوا الواو وإن كانت على صورة يجب فيها الاعتلال لما كان بمعنى تعاوروا وتزاوجوا كما صح عور وحول لما كان بمعنى أفعالّ ويشهد لقراءة حمزة قول النبي ﷺ في علي صلوات الرحمن عليه لما قال له بعض أصحابه أتناجيه دوننا قال ما أنا أنتجيته بل الله انتجاه .

[اللغة] النجوى هي أسرار ما يرفع كل واحد إلى آخر وأصله من النجوة الارتفاع من الأرض والنجاء الارتفاع في السير والنجاة الارتفاع من البلاء .

[الإعراب] هو رابعهم مبتدأ وخبر في محل جر بأنه صفة ثلاثة وتقول فلان رابع أربعة إذا كان واحد أربعة ورابع ثلاثة إذا جعل ثلاثة أربعة بكونه معهم ويجوز على هذا أن يقال رابع ثلاثة ولا يجوز رابع أربعة لأنه ليس فيه معنى الفعل. حسبهم جهنم مبتدأ وخبر ويصلونها في موضع نصب على الحال.

[النزول] قال ابن عباس نزل قوله ﴿ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ﴾ الآية في اليهود والمنافقين أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا واخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو مصيبة أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال ذلك شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم فنزلت الآية .

[المعنى] ثم بين سبحانه وقت ذلك العذاب فقال ﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً ﴾ أي يحشرهم إلى أرض المحشر ويعيدهم أحياء ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾ أي يخبرهم ويعلمهم بما عملوه من المعاصي في دار الدنيا ﴿ أحصاه الله ﴾ عليهم وأثبته في كتاب أعمالهم ﴿ ونسوه والله على كل شيء شهيد ﴾ معناه أنه يعلم الأشياء كلها من جميع وجوهها لا يخفى عليه شيء منها ومنه قوله ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾ أي علم الله ثم بين سبحانه أنه يعلم ما يكون في العالم فقال ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ﴾ يعني جميع المعلومات والخطاب للنبي ﷺ والمراد جميع المكلفين وهو استفهام معناه التقرير أي ألم

تعلم وقيل ألم تر إلى الدلالات المرئية من صنعته الدالة على أنه عالم بجميع المعلومات ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ بالعلم يعني أن نجواهم معلومة عنده كما تكون معلومة عند الرابع الذي هو معهم وقيل السرار ما كان بين اثنين والنجوى ما كان بين ثلاثة وقال بعضهم النجوى كل حديث كان سرا أو علانية وهو اسم للشيء الذي يتناجى به ﴿ ولا خمسة إلا هو سادسهم ﴾ أي ولا يتناجى خمسة إلا وهو عالم بسرهم كسادس معهم ﴿ ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا وهو معهم أينما كانوا ﴾ المعنى أنه عالم بأحوالهم وجميع متصرفاتهم فرادى وعند الاجتماع لا يخفى عليه شيء منها فكأنما هو معهم ومشاهد لهم وعلى هذا يقال إن الله مع الإنسان حيثما كان لأنه إذا كان عالماً به لا يخفى عليه شيء من أمره حسن هذا الإطلاق لما فيه من البيان فأما أن يكون معهم على طريق المجاورة فذلك محال لأنه من صفات الأجسام وقد دلت الأدلة على أنه ليس بصفات الأجسام ﴿ ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ﴾ أي يخبرهم بأعمالهم ﴿ إن الله بكل شيء عليم ﴾ لا يخفى عليه خافية ﴿ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ﴾ أي ألم تعلم حال الذين نهوا عن المناجاة وأسرار الكلام بينهم دون المسلمين بما يغم المسلمين ويحزنهم وهم اليهود والمنافقون ﴿ ثم يعودون لما نهوا عنه ﴾ يعني إلى ما نهوا عنه أي يرجعون إلى المناجاة بعد النهي ﴿ ويتناجون بالإثم والعدوان ﴾ في مخالفة الرسول وهو قوله ﴿ ومعصية الرسول ﴾ وذلك أنه نهاهم عن النجوى فعصوه ويجوز أن يكون الإثم والعدوان ذلك السر الذي يجري بينهم لأنه شيء يسوء المسلمين ويوصي بعضهم بعضاً بترك أمر الرسول والمعصية له ﴿ وإذا جاءوك حيّوك بما لم يحيّك به الله ﴾ وذلك أن اليهود كانوا يأتون النبي ﷺ فيقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه أنهم يقولون السلام عليك وكان النبي ﷺ يردّ على من قال ذلك فيقول وعليك وقال الحسن كان اليهودي يقول السأم عليك أي أنكم ستسأمون دينكم هذا وتملونه فتدعونه ومن قال السأم الموت فهو سأم الحياة بذهابها ﴿ ويقولون في أنفسهم ﴾ أي يقول بعضهم لبعض وقيل معناه أنهم لو تكلموا لقالوا هذا الكلام وإن لم يكن منهم قول ﴿ لولا يعذبنا الله بما نقول ﴾ أي يقولون لو كان هذا نبياً كما يزعم فهلا يعذبنا الله ولا يستجيب له فينا قوله وعليكم يعني السأم وهو الموت فقال سبحانه ﴿ حسبهم ﴾ أي كافيهم ﴿ جهنم يصلونها ﴾ يوم القيامة ويحترقون فيها ﴿ فبئس المصير ﴾ أي فبئس المرجع والمآل جهنم لما فيها من أنواع العذاب والنكال ثم نهى المؤمنين عن مثل ذلك فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﴾ أي لا تفعلوا كفعل المنافقين واليهود ﴿ وتناجوا بالبر والتقوى ﴾ أي بأفعال الخير والطاعة والخوف من

عذاب الله واتقاء معاصي الله ﴿ واتقوا الله الذي إليه ﴾ أي إلى جزائه ﴿ تحشرون ﴾ يوم القيامة ﴿ إنما النجوى من الشيطان ﴾ يعني نجوى المنافقين والكفار بما يسوء المؤمنين ويغمهم من وساوس الشيطان وبدعائه واغوائه يفعل ذلك النجوى ﴿ ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً ﴾ أي نجواهم لا يضرهم شيئاً وقيل إن الشيطان لا يضرهم شيئاً ﴿ إلا بإذن الله ﴾ يعني بعلم الله وقيل بأمر الله لأن سببه بأمره وهو الجهاد وخروجهم إليه وقيل بأمر الله لأنه يلحقهم الآلام والأمراض عقيب ذلك ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ في جميع أمورهم دون غيره وقيل إن الآية المراد بها أحلام المنام التي يراها الإنسان في نومه فيحزنه وورد في الخبر عن عبد الله بن مسعود قال قال النبي ﷺ إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجَ اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه وعن ابن عمر عنه قال لا يتناجَ اثنان دون الثالث .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

[القراءة] قرأ عاصم وحده في المجالس على الجمع والباقون في المجلس على التوحيد وقرأ أهل المدينة وابن عامر وعاصم غير يحيى مختلف عنه قيل انشزوا فانشزوا بالضم والباقون بالكسر .

[الحجة] قال أبو علي في المجلس زعموا أنه مجلس رسول الله ﷺ وإذا كان كذلك فالوجه الافراد ويجوز أن يجمع على هذا على أن يجعل لكل جالس مجلس أي موضع جلوس ويكون المجلس على إرادة العموم مثل قولهم كثر الدينار والدرهم فيشتمل على هذا جميع المجالس ومثله قوله إن الإنسان لفي خسر وقوله ﴿ انشزوا ﴾ أي قوموا والنشز المرتفع من الأرض قال :

تَرَى الثَّعْلَبَ الْحَوْلِيَّ فيها كَأَنَّهُ ... إِذَا مَا عَلَا نَشْزٍ أَجِصَّانُ مُجَلَّلُ(١)

ومنه نشوز المرأة على زوجها وينشُز وينشِز مثل يعكف ويعكف ويعرش ويعرش .

[اللغة] التفسح الاتساع في المكان والتفسح والتوسّع واحد وفسح له في المجلس يفسح فسحاً ومكان فسيح وفي صفة النبي ﷺ كان فسيح ما بين المنكبين أي بعيد ما بينهما لسعة صلبه والإشفاق الخوف ورقة القلب والنشوز الارتفاع عن الشيء بالذهاب عنه .

[النزول] قال قتادة كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله ﷺ فإذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضنّوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض وقال المقاتلان كان رسول الله ﷺ في الصفة وفي المكان ضيق وذلك يوم الجمعة وكان ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء اناس من أهل بدر وفيهم ثابت بن قيس بن شماس وقد سبقوا في المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد عليهم النبي ﷺ ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا(٢) عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي ﷺ فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر قم يا فلان قم يا فلان بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف الكراهية في وجوههم وقال المنافقون للمسلمين

(١) الثعلب الحولي أي في السنة الأولى من العمر والحصان من فحل الخيل والمجلل الملبس جلا .
(٢) في نسختين: وما ردوا .

ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس فوالله ما عدل على هؤلاء إن قوماً أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنهم مقامهم فنزلت الآية ﴿ وأما ﴾ قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا ﴾ الآية فإنها نزلت في الأغنياء وذلك أنهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثرون مناجاته فأمر الله سبحانه بالصدقة عند المناجاة فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فنزلت آية الرخصة عن مقاتل بن حيان وقال أمير المؤمنين صلوات الرحمن عليه إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول ﴾ الآية كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم فكلما أردت أن أناجي رسول الله ﷺ قدمت درهماً فنسختها الآية الأخرى ﴿ أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ﴾ الآية فقال صلوات الله عليه بي خفف الله عن هذه الأمة ولم ينزل في أحد قبلي ولم ينزل في أحد بعدي وقال ابن عمر وكان لعلي بن أبي طالب (ع) ثلاث لو كانت لي واحدة منهن لكانت أحب إليّ من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى وقال مجاهد وقتادة لما نهوا عن مناجاته صلوات الرحمن عليه حتى يتصدقوا لم يناجه إلا علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلوات قدم ديناراً فتصدق به ثم نزلت الرخصة .

[المعنى] لما قدم سبحانه النهي عن النجوى لما فيه من إيذاء المؤمنين عقبه بالأمر بالتفسح لما في تركه من إيذائهم أيضاً فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس ﴾ أي اتسعوا فيه وهو مجلس النبي ﷺ عن قتادة ومجاهد وقيل المراد به مجالس الذكر كلها ﴿ فافسحوا يفسح الله لكم ﴾ أي فتوسعوا يوسع الله لكم مجالسكم في الجنة ﴿ وإذا قيل انشزوا ﴾ أي ارتفعوا وقوموا ووسعوا على اخوانكم ﴿ فانشزوا ﴾ أي فافعلوا ذلك وقيل معناه وإذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة والجهاد وعمل الخير فانشزوا ولا تقصروا عن مجاهد وقيل معناه وإذا قيل لكم ارتفعوا في المجلس وتوسعوا للداخل فافعلوا فإن رسول الله ﷺ لا يقرّب ولا يرفع إلا بإذن الله وأمره وقيل معناه وإذا نودي للصلاة فانهضوا فإن رجالاً كانوا يتثاقلون عن الصلاة عن عكرمة والضحاك وقيل وردت في قوم كانوا يطيلون المكث عند رسول الله ﷺ فيكون كل واحد منهم يحب أن يكون آخر خارج فأمرهم الله أن ينشزوا أي يقوموا إذا قيل لهم انشزوا ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ قال ابن عباس يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم درجات وقيل معناه لكي يرفع الله الذين آمنوا منكم بطاعتهم لرسول الله ﷺ درجة والذين أوتوا العلم بفضل علمهم وسابقتهم درجات في الجنة وقيل درجات في مجلس رسول الله ﷺ فأمر الله سبحانه أن يقرّب العلماء من نفسه فوق المؤمنين الذين لا يعلمون العلم ليبين فضل العلماء على

غيرهم وفي هذه الآية دلالة على فضل العلماء وجلالة قدرهم وقد ورد أيضاً في الحديث أنه قال ﷺ فضل العالم على الشهيد درجة وفضل الشهيد على العابد درجة وفضل النبي على العالم درجة وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وفضل العالم على سائر الناس كفضلي على أدناهم رواه جابر بن عبد الله وقال علي (ع) من جاءته منيته وهو يطلب العلم فبينه وبين الأنبياء درجة ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ أي عليم ثم خاطب سبحانه المؤمنين مرة أخرى وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجويكم صدقة ﴾ أي إذا ساررتم الرسول فقدموا قبل أن تسارّوه صدقة وأراد بذلك تعظيم النبي ﷺ وأن يكون ذلك سبباً لأن يتصدقوا فيؤجروا عنه وتخفيفاً عنه ﷺ قال المفسرون فلما نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا ضن كثير من الناس فكفوا عن المسألة فلم يناج أحد إلا علي بن أبي طالب على ما مضى ذكره قال مجاهد وما كان إلا ساعة وقال مقاتل بن حيان كان ذلك ليالي عشراً ثم نسخت بما بعدها وكانت الصدقة مفوضة إليهم غير مقدرة ﴿ ذلك ﴾ أي ذلك التصدق بين يدي مناجاة النبي ﷺ ﴿ خير لكم ﴾ لأن فيه اداء واجب وتحصيل ثواب ﴿ وأطهر ﴾ أي وأدعى لكم إلى مجانبة المعاصي وتركها وأزكى لكم تتطهرون بذلك بمناجاته كما تقدم الطهارة على الصلاة ﴿ فإن لم تجدوا ﴾ ما تتصدقون به ﴿ فإن الله غفور ﴾ يستر عليكم ترك ذلك ﴿ رحيم ﴾ يرحمكم وينعم عليكم ثم قال سبحانه ناسخاً لهذا الحكم ﴿ أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ﴾ يعني أخفتم الفاقة يا أهل الميسرة وبخلتم بالصدقة بين يدي نجواكم وهذا توبيخ لهم على ترك الصدقة إشفاقاً من العيلة ﴿ فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ﴾ لتقصيركم فيه ﴿ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ ورسوله ﴾ أي وأطيعوا رسوله أيضاً ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ أي عالم بأعمالكم من طاعة ومعصية وحسن وقبيح فيجازيكم بها ثم قال سبحانه ﴿ ألم تر ﴾ يا محمد ﴿ إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ﴾ والمراد به قوم من المنافقين كانوا يوالون اليهود ويفشون إليهم أسرار المؤمنين ويجتمعون معهم على ذكر مساءة النبي ﷺ والمؤمنين عن قتادة وابن زيد ﴿ ما هم منكم ولا منهم ﴾ يعني أنهم ليسوا من المؤمنين في الدين والولاية ولا من اليهود ﴿ ويحلفون على الكذب ﴾ أي ويحلفون أنهم لم ينافقوا ﴿ وهم يعلمون ﴾ أنهم منافقون ﴿ أعد الله لهم عذاباً شديداً ﴾ أي في الآخرة ﴿ انهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ أي بئس العمل عملهم وهو النفاق وموالاة أعداء الله

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ

ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ
يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ
ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ
مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ
إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم
بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ
حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

[القراءة] قرأ محمد بن حبيب الشموني عن الأعشى عن أبي بكر أو عشيراتهم على الجمع والباقون أو عشيرتهم على التوحيد وفي الشواذ قراءة الحسن اتخذوا إيمانهم بكسر الهمزة ورواية بعضهم عن عاصم كتب بضم الكاف في قلوبهم الإيمان بالرفع .

[الحجة] من قرأ ايمانهم حذف المضاف أي اتخذوا إظهار إيمانهم جنة ومن قرأ كتب في قلوبهم الإيمان فهو على حذف المضاف أيضاً أي كتب في قلوبهم علامة الإيمان

ومن أسند الفعل إلى الفاعل فلتقدم ذكر الإسم على ذلك ويدل عليه قوله ﴿ وأيدهم بروح منه ﴾ .

[اللغة] الجنة السترة التي تقي البلية وأصله الستر ومنه المجن الترس والاستحواذ الاستيلاء على الشيء بالاقتطاع له وأصله من حاذه يحوذه حوذاً مثل حازه يحوزه حوزاً .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه تمام الخبر عن المنافقين فقال ﴿ اتخذوا ايمانهم ﴾ التي يحلفون بها ﴿ جنة ﴾ أي سترة وترساً يدفعون بها عن نفوسهم التهمة والظنة إذا ظهرت منهم الريبة ﴿ فصدوا ﴾ نفوسهم وغيرهم ﴿ عن سبيل الله ﴾ الذي هو الحق والهدى ﴿ فلهم عذاب مهين ﴾ يهينهم ويذلهم ويخزيهم ﴿ لن تغني عنهم أموالهم ﴾ التي جمعوها ﴿ ولا أولادهم ﴾ الذين خلفوهم ﴿ من الله شيئاً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ ظاهر المعنى ﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له ﴾ أي يقسمون لله ﴿ كما يحلفون لكم ﴾ في دار الدنيا بأنهم كانوا مؤمنين في الدنيا في اعتقادهم وظنهم لأنهم كانوا يعتقدون أن ما هم عليه هو الحق ﴿ ويحسبون أنهم على شيء ﴾ أي ويحسب المنافقون في الدنيا أنهم مهتدون لأن في الآخرة تزول الشكوك وقال الحسن في القيامة مواطن فموطن يعرفون فيه قبح الكذب ضرورة فيتركونه وموطن يكونون فيه كالمدهوش فيتكلمون بكلام الصبيان الكذب وغير الكذب ويحسبون أنهم على شيء في ذلك الموضع الذي يحلفون فيه بالكذب ﴿ إلا أنهم هم الكاذبون ﴾ في ايمانهم وأقوالهم في الدنيا وقيل معناه أولئك هم الخائبون كما يقال كذب ظنه أي خاب أمله ﴿ استحوذ عليهم الشيطان ﴾ أي استولى عليهم وغلب عليهم لشدة اتباعهم إياه ﴿ فأنساهم ذكر الله ﴾ حتى لا يخافون الله ولا يذكرونه ﴿ أولئك حزب الشيطان ﴾ أي جنوده ﴿ ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ يخسرون الجنة ويحصل لهم بدلها النار ﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله ﴾ أي يخالفونه في حدوده ويشاقونه وهم المنافقون ﴿ أولئك في الأذلين ﴾ فلا أحد أذل منهم في الدنيا ولا في الآخرة قال عطاء يريد الذل في الدنيا والخزي في الآخرة ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ﴾ أي كتب الله في اللوح المحفوظ وما كتبه فلا بد من أن يكون أجرى قوله كتب الله مجرى القسم فأجابه بجواب القسم قال الحسن ما أمر الله نبياً قط بحرب إلا غلب أما في الحال أو فيما بعد وقال قتادة كتب الله كتاباً فأمضاه لأغلبن أنا ورسلي ويجوز أن يكون المعنى قضى الله ووعد لأغلبن أنا ورسلي بالحجج والبراهين وإن جاز أن يُغلب بعضهم في الحرب ﴿ إن الله قوي عزيز ﴾ أي غالب قاهر لمن نازع أولياءه ويروى أن المسلمين قالوا لما رأوا ما يفتح الله عليهم من القرى

ليفتحنّ الله علينا الروم وفارس فقال المنافقون أتظنون أن فارساً[١] والروم كبعض القرى التي غلبتم عليها فأنزل الله هذه الآية ثم قال سبحانه ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله** ﴾ أي يوالون من خالف الله ورسوله والمعنى لا تجتمع موالاة الكفار مع الإيمان والمراد به الموالاة في الدين ﴿**ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم** ﴾ أي وإن قربت قرابتهم منهم فإنهم لا يوالونهم إذا خالفوهم في الدين وقيل إن الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة ينذرهم بمجيء رسول الله إليهم وكان ﷺ أخفى ذلك فلما عوتب على ذلك قال أهلي بمكة أحببت أن يحوطوهم بيد تكون لي عندهم وقيل انها نزلت في عبد الله بن أبيّ وابنه عبيد الله بن عبد الله وكان هذا الابن عند النبي ﷺ فشرب النبي ﷺ فقال ابق فضلة من شرابك اسقها أبي لعل الله يطهر قلبه فأعطاه فأتى بها أباه فقال ما هذا فقال بقية شراب رسول الله ﷺ جئتك بها لتشربها لعل الله يطهر قلبك فقال هلا جئتني ببول أمك فرجع إلى النبي ﷺ فقال إئذن لي في قتله فقال بل ترفق به عن السُدّيّ ثم قال سبحانه ﴿ **أولئك كتب في قلوبهم الإيمان** ﴾ أي ثبت في قلوبهم الإيمان بما فعل بهم من الألطاف فصار كالمكتوب عن الحسن وقيل كتب في قلوبهم علامة الإيمان ومعنى ذلك أنها سمة لمن يشاهدهم من الملائكة على أنهم مؤمنون كما أن قوله في الكفار وطبع الله على قلوبهم علامة يعلم من شاهدها من الملائكة أنه مطبوع على قلبه عن أبي علي الفارسي ﴿ **وأيدهم بروح منه** ﴾ أي قوّاهم بنور الإيمان ويدل عليه قوله وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان عن الزجاج وقيل معناه وقوّاهم بنور[٢] الحجج والبراهين حتى اهتدوا للحق وعملوا به وقيل قوّاهم بالقرآن الذي هو حياة القلوب من الجهل عن الربيع وقيل أيدهم بجبرائيل في كثير من المواطن ينصرهم ويدفع عنهم ﴿ **ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم** ﴾ بإخلاص الطاعة والعبادة منهم ﴿ **ورضوا عنه** ﴾ بثواب الجنة وقيل رضوا عنه بقضائه عليهم في الدنيا فلم يكرهوه ﴿ **أولئك حزب الله** ﴾ أي جند الله وأنصار دينه ودعاة خلقه ﴿ **ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾ ألا كلمة تنبيه أن جنود الله وأولياءه هم المفلحون الناجون الظافرون بالبغية .

---

(١) في المخطوطة : ان فارس .

(٢) في نسخة : بنور في الحجج .

(٥٩) سورة الحشر مدنية وآياتها اربع وعشرون

[عدد آيها]

وهي أربع وعشرون آية بالإجماع .

[فضلها] أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا حجاب ولا السماوات السبع ولا الأرضون السبع والهوامّ والرياح والطير والشجر والدواب والشمس والقمر والملائكة إلا صلّوا عليه واستغفروا له وإن مات من يومه أو ليلته مات شهيداً وعن أبي سعيد المكاري عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ إذا أمسى الرحمن والحشر وكّل الله بداره ملكاً شاهراً سيفه حتى يصبح .

[تفسيرها] لما ختم الله سورة المجادلة بذكر حزب الشيطان وحزب الله افتتح هذه السورة بقهره حزب الشيطان وما نالهم بالجلاء من الخزي والهوان ونصرة حزبه من أهل الإيمان فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي

قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾

[القراءة] قرأ أبو عمرو يخرّبون بالتشديد والباقون يخربون ساكنة الخاء وخفيفة الراء وفي الشواذ قراءة طلحة بن مصرف يشاقق الله بقافين على الإظهار كالتي في الأنفال .

[الحجة] يقال خرب الموضع وأخربته وخربته قال الأعشى « وأخربت من أرض قوم ديارا » وحكي عن أبي عمرو أن الإخراب أن يترك الموضع خرباً والتخريب الهدم .

[اللغة] الحشر جمع الناس من كل ناحية ومنه الحاشر الذي يجمع النّاس إلى ديوان الخراج والجلاء الانتقال عن الديار والأوطان للبلاء يقال جلا القوم عن منازلهم جلاء وأجليتهم اجلاء واللينة النخلة وأصله من اللون قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها وجمعها ليان قال امرؤ القيس :

وَسَالِفَةٍ كَسَحُوقِ اللِّيَانِ أَضْرَمَ فِيهَا الْغَوِيُّ السُّعُرُ[1]

وقال ذو الرمة :

طِرَاقُ الْخَوَافِي وَاقِعٌ فَوْقَ لِينَةٍ بِذِي لَيْلَةٍ فِي رِيشِهِ يَتَرَقْرَقُ[2]

فكأن اللينة نوع من النخل أي ضرب منه وقيل هو من اللين للين ثمرها .

---

(١) السالفة : ناحية مقدم العنق والمراد هنا : العنق والسحوق من النخل : الجرداء الطويلة واضرم النار . أوقدها وأشعلها الغرض تشبيه عنق فرسه بالنخلة الجرداء التي أشعل النار فيها بشدة .

(٢) ريش طراق إذا كان بعضها فوق بعض والخوافي ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت ويترقرق أي يتحرك .

[الإعراب] مانعتهم حصونهم ارتفع حصونهم بقوله مانعتهم لأن اسم الفاعل جرى خبراً لأنّ فيرفع ما بعده .

[النزول] قيل نزلت السورة في اجلاء بني النضير من اليهود فمنهم من خرج إلى خيبر ومنهم من خرج إلى الشام عن مجاهد وقتادة وذلك أن النبي ﷺ لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك منهم فلما غزا رسول الله ﷺ بدراً وظهر على المشركين قالوا والله أنه للنبي الذي وجدنا نعته في التوراة لا تردّ له راية فلما غزا غزاة أحد وهزم المسلمون ارتابوا ونقضوا العهد فركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود إلى مكة فأتوا قريشاً وحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد ثم دخل أبو سفيان في أربعين وكعب في أربعين من اليهود المسجد وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار والكعبة ثم رجع كعب بن الأشرف وأصحابه إلى المدينة ونزل جبرائيل فأخبر النبي ﷺ بما تعاقد عليه وأبو سفيان وأمره بقتل كعب بن الأشرف فقتله محمد بن مسلم[1] الأنصاري وكان أخاه من الرضاعة قال محمد بن إسحاق خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فلما أتاهم النبي يستعينهم في الدية قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ثم خلا بعضهم ببعض فقال انكم لن تجدوا الرجل على مثل حالته هذه ورسول الله إلى جانب جدار من بيوتهم قاعد فقالوا من رجل يعلو على هذا البيت يلقي عليه صخرة ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وقال لأصحابه لا تبرحوا فخرج راجعاً إلى المدينة ولما استبطأوا النبي ﷺ قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلاً المدينة فأقبل أصحاب النبي ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما أرادت اليهود من الغدر وأمر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة بقتل كعب بن الأشرف فخرج ومعه سلكان بن سلامة وثلاثة من بني الحرث وخرج النبي ﷺ على أثرهم وجلس في موضع ينتظر وجوههم[2] فذهب محمد بن مسلمة مع القوم إلى قرب قصره وأجلس قومه عند جدار وناداه يا كعب فانتبه وقال من أنت قال أنا محمد بن مسلمة أخوك جئتك استقرض منك دراهم فإن محمداً يسألنا الصدقة وليس معنا الدراهم فقال[3] لا أقرضك إلا بالرهن قال معي رهن أنزل فخذه وكانت له امرأة بنى بها تلك الليلة عروساً فقالت لا أدعك تنزل لأني أرى حمرة الدم في ذلك الصوت فلم يلتفت

(١) في نسخة : مسلمة . (٢) في المخطوطة : رجوعهم . (٣) فيها أيضاً : قال كعب .

إليها فخرج فعانقه محمد بن مسلمة وهما يتحادثان حتى تباعدا من القصر إلى الصحراء ثم أخذ رأسه ودعا بقومه وصاح كعب فسمعت امرأته فصاحت وسمع بنو النضير صوتها فخرجوا نحوه فوجدوه قتيلاً ورجع القوم سالمين إلى رسول الله ﷺ فلما أسفر الصبح أخبر رسول الله ﷺ أصحابه بقتل كعب ففرحوا وأمر رسول الله ﷺ بحربهم والسير إليهم فسار بالناس حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصن فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها فنادوا[1] يا محمد قد كنت تنهى عن الفحشاء فما بالك تقطع النخل وتحرقها فأنزل الله ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها الآية وهي البويرة في قول حسان .

وَهَانَ عَلَىٰ سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالْبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

والبويرة تصغير بؤرة وهي إرَة النار أي حفرتها وقال ابن عباس كان النبي ﷺ حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم فصاحلهم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من أرضهم وأوطانهم وأن يسيرهم إلى أذرعات بالشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعير أو سقاء فخرجوا إلى أذرعات بالشام وأريحا إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة وكان ابن عباس يسمي هذه السورة سورة بني النضير وعن محمد بن مسلمة أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال وعن محمد بن إسحاق كان إجلاء بني النضير مرجع النبي ﷺ من أحد وكان فتح قريظة مرجعه من الأحزاب وبينهما سنتان وكان الزهري يذهب إلى أن اجلاء بني النضير كان قبل أحد على رأس ستة أشهر من وقعة بدر .

[المعنى] ﴿ سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ مضى تفسيره ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ يعني يهود بني النضير ﴿ من ديارهم ﴾ بأن سلط الله المؤمنين عليهم وأمر نبيه ﷺ بإخراجهم من منازلهم وحصونهم وأوطانهم ﴿ لأول الحشر ﴾ اختلف في معناه فقيل كان جلاؤهم ذلك أول حشر اليهود إلى الشام ثم يحشر الناس يوم القيامة إلى أرض الشام أيضاً وذلك الحشر الثاني عن ابن عباس والزهري والجبائي قال ابن عباس قال لهم النبي ﷺ أخرجوا قالوا إلى أين قال إلى أرض المحشر وقيل معناه لأول الجلاء عن البلخي لأنهم كانوا أول من أجلي من أهل الذمة من جزيرة العرب ثم أجلى اخوانهم من اليهود لئلا يجتمع في بلاد العرب دينان وقيل انما قال

(١) في نسختين فنادوه .

لأول الحشر لأن الله فتح على نبيه ﷺ في أول ما قاتلهم عن يمان بن رباب ﴿ **ما ظننتم أن يخرجوا** ﴾ أي لم تظنوا أيها المؤمنون أنهم يخرجون من ديارهم لشدتهم وشوكتهم ﴿ **وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله** ﴾ أي وظن بنو النضير أن حصونهم لوثاقتها تمنعهم من سلطان الله وانزال العذاب بهم على يد رسول الله ﷺ حيث حصنوها وهيّأوا آلات الحرب فيها ﴿**فأتاهم الله** ﴾ أي فأتاهم أمر الله وعذابه ﴿ **من حيث لم يحتسبوا** ﴾ أي لم يتوهموا أن يأتيهم لما قدروا في أنفسهم من المنعة جعل الله سبحانه امتناعهم من رسوله امتناعاً منه ﴿ **وقذف في قلوبهم الرعب** ﴾ وألقى سبحانه في قلوبهم الرعب بقتل سيدهم كعب بن الأشرف ﴿ **يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين** ﴾ أي يهدمون بيوتهم بأيديهم من داخل ليهربوا لا أنهم خربوا ما استحسنوا منها حتى لا يكون للمسلمين ويخربها المؤمنون من خارج ليصلوا إليهم عن الحسن وقيل أن معنى تخريبها بأيدي المؤمنين أنهم عرضوها لذلك عن الزجاج وقيل أنهم كانوا يخربون بيوتهم بأيديهم بنقض الموادعة وبأيدي المؤمنين بالمقاتلة ﴿ **فاعتبروا يا أولي الأبصار** ﴾ أي فاتعظوا يا أولي العقول والبصائر وتدبروا وانظروا فيما نزل بهم ومعنى الاعتبار النظر في الأمور ليعرف بها شيء آخر من جنسها والمراد استدلوا بذلك على صدق الرسول إذ كان وعد المؤمنين أن الله سبحانه سيورثهم ديارهم وأموالهم بغير قتال فجاء المخبر على ما أخبر فكان آية دالة على نبوته ولا دليل في الآية على صحة القياس في الشريعةلأن الاعتبار ليس من القياس في شيء لما ذكرناه ولأنه لا سبيل لأهل القياس إلى العلم بالترجيح ولا يعلم كل من الفريقين علة الأصل للآخر فإن علة الربا عند أحدهما الكيل والوزن والجنس وعند الآخر الطعم والجنس وفي الدراهم والدنانير لأنهما جنس الأثمان وقال آخرون أشياء أخر وليس هذا باعتبار إذ لا سبيل إلى المعرفة به ﴿ **ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء** ﴾ أي حكم عليهم أنهم يجلون عن ديارهم[1] وينقلون عن أوطانهم ﴿ **لعذبهم في الدنيا** ﴾ بعذاب الإستئصال[2] أو القتل والسبي كما فعل ببني قريظة لأنه تعالى علم أن كلا الأمرين في المصلحة سواء وقد سبق حكمه بالجلاء ﴿ **ولهم في الآخرة** ﴾ مع الجلاء عن الأوطان ﴿ **عذاب النار** ﴾ لأن أحداً منهم لم يؤمن وقيل أن ذلك مشروط بالإصرار وترك التوبة ﴿ **ذلك** ﴾ الذي فعلنا بهم ﴿ **بأنهم شاقوا الله** ﴾ أي خالفوا الله ورسوله ثم توعد من حذا حذوهم وسلك سبيلهم في مشاقة الله ورسوله فقال ﴿ **ومن يشاقّ الله** ﴾ أي يخالفه ﴿ **فإن الله شديد العقاب** ﴾ يعاقبهم على مشاقّتهم أشد العقاب ﴿ **ما قطعتم من لينة** ﴾ أي نخلة كريمة

(١) جملة « وينقلون عن ديارهم » زائدة .

(٢) في المخطوطة ليست لفظة « أو » .

من أنواع النخيل عن مجاهد وابن زيد وقيل كل نخلة سوى العجوة عن ابن عباس وقتادة ﴿ أو تركتموها قائمة على أصولها ﴾ فلم تقطعوها ولم تقلعوها ﴿ فبإذن الله ﴾ أي بأمره كل ذلك سائغ لكم علم الله سبحانه ذلك وأذن فيه ليذل به أعداءه ﴿ وليخزي الفاسقين ﴾ من اليهود ويهينهم به لأنهم إذا رأوا عدوهم يتحكم في أموالهم كان ذلك خزياً لهم .

﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ
مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ
فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ
ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ
فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ
وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ
وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى
صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾
وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ
سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ

رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر كيلا تكون بالتاء دولة بالرفع والباقون يكون بالياء دولة بالنصب .

[الحجة] قال ابن جني منهم من لا يفصل بين الدولة والدولة ومنهم من يفصل بينهما فقال الدولة بالفتح للمُلك والدولة بالضم في الملك وتكون هنا هي التامة أي كيلا يقع دولة أو تحدث دولة وبين الأغنياء إن شئت كانت صفة لدولة وإن شئت كانت متعلقة بنفس دولة أي تداولاً بين الأغنياء وإن شئت علقتها بنفس تكون أي لا يحدث بين الأغنياء منكم وإن شئت جعلتها كان الناقصة وجعلت بين خبراً عنها والأول أوجه ومعناه كيلا تقع دولة فيه أو عليه يعني على المفاء من عند الله .

[اللغة] الفيء رد ما كان للمشركين على المسلمين بتمليك الله إياهم ذلك على ما شرط فيه يقال فاء يفيء فيئاً إذا رجع وأفأته انا عليه أي رددته عليه والإيجاف الإيضاع وهو تسيير الخيل أو الركاب من وجف يجف وجيفاً وهو تحرك باضطراب فالإيجاف الازعاج للسير والركاب الابل والخصاصة الإملاق والحاجة وأصله الاختصاص وهو الانفراد بالأمر فكأنه انفراد الإنسان عما يحتاج إليه وقيل أصله الفرجة يقال للقمر بدا من خَصاص الغيم أي فرجته ومنه الخص البيت من القصب لما فيه من الفرج والشحّ والبخل واحد وقيل أن الشح بخل مع حرص .

[النزول] قال ابن عباس نزل قوله ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ الآية في أموال كفار أهل القرى وهم قريظة وبني النضير وهما بالمدينة وفدك وهي من المدينة على ثلاثة أميال وخيبر وقرى عرينة وينبع جعلها الله لرسوله يحكم فيها ما أراد وأخبر أنها كلها له فقال أناس فهلا قسمها فنزلت الآية وقيل إن الآية الأولى بيان أموال بني النضير خاصة لقوله ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم ﴾ الآية والثانية بيان الأموال التي أصيبت بغير قتال وقيل انهما واحد والآية الثانية بيان قسم المال الذي ذكره الله في الآية الأولى وقال أنس بن مالك أهدي لبعض الصحابة رأس مشويّ وكان مجهوداً فوجه به إلى جار له فتداولته تسعة أنفس ثم عاد إلى الأول فنزل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يوم بني النضير للانصار أن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم وديياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقال الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها

فنزلت ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ﴾ الآية وقيل نزلت في سبعة عطشوا في يوم أحد فجيء بماء يكفي لأحدهم فقال واحد منهم ناول فلاناً حتى طيف على سبعتهم وماتوا ولم يشرب أحد منهم فأثنى الله سبحانه عليهم وقيل نزلت في رجل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال أطعمني فإني جائع فبعث إلى أهله فلم يكن عندهم شيء فقال من يضيفه هذه الليلة فأضافه رجل من الأنصاروأتى به منزله ولم يكن عنده إلا قوت صبية له فأتوا بذلك إليه وأطفأوا السراج وقامت المرأة إلى الصبية فعلّلتهم حتى ناموا وجعلا يمضغان ألسنتهما لضيف رسول الله ﷺ فظن الضيف أنهما يأكلان معه حتى شبع الضيف وباتا طاويين فلما أصبحا غدوا إلى رسول الله ﷺ فنظر إليهما وتبسم وتلا عليهما هذه الآية وأما الذي رويناه بإسناد صحيح عن أبي هريرة أن الذي أضافه ونوّم الصبية وأطفأ السراج علي (ع) وفاطمة (ع) .

[المعنى] ثم بين سبحانه حال أموال بني النضير فقال ﴿وما أفاء الله على رسوله منهم﴾ أي من اليهود الذين أجلاهم وإن كان الحكم سارياً في جميع الكفار الذين حكمهم حكمهم ﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾ والإيجاف دون التقريب وقيل الايجاف في الخيل والايضاع في الابل وقيل هما مستعملان فيهما جميعاً أي فما أوجفتم عليه خيلاً ولا ابلاً والمعنى لم تسيروا اليها على خيل ولا ابل وإنما كانت ناحية من[1] المدينةمشيتم إليها مشياً وقوله عليه أي على ما افاء الله والركاب الابل التي تحمل القوم واحدتها راحلة ﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء﴾ أي يمكنهم من عدوهم من غير قتال بأن يقذف الرعب في قلوبهم جعل الله أموال بني النضير لرسوله خالصة يفعل بها ما يشاء فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئاً إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ثم ذكر سبحانه حكم الفيء فقال ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ أي من أموال كفار أهل القرى ﴿فلله﴾ يأمركم فيه بما أحب ﴿وللرسول﴾ بتمليك الله إياه ﴿ولذي القربى﴾ يعني أهل بيت رسول الله وقرابته وهم بنو هاشم ﴿واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ منهم لأن التقدير ولذي قرباه ويتامى أهل بيته ومساكينهم وابن السبيل منهم وروى المنهال بن عمرو عن علي بن الحسين (ع) قال قلت قوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل قال هم قربانا ومساكيننا وابناء سبيلنا وقال جميع الفقهاء هم يتامى الناس عامة وكذلك المساكين وابناء السبيل وقد روي أيضاً ذلك عنهم (ع) وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) أنه قال كان أبي يقول لنا سهم رسول

(١) في نسخة : من نواحي المدينة .

الله ﷺ وسهم ذي القربى ونحن شركاء الناس فيما بقي والظاهر يقتضي أن ذلك لهم سواء كانوا أغنياء أو فقراء وهو مذهب الشافعي وقيل إن مال الفيء للفقراء من قرابة رسول الله ﷺ وهم بنو هاشم وبنو المطلب وروي عن الصادق (ع) أنه قال نحن قوم فرض الله طاعتنا ولنا الانفال ولنا صفو المال يعني ما كان يصطفى لرسول الله ﷺ من فره الدواب وحسان الجواري والدرة الثمينة والشيء الذي لا نظير له ثم بين سبحانه أنه لم فعل ذلك فقال ﴿كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم يكون لهذا مرة ولهذا مرة أي لئلا يكون الفيء متداولاً بين الرؤساء منكم يعمل فيه كما كان يعمل في الجاهلية وهذا خطاب للمؤمنين دون الرسول وأهل بيته (ع) قال الكلبي نزلت في رؤساء المسلمين قالوا له يا رسول الله خذ صفيك والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية وأنشدوا :

لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا والصَّفَايَا وَحُكْمُكَ والنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ[1]

فنزلت الآية فقالت الصحابة سمعاً وطاعة لأمر الله وأمر رسوله ثم قال سبحانه ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ أي ما أعطاكم الرسول من الفيء فخذوه وارضوا به وما أمركم به فافعلوه وما نهاكم عنه فانتهوا عنه فإنه لا يأمر ولا ينهى إلا عن أمر الله وهذا عام في كل ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه وان نزل في آية الفيء وروى زيد الشحام عن أبي عبد الله (ع) قال ما أعطى الله نبياً من الأنبياء شيئاً إلا وقد أعطى محمداً ﷺ قال لسليمان فامنن او امسك بغير حساب وقال لرسول الله ﷺ ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴿فاتقوا الله﴾ في ترك المعاصي وفعل الواجبات ﴿إن الله شديد العقاب﴾ لمن عصاه وترك أوامره وفي هذه الآية اشارة إلى أن تدبير الأمة إلى النبي ﷺ وإلى الأئمة القائمين مقامه ولهذا قسم رسول الله ﷺ اموال خيبر ومنّ عليهم في رقابهم وأجلى بني النضير وبني قينقاع وأعطاهم شيئاً من المال وقتل رجال بني قريظة وسبى ذراريهم ونساءهم وقسم أموالهم على المهاجرين ومنّ على أهل مكة ثم قال سبحانه ﴿للفقراء المهاجرين﴾ الذين هاجروا من مكة إلى المدينة ومن دار الحرب إلى دار الإسلام ﴿الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾ التي كانت لهم ﴿يبتغون﴾ أي يطلبون ﴿فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله﴾ أي وينصرون دين الله ﴿ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ في الحقيقة عند الله العظيم المنزلة عنده قال الزجاج بين سبحانه من المساكين الذين لهم الحق فقال للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم ثم ثنى سبحانه بوصف الأنصار ومدحهم حتى

(١) النشيطة ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل الوصول إلى الموضع الذي قصدوه .

طابت انفسهم عن الفيء فقال ﴿والذين تبوأوا الدار﴾ يعني المدينة وهي دار الهجرة تبوأها الانصار قبل المهاجرين وتقدير الآية والذين تبوأوا الدار من قبلهم ﴿والإيمان﴾ لأن الأنصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين وعطف الإيمان على الدار في الظاهر لا في المعنى لأن الإيمان ليس بمكان يتبوأوا لتقدير وآثروا الإيمان وقيل ﴿من قبلهم﴾)أي من قبل قدوم المهاجرين عليهم وقيل معناه قبل إيمان المهاجرين والمراد به أصحاب ليلة العقبة وهم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ على حرب الأبيض والأحمر يحبون من هاجر إليهم لأنهم احسنوا إلى المهاجرين واسكنوهم دورهم وأشركوهم في أموالهم ﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ أي لا يجدون في قلوبهم حسداً وحزازة وغيظاً مما أعطي المهاجرون دونهم من مال بني النضير ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾ أي ويؤثرون المهاجرين ويقدمونهم على أنفسهم بأموالهم ومنازلهم ﴿ولو كان بهم خصاصة﴾ أي فقر وحاجة بيّن سبحانه أن ايثارهم لم يكن عن غنى عن المال ولكن كان عن حاجة فيكون ذلك اعظم لأجرهم وثوابهم عند الله ويروى ان أنس بن مالك كان يخلف بالله تعالى ما في الأنصار بخيل ويقرأ هذه الآية ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ أي ومن يدفع عنه ويمنع عنه بخل نفسه ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ أي المنجحون الفائزون بثواب الله ونعيم جنته وقيل من لم يأخذ شيئاً نهاه الله عنه ولم يمنع شيئاً امره الله بأدائه فقد وقي شح نفسه عن ابن زيد وقيل شح النفس هو أخذ الحرام ومنع الزكاة عن سعيد ابن جبير وفي الحديث لا يجتمع الشح والإيمان في قلب رجل مسلم ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف رجل مسلم وقيل في موضع قوله والذين تبوأوا الدار قولان (أحدهما) أنه رفع على الابتداء وخبره يحبون من هاجر إليهم إلى آخره لأن النبي ﷺ لم يقسم لهم شيئاً من الفيء إلا لرجلين أو لثلاثة على اختلاف الرواية فيه (والآخر) أنه في موضع جر عطفاً على الفقراء المهاجرين وعلى هذا فيكون قوله يحبون من هاجر إليهم وما بعده في موضع نصب على الحال ثم ثلث سبحانه بوصف التابعين فقال ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾ يعني من بعد المهاجرين والأنصار وهم جميع التابعين لهم إلى يوم القيامة عن الحسن وقيل هم كل من أسلم[1] بعد انقطاع الهجرة وبعد إيمان الانصار عن الأصم وأبي مسلم والظاهر ان المراد والذين خلفوهم ويجوز أن يكون المراد من بعدهم في الفضل وقد يعبر بالقبل والبعد عن الفضل كقول النبي ﷺ نحن الآخرون السابقون أي الآخرون في الزمان السابقون في الفضل ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ أي

(١) في المخطوطة: من أسلم قبل . . .

يدعون ويستغفرون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا﴾ أي حقداً وغشا وعداوة سألوا الله سبحانه أن يزيل ذلك بلطفه وهاهنا احتراز لطيف وهو انهم احسنوا الدعاء للمؤمنين ولم يرسلوا القول ارسالاً والمعنى اعصمنا ربنا من إرادة السوء بالمؤمنين ولا شك ان من أبغض مؤمناً وأراد به السوء لأجل ايمانه فهو كافر وإذا كان لغير ذلك فهو فاسق ﴿ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ أي متعطف على العباد منعم عليهم .

﴿ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ
وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ
لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾
لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا
يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن
وَرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا
ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وأبو عمرو من وراء جدار على التوحيد والباقون من وراء جدر على الجمع وفي الشواذ قراءة أبي رجاء وأبي حية جدر بسكون الدال .

[الحجة] قال أبو علي المعنى في الجمع انهم لا يصحرون معكم للقتال ولا يبرزون لكم ولا يقاتلونكم حتى يكون بينكم وبينهم حاجز من حصن او سور فإذا كان كذلك فالمعنى على الجمع إذ ليس المعنى انهم يقاتلونهم من وراء جدار واحد ولكن من وراء جدر كما لا

يقاتلونكم إلا في قرىء محصنة فكما ان القرى جماعة كذلك الجدر ينبغي أن تكون جمعاً فكان المراد في الافراد الجمع لأنه يعلم انهم لا يقاتلونهم من وراء جدار واحد قال ابن جني ويجوز أن يكون جدار تكسير جدار فتكون الف جدار في الواحد كألف كتاب وفي الجمع كألف ضرام وكرام ومثله ناقة هجان ونوق هجان ودرع دلاص وادرع دلاص قال ومثله قوله سبحانه واجعلنا للمتقين إماماً يكون إمام على ما شرحناه .

[الإعراب] لأنتم اشد رهبة في صدورهم من الله أي من رهبتهم من الله فحذف. كمثل الذين من قبلهم أي مثلهم كمثل الذين من قبلهم فحذف المبتدأ وكذلك قوله كمثل الشيطان .

[المعنى] لما وصف سبحانه المهاجرين الذين هاجروا الديار والاوطان ثم مدح الانصار الذين تبوؤا الدار والإيمان ثم ذكر التابعين بإحسان وما يستحقونه من النعيم في الجنان عقب ذلك بذكر المنافقين وما أسرّوه من الكفر والعصيان فقال ألم تر يا محمد ﴿إلى الذين نافقوا﴾ فأبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان ﴿يقولون لاخوانهم﴾ في الكفر ﴿الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ يعني يهود بني النضير ﴿لئن أخرجتم﴾ من دياركم وبلادكم ﴿لنخرجن معكم﴾ مساعدين لكم ﴿ولا نطيع فيكم﴾ أي في قتالكم ومخاصمتكم ﴿أحداً أبداً﴾ يعنون محمداً ﷺ وأصحابه ووعدوهم النصر بقولهم ﴿وان قوتلتم لننصرنكم﴾ أي لندفعن عنكم ثم كذّبهم الله في ذلك بقوله ﴿والله يشهد انهم لكاذبون﴾ فيما يقولونه من الخروج معهم والدفاع عنهم ثم أخبر سبحانه انهم يخلفونهم ما وعدوه من النصر والخروج بقوله ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم﴾ أي ولئن قدّر وجود نصرهم لأن ما نفاه الله تعالى لا يجوز وجوده ﴿ليولنّ الأدبار﴾ أي ينهزمون ويسلمونهم وقيل معناه لئن نصرهم من يفي منهم لولوا الادبار فعلى هذا لا تنافي بين قوله لا ينصرونهم وقوله لئن نصروهم فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية عما لا يكون منهم ان لو كان كيف كان يكون ﴿ثم لا ينصرون﴾ أي ولو كان لهم هذه القوة وفعلوا لم ينتفع اولئك بنصرتهم نزلت الآية قبل اخراج بني النضير وأخرجوا بعد ذلك وقوتلوا فلم يخرج معهم منافق ولم ينصروهم كما أخبر الله تعالى بذلك وقيل أراد بقوله لإخوانهم بني النضير وبني قريظة فأخرج بنو النضير ولم يخرجوا معهم وقوتل بنو قريظة فلم ينصروهم ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال ﴿لأنتم أشد رهبة﴾ أي خوفاً ﴿في صدورهم﴾ أي في قلوب هؤلاء المنافقين ﴿من الله﴾ المعنى أن خوفهم منكم أشد من خوفهم من الله لأنهم يشاهدونكم ويعرفونكم ولا يعرفون الله وهو قوله

﴿ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾ الحق ولا يعلمون عظمة الله وشدة عقابه ﴿لا يقاتلونكم﴾ معاشر المؤمنين ﴿جميعاً إلا في قرى محصنة﴾ أي ممتنعة حصينة المعنى أنهم لا يبرزون لحربكم وإنما يقاتلونكم متحصنين بالقرى ﴿أو من وراء جدر﴾ أي يرمونكم من وراء الجدران بالنبل والحجر ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ أي عداوة بعضهم لبعض شديدة يعني أنهم ليسوا بمتفقي القلوب وقيل معناه قوتهم فيما بينهم شديدة فإذا لاقوكم جبنوا ويفزعون[1] منكم بما قذف الله في قلوبهم من الرعب ﴿تحسبهم جميعاً﴾ أي مجتمعين في الظاهر ﴿وقلوبهم شتى﴾ أي مختلفة متفرقة خذلهم الله باختلاف كلمتهم وقيل إنه عنى بذلك قلوب المنافقين وأهل الكتاب عن مجاهد ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ ما فيه الرشد مما فيه الغي وإنما كان قلوب من يعمل بخلاف العقل شتى لاختلاف دواعيهم وأهوائهم وداعي الحق واحد وهو العقل الذي يدعو إلى طاعة الله والإحسان في الفعل ﴿كمثل الذين من قبلهم قريباً﴾ أي مثلهم في اغترارهم بعددهم وبقوتهم وبقول المنافقين كمثل الذين من قبلهم يعني المشركين الذين قتلوا ببدر وذلك قبل غزاة بني النضير لستة أشهر عن الزهري وغيره وقيل إن الذين من قبلهم قريباً هم بنو قينقاع عن ابن عباس وذلك أنهم نقضوا العهد مرجع رسول الله ﷺ من بدر فأمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا وقال عبد الله بن أبيّ لا تخرجوا فإني آتي النبي ﷺ فاكلمه فيكم أو أدخل معكم الحصن فكان هؤلاء ايضاً في ارسال عبد الله بن أبيّ اليهم ثم ترك[2] نصرتهم كاولئك ﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾ أي عقوبة كفرهم ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الآخرة .

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ
قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ
ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ
فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ

(١) في نسخة تفرقوا وفي أخرى يفرقون بدل يفزعون .
(٢) في المخطوطة: ثم تركه .

بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

[اللغة] اصل غد غدو الا انه لم يأت في القرآن الا محذوف الواو وجاء في الشعر بحذف الواو واثباتها(١)

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلُهَا ... بِهَا يَوْمَ حَلُّوهَا وَغَدْواً بَلَاقِعُ

وقال آخر:

لَا تَقْلُوَاهَا وَادْلُوَاهَا دَلْواً ... إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ أَخَاهَا غَدْواً(٢)

[المعنى] ثم ضرب سبحانه لليهود والمنافقين مثلاً فقال ﴿كمثل الشيطان﴾ أي مثل المنافقين في غرورهم لبني النضير وخذلانهم إياهم كمثل الشيطان ﴿إذ قال للإنسان اكفر﴾ وهو عابد بني اسرائيل عن ابن عباس قال أنه كان في بني إسرائيل عابد اسمه برصيصاً عبد الله زماناً من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوّذهم فيبرؤن على يده وانه أتي بامرأة في شرف قد جنت وكان لها اخوة فأتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها ودفنها فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي احد اخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب وأنه دفنها في مكان كذا ثم أتى بقية اخوتها رجلاً رجلاً فذكر ذلك له فجعل الرجل يلقى أخاه فيقول والله لقد أتاني آت فذكر لي شيئاً يكبر عليّ ذكره فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فسار الملك والناس فاستنزلوه(٣) فأقر لهم بالذي فعل فأمر به فصلب فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال أنا الذي ألقيتك في هذا فهل أنت مطيعي فيما أقول لك أخلصك مما أنت فيه قال نعم قال اسجد لي سجدة واحدة فقال كيف اسجد لك وأنا على هذه الحالة فقال اكتفي منك بالإيماء فأومى له بالسجود فكفر بالله وقتل الرجل فهو قوله كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ﴿فلما كفر قال إني بريء منك﴾ ضرب الله هذه القصة لبني النضير حين اغتروا بالمنافقين ثم تبرأوا منهم عند الشدة

(١) [قال الشاعر في اثباتها] .
(٢) ثلا الابل: طردها وعاد ساقها ودلا الناقة: سيرها رويداً .
(٣) في نسخة: فاستزلوه .

وأسلموهم وقيل أراد كمثل الشيطان يوم بدر إذ دعا إلى حرب رسول الله ﷺ فلما رأى الملائكة رجع القهقرى وقال اني أخاف الله وقيل أراد بالشيطان والانسان اسم الجنس لا المعهود فإن الشيطان أبدا يدعو الإنسان إلى الكفر ثم يتبرأ منه وقت الحاجة عن مجاهد وإنما يقول الشيطان ﴿إني أخاف الله رب العالمين﴾ يوم القيامة ثم ذكر سبحانه أنهما صارا إلى النار بقوله ﴿فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها﴾ يعني عاقبة الفريقين الداعي والمدعو من الشيطان ومن اغواه من المنافقين واليهود انهما معذبان في النار ﴿وذلك جزاء الظالمين﴾ أي وذلك جزاؤهم ثم رجع إلى موعظة المؤمنين فقال سبحانه ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ يعني ليوم القيامة والمعنى لينظر كل امرىء ما الذي قدمه لنفسه أعملاً صالحاً ينجيه أم سيئاً يوبقه ويرديه فإنه وارد عليه قال قتادة إن ربكم قرّب الساعة حتى جعلها كغد وأمركم بالتدبر والتفكر فيما قدمتم ﴿واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ إنما كرر الأمر بالتقوى لأن الأولى للتوبة عما مضى من الذنوب والثانية لاتقاء المعاصي في المستقبل وقيل إن الثانية تأكيد للأولى ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله﴾ أي تركوا أداء حق الله ﴿فأنساهم أنفسهم﴾ بأن حرمهم حظوظهم من الخير والثواب وقيل نسوا الله بترك ذكره بالشكر والتعظيم فأنساهم أنفسهم بالعذاب الذي نسي به بعضهم بعضاً كما قال فسلموا على أنفسكم أي ليسلم بعضكم على بعض عن الجبائي ويريد به بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع عن ابن عباس ﴿أولئك هم الفاسقون﴾ الذين خرجوا من طاعة الله إلى معصيته ﴿لا يستوي اصحاب النار وأصحاب الجنة﴾ أي لا يتساويان لأن هؤلاء يستحقون النار وأولئك يستحقون الجنة ﴿أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ بثواب الله الظافرون بطلبتهم .

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ

لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

[فضلها] عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وعن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي فإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً ومن قاله حين يمسي كان بتلك المنزلة وعن أبي هريرة قال سألت حبيبي رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم فقال عليك بآخر سورة الحشر وأكثر قراءتها فأعدت عليه فأعاد عليّ وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال من قرأ خواتيم الحشر من ليل أو نهار فقبض في ذلك اليوم أو الليلة فقد أوجبت له الجنة وعن أنس عن النبي ﷺ قال من قرأ لو أنزلنا هذا القرآن إلى آخرها فمات من ليلته مات شهيداً .

[اللغة] التصدع التفرق بعد التلاؤم ومثله التفطر يقال صدعه يصدعه صدعاً ومنه الصداع في الرأس والقدوس المعظم بتطهير صفاته من ان تدخلها صفة نقص قال ابن جني ذكر سيبويه في الصفة السبوح والقدوس بالضم والفتح وإنما باب الفعّول الاسم كسُبُّوط وسمّور وتنّور وسفّود والمهيمن اصله مئيمن على مفيعل من الأمانة فقلبت الهمزة هاء فخم اللفظ بها لتفخيم المعنى .

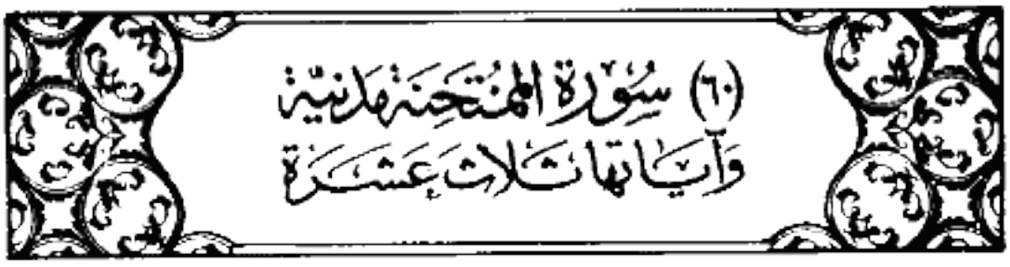
[المعنى] ثم عظم سبحانه حال القرآن فقال ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾ تقديره لو كان الجبل مما ينزل عليه القرآن ويشعر به مع غلظه وجفاء طبعه وكبر جسمه لخشع لمنزله وتصدع من خشية الله تعظيماً لشأنه فالإنسان أحق بهذا لو عقل الأحكام التي فيه وقيل معناه لو كان الكلام ببلاغته يصدع الجبل لكان هذا القرآن يصدعه وقيل إن المراد به ما يقتضيه الظاهر بدلالة قوله وإن منها لما يهبط من خشية الله وهذا وصف للكافر بالقسوة حيث لم يلن قلبه لمواعظ القرآن الذي لو نزل على جبل لتخشع ويدل على أن هذا تمثيل قوله ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ أي ليتكفروا ويعتبروا ثم أخبر سبحانه بربوبيته وعظمته فقال ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾ أي هو المستحق للعبادة الذي لا تحق العبادة إلا له ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي عالم بما يشاهده العباد وعالم بما يغيب عنهم علمه وقيل عالم الغيب معناه عالم بما لا يقع عليه الحس من

المعدوم والموجود الذي لا يدرك مما هو غائب عن الحواس كأفعال القلوب وغيرها والشهادة أي عالم بما يصح عليه الادراك بالحواس وقيل معناه عالم السر والعلانية عن الحسن وفي هذا وصفه سبحانه بأنه عالم بجميع المعلومات لأنها لا تعدو هذين القسمين وعن أبي جعفر (ع) قال الغيب ما لم يكن والشهادة ما كان ﴿هو الرحمن﴾ أي المنعم على جميع خلقه ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين ثم أعاد سبحانه قوله ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك﴾ يعني السيد المالك لجميع الأشياء الذي له التصرف فيها على وجه ليس لأحد منعه منه وقيل هو الواسع القدرة ﴿القدوس﴾ أي الطاهر من كل عيب ونقص وآفة المنزه عن القبائح وقيل هو المطهر عن الشريك والولد لا يوصف بصفات الأجسام ولا بالتجزئة والانقسام وقيل هو المبارك الذي تنزل البركات من عنده عن الحسن ﴿السلام﴾ أي الذي سلم عباده من ظلمه وقيل هو المسلم من كل عيب ونقص وآفة وقيل هو الذي من عنده ترجى السلامة عن الجبائي وهو اسم من السلامة وأصله مصدر فهو مثل الجلال والجلالة ﴿المؤمن﴾ الذي أمن خلقه من ظلمه لهم إذ قال لا يظلم مثقال ذرة عن ابن عباس[1] وقيل الذي آمن بنفسه قبل إيمان خلقه به عن الحسن وأشار إلى قوله ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ الآية والمعنى أنه بيّن لخلقه توحيده وإلهيته بما أقام لهم من الدلائل وقيل معناه المصدق لما وعد المحقق له كالمؤمن الذي يصدق قوله فعله وقيل هو الذي أمن أولياؤه عذابه وقيل هو الداعي إلى الإيمان الآمر به الموجب لأهله اسمه عن أبي مسلم ﴿المهيمن﴾ أي الأمين حتى لا يضيع لأحد عنده حق عن ابن عباس والضحاك والجبائي وقيل هو الشاهد عن مجاهد وقتادة كأنه شهيد على إيمان من آمن به وقيل هو المؤمن في المعنى لأن أصله المؤيمن إلا أنه أشد مبالغة في الصفة وقيل هو الرقيب على الشيء يقال هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيباً على الشيء ﴿العزيز﴾ أي القادر الذي لا يصح عليه القهر وقيل هو المنيع الذي لا يرام ولا يمتنع عليه مرام ﴿الجبار﴾ وهو العظيم الشأن في الملك والسلطان ولا يستحق ان يوصف به على هذا الاطلاق إلا الله تعالى فإن وصف به العباد فإنما يوضع اللفظ في غير موضعه ويكون ذماً وقيل هو الذي يذل له من دونه ولا تناله يد وقيل هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد عن السدي ومقاتل وهو اختيار الزجاج فيكون من جَبره على كذا إذا أكرهه وقيل هو الذي يجبر الفقير من قولهم جبر الكسير إذا اصلحه عن واصل بن عطا ﴿المتكبر﴾ أي المستحق لصفات التعظيم وقيل هو الذي يكبر عن كل سوء عن قتادة وقيل هو المتعالي عن صفات المحدثين المتعظم عما لا

(١) في نسخة: والجبائي.

يليق به ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ أي تنزيهاً له عما يشرك به المشركون من الأصنام وغيرها ﴿هو الله الخالق﴾ للأجسام والأعراض المخصوصة وقيل المقدر للأشياء بحكمته المحدث للأشياء على إرادته ﴿البارىء﴾ المنشىء للخلق الفاعل للأجسام والأعراض ﴿المصور﴾ الذي صور الأجسام على اختلافها مثل الحيوان والجماد ﴿له الأسماء الحسنى﴾ نحو الله الرحمن الرحيم القادر العالم الحي وقد مر بيانه في سورة الأعراف ﴿يسبح له ما في السماوات والأرض﴾ أي ينزهه جميع الأشياء فالحي يصفه بالتنزيه والجماد يدل على تنزيهه ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ اسم الله الأعظم في ست آيات في آخر سورة الحشر .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



وقيل سورة الامتحان وقيل سورة المودة مدنية وهي ثلاث عشرة آية بالاجماع .

[فضلها] أبيّ بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة الممتحنة كان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء يوم القيامة . أبو حمزة الثمالي عن علي بن الحسين (ع) قال من قرأ سورة الممتحنة في فرائضه ونوافله امتحن الله قلبه للإيمان ونور له بصره ولا يصيبه فقراً أبداً ولا جنون في ولده ولا في بدنه .

[تفسيرها] وجه اتصالها بما قبلها انه لما ذكر سبحانه في سورة الحشر الكفار والمنافقين افتتح هذه السورة بذكر تحريم موالاتهم وايجاب معاداتهم فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم

بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ
أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣﴾
قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ
لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ
وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ
وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ
مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ
ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٥﴾

[القراءة] قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو يفصل بينكم بضم الياء وفتح الصاد على التخفيف وقرأ أهل الكوفة غير عاصم يفصل بضم الياء وكسر الصاد مشدداً وقرأ عاصم ويعقوب وسهل يفصل بفتح الياء وكسر الصاد مخففاً وقرأ ابن عامر يفصل بضم الياء وفتح الصاد مشدداً وفي الشواذ قراءة عيسى بن عمرو انا براء منكم على مثال فعال .

[الحجة] قال أبو علي ذهب أبو الحسن في هذا النحو ان الظرف اقيم مقام الفاعل وترك على الفتح الذي كان يجري عليه في الكلام لجريه في أكثر الكلام منصوباً وكذلك تقول في قوله ﴿وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك﴾ وكذلك يجيء قياس قوله لقد تقطع بينكم فاللفظ على قوله مفتوح والموضع رفع كما كان اللفظ في قوله وكفى بالله وما جاءني من رجل مجروراً والموضع رفع والقول في قراءة ابن عامر يفصل مثل القول في يفصل وقول عاصم يفصل حسن والضمير يرجع إلى اسم الله تعالى ودل عليه قوله وانا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم وكذلك قول من قرأ يفصل وبريء في تكسيره أربعة أوجه براء كالشريف والشرفاء وهو قراءة الجماعة وبراء نحو ظريف وظراف وأبرياء كصديق وأصدقاء وبراء كتؤام ورباب

وعليه بيت الحارث بن حلزة «فإنا من قتلهم لبراء» قال الفراء أراد به براء فحذف الهمزة التي هي لام تخفيفاً وأخذ هذا الموضع من أبي الحسن في قوله ان أشياء أصله أشيئاء وهذا المذهب يوجب ترك صرف براء لأنها همزة التأنيث .

[الإعراب] ذهب الزجاج إلى أن التقدير إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء وقيل ان الكلام قد تم عند قوله اولياء ثم قال تلقون اليهم على تقدير أتلقون فحذف الهمزة كقوله وتلك نعمة تمنها علي وتقديره أو تلك نعمة وقيل ان قوله تلقون إليهم بالمودة في موضع النصب على الحال من الضمير في لا تتخذوا والباء مزيدة والتقدير تُلقون إليهم المودة كما قال الشاعر :

فَلَمَّا رَجَتْ بِالشُّرْبِ هَزَّ لَهَا الْعَصَا شَجِيجٌ لَهُ عِنْدَ الإِزَاءِ نَهِيمُ[1]

أي رجت الشرب ويجوز أن يكون مفعول تلقون محذوفاً والباء تتعلق به أي تلقون اليهم ما تريدون بالمودة التي بينكم وبينهم وقد كفروا جملة في موضع نصب على الحال من العدو أو من الهاء والميم في قوله تلقون إليهم وإياكم منصوب بالعطف على الرسول ان كنتم خرجتم جواب الشرط محذوف لدلالة ما تقدمه من الكلام عليه أي ان كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء وجهاداً مفعول له أي للجهاد ويجوز أن يكون مصدراً وضع موضع الحال وابتغاء مرضاتي معطوف عليه على الوجهين والتقدير للحال خرجتم مجاهدين في سبيلي مبتغين مرضاتي . وحده يجوز أن يكون مصدراً محذوف الزوائد والتقدير توحدونه توحيداً او توحدونه ايحاداً فيكون مصدراً وضع موضع الحال ويجوز ان يكون مصدر فعل ثلاثي تقديره يحد وحده والتقدير حتى تؤمنوا بالله واحداً . إلا قول إبراهيم منصوب على الاستثناء والمستثنى منه الضمير المستكن فيما يتعلق به اللام في قوله قد كانت لكم اسوة حسنة والتقدير ثبتت لكم في إبراهيم إلا في قوله لاستغفرن لك .

[النزول] نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وذلك ان سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هشام اتت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة بعد بدر بسنتين فقال لها رسول الله ﷺ امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الأصل والعشيرة والموالي وقد ذهب موالي واحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني

(١) الازاء : مصب الماء في الحوض ونهم الاكل في الطعام : شره وحرص وافرط الشهوة فيه وكان لا تمتلىء عينه ولا تشبع .

وتحملوني قال فأين انت من شبان مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني بعد وقعة بدر فحث رسول الله ﷺ عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها واعطوها نفقة وكان رسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة فاتاها حاطب بن أبي بلتعة وكتب معها كتاباً إلى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير عن ابن عباس وعشرة دراهم عن مقاتل بن حيان وكساها برداً على ان توصل الكتاب إلى أهل مكة وكتب في الكتاب: من حاطب بن أبي بلتعة الى أهل مكة ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبرائيل فأخبر النبي ﷺ بما فعل فبعث رسول الله ﷺ علياً وعماراً وعمر والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وأبا مرثد وكانوا كلهم فرساناً وقال لهم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين فخذوه منها فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي ذكره رسول الله ﷺ فقالوا لها أين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب فنحوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتاباً فهموا بالرجوع فقال علي (ع) والله ما كذبنا ولا كذبنا وسلّ سيفه وقال لها اخرجي الكتاب والا والله لاضربن عنقك فلما رأت الجدّ أخرجته من ذؤابتها قد أخبأته في شعرها فرجعوا بالكتاب الى رسول الله ﷺ فأرسل إلى حاطب فأتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريباً فيهم اي غريباً وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فأردت أن اتخذ عندهم يداً وقد علمت ان الله ينزل بهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئاً فصدقه رسول الله ﷺ وعذره فقام عمر بن الخطاب وقال دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فغفر لهم فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن أبي رافع قال سمعت علياً (ع) يقول بعثنا رسول الله ﷺ انا والمقداد والزبير وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخرجنا وذكر نحوه .

[المعنى] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ خاطب سبحانه المؤمنين ونهاهم ان يتخذوا الكافرين أولياء يوالونهم ويستنصرون بهم وينصرونهم ﴿تلقون اليهم بالمودة﴾ أي تلقون إليهم المودة وتبذلون لهم النصيحة يقال القيت إليك بسري وقيل معناه تلقون إليهم اخبار رسول الله ﷺ بالمودة التي بينكم وبينهم عن الزجاج ﴿وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ وهو القرآن والإسلام ﴿يخرجون الرسول وإياكم﴾ من مكة ﴿أن تؤمنوا بالله ربكم﴾ أي لأن تؤمنوا أو كراهة ان تؤمنوا فكأنه قال يفعلون ذلك لايمانكم بالله

ربكم الذي خلقكم ﴿إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي﴾ والمعنى ان كان غرضكم في خروجكم وهجرتكم الجهاد وطلب رضاي فأوفوا خروجكم حقه من معاداتهم ولا تلقوا اليهم بالمودة ولا تتخذوهم اولياء ﴿تسرون إليهم بالمودة﴾ أي تعلمونهم في السر أن بينكم وبينهم مودة وقيل الباء للتعليل أي تعلمونهم بأحوال الرسول في السر بالمودة التي بينكم وبينهم فعل من يظن أنه يخفى عليّ ما يفعله ﴿وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم﴾ لا يخفى عليّ شيء من ذلك فاطلع رسولي عليه ﴿ومن يفعله منكم﴾ أي ومن أسر إليهم بالمودة والقي اليهم أخبار رسولي منكم يا جماعة المؤمنين بعد هذا البيان ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ أي عدل عن طريق الحق وجار عن سبيل الرشد وفي هذه الآية دلالة على أن الكبيرة لا تخرج عن الإيمان لأن احد من المسلمين لا يقول ان حاطباً قد خرج من الإيمان بما فعله من الكبيرة الموبقة ﴿أن يثقفوكم﴾ يعني ان هؤلاء الكفار ان يصادفوكم مقهورين ويظفروا بكم ﴿يكونوا لكم اعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء﴾ أي يمدّوا إليكم أيديهم بالضرب والقتل ويبسطوا إليكم ألسنتهم بالشتم والمعنى انهم يعادونكم ولا ينفعكم ما تلقون اليهم ولا يتركون غاية في الحاق السوء بكم باليد واللسان ﴿وودوا﴾ مع ذلك ﴿لو تكفرون﴾ بالله كما كفروا وترجعون عن دينكم ﴿لن تنفعكم أرحامكم﴾ أي ذوو ارحامكم والمعنى قراباتكم ﴿ولا أولادكم﴾ أي لا يحملنكم قراباتكم ولا أولادكم التي بمكة على خيانة النبي ﷺ والمؤمنين فلن ينفعكم اولئك الذين عصيتم الله لأجلهم ﴿يوم القيامة يفصل﴾ الله ﴿بينكم﴾ فيدخل أهل الإيمان والطاعة الجنة وأهل الكفر والمعصية النار ويميز بعضكم من بعض ذلك اليوم فلا يرى القريب المؤمن في الجنة قريبه الكافر في النار وقيل معناه يقضي بينكم من فصل القضاء ﴿والله بما تعملون بصير﴾ أي عليم بأعمالكم علم الله سبحانه بما عمله حاطب من مكاتبة اهل مكة حتى أخبر نبيه ﷺ بذلك ثم ضرب سبحانه لهم ابراهيم مثلاً في ترك موالاة الكفار فقال ﴿قد كانت لكم اسوة حسنة﴾ أي اقتداء حسن ﴿في إبراهيم﴾ خليل الله ﴿والذين معه﴾ ممن آمن به واتبعه وقيل الذين معه من الانبياء عن ابن زيد ﴿إذ قالوا لقومهم﴾ الكفار ﴿انا برآء منكم﴾ فلا نواليكم ﴿ومما تعبدون من دون الله﴾ أي وبراء من الأصنام التي تعبدونها ويجوز أن يكون ما مصدرية فيكون المعنى ومن عبادتكم الاصنام ﴿كفرنا بكم﴾ أي يقولون لهم جحدنا دينكم وانكرنا معبودكم ﴿وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً﴾ فلا يكون بيننا موالاة في الدين ﴿حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ أي تصدقوا بوحدانية الله وإخلاص التوحيد والعبادة له قال الفراء يقول الله تعالى أفلا تأتسي يا حاطب بإبراهيم وقومه فتبرأ من أهلك كما تبرؤا منهم أي من قومهم الكفار ﴿إلا قول إبراهيم لأبيه لاستغفرن لك﴾ أي اقتدوا بإبراهيم في كل اموره

إلا في هذا القول فلا تقتدوا به فيه فإنه عليه السلام انما استغفر لأبيه عن موعدة وعدها إياه بالإيمان فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه قال الحسن وانما تبين له ذلك عند موت أبيه ولو لم يستثن ذلك لظن انه يجوز الاستغفار للكفار مطلقاً من غير موعدة بالإيمان منهم فنهوا ان يقتدوا به في هذا خاصة عن مجاهد وقتادة وابن زيد وقيل كان آزر ينافق إبراهيم ويريه انه مسلم ويعده اظهار الاسلام فيستغفر له عن الحسن والجبائي ثم قال ﴿وما أملك لك من الله من شيء﴾ إذا أراد عقابك ولا يمكنني دفع ذلك عنك ﴿ربنا عليك توكلنا﴾ أي وكانوا يقولون ذلك ﴿وإليك انبنا﴾ أي إلى طاعتك رجعنا ﴿وإليك المصير﴾ أي إلى حكمك المرجع وهذه حكاية لقول إبراهيم وقومه ويحتمل ان يكون تعليماً لعباده ان يقولوا ذلك فيفوضوا امورهم اليه ويرجعون اليه بالتوبة ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا ببلاء من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق لما أصابهم هذا البلاء عن مجاهد وقيل معناه ولا تسلطهم علينا فيفتنونا عن دينك وقيل معناه الطف بنا حتى نصبر على أذاهم ولا نتبعهم فنصير فتنة لهم وقيل معناه اعصمنا من موالاة الكفار فانا اذا والیناهم ظنوا انا صوبناهم وقيل معناه لا تخذلنا اذا حاربناهم فلو خذلتنا لقالوا لو كان هؤلاء على الحق لما خذلوا ﴿واغفر لنا ربنا﴾ ذنوبنا ﴿انك انت العزيز﴾ الذي لا يغالب ﴿والحكيم﴾ الذي لا يفعل الا الحكمة والصواب وفي هذا تعليم للمسلمين ان يدعوا بهذا الدعاء.

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ
هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ * عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ
ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾
لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ
فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن

تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾

[النزول] نزل قوله ﴿لا ينهاكم الله﴾ الآية في خزاعة وبني مدلج وكانوا صالحوا رسول الله على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحداً عن ابن عباس .

[المعنى] ثم أعاد سبحانه في ذكر الأسوة فقال ﴿لقد كان لكم فيهم﴾ أي في إبراهيم ومن آمن معه ﴿أسوة حسنة﴾ أي قدوة حسنة وإنما أعاد ذكر الأسوة لأن الثاني منعقد بغير ما انعقد به الأول فإن الثاني فيه بيان ان الأسوة فيهم كان لرجاء ثواب الله وحسن المنقلب والأول فيه بيان أن الأسوة في المعاداة للكفار وقوله ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ بدل من قوله لكم وهو بدل البعض من الكل مثل قوله ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ وفيه بيان ان هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عقاب الآخرة وهو قوله واليوم الآخر وقيل يرجو ثواب الله وما يعطيه من ذلك في اليوم الآخر ﴿ومن يتول﴾ أي ومن يعرض عن هذا الاقتداء بإبراهيم والأنبياء والمؤمنين والذين معه فقد أخطأ حظ نفسه وذهب عما يعود نفعه إليه فحذفه لدلالة الكلام عليه وهو قوله ﴿فإن الله هو الغني الحميد﴾ أي الغني عن ذلك المحمود في جميع افعاله فلا يضره توليه ولكنه ضرّ نفسه ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم﴾ أي من كفار مكة ﴿مودة﴾ بالإسلام قال مقاتل لما أمر الله سبحانه المؤمنين بعداوة الكفار عادوا أقرباءهم فنزلت هذه الآية والمعنى أن موالاة الكفار لا تنفع والله سبحانه قادر على أن يوفقهم للإيمان وتحصل المودة بينكم وبينهم فكونوا على رجاء وطمع من الله أن يفعل ذلك وقد فعل ذلك حين أسلموا عام الفتح فحصلت المودة بينهم وبين المسلمين ﴿والله قدير﴾ على نقل القلوب من العداوة الى المودة وعلى كل شيء يصح ان يكون مقدوراً له ﴿والله غفور﴾ لذنوب عباده ﴿رحيم﴾ بهم إذا تابوا وأسلموا ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم﴾ أي ليس ينهاكم الله عن مخالطة اهل العهد الذين عاهدوكم على ترك القتال وبرهم ومعاملتهم بالعدل وهو قوله ﴿أن تبروهم وتقسطوا اليهم﴾ أي وتعدلوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد عن الزجاج وقيل ان المسلمين استأمروا النبي ﷺ في أن يبرّوا أقرباءهم من المشركين وذلك قبل أن يؤمروا بقتال جميع المشركين فنزلت هذه الآية وهي منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل انه عنى بالذين لم يقاتلوكم من آمن من اهل مكة ولم يهاجر عن قتادة وقيل هي عامة في كل من كان بهذه الصفة عن ابن الزبير والذي عليه الاجماع ان بر الرجل من يشاء من اهل الحرب قرابة كان او غير قرابة ليس بمحرم وإنما الخلاف في

اعطائهم مال لزكاة والفطرة والكفارات فلم يجوزه اصحابنا وفيه خلاف بين الفقهاء وقوله أن تبروهم في موضع جر بدل من الذين وهو بدل الاشتمال وتقديره لا ينهاكم الله عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ أي العادلين وقيل يحب الذين يجعلون لقراباتهم قسطاً مما في بيوتهم من المطعومات ثم قال ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين﴾ من أهل مكة وغيرهم ﴿وأخرجوكم من دياركم﴾ أي منازلكم واملاككم ﴿وظاهروا على اخراجكم﴾ أي عاونوا على ذلك وعاضدوهم وهم العوام والاتباع عاونوا رؤساءهم على الباطل ﴿ان تولوهم﴾ أي ينهاكم الله عن ان تولوهم وتوادّوهم وتحبوهم والمعنى ان مكاتبتكم بينهم[1] باظهار سر المؤمنين موالاة لهم ﴿ومن يتولهم﴾ منكم أي يوالهم وينصرهم ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ يستحقون بذلك العذاب الأليم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

(١) في نسختين: مكاتبتهم بدل مكاتبتكم بينهم .

[القراءة] قرأ أهل البصرة ولا تمسكوا بالتشديد والباقون ولا تمسكوا بالتخفيف وفي الشواذ قراءة الأعرج فعقبتم بالتشديد وقراءة النخعي والزهري ويحيى بن يعمر بخلاف فعقبتم خفيفة القاف من غير الف وقراءة مسروق فعقبتم بكسر القاف من غير الف والقراءة المشهورة فعاقبتم وقرأ مجاهد فاعقبتم .

[الحجة] حجة من قرأ لا تمسكوا قوله فإمساك بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً وامسك عليك زوجك وحجة من قال ولا تمسّكوا قوله والذين يمسّكون بالكتاب يقال امسكت بالشيء ومسكت به وتمسكت به قال ابن جني روينا عن قطرب قال فعاقبتم اصبتم عقبى منهن يقال عاقب الرجل شيئاً إذا اخذ شيئاً وانشد لطرفة «فعقبتم بذنوب غير مره» جمع مره فسروه على[1] اعطيتم وعدتم وقال في قوله ولم يعقب لم يرجع وحكي عن الأعمش انه قال عقبتم غنمتم وقد يجوز ان يكون عقبتم بوزن غنمتم وبمعناه جميعاً وروي ايضاً بيت طرفة فعقبتم بكسر القاف وحكى ابو عوانة عن المغيرة قال قرأت على إبراهيم فعاقبتم فأخذها على فعقبتم خفيفة ومعنى أعقبتم صنعتم بهم مثل ما صنعوا بكم .

[النزول] قال ابن عباس صالح رسول الله ﷺ بالحديبية مشركي مكة على ان من أتاه من اهل مكة رده عليهم ومن اتى أهل مكة من اصحاب رسول الله ﷺ فهو لهم ولم يردّوه عليه وكتبوا بذلك كتاباً وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب والنبي ﷺ بالحديبية فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقال مقاتل هو صيفي[2] ابن الراهب في طلبها وكان كافراً فقال يا محمد أردد عليّ امرأتي فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا منا وهذه طينة الكتاب لم تجفّ بعد فنزلت الآية يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانهن أن يستحلفن ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن ارض الى أرض ولا التماس دنيا وما خرجت إلا حبّاً لله ولرسوله فاستحلفها رسول الله ﷺ ما خرجت بغضاً لزوجها ولا عشقاً لرجل منا وما خرجت إلا رغبة في الإسلام فحلفت بالله الذي لا إله إلا هو على ذلك فأعطى رسول الله ﷺ زوجها مهرها وما انفق عليها ولم يردها عليه فتزوجها عمر بن الخطاب فكان رسول الله ﷺ يرد من جاءه من الرجال ويحبس من جاءه من النساء إذا امتحنّ ويعطي ازواجهن مهورهن قال الزهري ولما نزلت هذه الآية وفيها قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا له بمكة مشركتين قرنية[3] بنت ابي امية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن ابي

(١) في نسخة : ما اعطيتم بدل اعطيتم . (٢) في نسختين : صيف بدل صيفي . (٣) في المخطوطة : قريبة بدل قرنية .

سفيان وهما على شركهما بمكة[1] والأخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية ام عبد الله بن عمر فتزوجها ابو جهم بن حذافة بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما وكانت عند طلحة بن عبد الله اروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ففرق بينهما الإسلام حين نهى القرآن عن التمسك بعصم الكوافر وكان طلحة قد هاجر وهي بمكة عند قومها كافرة ثم تزوجها في الإسلام بعد طلحة خالد بن سعيد بن العاص بن امية وكانت ممن فرت الى رسول الله ﷺ من نساء الكفار فحبسها وزوجها خالداً وأميمة بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحداحة ففرت منه وهو يومئذ كافر إلى رسول الله ﷺ فزوجها رسول الله سهل بن حنيف فولدت عبد الله بن سهل قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله ﷺ امرأة ابي العاص بن الربيع فاسلمت ولحقت بالنبي ﷺ في المدينة وأقام ابو العاص مشركاً بمكة ثم اتى المدينة فأمنته زينب ثم أسلم فردها عليه رسول الله وقال الجبائي لم يدخل في شرط صلح الحديبية إلا رد الرجال دون النساء ولم يجر للنساء ذكر وان ام كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط جاءت مسلمة مهاجرة من مكة فجاء اخواها الى المدينة فسألا رسول الله ﷺ ردها عليهما فقال رسول الله ﷺ إن الشرط بيننا في الرجال لا في النساء فلم يردها عليهما قال الجبائي وإنما لم يجر هذا الشرط في النساء لأن المرأة إذا اسلمت لم تحل لزوجها الكافر فكيف ترد عليه وقد وقعت الفرقة بينهما .

[المعنى] لما قطع سبحانه الموالاة بين المسلمين والكافرين بيّن حكم النساء المهاجرات وازواجهن فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن﴾ بالإيمان اي استوصفوهن الإيمان وسماهن مؤمنات قبل أن يؤمن لأنهن اعتقدن الإيمان ﴿الله اعلم بإيمانهن﴾ اي كنتم تعلمون بالامتحان ظاهر إيمانهن والله يعلم حقيقة إيمانهن في الباطن ثم اختلفوا في الامتحان على وجوه (احدها) أن الامتحان ان يشهدن أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله عن ابن عباس (وثانيها) ما روي عن ابن عباس أيضاً في رواية اخرى أن امتحانهن ان يحلفن ما خرجن الا للدين والرغبة في الإسلام ولحب الله ورسوله ولم يخرجن لبغض زوج ولا لالتماس دنيا وروي ذلك عن قتادة ﴿وثالثها﴾ ان امتحانهن بما في الآية التي بعد وهو أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين الآية عن عائشة ثم قال سبحانه ﴿فإن علمتموهن مؤمنات﴾ يعني في الظاهر ﴿فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾ اي لا تردوهن اليهم ﴿لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾ وهذا يدل على وقوع

(١) ليس في بعضها لفظة بمكة .

الفرقة بينهما بخروجها مسلمة وان لم يطلق المشرك ﴿وآتوهم ما انفقوا﴾ اي وآتوا ازواجهن الكفار ما انفقوا عليهن من المهر عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قال الزهري لولا الهدنة لم يرد الى المشركين الصادق كما كان يفعل قبل ﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن﴾ أي ولا جناح عليكم معاشر المسلمين أن تنكحوا المهاجرات إذا أعطيتموهن مهورهن التي يستحل بها فروجهن لأنهن بالإسلام قد بن من ازواجهن ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ اي لا تمسكوا بنكاح الكافرات واصل العصمة المنع وسمي النكاح عصمة لأن المنكوحة تكون في حبال الزوج وعصمته وفي هذا دلالة على انه لا يجوز العقد على الكافرة سواء كانت حربية أو ذمية وعلى كل حال لأنه عام في الكوافر وليس لأحد ان يخص الآية بعابدة الوثن لنزولها بسببهن لأن المعتبر بعموم اللفظ لا بالسبب ﴿واسألوا ما انفقتم﴾ اي إن لحقت امرأة منكم بأهل العهد من الكفار مرتدة فاسألوهم ما انفقتم من المهر إذا منعوها ولم يدفعوها اليكم كما يسألونكم مهور نسائهم إذا هاجرن اليكم وهو قوله ﴿وليسألوا ما انفقوا ذلكم﴾ يعني ما ذكر الله في هذه الآية ﴿حكم الله يحكم بينكم والله عليم﴾ بجميع الأشياء ﴿حكيم﴾ فيما يفعل ويأمر به قال الحسن كان في صدر الإسلام تكون المسلمة تحت الكافر والكافرة تحت المسلم فنسخته هذه الآية قال الزهري ولما نزلت هذه الآية آمن المؤمنون بحكم الله وأدّوا ما امروا به من نفقات المشركين على نسائهم وأبى المشركون ان يقروا بحكم الله فيما أمرهم به من اداء نفقات المسلمين فنزل ﴿وإن فاتكم شيء من ازواجكم﴾ أي أحد من ازواجكم ﴿إلى الكفار﴾ فلحقن بهم مرتدات ﴿فعاقبتم﴾ معناه فغزوتم وأصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فظفرتم وكانت العاقبة لكم وقيل معناه فخلفتم[1] من بعدهم وصار الأمر عن مؤرج وقيل ان عقب وعاقب مثل صغَر وصاغر بمعنى عن الفراء وقيل عاقبتم بمصير ازواج الكفار اليكم إما من جهة سبي او مجيئهن مؤمنات عن علي بن عيسى ﴿فآتوا الذين ذهبت ازواجهم﴾ اي نساؤهم من المؤمنين ﴿مثل ما انفقوا﴾ من المهور عليهن من رأس الغنيمة وكذلك من ذهبت زوجته الى من بينكم وبينه عهد فنكث في اعطاء المهر فالذي ذهبت زوجته يعطى المهر من الغنيمة ولا ينقص شيئاً من حقه بل يعطي كملا عن ابن عباس والجباني وقيل معناه إن فاتكم احد من ازواجكم الى الكفار الذين بينكم وبينهم عهد فغنمتم فأعطوا زوجها صداقها الذي كان ساق اليها من الغنيمة ثم نسخ هذا الحكم[2] في براءة فنبذ الى كل ذي عهد عهده عن قتادة وقال علي بن عيسى معناه فأعطوا الذين ذهبت ازواجهم مثل

(١) في نسخة فلحقتم بدل فخلفتم.

(٢) في المخطوطة سورة براءة.

ما انفقوا من المهور كما عليهم ان يردوا عليكم مثل ما انفقتم لمن ذهب من ازواجكم ﴿واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون﴾ اي اجتنبوا معاصي الله الذي انتم تصدقون به ولا تجاوزا امره وقال الزهري فكان جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعات عن الإسلام ست نسوة: ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر أبت وارتدت وبروع[1] بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن فضلة وزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت أبي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر فاعطاهم رسول الله ﷺ مهور نسائهم من الغنيمة .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

[الاعراب] من اصحاب القبور اي من بعث اصحاب القبور فحذف المضاف ويجوز ان يكون من تبييناً للكفار والتقدير كما يئس الكفار الذين هم من اصحاب القبور من الآخرة .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه بيعة النساء وكان ذلك يوم فتح مكة لما فرغ النبي ﷺ من بيعة الرجال وهو على الصفا جاءته النساء يبايعنه فنزلت هذه الآية فشرط الله تعالى في

(١) في نسخة برزع .

مبايعتهن ان يأخذ عليهن هذه الشروط وهو قوله ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ على هذه الشرائط وهي ﴿أن لا يشركن بالله شيئاً﴾ من الأصنام والأوثان ﴿ولا يسرقن﴾ لا من ازواجهن ولا من غيرهم ﴿ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن﴾ على وجه من الوجوه لا بالواد ولا بالإسقاط ﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه﴾ اي بكذب يكذبنه في مولود يوجد ﴿بين ايديهن وارجلهن﴾ اي لا يلحقن بازواجهن غير اولادهم عن ابن عباس وقال الفراء كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فذلك البهتان المفترى بين ايديهن وارجلهن وذلك ان الولد إذا وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها وليس المعنى على نهيهن من ان يأتين بولد من الزنا فينسبنه إلى الازواج لأن الشرط بنهي الزنا قد تقدم وقيل البهتان الذي نهيّن عنه قذف المحصنات والكذب على الناس وإضافة الأولاد الى الازواج على البطلان في الحاضر والمستقبل من الزمان ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ وهو جميع ما يأمرهن به لأنه لا يأمر الا بالمعروف والمعروف نقيض المنكر وهو كل ما دل العقل والسمع على وجوبه أو ندبه وسمي معروفاً لأن العقل يعترف به من جهة عظم حسنه ووجوبه وقيل عنى بالمعروف النهي عن النوح وتمزيق الثياب وجز الشعر وشق الجيب وخمش الوجه والدعاء بالويل عن المقاتلين والكلبي والأصل ان المعروف كل بر وتقوى وامر وافق طاعة الله تعالى ﴿فبايعهن﴾ على ذلك ﴿واستغفر لهن الله﴾ اي اطلب من الله ان يغفر لهن ذنوبهن ويسترها عليهن ﴿إن الله غفور﴾ أي صفوح عنهن ﴿رحيم﴾ منعم عليهن وروي ان النبي ﷺ با يعهن وكان على الصفا وكان عمر أسفل منه وهند بنت عتبة متنقبة متنكرة مع النساء خوفاً أن يعرفها رسول الله ﷺ فقال ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئاً فقالت هند انك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك اخذته على الرجال وذلك انه بايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط فقال ﷺ ولا تسرقن فقالت هند إن ابا سفيان رجل ممسك واني اصبت من ماله هنات فلا ادري ايحل لي أم لا فقال ابو سفيان ما اصبت من مالي فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فأعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ﷺ ولا تزنين فقالت هند او تزني الحرة فتبسم عمر بن الخطاب لما جرى بينه وبينها في الجاهلية فقال ﷺ ولا تقتلن اولادكن فقالت هند ربيناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً وانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتله علي بن أبي طالب (ع) يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم النبي ﷺ ولما قال ولا تأتين ببهتان فقالت هند والله ان البهتان قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق ولما قال ولا يعصينك في معروف فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء وروى الزهري عن عروة عن عائشة قالت كان النبي ﷺ

يبايع النساء بالكلام بهذه الآية أن لا يشركن بالله شيئاً وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط إلا يد امرأة يملكها رواه البخاري في الصحيح وروي انه ﷺ كان إذا بايع النساء دعا بقدح ماء فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن فيه وقيل انه كان يبايعهن من وراء الثوب عن الشعبي والوجه في بيعة النساء مع انهن لسن من اهل النصرة بالمحاربة هو اخذ العهد عليهن بما يصلح من شأنهن في الدين والأنفس والازواج وكان ذلك في صدر الاسلام ولئلا ينفتق بهن فتق لما وضع من الأحكام فبايعهن النبي ﷺ حسماً لذلك ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم﴾ اي لا تتولوا اليهود وذلك ان جماعة من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود اخبار المسلمين يتواصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهى الله عن ذلك عن المقاتلين وقيل اراد جميع الكفار اي لا تتخذوا كافراً من الكفار اولياء ثم وصف الكفار فقال ﴿قد يئسوا من الآخرة﴾ اي من ثواب الآخرة ﴿كما يئس الكفار من اصحاب القبور﴾ يعني ان اليهود بتكذيبهم محمداً ﷺ وهم يعرفون صدقه وانه رسول قد يئسوا من ان يكون لهم في الآخرة حظ وخير كما يئس الكفار الذين ماتوا وصاروا في القبور من ان يكون لهم في الآخرة حظ لأنهم قد ايقنوا بعذاب الله عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل كما يئس كفار العرب من ان يحيا اهل القبور ابداً عن الحسن وقيل كما يئس الكفار من ان ينالهم خير من اصحاب القبور وقيل يريد بالكفار هاهنا الذين يدفنون الموتى اي يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من الآخرة كما يئس الذين دفنوا الموتى منهم .

[النظم] ختم الله سبحانه السورة بالأمر بقطع الموالاة من الكفار كما افتتحها به .



وتسمى سورة الحواريين وسورة عيسى (ع) مدنية وهي اربع عشرة آية بلا خلاف .

[**فضلها**] ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة عيسى (ع) كان عيسى مصلياً عليه مستغفراً له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه : ابو بصير عن أبي جعفر (ع) قال من قرأ سورة الصف وأدمن قراءتها في فرائضه ونوافله صفه الله مع ملائكته وانبيائه المرسلين .

[**تفسيرها**] لما ختم الله سبحانه السورة بقطع موالاة الكفار افتتح هذه السورة بإيجاب ذلك ظاهراً وباطناً ثم بالأمر بالجهاد فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ

وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

[اللغة] المقت البغض والرصّ إحكام البناء يقال رصصت البناء اي احكمته واصله من الرصاص اي جعلته كأنه بني بالرصاص لتلاؤمه وشدة اتصاله .

[الاعراب] لم حذفت الألف من ما لشدة الاتصال مع ضعف حرف الاعتلال آخر الكلام لأنه حرف تعبير في موضع تعبير مقتاً نصب على التميز وان تقولوا في موضع رفع بأنه فاعل كبر والتقدير كبر هذا القول مقتاً عند الله وقيل ان الفاعل مضمر فيه والتقدير كبر المقت مقتاً عند الله نحو نعم رجلاً زيد والمخصوص بالذم ان تقولوا صفا مصدر في موضع الحال أي مصطفين .

[النزول] نزل قوله لم تقولون مالا تفعلون في المنافقين عن الحسن وقيل نزل في قوم كانوا يقولون إذا لقينا العدو لم نفرّ ولم نرجع عنهم ثم لم يفوا بما قالوا وانفلوا يوم احد حتى شج وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته عن مقاتل والكلبي وقيل نزلت في قوم قالوا جاهدنا وابلينا وفعلنا ولم يفعلوا وهم كذبة عن قتادة[1] وقيل لما اخبر الله سبحانه رسوله بثواب شهداء بدر قالت الصحابة لئن لقينا بعد قتالاً لنفرغن فيه وسعنا ثم فروا يوم أحد فعيرهم الله تعالى بذلك عن محمد بن كعب وقيل كان ناس من المؤمنين قبل ان يفرض الجهاد يقولون وددنا لو ان الله دلنا على احب الاعمال اليه فنعمل به فأخبرهم الله ان افضل الاعمال إيمان لا شك فيه والجهاد فكره ذلك ناس وشق عليهم وتباطأوا عنه فنزلت الآية عن ابن عباس وقيل كان رجل يوم بدر قد آذى المسلمين فقتله صهيب في القتال فقال رجل يا رسول الله قتلت فلاناً ففرح بذلك رسول الله ﷺ فقال عمرو عبد الرحمن لصهيب اخبر النبي ﷺ انك قتلته وان فلاناً ينتحله فقال صهيب انما قتلته لله ولرسوله فقال عمرو[2] وعبد الرحمن يا رسول الله إنما قتله صهيب فقال كذلك يا ابا يحيى قال نعم يا رسول الله فنزلت الآية والآية الاخرى عن سعيد بن المسيب .

[المعنى] ﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم﴾ مرّ تفسيره وإنما اعيد هاهنا لأنه استفتاح السورة بتعظيم الله من جهة ما سبح له بالآية التي فيه كما يستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم وإذا دخل المعنى في تعظيم الله حسن الاستفتاح به ﴿يا

(١) في نسخة : مقاتل بدل قتادة .

(٢) في نسخة عمرو بن عبد الرحمن في الموضعين .

أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ قيل إن الخطاب للمنافقين وهو تقريع لهم بأنهم يظهرون الإيمان ولا يبطنونه وقيل ان الخطاب للمؤمنين وتعيير لهم ان يقولوا شيئاً ولا يفعلونه قال الجبائي هذا على ضربين (أحدهما) ان يقول سأفعل ومن عزمه ان لا يفعله فهذا قبيح مذموم (والآخر) ان يقول سأفعل ومن عزمه ان يفعله والمعلوم انه لا يفعله فهذا قبيح لأنه لا يدري أيفعله أم لاولا ينبغي في مثل هذاان يقرن بلفظة ان شاء الله **﴿كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون﴾** أي كبر هذا القول وعظم مقتاً عند الله وهو ان تقولوا ما لا تفعلونه وقيل معناه كبر ان تقولوا ما لا تفعلونه وتعدوا من أنفسكم ما لا تفون به مقتاً عند الله **﴿ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾** أي يصفون انفسهم عند القتال صفاً وقيل يقاتلون في سبيله مصطفين **﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾** كأنه بني بالرصاص لتلاؤمه وشدة اتصاله وقيل كأنه حائط ممدود رص على البناء في احكامه واتصاله واستقامته اعلم الله سبحانه انه يحب من ثبت في القتال ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص ومعنى محبة الله اياهم انه يريد ثوابهم ومنافعهم ثم ذكر سبحانه حديث موسى (ع) في صدق نيته وثبات عزيمته على الصبر في اذى قومه تسلية للنبي ﷺ في تكذيبهم اياه فقال **﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم﴾** هذا انكار عليهم ايذاءه بعد ما علموا انه رسول الله والرسول يعظم ويبجل ولا يؤذى وكان قومه آذوه بأنواع من الأذى وهو قولهم اجعل لنا إلهاً واذهب انت وربك فقاتلا وما روي في قصة قارون انه دس إليه امرأة وزعم انه زنى بها ورموه بقتل هارون وقيل ان ذلك حين رموه بالادرة وقد ذكرنا ذلك عند قوله **﴿ولا تكونوا كالذين آذوا موسى﴾** الآية **﴿فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم﴾** اي فلما مالوا عن الحق والاستقامة حلاهم وسوء اختيارهم ومنعهم الالطاف التي يهدي بها قلوب المؤمنين كقوله ومن يؤمن بالله يهد قلبه عن أبي مسلم وقيل ازاغ الله قلوبهم عما يحبون الى ما يكرهون ولا يجوز ان يكون المراد ازاغ الله قلوبهم عن الإيمان لأن الله تعالى لا يجوز ان يزيغ احداً عن الإيمان وأيضاً فإنه يخرج الكلام عن الفائدة لأنهم إذا زاغوا عن الإيمان فقد حصلوا كفاراً فلا معنى لقوله ازاغهم الله عن الإيمان **﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾** اي لا يهديهم الله إلى الثواب والكرامة والجنة التي وعدها المؤمنين وقيل لا يفعل بهم الالطاف التي يفعلها بالمؤمنين بل يخليهم واختيارهم عن ابي مسلم .

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ
يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ

مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا
جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ
مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ
بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾

[القراءة] فتح اهل البصرة والحجاز وابو بكر الياء من قوله من بعدي اسمه احمد ولم يفتحه الباقون وقرأ ابن كثير واهل الكوفة غير ابي بكر متم نوره مضافاً والباقون متم نوره بالنصب والتنوين .

[الحجة] الإضافة ينوي بها الانفصال كما في قوله انا مرسلو الناقة وذائقة الموت والنصب في متم نوره على انه في حال الفعل وفيما يأتي .

[الاعراب] قوله اسمه احمد في موضع جر لكونه وصفاً للرسول كما أنّ قوله يأتي في موضع جر أيضاً وتقديره اسمه قول احمد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وكذلك قوله يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة اي يجدون ذكره مكتوباً ألا ترى ان الشخص لا يكتب كما ان احمد عبارة عن الشخص والاسم قول والقول لا يكون الشخص وخبر المبتدأ يكون المبتدأ في المعنى ومفعول قوله يريدون محذوف وتقديره يريدون ذم الإسلام او يريدون هذا القول ليطفئوا نور الله أي لإطفاء نور الله والله متم نوره في موضع نصب على الحال.

المعنى] ثم عطف سبحانه بقصة عيسى (ع) على قصة موسى فقال ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم﴾ أي واذكر إذ قال عيسى بن مريم لقومه الذين بعث اليهم ﴿يا بني إسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة﴾ المنزلة على موسى ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ يعني نبينا محمداً ﷺ كما قال الشاعر:

صَلَّى الْإِلَهُ وَمَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِهِ وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

ولهذا الاسم معنيان (أحدهما) ان يجعل احمد مبالغة من الفاعل أي هو اكثر حمداً لله من غيره (والآخر) ان يجعل مبالغة من المفعول اي يحمد بما فيه من الأخلاق والمحاسن اكثر مما يحمد غيره وصحت الرواية عن الزهري عن محمد بن جبير بن المطعم عن ابيه قال قال رسول الله ﷺ ان لي اسماء أنا أحمد وانا محمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي اورده البخاري في الصحيح وقد تضمنت الآية ان عيسى بشر قومه بمحمد ﷺ وبنبوته وأخبرهم برسالته وفي هذه البشرى معجزة لعيسى (ع) عند ظهور محمد ﷺ وامر لأمته أن يؤمنوا به عند مجيئه ﴿فلما جاءهم﴾ أحمد ﴿بالبينات﴾ أي بالدلالات الظاهرة والمعجزات الباهرة ﴿قالوا هذا سحر مبين﴾ اي ظاهر ﴿ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب﴾ أي من اشد ظلماً ممن اختلق الكذب على الله وقال لمعجزاته سحر وللرسول انه ساحر كذاب ﴿وهو يدعى إلى الإسلام﴾ الذي فيه نجاته وقيل يدعى إلى الاستسلام لأمره والانقياد لطاعته ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الذين ظلموا انفسهم بفعل الكفر والمعاصي قال ابن جريج هم الكفار والمنافقون ويدل عليه قوله بعد ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾ اي يريدون اذهاب نور الإيمان والإسلام بفاسد الكلام الجاري مجرى تراكم الظلام فمثلهم فيه كمثل من حاول اطفاء نور الشمس بفيه ﴿والله متم نوره﴾ أي مظهر كلمته ومؤيد نبيه ومعلن دينه وشريعته ومبلغ ذلك غايته ﴿ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله﴾ محمداً ﷺ ﴿بالهدى﴾ من التوحيد واخلاص العبادة له ﴿ودين الحق﴾ وهو دين الإسلام وما تعبّد به الخلق ﴿ليظهره على الدين كله﴾ بالحجة والتأييد والنصرة ﴿ولو كره المشركون﴾ وفي هذه دلالة على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ لأنه سبحانه قد اظهر دينه على جميع الأديان بالاستعلاء والقهر واعلاء الشأن كما وعده ذلك في حال الضعف وقلة الاعوان واراد بالدين جنس الأديان فلذلك ادخل الألف واللام وروى العياشي بالإسناد عن عمران بن ميثم عن عباية انه سمع أمير المؤمنين (ع) يقول هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله أظهر بعدُ ذلك قالوا نعم قال كلا فوالذي نفسي بيده حتى لا تبقى قرية إلا وينادى فيها بشهادة ان لا إله إلا الله بكرة وعشياً .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ
تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ

فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ
ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى
ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ
فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد والباقون تنجيكم بالتخفيف وقرأ اهل الحجاز وأبو عمرو انصاراً بالتنوين لله بغير الف والباقون أنصار الله بالإضافة إلى الله .

[الحجة] قال ابو علي حجة من قرأ تنجيكم بالتشديد قوله ونجيّنا الذين آمنوا وحجة التخفيف فأنجاه الله من النار.

[اللغة] التجارة طلب الربح في شراء المتاع واستعير هنا لطلب الربح في اعمال الطاعة والجهاد مقاتلة العدو.

[الاعراب] إنما جاز تؤمنون بالله مع انه محمول على تجارة وخبر عنها ولا يصح ان يقال للتجارة تؤمنون وإنما يقال[1] وان تؤمنوا بالله لأنه جاء على طريق ما يدل على خبر التجارة لا على نفس الخبر إذ الفعل يدل على مصدره وإنما انعقاده بالتجارة في المعنى لا في اللفظ وفي ذلك توطئة لما يبنى على المعنى في الايجاز[2] والعرب تقول هل لك في خير تقوم إلى فلان فتعوده وان تقوم اليه وقوله يغفر لكم ذنوبكم في كونه مجزوماً وجهان

(١) كذا في النسخ والظاهر زيادة الواو .
(٢) في المخطوطة الاتجار بدل الايجاز .

(أحدهما) انه جواب هل أدلكم وهو قول الفراء وانكره أصحابنا البصريون وقالوا ان الدلالة على التجارة لا توجب المغفرة (والآخر) انه محمول على المعنى لأن قوله تؤمنون بالله معناه آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيله وهو أمر جاء على لفظ الخبر ويدل على ذلك قراءة عبد الله بن مسعود آمنوا بالله وجاهدوا ولا يمتنع ان يأتي الأمر بلفظ الخبر كما أتى الخبر بلفظ الامر في قوله فليمدد له الرحمن مداً المعنى فمد له الرحمن مداً لأن القديم تعالى لا يأمر نفسه ومثل ذلك اسمع بهم وأبصرلفظه أمرومعناه خبرويجوز أن يكون قوله تؤمنون مرفوعاً بسقوط ان والموصول والصلة في موضع جر على البدل من تجارة وتقديره هل أدلكم على تجارة إيمان بالله وقوله وأخرى في موضع جر بأنها صفة لموصوف محذوف مجرور بالعطف على تجارة تقديره وعلى تجارة اخرى محبوبة وقال الزجاج تقديره ولكم تجارة اخرى فعلى هذا يكون اخرى صفة موصوف محذوف مرفوع بالابتداء وتحبونها صفة بعد صفة ونصر خبر مبتدأ محذوف تقديره هي نصر من الله. من أنصاري إلى الله إلى هاهنا بمعنى مع أي مع الله.

[المعنى] لما تقدم ذكر الرسول عقبه سبحانه بذكر الدعاء إلى قبول قوله ونصرته والعمل بشريعته فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ وهو خطاب للمؤمنين على العموم وقيل هو خطاب لمن تقدم ذكرهم في اول السورة ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم﴾ صورته صورة العرض والمراد به الأمر على سبيل التلطف في الاستدعاء إلى الإخلاص في الطاعة والمعنى هل ترغبون في تجارة منجية من العذاب الأليم وهو الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس وذلك قوله ﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم﴾ وإنما انزل هذا لما قالوا لو نعلم اي الأعمال افضل واحب إلى الله لعملناه فجعل الله سبحانه ذلك العمل بمنزلة التجارة لأنهم يربحون فيها رضى الله والفوز بالثواب والنجاة من العقاب ﴿ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون﴾ اي ما وصفته وذكرته لكم انفع لكم وخير عاقبة لو علمتم ذلك واعترفتم بصحته وقيل ان معناه ان التجارة التي دللتكم عليها خير لكم من التجارة التي انتم مشتغلون بها لأنها تؤدي إلى ربح لا يزول ولا يبيد وهذه تؤدي إلى ربح يزول ويبيد ان كنتم تعلمون مضار الأشياء ومنافعها يغفر لكم ذنوبكم فإنكم ان علمتم بذلك ﴿يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة﴾ أي مواضع تسكنونها مستلذة مستطابة ﴿في جنات عدن﴾ أي اقامة لا تبغون عنها حولاً ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ لا ما يعده الناس فوزاً من طول البقاء وولاية الدنيا وسأل الحسن عمران بن الحصين وابا هريرة عن تفسير قوله ومساكن طيبة في جنات عدن فقالا على الخبير سقطت

سألنا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال قصر من لؤلؤ في الجنة في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون على كل فراش امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام في كل بيت سبعون وصيفاً ووصيفة قال ويعطي الله المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله ثم قال سبحانه ﴿واخرى تحبونها﴾ اي وتجارة اخرى أو خصلة أخرى تحبونها عاجلاً مع ثواب الآجل وهذا من الله تعالى زيادة ترغيب إذ علم سبحانه ان فيهم من يحاول عاجل النصر إما رغبة في الدنيا وإما تأييداً للدين فوعدهم ذلك بأن قال ﴿نصر من الله وفتح قريب﴾ اي تلك الخصلة او تلك التجارة نصر من الله لكم على اعدائكم وفتح قريب لبلادهم يعني النصر على قريش وفتح مكة عن الكلبي وقيل يريد فتح فارس والروم وسائر فتوح الإسلام على العموم عن عطاء وقريب معناه قريب كونه وقيل قريب منكم يقرب الرجوع منه الى اوطانكم ﴿وبشر المؤمنين﴾ أي بشرهم بهذين الثوابين عاجلاً وآجلاً على الجهاد وهو النصر في الدنيا والجنة في العقبى ثم حض سبحانه المؤمنين على نصرة دينه فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله﴾ أي انصار دينه وأعوان نبيه وإنما أضاف الى نفسه كما يقال للكعبة بيت الله وقيل لحمزة بن عبد المطلب اسد الله والمعنى دوموا على ما أنتم عليه من النصرة ﴿كما قال عيسى بن مريم﴾ اي مثل قول عيسى بن مريم للحواريين وهم خاصة الأنبياء وسموا بذلك لأنهم اخلصوا من كل عيب عن الزجاج وقيل سموا بذلك لبياض ثيابهم وقيل لأنهم كانوا قصارين ﴿من انصاري إلى الله﴾ والمعنى قل يا محمد اني ادعوكم الى هذا الأمر كما دعا عيسى قومه فقال من انصاري مع الله ينصرني مع نصرة الله اياي وقيل الى الله أي فيما يقرب إلى الله كما يقال اللهم منك واليك ﴿قال الحواريون نحن انصار الله﴾ اي انصار دين الله وأولياء الله وقيل انهم إنما سموا نصارى لقولهم نحن انصار الله ﴿فآمنت طائفة من بني إسرائيل﴾ اي صدقت بعيسى ﴿وكفرت طائفة اخرى﴾ به قال ابن عباس يعني في زمن عيسى (ع) وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالت كان الله فارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون وابتع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث محمد ﷺ فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرين وذلك قوله ﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾ اي عالين غالبين وقيل معناه اصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد ﷺ بأن عيسى كلمة الله وروحه عن إبراهيم وقيل بل ايدّوا في زمانهم على من كفر بعيسى عن مجاهد وقيل

معناه فآمنت طائفة من بني اسرائيل بمحمد ﷺ وكفرت طائفة به فأصبحوا قاهرين لعدوهم بالحجة والقهر والغلبة وبالله التوفيق .

(تم الجزء التاسع من التفسير)
ويليه الجزء العاشر والأخير
وأوله سورة الجمعة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی